نهاية الأرب

في

فنون الأدب

تأليف

شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري

٦٧٧ - ٧٣٣ هـ

الجزء الخامس والعشرون

تحقيق

د. محمد جابر عبد العال الحيني

مراجعة

الدكتور عبد العزيز الأهواني

١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م

نهاية الأرب

في

فنون الأدب

المكتبة العربية

يصدرها

المجلس الأعلى للثقافة

بالاشتراك مع

الهيئة المصرية العامة للكتاب

« مركز تحقيق التراث »

القاهرة

١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م

تقـــديم

هذا هو الجزء الخامس والعشرون من نهاية الأرب فى فنون الأدب لشهاب الدين النويرى ، يروعنا منه منهج المؤرخ النزيه ، عفة فى اللفظ. وحيدة فى الحكم ودقة فى النقل ، تلاحظ عفة اللفظ بخاصة وأنت تقارن لفظه وهو يتحدث عن القرمطة بلفظ غيره من المؤرخين الذين سبقوه دون استثناء ، هذا بالإضافة إلى أسلوب فى العرض فريد فى زمنه ، وإلى تضمنه لنقول تبين عقائد وآراء عبثت بها الأساطير ، نقلها عن الشريف محمد بن على العلوى المعروف بأخى محسن ، وهو مؤرخ ضاعت - أو بتعبير أدق - لم يصلنا من كتبه إلا شىء يسير .

وهذا الجزء أيضا ثمرة لثلاث مخطوطات محفوظة بدار الكتب المصرية برقمى ٥٤٩ ، ٥٥١ معارف عامة ورقم ٦٩٩ تاريخ (الخزانة التيمورية) ، ولقد رمزت للأولى بحرف ك وللثانية بحرف ا وللثالثة بحرف ت . أما المخطوطة ت فلولا ما فيها من سقط فى مواضع مختلفة لكانت فائدتها محققة ، أما المخطوطتان ك ، ا فقد سبق لى أن تحدثت عنهما وأنا أقدم الجزء الثانى والعشرين ، ويزيدنى هذا الجزء اقتناعاً بأن المخطوطة ا يتميز ناسخها بالدقة والأمانة فى النقل ، هذه الدقة

فى النقل ورسم الحروف ثمرة عناية ناسخ يعمل للسلطان ؛ ترى ذلك واضحاً – على غلاف النصف الأول من هذا الجزء – بالقول

قد وقف هذه النسخة الجليلة سلطاننا الأعظم والخاقان المعظم مالك البرين والبحرين خادم الحرمين الشريفين السلطان ابن السلطان السلطان محمود ، وقفاً شرعياً لمن طالع وتبصّر واعتبر وتذكّر أجزل الله تعالى لواءه وأوفره ، حرره الفقير أحمد شيخ زادة المفتش بأوقاف الحرمين الشريفين غفر لهما .

ومما هو جدير بالذكر ، أنّه رغم هذا الوقف فقد تداولتها أيد بيعاً وشراء ، كما يتبين ذلك مما على غلافها ، ومهما يكن من أمر هذا التداول فإنّه لم يؤثّر على المخطوطة تأثيراً يفسدها ، وكلّ ما طرأ هو رغبة فى تجليد ترتّب عليها تأثير المادة الملصقة على الصفحة الأولى ؛ فذهبت أنصاف سطورها ، وهو شيء يمكن تداركه بيسر .

وأخيرا أرجو أن أكون قد أديت واجبى ، والله ولى التوفيق .

القاهرة فى مايو سنة ١٩٦٢ م

د . محمد جابر الحينى

الباب السابع

فى أخبار من نهض فى طلب الخلافة من الطالبيين فى مدة الدولتين الأموية والعباسية

محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على ابن أبى طالب وأخوه ابراهيم

ونحن نذكر سبب ظهورهما وما كان من أمرهما وما اتفق لأولاد الحسن رضى الله عنه بسبب ذلك ، ثم نذكر ظهور محمد وما اتفق له إلى أن قتل ، وظهور إبراهيم بعده ، وما كان من خبره وحروبه ومقتله ، وما يتصل بذلك فنقول :

كان سبب ظهورهما أنّ محمد بن عبدالله بن الحسن بن الحسن[1] ابن على هذا ، كان يدّعى أنّ أبا جعفر المنصور كان ممّن بايعه ، لمّا تشاور بنو هاشم بمكة فيمن يعقدون له الخلافة ، عند اضطراب[2] أمر مروان بن محمد الحمار ، فلما قامت الدولة العباسية وبويع السفاح ، واتفق حج المنصور فى سنة ست وثلاثين ومائة سأل عنهما ، فقال له زياد بن عبيد الله الحارثى : ما يهمك من أمرهما ؟ أنا آتيك بهما ،

(١) ق ك : الحسين وهو خطأ من الناسخ .

(٢) هذا الشطر من الجزء فى ا هو الصفحة الأولى ، ومن الملاحظ أن الجانب الأيمن من هذه الصفحة أزال الأجزاء الأولى للسطور مادة التجليد ، وعلى ذلك فان هذه الصفحة فى ا لا تصلح مرجعاً .

وكان معه بمكة ، فردّه المنصور إلى المدينة ، فلما استخلف المنصور لم يكن همّه إلا أمر محمد ، والمسألة عنه وما يريد ، فدعا بنى هاشم رجلاً رجلاً يسأل كل واحد سرًّا عنه ، فكلّهم يقول قد علم أنك عرفته بطلب هذا الأمر ، فهو يخافك على نفسه ، وهو لا يريد لك خلافاً ، وما أشبه هذا الكلام ، إلا الحسن بن زيد بن الحسن بن على بن أبى طالب (١) فإنّه أخبره خبره ، وقال : والله ما آمن وثوبه عليك ، فإنّه لا ينام عنك ، فأيقظ بكلامه (٢) مَنْ لم ينم عنه ، وزاده ذلك حرصاً على طلبه ، وشدةً فى طلبه ، وكان موسى بن عبد الله بن حسن يقول بعد ذلك : اللهم اطلب حسن بن زيد (٣) بدمائنا .

ثم ألحّ المنصور على عبد الله بن حسن فى إحضار ابنه محمد سنة حج ، فقال عبد الله لسليمان بن على بن عبد الله بن عبّاس : يا أخى بيننا من الصهر (٤) والرحم ما تعلم ، فما ترى ؟ فقال سليمان : والله لكأنّى أنظر إلى أخى عبد الله بن على حين حال الستر (٥) بيننا وبينه ، وهو يشير إلينا ، إن هذا الذى فعلتم بى ، فلو كان المنصور عافياً عن أحد عفا عن عمّه ، يشير إلى خبر المنصور لما حبس عمه عبد الله بن على ،

---

(١) تذكرة ك : الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب وهو خطأ نسخ .
(٢) فى هذه الصفحة الثالثة من أ تمزيق أضاع بعض كلماتها .
(٣) فى ك : حسن بن يزيد .
(٤) فى ك : الصبر ، والتصويب عن ا ، ت والكامل ح ٥ ص ٣٩١ (ط. أوروبا) ويلاحظ أن التلخيص مأخوذ عن ابن الأثير فى الكامل (راجع ح ٥ ص ٣٩١) .
(٥) فى الكامل ح ٥ ص ٣٩١ : الميتة وموضوعها ممزقة فى ا ومقاتل الطالبيين ص ٢١٠ : حين أحال أبو جعفر الستر بيننا وبينه .

فقبل عبد الله بن حسن رأى [1] سليمان ، وعلم أنه قد صدقه ولم يظهر ابنه .

ثم شرع المنصور فى إعمال الفكرة ، والتوصل إلى أن يطّلع على حقيقة خبر محمد بن عبد الله ، وجعل عليه العيون والمراصد ، وتوصل بكل طريق [2] ، حتى إنه اشترى رقيقاً من رقيق الأعراب ، وأعطى الرجل منهم البعير ، والرجل البعيرين ، والرجل الزود [3] ، وفرّقهم فى طلب محمد فى ظهر المدينة ، فكان الرجل منهم يرد الماء كالمارّ وكالضالّ فيسألون عنه ؛ وبعث المنصور عيناً وكتب معه كتاباً على ألسن الشيعة إلى محمد ، يذكرون طاعتهم ومسارعتهم ، وبعث معه بمال وألطاف ، فقدم الرجل المدينة فدخل على عبد الله [4] بن حسن ، [و] سأله عن ابنه محمد فكتم خبره ، فتردّد إليه الرجل وألحّ فى المسالة فذكر له أنّه فى جبل جهينة ، وقال له : أمرر بعلى بن حسن ، الرجل الصالح الذى يدعى الأغرّ ، وهو بذى الإبر ، فهو يرشدك إليه ، فأتاه فأرشده ، وكان للمنصور كاتبٌ على سرّه يتشيع ، فكتب إلى عبد الله بن حسن يخبره بخبر ذلك العين ، فلما قدم الكتاب ارتاع له ، وبعث إلى محمد ابنه وإلى على بن حسن يحذرهما الرجل ، وأرسل بذلك أبا هَبَّار ، فخرج أبو هَبَّار فنزل بعلى بن حسن وأخبره ، ثم سار إلى محمد بن عبد الله فى

(١) فى ك ، ت : بن والتصويب عن أ، الكامل حـ٥ ص ٣٩١ .
(٢) فى ك : رقيق والتصويب عن ا ، ت .
(٣) الذود : ثلاثة أبعرة إلى التسعة وقيل إلى العشرة وقيل غير ذلك ، ولا يكون إلا من الإناث ، وهو واحد وجمع كالفلك (أقرب الموارد) .
(٤) فى ك : على بن حسن وهو خطأ ويؤيد أ ، ت الكامل حـ٥ ص ٣٩١ .

موضعه الذى هو به ، فإذا هو جالس فى كهف ومعه جماعة من أصحابه ، وذلك العين معهم أعلاهم صوتاً وأشدّهم انبساطاً ، فلما رأى أبا هَبّار خافه ، فقال أبو هبار لمحمد : إنّ لى حاجة ، فقام معه فأخبره الخبر ، قال : فما الرأى ؟ قال : أرى إحدى ثلاث ، قال : وما هى ؟ قال : تدعنى أقتل هذا الرجل ، قال : ما أنا بمقارف دماً إلا مكرهاً ، قال : أثقِله حديداً ، وتنقله معك حيث تنقّلت ، قال : وهل بنا فراغ مع الخوف والإعجال [1] ؟ قال : تشدّه وتودعه عند بعض أهلك من جهينة قال : هذه إذنْ ، فرجعا فلم يريا الرجل ، فقال محمد : أين الرجل ؟ قالوا : قام بركوة فيها ماء وتوارى ، فطلبوه فلم يجدوه فكأنّ الأرض التأمت عليه ، وسعى على قدميه حتى اتصل بالطريق ، فمرّ به أعرابى معه حمولة إلى المدينة ، فقال له : فرّغ هذه الغرارة وأدخلنيها أكن عِدْلاً لصاحبتها ، ولك كذا وكذا ففعل ، وحمله حتى أقدمه المدينة ، ثم قدم على المنصور فأخبره الخبر كلّه ، ونسى اسم أبى هَبّار وكنيته فقال : وبر [2] ، فكتب أبو جعفر فى طلب وبر المرّى ، فحُمل إليه فسأله عن قصة محمد، فحلف أنّه لا يعرف من ذلك شيئاً ، فأمر به فضرب سبعمائة سوط ، وحبس حتى مات المنصور .

ثم أحضر المنصور عُقْبة بن سَلْم الأَزْدِى ، فقال له : إنى أريدك لأمرٍ أنا به مَعْنِىٌّ ، لم أزل أرتاد له رجلاً عسى أن تكونه ، وإن كفيتنيه

(١) العبارة فى الكامل حـ ٥ ص ٣٩٢ : وهل لنا فرار مع الخوف والإعجال ، وعبارة المخطوطات أصح لاتفاقها مع السياق ، هذا والمرجح أن عبارة الكامل هذه فيها تحريف تصوبه عبارة النويرى هذه لأنه ينقل عن الكامل .

(٢) فى الكامل حـ ٥ ص ٣٩٢ : وبار ويؤيد المخطوطات الطبرى : حـ ١١ ص ١٥٨ (ط. أوروبا) .

رفعتُك ؟ فقال : أرجو أن أصدق ظنّ أمير المؤمنين فِيّ ، قال : فاخف شخصك واستر أمرك ، وَأْتِنِي يوم كذا وكذا فى وقت كذا ، فأتاه فى ذلك الوقت ، فقال له : إنّ بنى عمّنا قد أبوا إلا كيداً لملكنا واغتيالاً له ، ولهم شيعة بخراسان بقرية كذا ، يكاتبونهم ويرسلون إليهم بصدقات أموالهم وألطاف من ألطاف بلادهم ، فاخرج بكتبي ومال وألطاف ، حتى تأتيهم متنكراً بكتاب تكتبه عن أهل هذه القرية ، ثم تعلم حالهم فإن كانوا نزعوا [1] عن رأيهم فأحْبِبْ والله بهم وأقْرِبْ ، وإن كانوا على رأيهم علمتُ ذلك وكنتُ على حذر ، فاشخصْ حتى تلقى عبد الله ابن حسن متخشعاً متقشفاً ، فإن جبهك – وهو فاعل – فاصبر وعَاوِدْه [2] ، حتى يأنس بك وتلين لك ناحيته ، فإذا ظهر لك ما قِبَله فعَجِلْ إلىّ ؛ فشخص عقبة حتى قدم على عبد الله بن حسن ، فلقيه بالكتاب فأنكره ونهره ، وقال : ما أعرف هؤلاء القوم ، فلم يزل يتردد إليه حتى قبل كتابه وألطافه وأنس به ، فسأله عقبه الجواب فقال : أمّا الكتاب فإنّى لا أكتب إلى أحد ، ولكن أنت كتابى إليهم ، فأقرهم السلام وأعلمهم أنّ ابنىّ خارجان لوقت كذا وكذا ؛ فرجع عقبة إلى المنصور وأعلمه الخبر ، فأنشأ المنصور الحجّ ، وقال لعقبة : إذا لقيني بنو حسن فيهم عبد الله بن حسن ، فأنا مكرمه ورافع مجلسه وداعٍ بالغذاء ، فإذا فرغنا من طعامنا فلحظتك فامثلْ بين يديه قائما ، فإنه سيصرف بصره عنك ، فاستَدِرْ حتى تغمز ظهره بإبهام رجلك ، حتى يملأ عينه منك ثم حسبك ، وإياك أن يراك ما دام يأكل ؛ وخرج

(١) ساقطة من ك .

(٢) فى ك : وغادره ، وهو خطأ كما يدل على ذلك قوله بعد ذلك : فلم يزل يتردد إليه .

المنصور إلى الحج ، فلما لقيه بنو حسن أجلس عبد الله إلى جانبه ، ثم دعا بالغداء فأصابوا منه ثم رفع ، فأقبل المنصور على عبد الله بن حسن فقال له : قد علمتَ ما أعطيتنى من العهود والمواثيق ألا تبغينى سوءا ، ولا تكيد لى سلطاناً ، قال : فأنا على ذلك يا أمير المؤمنين ، فلحظ المنصورُ عُقْبَةَ بن سَلْم ، فاستدار حتى وقف بين يدى عبد الله ، فأعرض عنه ، فاستدار حتى قام وراء ظهره فغمزه بأصبعه ، فرفع رأسه فملأ عينه منه ، فوثب حتى قعد بين يدى المنصور ، وقال : أقلنى يا أمير المؤمنين أقالك الله ، قال : لا أقالنى الله إن أقلتك ، ثم أمر بحبسه .

وكان محمد قد قدم قبل ذلك البصرة فنزلها فى بنى راسب ، يدعو إلى نفسه ، وقيل نزل على عبد الله بن شيبان ــ أحد بنى مُرَّة بن عُبَيْد ، ثم خرج منها ، فبلغ المنصور مقدمه البصرة ، فسار إليها مجدا(١) . فلقيه عمرو بن عُبَيْد(٢) ، فقال له : يا أبا عثمان ، هل بالبصرة أحد نخافه على أمرنا ، قال : لا ، قال : فأقتصرُ على قولك وأنصرف؟ قال : نعم ، وكان محمد قد سار عنها قبل مقدم المنصور ، فرجع المنصور واشتد الخوف على محمد وإبراهيم ابنى عبد الله ، فخرجا حتى أتيا عَدَن ، ثم صارا إلى السند ثم إلى الكوفة ثم إلى المدينة .

وكان المنصور حجّ سنة أربعين ومائة ، فقسم أموالاً عظيمة فى آل أبى طالب ، فلم يظهر محمد وإبراهيم ، فسأل أباهما عبد الله عنهما فقال : لا علم لى بهما ، فتغالظا فأمَصّه المنصور ، فقال امصص كذا وكذا

(١) هذه العبارة بين الفصلتين ساقطة من ك .

(٢) فى ك : عمرو بن عبد الله ، وفى الكامل حـ٥ ص ٣٩٣ : عمر بن عبيد والتصويب من ا ، ت والطبرى حـ١١ ص ١٤٩ .

من أمك ! ! فقال عبد الله : يا أبا جعفر بأى أمهاتى غصّنى ! ! أبفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ ! أم بفاطمة بنت الحسين بن على ؟ ! أم بأم إسحاق بنت طلحة ؟ ! أم بخديجة بنت خُوَيلِد ؟ ! قال لا بواحدة منهن ، ولكن بالجرباء بنت قَسَامَة بن زهير ، وهى امرأة من طيء[1] ، فقال المُسَيِّب بن زُهَير[2] : يا أمير المؤمنين دعنى أضرب عنق ابن الفاعلة ، فقام زياد بن عبيد الله فألقى عليه رداءه ، وقال : هَبْه لى يا أمير المؤمنين ، فأنا أستخرج لك ابنيه ، فخلّصه .

وكان محمد و إبراهيم ابنا عبد الله قد تغيّبا حين حجّ المنصور سنة أربعين ومائة عن المدينة ، وحجّا أيضاً ، فاجتمعوا كلهم بمكة وأرادوا اغتيال المنصور ، فقال لهم الأشتر عبد الله بن محمد : أنا أكفيكموه ، فقال محمد : لا والله لا أقتله غيلة أبداً حتى أدعوه ، فنقض[3] ما كانوا أجمعوا عليه ، وكان قد دخل معهم قائد من قواد المنصور من أهل خراسان — اسمه خالد بن حسّان يدعى أبا العساكر — على ألف رجل ، فنمى الخبر إلى المنصور فطُلِب القائد فلم يظفر به ، وظفر بأصحابه فقتلهم ، وأما القائد فإنه لحق بمحمد بن عبد الله فسيّره إلى خراسان ، ومعه ابنه عبد الله بن محمد ، ثم إن المنصور حثّ زياد بن عبيد الله على طلب محمد وإبراهيم ، فضمن له ذلك ووعده به ، فقدم محمد بن عبد الله المدينة قدمة ، فبلغ ذلك زياداً فتلطّف له وأعطاه الأمان ، على أن يظهر وجهه للناس ، فوعده محمد ذلك ، فركب

---

(١) فى ك : ثاى و يؤيد ا ، ت الكامل جـ ٥ ص ٣٩٤

(٢) فى ك : زهر و يؤيد ا ، ت الكامل جـ ٥ ص ٣٩٤

(٣) فى ك : فينقض .

زياد مغلساً ووعد محمداً سوق الظهر ، وركب محمد فصايح الناس : يا أهل المدينة ، المهدىّ المهدىّ ، فوقف هو وزياد فقال زياد : يا أيها الناس هذا محمد بن عبد الله بن حسن ، ثم قال : إلحق بأى بلاد الله شئت ، فتوارى محمد ؛ وسمع المنصور الخبر فأرسل أبا الأزهر فى جمادى الآخرة سنة إحدى وأربعين ومائة إلى المدينة ، وأمره : أن يستعمل على المدينة عبد العزيز بن المطّلب ، وأن يقبض زياداً وأصحابه ويسير بهم إليه ، فقدم أبو الأزهر المدينة ففعل ما أمره ، وأخذ زياداً وأصحابه وسار بهم نحو المنصور ، وخلّف زياد ببيت مال المدينة ثمانين ألف دينار ، فسجنهم المنصور ثم مَنَّ عليهم بعد ذلك .

واستعمل المنصور على المدينة محمد بن خالد بن عبد الله القَسْرى ، وأمره بطلب محمد بن عبد الله وبسط يده بالنفقة فى طلبه ، فقدم المدينة فى شهر رجب سنة إحدى وأربعين ومائة ، فأخذ المال ، ورفع فى محاسبته أموالاً كثيرة أنفقها فى طلب محمد ، فاستبطأه المنصور واتهمه ، فكتب إليه يأمره بكشف المدينة وأعراضها ، فطاف ببيوت الناس فلم يجد محمداً ، فلما رأى المنصور ما قد أخرج من الأموال ولم يظفر بمحمد استشار أبا السِّعْلاء (١) — رجلاً من قيس عيلان — فى أمر محمد وأخيه ، فقال : أرى أن تستعمل رجلاً من ولد الزبير أو طلحة فإنهم يطلبونهما بِذَحْلٍ (٢) ، ويخرجونهما إليك ، فقال : قاتلك الله ، ما

(١) فى الكامل حـ ٥ ص ٣٩٥ : أبا العلاء ، ويؤيده الطبرى المخطوطات راجع حـ ١١ ص ٦٢ . هذا والسعلاء بكسر السين : الغول أو ساحرة الجن (راجع تاج العروس والقاموس المحيط مادة سعل) .

(٢) الذحل : الثأر أو طلب المكافأة بجناية جنيت أو عداوة أتيت أو هو العداوة والحقد

أجود ما رأيت ! ! والله ما خفي عليّ هذا ، ولكنّي أعاهد الله ألّا أنتقم من بني عمي وأهل بيتي بعدوّي وعدوّهم ، ولكنّي أبعث عليهم صعيليكاً من العرب يفعل بهم ما قلت ، فاستشار يَزيد بن أَسَيْد [1] السُّلَمي ، وقال له : دلّني على فتى مقلّ من قيس أغنيه وأشرّفه ، وأمكّنه من سيد اليمن - يعني ابن القسري - [2] ، قال : نعم ، رِيَاح بن عثمان بن حيّان المُرِّيّ ، فسيّره المنصور أميرًا على المدينة في شهر رمضان سنة أربع وأربعين ومائة ؛ وقيل إنّ رياحاً ضمن للمنصور أن يُخرج محمدًا وإبراهيم ابني عبد الله ، إنْ استعمله على المدينة ، فاستعمله عليها ، فسار حتى دخلها ، فلما دخل دار مروان - وهي التي كان ينزلها الأمراء قال لحاجب كان له ، يقال له أبو البَخْتري ، هذه دار مروان ؟ قال : نعم ، قال أما إنّها مِحْلال [3] مِظْعان ، ونحن أول من يظعن منها ، فلما تفرّق الناس عنه قال لحاجبه أبي البختري : خذ بيدي فدخل على هذا الشيخ - يعني عبد الله بن الحسن - فدخلا عليه ، فقال له رياح : أيها الشيخ ، إن أمير المؤمنين - والله - ما استعملني لرحم قريبة ، ولا ليدٍ سلفت إليه منّي ، والله لا لَيعبثَنَّ بي كما لعبتَ بزياد وابن القسري ، والله لأزهقنّ نفسك أو لتأتيني بابنيك محمد وإبراهيم ، فرفع عبد الله رأسه إليه وقال نعم ، أما والله إنك لأُزَيْرِق قيس المذبوح فيها كما تذبح الشاة ، قال ، أبو البَخْتري :

---

(١) في الكامل حـ ٥ ص ٣٩٥ : يزيد بن يزيد السلمي ويزيد الطبري (حـ ١١ ص ١٦٢) المخطوطات .

(٢) في الكامل حـ ٥ ص ٣٩٥ . القشيري وهو خطأ واضح

(٣) في الكامل حـ ٥ ص ٣٩٦ : محلال ، وعند الطبري حـ ١١ جـ ص ١٦٢ : والله إنها لمحلال مظعان .

فانصرف - والله - رياح آخذاً بيدى أجد برديه ، وإنّ رجليه لتخطّان الأرض ممّا كلمه ، قال : (١) فقلت له : إن هذا ما اطّلع على الغيب ،قال : إيهاً ويالك ، فوالله ما قال إلا ما سمع فذبح كما تذبح الشاة ، ثم إنه دعا القسرى وسأله عن الأموال ، فضربه وسجنه ، وجدّ رياح فى طلب محمد ، فأخبر أنه فى شعب من شعاب رضوى ، جبل جهينة ، وهو فى عمل ينبع ، فأمر عامله بطلب محمد. فطلبه بالخيل والرجل ، ففزع منه محمد فهرب راجلاً فأفلت ، وله ابن صغير وُلد فى خوفه ذلك ، وهو مع جارية له . فسقط من الجبل فتقطع ، فقال محمد :

مُنْخَرِق السربال (٢) يشكو الوَجَى ... تنكبه أطراف مَرْو حداد
شرّده الخوف فأزرى به ... كذاك من يكره حرّ الجلاد
قد كان فى الموت له راحةٌ ... والموتُ حتمٌ فى رقاب العباد

قال(١) : وبينما رياح يسير بالحرّة إذ لقى محمداً ، فعدل محمد إلى بئر هناك فجعل يستقى ، فقال رياح : قاتله الله أعرابياً ما أحسن ذراعه(٣) .

---

(١) الإشارة إلى النقل عن الكامل لابن الأثير .

(٢) فى مقاتل الطالبيين ص ٢٣١ : منخرق الخفين.

(٣) فى ك ، ت : ذراعية و يؤيد الكامل ج٥ ص ٢٩٧ والطبرى ج١١ ص ١٦٨

ذكر حبس أولاد الحسن

قد ذكرنا أن المنصور حبس عبد الله بن حسن ، وقيل إن رياحاً هو الذى حبسهم ، حُكى عن على بن عبد الله بن محمد بن عمر بن على أنه قال : حضرنا باب رياح فى المقصورة ، فقال الآذن : مَنْ كان ههنا من بنى حسن (١) فليدخل ، فدخلوا من باب المقصورة ، وخرجوا من باب مروان ، ثم قال : مَنْ كان ههنا من بنى حسن فليدخل ، فدخلوا من باب المقصورة ، ودخل الحدادون من باب (٢) مروان ، فدعا بالقيود فقيدهم وحبسهم ، وكانوا : عبد الله بن الحسن بن الحسن ابن على ، وحسن وإبراهيم ابنى حسن ، وحسن بن جعفر بن حسن ابن حسن (٣) ، وسليمان وعبد الله ابنى داود بن حسن بن حسن ، ومحمد وإسماعيل وإسحاق بنى إبراهيم بن حسن بن حسن ، وعباس ابن حسن بن حسن (٤) ، فلما حبسهم لم يكن فيهم على بن حسن بن حسن بن على العابد ، فلما كان الغد بعد الصبح وإذا برجل قد أقبل متلففاً ، فقال له رياح : مرحباً بك ما حاجتك ؟ قال : جئتك لتحبسنى مع قومى ، فإذا هو على بن حسن بن حسن ، فحبسه معهم .

وكان محمد قد أرسل ابنه علياً إلى مصر يدعو إليه ، فبلغ خبره

(١) فى ك : بنى خير وهو خطأ واضح ويؤيد ا ، ت الكامل حـ٥ ص ٣٩٧

(٢) فى الكامل حـ٥ ص٣٩٧ : بنى مروان وهو خطأ ويؤيد المخطوطات الطبرى : حـ١١ ص ١٧١

(٣) فى المخطوطات والكامل حـ٥ ص ٣٩٧ : جعفر بن حسن بن حسن والتصويب عن الطبرى حـ١١ ص ١٦٩ والمسعودى فى مروج الذهب (طبعة بولاق) حـ٢ ص ١٨٩

(٤) فى المخطوطات : موسى بن عبد الله بن حسن بن حسن والتصويب عن الكامل حـ ٥ ص٣٩٧ والطبرى حـ١١ ص ١٦٩

عامل مصر ، وقيل له إنّه على الوثوب بك ، والقيام عليك بمن شايعه ، فقبضه وأرسله إلى المنصور ، فاعترف له وسمّى أصحاب أبيه ، وكان فيمن سمّى عبد الرحمن بن أبي الموال[١] وأبو جبير[٢] ، فضربهما المنصور وحبسهما وحبس علياً ، فبقى محبوساً إلى أن مات ؛ وكتب المنصور إلى رياح أن يحبس معهم محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفّان المعروف بالديباج ، وكان أخا عبد الله بن حسن بن حسن لأمه - أمهما جميعاً فاطمة بنت الحسين بن علي رضى الله عنهما ؛ فأخذه معهم ، وقيل إن المنصور حبس عبد الله بن حسن بن حسن بن علي وحده وترك باقى أولاد حسن ؛ فترك حسن بن حسن بن حسن خضابه حتى نصّل حزناً على أخيه عبد الله ، فكان المنصور يقول : ما فعلت الحادّة ؟ ومرّ حسن بن حسن بن حسن على إبراهيم بن حسن وهو يعلف إبلاً فقال : أتعلف إبلك وعبد الله محبوس ! ! يا غلام - أطلق عُقُلَها ففعل ، ثم صاح في أدبارها فلم يوجد منها بعير ، فلما طال حبس عبد الله بن حسن قال عبد العزيز بن سعيد للمنصور : أتطمع في خروج محمد وإبراهيم وبنو حسن مخلّون ؟ ! والله للواحد منهم أهيب فى صدور الناس من الأسد ، فكان ذلك سبب حبس الباقين فى سنة أربع وأربعين[٣] .

---

(١) فى الكامل جـ ٥ ص ٣٩٧ : عبد الرحمن بن أبى الوالى ، و فى مقاتل الطالبيين ص ٢٩٥ : ابن أبى الموالى ، ويؤيد المخطوطات الطبرى جـ ١١ ص ١٧١

(٢) هكذا فى المخطوطات والكامل ٥ ص ٣٩٧ وفى تاريخ الطبرى جـ ١١ ص ١٧١ : أبو حنين ومن الواضح أن النويرى ينقل عن ابن الأثير فى الكامل ، ومن العسير الوصول الى القطع أيهما أدق لعدم شهرة صاحب الاسم .

(٣) يعنى : ومائة

ذكر حملهم الى العراق

[قال المؤرخ[١] : ولما حجّ المنصور فى سنة أربع وأربعين ومائة أرسل محمد بن عمران بن إبراهيم بن محمد بن طلحة[٢] ومالك بن أنس إلى بنى الحسن وهم فى الحبس ، يسألهم[٣] أن يدفعوا إليه محمداً وإبراهيم ابنى عبد الله ، فدخلا عليهم وعبد الله قائم يصلى فأبلغاهم الرسالة ، فقال حسن بن حسن أخو عبد الله : هذا عمل ابنى المشئومة ! ! أما والله ما هذا عن رأينا ولا عن ملأٍ منّا ولا لنا فيه حيلة[٤] فقال له أخوه إبراهيم : علام تؤذى أخاك فى ابنيه ؟ ! وتؤذى ابن أخيك فى أمه ؟ ! ثم فرغ عبد الله من صلاته فأبلغاه الرسالة ، فقال : والله ، لا أرد عليكما حرفاً ، إن أحبّ أن يأذن لى فألقاه فليفعل ، فانطلق الرسولان إلى المنصور فأبلغاه قوله ، فقال : أراد أن يسحرنى لا والله لا ترى عينه عينى حتى[٥] يأتينى بابنيه ، وكان عبد الله بن حسن لا يحدّث أحداً قط إلا فتله[٦] عن رأيه .

ثم سار المنصور لوجهه ، فلما حجّ ورجع لم يدخل المدينة ومضى إلى

(١) يشير إلى الطبرى محمد بن جرير ؛ وينبغى أن تشير إلى ذكره هنا لا يفى أن النويرى ينقل عنه ، وإنما النقل عن ابن الأثير فى الكامل حـ ٥ ص ٣٩٨ ، ومن المعروف أن ابن الأثير ينقل عن الطبرى ويشير إليه صراحة أحيانا .

(٢) فى المخطوطات : محمد بن عمران بن إبراهيم بن طلحة بن محمد والتصويب عن الكامل حـ ٥ ص ٣٩٨ والطبرى حـ ١١ ص ١٧٢

(٣) فى ك ، ت : فسألهم ويؤيدا الكامل حـ ٥ ص ٣٩٨

(٤) فى الكامل حـ ٥ ص ٣٩٨ : حكم ويؤيد المخطوطات الطبرى حـ ١١ ص ١٧٣

(٥) يؤيد الكامل حـ ٥ ص ٣٩٨ ، وفى ك : متى ، وفى ت : فتى وكلاهما خطآن .

(٦) فى الكامل حـ ٥ ص ٣٩٨ : قبله وهو خطأ .

الربذة ، فخرج إليه رياح إلى الربذة فردّه إلى المدينة ، وأمره بإشخاص بنى حسن إليه ، ومعهم محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان أخو بنى حسن لأمهم ، فرجع رياح وأخذهم وساربهم إلى الربذة ، وجعلت القيود فى أرجلهم وأعناقهم ، وجعلهم فى محامل بغير وطاء ، ولما خرج بهم رياح من المدينة وقف جعفر بن محمد من خلف ستر يراهم ولا يرونه ، وهو يبكى ودموعة تجرى على لحيته وهو يدعو الله ، ثم قال : والله ، لا تحفظ لله حرمة بعد هؤلاء ، ولما ساروا كان محمد وإبراهيم ابنا عبد الله يأتيان كهيئة الأعراب ، فيسايران أباهما ويستأذنانه فى الخروج ، فيقول : لا تعجلا حتى يمكنكما ذلك وقال لهما إنْ منعكما أبو جعفر أن تعيشا كريمين ، فلا يمنعكما أن تموتا كريمين ، فلما وصلوا إلى الربذة أدخل محمد بن عبد الله العثمانى على المنصور ، وعليه قميص وإزار رقيق ، فلما وقف بين يديه قال : إيها ياديوث ، قال محمد : سبحان الله !! والله لقد عرفتنى بغير ذلك صغيراً وكبيراً ، قال : فممَّنْ حملت ابنتك رقيّة ؟ وكانت تحت إبراهيم بن عبد الله بن حسن ، وقد أعطيتنى الأيمان ألّا تغشنى ، ولا تمالىء علىّ عدوا ، وأنت ترى ابنتك حاملاً وزوجها غائب !! فأنت بين أن تكون حانثاً أو ديوثاً ، وأيم الله إنى لأهمّ برجمها ، قال محمد : أما أيمانى فهى علىّ ، إنْ كنت دخلت لك فى أمر غش علمتُه ، وأما ما رميتَ به هذه الجارية فإنّ الله قد أكرمها بولادة رسول الله صلى الله عليه وسلم إيّاها ، ولكنى ظننتُ حين ظهر حملها أنّ زوجها ألمّ بها على حين

غفلة منا ، فاغتاظ(١) المنصور من كلامه ، وأمر بشق ثيابه (٢) وإزاره(٢) فبدت عورته ، ثم أمر به فضرب خمسين ومائة سوط ، فبلغت منه كل مبلغ والمنصور يفترى عليه لا يكنّى (٣) ، فأصاب سوط منها وجهه ، فقال : ويحك ! ! اكفف عن وجهى ، فإن له حرمة برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأغرى المنصور فقال للجلاد : الرأس الرأس ، فضرب على رأسه نحوًا من ثلاثين سوطاً ، وأصاب إحدى عينيه سوط فسالت ، ثم أخرج وكأنه زنجى من الضرب ، وكان من أحسن الناس ، وكان يكنى الديباج لحسنه ، فلما أخرج وثب إليه مولى له فقال : ألا أطرح ردائى عليك ، قال : بلى جزيت خيرًا ، والله لشقّ إزارى أشدّ علىّ من الضرب . وكان سبب أخذه أنّ رياحا قال للمنصور : يا أمير المؤمنين ، أمّا أهل خراسان فشيعتك ، وأمّا أهل العراق فشيعة آل أبى طالب ، وأما أهل الشام فو الله ما علىٌّ عندهم إلا كافر ، ولكن محمد بن عبد الله العثمانى لو دعا أهل الشام ما تخلّف عنه منهم أحد ، فوقعت فى نفس المنصور فأمر به فأخذ معهم ، وكان حسن الرأى فيه قبل ذلك .

ثم إنّ أبا عون كتب إلى المنصور أنّ أهل خراسان قد تقاعسوا(٤)

---

(١) فى جميع المخطوطات فاغتاض ، وفى بعض البلاد العربية ينطقون الضاد ظاء ؛ وهذا أصل موروث

(٢) فى تاريخ الطبرى حـ ١١ ص ١٧٦ : ... وأمر بشق ثيابه فشق قميصه عن إزاره ومثل هذا ما فى الكامل حـ ٥ ص ٣٩٩

(٣) هكذا فى الكامل حـ ٥ ص ٣٩٩ أيضا وفى تاريخ الطبرى حـ ١١ ص ١٧٦ ولا يكنى .

(٤) فى ك ، ت : تقاعوا ، وفى الكامل حـ ٥ ص ٤٠٠ : تقاعشوا ، ويؤيدها الطبرى حـ ١١ ص ١٨٣ (ط . أوروبا)

عنّى ، وطال عليهم أمر محمد بن عبد الله العثمانى ، فأمر المنصور به فقتل ، وأرسل رأسه إلى خراسان ، وأرسل معه من يحلف أنه رأس محمد بن عبد الله ، وأنّ أمّه فاطمة بنت الحسين بن على ، فلما قتل قال أخوه عبد الله بن الحسن : إنّا لله ! ! إن كنّا لنأمن به في سلطانهم ، ثم قد قتل بنا في سلطاننا . قال : ثم سار بهم المنصور من الربذة فمرّ بهم وهو على بغلة شقراء ، فناداه عبد الله بن حسن : يا أبا جعفر ، ما هكذا فعلنا بأسراكم يوم بدر ، فأخسأه [1] أبو جعفر وتغل عليه ومضى ، فلما قدموا إلى الكوفة قال عبد الله لمن معه : ألا ترون في هذه القرية من يمنعنا من هذا الطاغية !! قال : ، فلقيه الحسن وعلىّ ابنا [2] حى مشتملين على سيفين ، فقالا له : قد جئناك يا ابن رسول الله ، فمرنا بالذى تريد ، قال : قد قضيتما ما عليكما ، ولن تغنيا في هؤلاء شيئاً فانصرفا ، فانصرفا ، ثم إن المنصور أودعهم بقصر ابن هبيرة شرقىّ الكوفة ، وأحضر المنصور محمد بن إبراهيم بن حسن ، وكان أحسن الناس صورة ، فقال له : أنت الديباج الأصغر ؟ قال : نعم ، قال : لأقتلنّك قتلة لم أقتلها أحدا ، ثم أمر به فبنى عليه أسطوانة وهو حىّ ، فمات فيها ، وهو أول من مات منهم ، ثم عبد الله بن حسن ، ثم مات على بن حسن ؛ وقيل إن المنصور أمر بهم فقتلوا ، وقيل بل أمر بهم فسقوا السمّ ، وقيل وضع المنصور على عبد الله مَنْ قال له : إنّ ابنه محمداً قد خرج وقتل ، فانصدع قلبه فمات والله أعلم ، ولم ينج

(١) فى بت : فأعشاه .
(٢) فى الكامل جـ٥ ص ٤٠٠ : ابنا أخيه ويؤيد الطبرى جـ١١ ص ١٨٢ المخطوطات .

منهم إلا سليمان وعبد الله ابنا داود بن حسن بن حسن ، وجعفر بن حسن [١] ، وبقيّتهم ماتوا في حبس المنصور .

ذكر ظهور محمد بن عبد الله ابن حسن بن الحسن بن على بن أبى طالب

كان ظهوره بالمدينة لليلتين بقيتا من جمادى الآخرة سنة خمس وأربعين ومائة ، وقيل بل كان في رابع عشر رمضان منها . وكان سبب خروجه أن المنصور لما حمل أهله إلى العراق ، وسار من الربذة ، ردّ رياحاً إلى المدينة أميرًا عليها ، فألحّ فى طلب محمد ، وأرهقه الطلب يوما فتدلى في بئر في المدينة ، يناول أصحابه الماء ، وانغمس في الماء إلى حلقه ، وكان بدنه لا يخفى لعظمه ، وبلغ رياحاً خبره أنه بالمذاد ، فركب نحوه في جنده ، فتنحّى محمد عن طريقه واختفى في دار الجُهَنيَّة ، فحيث لم يره رياح رجع إلى دار مروان ، فلما اشتد الطلب على محمد خرج قبل وقته ، وكان قد واعد أخاه إبراهيم أنّه يخرج لوقت عيَّنه بالمدينة ، ويخرج إبراهيم بالبصرة ، وقيل بل خرج لميعاده مع أخيه ، وإنما أخوه تـأخَّر لجدرى لحقه .

وكان عبيد الله بن عمرو بن أبي ذؤيب [٢] وعبد الحميد بن جعفر يقولون لمحمد بن عبد الله : ما تنتظر بالخروج ؟ فو الله ما على هذه

---

(١) فى الكامل حـ٥ ص ٤٠١ «ولم ينج منهم إلا سليمان وعبدالله ابنا داود بن الحسن بن الحسن بن على ، واسحاق وإسماعيل ابنا إبراهيم بن الحسن بن الحسن وجعفر بن الحسن وانقضى أمرهم» ولا يختلف الطبرى حـ١١ ص١٨٦ عن ذلك .

(٢) فى ك : عبد الله وفى الكامل حـ٥ ص ٤٠٢ : عبيد الله بن عمرو بن أبى ذئب ، وبزيد ا ، ت الطبرى حـ١١ ص ١٩٠

الأمة انتقام منك ، اخرج ولو لوحدك[١] ، فحرّكه ذلك للخروج أيضا ، وأتى رياحاً الخبر : أنّ محمدًا خارج الليلة ، فأحضر محمد ابن عمران بن إبراهيم بن محمد قاضى المدينة والعباس بن عبد الله ابن الحارث بن العباس وغيرهما عنده ، فصمت طويلا ثم قال لهم : يا أهل المدينة ، أمير المؤمنين يطلب محمدًا فى شرق الأرض وغربها ، وهو بين أظهركم ، أقسم بالله : لئن خرج لأقتلنكم أجمعين ، وقال لمحمد بن عمران : أنت قاضى أمير المؤمنين فادع عشيرتك ، فجمع بنى زهرة فجاءوا فى جمع كبير ، فأجلسهم بالباب، وأرسل فأخذ نفراً من العلويين وغيرهم ، فيهم : جعفر بن محمدبن على بن الحسين[٢] ، وحسين بن على بن حسين بن على ، وحسن بن على بن حسين بن على[٣] ، ورجال من قريش فيهم : إسماعيل بن أيوب بن سَلَمَة بن عبد الله بن الوليد بن المُغيرة وابنه خالد ، فبينا هم عنده إذ ظهر محمد فسمعوا التكبير ، فقال ابن مُسْلم بن عُقْبَة المُرّى : أطعنى فى هؤلاء واضرب أعناقهم ، فقال له الحسين بن على بن الحسين بن على : والله ، ما ذاك إليك ، إنّا لَعلى السمع والطاعة ، وأقبل محمد من المَذَاد فى مائة وخمسين رجلا فى بنى سَلَمَة تفاؤلاً بالسلامة ، وقصد السجن فكسر بابه وأخرج مَنْ فيه ، وممّن كان فيه محمد بن خالد بن عبد

(١) هكذا التعبير فى المخطوطات ، فى الكامل حـ٥ ص ٤٠٣ (فو الله ماعلى هذه الأمة أشأم منك ، اخرج ولو لوحدك (وفى تاريخ الطبرى حـ١١ ص ١٩٠ : والله مانجدفى هذه الأمة أحدا أشأم عليها منك ، ما يمنعك أن تخرج وحدك .

(٢) فى ك : الحسن .

(٣) هذا الاسم ساقط من ك ، ت ، وهو موجود فى الكامل حـ٥ ص ٤٠٣ ، والطبرى حـ١١ ص ١٩١ مما يؤيد أ .

الله القسرى وابن أخيه النُّذَيْر بن يزيد ورزام (١) فأخرجهم ، وجعل على الرجّالة خَوّات بن بُكَيْر بن خَوّات بن جُبَير (٢) ، وأتى دار الإمارة وهو يقول لأصحابه : لا تقتلوا لا تقتلوا ، فامتنع منهم رياح فدخلوا من باب المقصورة ، وأخذوا رياحاً أسيرًا وأخاه عباساً وابن مسلم ابن عقبة المرّى ، فحبسهم فى دار الإمارة ، ثم خرج إلى المسجد فصعد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

أما بعد فإنّه قد كان من أمر هذا الطاغية ـ عدوّ الله أبى جعفر ؛ ما لم يخف عليكم ، من بنائه القبة الخضراء التى بناها معاندة لله فى ملكه ، وتصغيراً للكعبة الحرام ، وإنما أخذ الله فرعون حين قال ، أنا ربكم الأعلى ، وإنّ أحقّ الناس بالقيام فى هذا الأمر (٣) أبناء المهاجرين والأنصار المواسين ، اللهم إنّهم قد أحلّوا حرامك وحرّموا حلالك ، وأمّنوا مَنْ أخفت ، وأخافوا مَنْ أمّنت ؛ اللهم فاحصهم عددًا ، واقتلهم بددًا ، ولا تغادر منهم أحدا ؛ أيها الناس : إنّى والله ما خرجت بين أظهركم ، وأنتم عندى أهل قوّة ولا شدّة ، ولكنّى اخترتكم لنفسى ، والله ما جئتُ هذه وفى الأرض مصرٌ يُعبد الله فيه إلا أُخذ لى فيه البيعة .

وكان المنصور يكتب إلى محمد بن عبد الله على ألسن قواده ،

---

(١) وهذا الاسم ساقط أيضا من ك ، ت وهو موجود فى الكامل حـ٥ ص ٤٠٣ مما يؤيد أ والظاهر أن ك ، ت نقلا عن مصدر واحد .

(٢) فى المخطوطات : خوات بن جبير والتصويب عن الكامل حـ٥ ص٤٠٣ والطبرى حـ١١ ص٢٠١

(٣) فى الكامل حـ٥ ص ٤٠٤ : فى هذا الدين ، وفى تاريخ الطبرى حـ١١ ص ١٦٧ : بهذا الدين .

يدعونه إلى الظهور ويخبرونه أنهم معه ، فكان محمد يقول هذا ، ويقول : لو التقينا مال القوّاد كلهم إلىّ ، واستولى محمدٌ على المدينة . واستعمل عليها عثمان بن محمد بن خالد بن الزبير ، وعلى قضائها عبد العزيز بن المطلب بن عبد الله المخزومى ، وعلى بيت السلاح عبد العزيز الدَّرَاوَرْدِى ، وعلى الشرط أبا القَلَمَّس عثمان بن عبيد الله بن عبد الله بن عمر بن الخطاب ، وعلى ديوان العطاء عبد الله بن جعفر ابن عبد الرحمن بن المِسْوَر بن مَخْرَمَة ؛ وقيل كان على شرطته عبد الحميد بن جعفر فعزله ، وأرسل محمد إلى محمد بن عبد العزيز : إن[1] كنتُ لأظنّك ستنصرنا وتقوم معنا ، فاعتذر إليه وقال أفعل ، ثم انسلّ منه وأتى مكة ، ولم يتخلّف عن محمد أحد من وجوه الناس ؛ إلا نفر منهم الضَّحَّاك بن عثمان بن عبد الله بن حزام [2] ، وعبد الله بن المُنْذِر بن المغيرة بن عبد الله بن خالد ، وأبو سَلَمة بن عبيد الله بن الله بن[3] عمر ، وخُبَيْب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير[4] .

وكان أهل المدينة[5] قد استفتوا مالك بن أنس فى الخروج مع

---

(١) فى الكامل حـ٥ ص ٤٠٤ ، والطبرى حـ١١ ص ١٩٩ : انى .

(٢) فى ١ ، ت : حرام ، وفى إحدى مخطوطات تاريخ الطبرى (ط. أوروبا) حـ ١١ هامش ص ١٩٩ ، فى الكامل لابن الأثير حـ٥ ص ٤٠٤ (ط. أوروبا) وفى إحدى مخطوطات الطبرى حـ ١١ هامش ص ١٩٩ : خرام ، وفى ك : حزام يؤيده الطبرى حـ١١ ص ١٩٩ وطبقات ابن سعد حـ٥ ص ٣١٢ (ط. أوروبا) ، وهو الأصح .

(٣) فى ك : أبو سلمة عبدالله بن عبدالله بن الزبير والخطأ والخلط واضحان ، وفى ت أبو سلمة عبيد الله بن عبد الله بن عمر ويؤيد ا الكامل حـ٥ ص ٤٠٤ والطبرى حـ١١ ص ١٩٩

(٤) ورد فى ص٤١٤ حـ٥ من الكامل: خبيب بن ثابت بالخاء المعجمة المضمومة وبباءين موحدتين وبينهما ياء مثناة من تحتها

(٥) فى ك : مكة ويؤيد ا ، ت الكامل حـ٥ ص ٤٠٥

محمد ، وقالوا : إنّ فى أعناقنا بيعة لأبى جعفر ، فقال : إنما بايعتم مكرهين ، وليس على مكره يمين ، فأسرع الناس إلى محمد ، ولزم مالكٌ بيته ، وأرسل محمد إلى إسماعيل بن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب ، وكان شيخاً كبيراً ، فدعاه إلى بيعته فقال : يا ابن أخى أنت والله مقتول فكيف أبايعك! ! فارتدع الناس عنه قليلا ، وكان بنو معاوية بن عبد الله بن جعفر قد أسرعوا إلى محمد ، فأتت حمّادة ابنة معاوية إلى إسماعيل بن عبد الله ، وقالت له يا عم : إن إخوتى قد أسرعوا إلى ابن خالهم ، وإنّك إنْ قلت هذه المقالة ثبّطتَ الناس عنهم ، فيُقتل ابن خالى وإخوتى ، فأبى إسماعيل إلا النهى عنه ، فيقال إن حمّادة عَدَتْ عليه فقتلته ، فأراد محمد الصلاة عليه فمنعه عبدالله[1] ابن إسماعيل ، وقال : أتأمر بقتل أبى وتصلّى عليه ! ! فنحّاه الحرس وصلّى عليه محمد .

ولما ظهر محمد كان محمد بن خالد القَسْرى فى حبس رياح فأطلقه ، قال محمد بن خالد : لما سمعت دعوة محمد التى دعا إليها على المنبر ، قلت : هذه دعوة حق ، والله لَأُبْلِيَنَّ الله فيها بلاء حسناً ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، إنّك قد خرجت بهذا البلد ، والله لو وقف على نقب من أنقابه أحد ، مات أهله جوعاً وعطشاً ، فانهض معى فإنما هى عشر حتى أضربه بمائة ألف سيف ، فأبى علىّ ، فبينما أنا عنده إذ قال : ما وجدنا من حرّ المتاع[2] شيئا أجود من شىء وجدناه عند ابن أبى

(١) فى ك ، ت : محمد بن إسماعيل ويؤيد أ الكامل حـ ٥ ص ٥٠٤ والطبرى حـ ١١ ص ٢٠٠

(٢) هكذا فى أ ، ك والطبرى حـ ١١ ص ٢٠١ ، وفى ت والكامل حـ ٥ ص ٥٠٤ : خير المتاع ضنينا وهو خطأ واضح .

فروة ختن أبي الخصيب[(١)]، وكان انتهبه ، قال ، فقلت له : ألا أراك قد أبصرت حرّ المتاع ، فكتبت إلى المنصور فأخبرته بقلة من معه ، فأخذني محمد فحبسني حتى أطلقني عيسى بن موسى بعد قتله إياه[(٢)] .

وكان رجل من آل أويس بن أبي سرح العامرى - عامر بن لؤى - اسمه الحسين بن صخر بالمدينة لمّا ظهر محمد ، فسار من ساعته إلى المنصور فبلغه فى تسعة[(٣)] أيام ، فقدم ليلا فقام على أبواب المدينة ، فصاح حتّى علموا به فأدخلوه ، فقال له الربيع : ما حاجتك هذه الساعة وأمير المؤمنين نائم ؟ قال : لا بدّلى منه ، فدخل الربيع على المنصور فأخبره خبره ، وأنّه قد طلب مشافهته فأذن له ، فدخل عليه فقال : يا أمير المؤمنين ، خرج محمد بن عبد الله بالمدينة ، قال : قتلتُه والله ، إنْ كنت صادقاً ، قال : أخبرنى من[(٤)] معه ؟ فسمّى له من معه من وجوه أهل المدينة وأهل بيته ، قال : أنت رأيته ؟ قال : أنا رأيته وعاينته وكلمته على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم جالساً ، فأدخله أبو جعفر بيتا ، فلما أصبح جاءه رسول لسعيد بن دينار - غلام عيسى ابن موسى يلى أمواله بالمدينة ، فأخبره بأمر محمد وتواترت عليه أخباره ، فأخرج الأويسى فقال : لأوطئنّ الرجال عقبيك ولأغنينّك ، وأمر له بتسعة آلاف درهم ، لكل ليلة ألف درهم ، وأشفق من محمد ، فقال له الحارثى المنجّم : يا أمير المؤمنين ، ما يجزعك منه ؟ ! فو الله لو ملك

(١) فى ك ، ت : حين أتى الخصيب ويؤيد ا الكامل جـ٥ ص ٤٠٥

(٢) هكذا فى المخطوطات ويؤيدها الطبرى جـ١١ ص ٢٠١ ، وفى الكامل جـ٥ ص٤٠٥ : بأيام .

(٣) الكلمة فى المخطوطات غير واضحة ولا يمكن الجزم إن كانت سبعة أو تسعة ، واعتمدنا على الكامل جـ٥ ص ٤٠٦ والطبرى جـ١١ ص ٢٠٥

(٤) هكذا فى ا ويؤيده الكامل جـ٥ ص٤٠٦ ، وفى ك ، ت : بمن .

الأرض ما لبث إلا تسعين يوما ، فأرسل المنصور إلى عمّه عبد الله بن علي وهو محبوس : إن هذا الرجل قد خرج فإن كان عندك رأى فأشر به علينا ، وكان ذا رأى عندهم ، فقال : إن المحبوس محبوس الرأى ، فأرسل إليه المنصور : لو جاءنى حتى يضرب بابى ما أخرجتك ، وأنا خير لك منه ، وهو ملك أهل بيتك ، فأعاد إليه عبد الله : ارتحل الساعة حتى تأتى الكوفة ، فاجثم [١] على أكبادهم فإنّهم شيعة أهل هذا البيت وأنصارهم ، ثم احْفُفْها بالمسالح ، فمن خرج منها إلى وجه من الوجوه ، أو أتاها من وجه من الوجوه ، فاضرب عنقه ، وابعث إلى سَلْم بن قتيبة ينحدر إليك وكانْ بالرىّ ، واكتب إلى أهل الشام فمرهم : أن يحملوا إليك من أهل البأس والنجدة ما حمل البريد ، فأحسِنْ جوائزهم ووجّههم مع سلم ، ففعل . وقيل أرسل المنصور إلى عبد الله إخوته يستشيرونه فى أمر محمد ، وقال لهم : لا يعلم عبد الله أنى أرسلتكم إليه ، فلمّا دخلوا عليه قال : لأمرٍ ما جئتم ، ما جاء بكم جميعا وقد هجرتمونى جميعاً ؟ ! قالوا استأذنّا أمير المؤمنين فأذن لنا ، قال : ليس هذا بشىء ، فما الخبر ؟ قالوا : خرج محمد بن عبد الله ، قال : فما ترون ابن سلامة صانعاً — يعنى المنصور ؟ قالوا : لا ندرى والله ، قال : إنّ البخل قد قتله ، فمروه فليخرج الأموال ، وليعط الأجناد ، فإن غَلَب فما أسرع ما يعود إليه ماله ، وإن غُلِب لم يقدم صاحبُه على دينار ولا درهم.

(١) هكذا فى ا ، ت ويؤيدها الطبرى حـ ١١ ص ٢٠٦ ، وفى ك : فاخثم وفى الكامل حـ ٥ ص ٤٠٦ : فاحثم .

قال (١) : ولمّا ورد الخبر على المنصور بخروج محمد ، كان قد خطّ مدينة بغداد بالقصب ،فسار إلى الكوفة ومعه عبد الله بن الربيع ابن عبيد الله بن عبد المدان (٢) ، فقال له المنصور : إنّ محمداً قد خرج بالمدينة ، فقال عبد الله : هَلَكَ والله وأَهْلَكَ ، خرج فى غير عدد ولا رجال . حدثنى سعيد بن عمر بن جعدة المخزومى قال : كنت مع مروان يوم الزاب واقفاً فقال لى مروان (٣) : من هذا الذى يقاتلنى ؟ قلت : عبد الله بن على بن عبد الله بن العباس ، قال : وددت والله أنّ على بن أبى طالب يقاتلنى مكانه ، إنّ عليا وولده لاحظّ لهم فى هذا الأمر ، وهذا رجل من بنى هاشم وابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومعه ريح الشام ونصر الشام ، يا ابن جعدة : تدرى ما حملنى على أن عقدتُ لعبد الله وعبيد الله (٤) بعدى ، وتركتُ عبد الملك وهو أكبر من عبيد الله ، قال ابن جعدة : لا ، قال : وجدتُ الذى يلى هذا الأمر عبد الله وعبيد الله ، وكان عبيد الله أقرب إلى عبد الله من عبد الملك فعقدتُ له ، فاستحلفه المنصور على صحة ذلك فحلف له فسُرِّى عنه .

---

(١) غالباً ماتكون الإشارة إلى ابن الأثير الذى ينقل المؤلف عن كتابه الكامل ، وخاصة فى هذا الشطر من الجزء .

(٢) هكذا فى او الكامل حـ٥ ص ٤٠٦ : باختلاف فى الاسم الأخير عبد المداد . وفى ك ، ت : عبد الله بن الربيع بن عبد الله بن عبد المدان ، بخطأ فى اسم الجد عبيد الله وعند الطبرى حـ١١ ص ٢٠٤ عبد الله بن الربيع بن عبيد الله بن عبد الله بن عبد المدان .

(٣) هكذا فى او يؤيده الكامل جـ٥ ص ٤٠٧ والطبرى جـ١١ ص ٢٠٤ ، وهو الأصح ، أما : ما فى ك : . . . يوم للزاب وأتقا إلى مروان : من . . .
وما فى ت : . . . يوم الزاب واقفا إلى مروان : من . . . فكلاهما مخطئان

(٤) فى ك ، ت : عبد الله والتصويب عن ا ويؤيده الكامل حـ٥ ص ٤٠٧ والطبرى حـ١١ ص ٢٠٤

قال : ولما بلغ المنصور خبر ظهور محمد قال لأبي أيوب وعبد الملك : هل من رجل تعرفانه بالرأي نجمع رأيه إلى رأينا ؟ قالا بالكوفة : بُدَيْل بن يحيي ، وكان السفّاح يشاوره ، فأرسل إليه ، وقال له : إنّ محمدا قد ظهر بالمدينة ! قال : فاشْحِنْ الأهواز بالجنود ، قال : إنّه إنما ظهر بالمدينة ، قال : قد فهمت ، وإنما الأهواز الباب الذي تؤتون منه ، فلما ظهر إبراهيم بالبصرة قال له المنصور ذلك ، قال : فعاجِلْه بالجنود واشغل الأهواز عليه ، وشاور المنصور أيضا جعفر بن حَنْظَلَة البَهْرَانى عند ظهور محمد قال : وَجِّهْ الجند إلى البصرة ، قال : انصرف عنّى حتى أرسل إليك ، فلما صار إبراهيم إلى البصرة أرسل إليه ، فقال له ذلك فقال : إياها خفت ، بادِرْهُ بالجنود ، قال : وكيف خفت البصرة ؟ قال : لأن محمداً ظهر بالمدينة وليسوا أهل حرب ، بحسبهم أن يقيموا شأن أنفسهم ، وأهل الكوفة تحت قدمك ، وأهل الشام أعداء آل أبي طالب ، فلم يبق إلا البصرة .

ثم إن المنصور كتب إلى محمد بن عبد الله كتاباً ابتداه بأن قال :

بسم الله الرحمن الرحيم (إِنَّما جَزَاءُ الذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ ورَسُولَهُ ويَسْعَوْنَ فى الأَرْضِ فَسَاداً أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الأَرْضِ) (١) ، ولك عهد الله وميثاقه وذمة رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أؤمّنك وجميع ولدك وإخوتك وأهل بيتك ومَنْ اتبعكم على دمائكم وأموالكم وأسوّغك ما أصبتَ من دم أو مال وأعطيك ألف ألف درهم ، وما سألتَ من الحوائج

(١) سورة ٥ آية ٣٣

وأنزلك من البلاد حيث شئت ، وأن أطلق مَنْ فى حبسى من أهل بيتك ، وأن أؤمّن كل مَنْ جاءك وبايعك واتبعك أو دخل فى شىء من أمرك ، ثم لا أتبع أحداً منهم بشىء كان منه أبدا ، فإنْ أردتَ أن تتوثّق لنفسك فوجِّهْ من أحببت يأخذ لك من الأمان والعهد والميثاق ما تتوثّق به والسلام .

فكتب إليه محمد : بسم الله الرحمن الرحيم (طسم ، تِلْكَ آيَاتُ الكِتَابِ المُبِين ، نَتْلُو عَلَيْكَ مِنْ نَبأَ مُوسَى وفِرْعَوْنَ بِالحَق لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ، إنَّ فِرْعَوْنَ عَلَافِى الأَرْضِ وجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعاً يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ ويَسْتَحْيِى نِسَاءَهُمْ إنَّهُ كَانَ مِنَ المُفْسِدِينَ ، ونُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِى الأَرْضِ ونَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً ونَجْعَلَهُمُ الوَارِثِينَ ، ونُمَكِّنَ لَهُمْ فى الأَرْضِ ونُرِىَ فِرْعَوْنَ وهَامَانَ وجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ) (١) ، وأنا أعرض عليك من الأمان مثل ما عرضت علىّ ، فإنَّ الحق حقنا ، وإنّما ادّعيتم هذا الأمر لنا : وخرجتم له بشيعتنا ، وحظيتم بفضلنا (٢) ، فإن أبانا عليا كان الوصى ، وكان الإمام ، فكيف ورثتم ولايته وولده أحياء ، ثم قد علمتَ أنه لم يطلب الأمر أحد له مثل نسبنا وشرفنا وحالنا وشرف آبائنا ؛ لسنا من أبناء اللعناء ولا الطرداء ولا الطلقاء ، وليس يمُتُّ أحد من بنى هاشم بمثل الذى نمتُّ به من القرابة والسابقة والفضل – وإنّا بنو أم رسول الله صلى الله عليه وسلم – فاطمة بنت عمرو (٣) فى الجاهلية ،

---

(١) سورة ٢٨ الآيات من ١ إلى ٦

(٢) فى الكامل حـ ٥ ص ٤٠٩ : وحظيتم بفضله والطبرى حـ ١١ ص ٢٠٩ يؤيد المخطوطات

(٣) أثبت الناسخ للمخطوطة فى هامش تعليقا وتوضيحاً (يشير إلى فاطمة بنت عمرو بن عابد ابن عمران بن مخزوم وهى أم عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم جد رسول الله صلى الله عليه وسلم

وبنو بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم - فاطمة فى الإسلام - دونكم إنّ الله اختارنا واختار لنا ، فوالدنا من النبيّين محمد صلى الله عليه وسلم أفضلهم ، ومن السّلف أوّلهم إسلاما على بن أبى طالب ، ومن الازواج أفضلهم خديجة الطاهرة ، وأوّل من صلى إلى القبلة ، ومن البنات خيرهن فاطمة سيّدة نساء أهل الجنّة ، ومن المولودين فى الإسلام حسن وحسين سيّدا شباب أهل الجنة ، وإن هاشماً ولد عليا مرتين ، وإنّ عبد المطلب ولد حسناً مرّتين ، وإنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ولدنى مرّتين ، من قِبَل حسنٍ وحسين ، وإنى أوسط بنى هاشم نسباً ، وأصرحهم أما وأبا[1] ، لم تعرّق فىّ العجمة ، ولم تنازع فىّ أمّهات الأولاد ، فمازال يختار لى الآباء والأمّهات فى الجاهلية والإسلام ، حتى اختار لى فى النار ، فأنا ابن أرفع الناس درجة فى الجنة ، وأهونهم عذاباً فى النار ، فلك ذمّة الله علىّ ، إن دخلتَ فى طاعتى ، وأجبت دعوتى ، أن أؤمّنك على نفسك ومالك ، وعلى كل حدث[2] أحدثته ، إلا حدّاً من حدود الله أو حقا لمسلم أو مُعَاهِد ، فقد علمتَ ما يلزمنى من ذلك ، وأنا أولى بالأمر منك وأوفى بالعهد ، لأنك أعطيتنى من الأمان والعهد ما أعطيته رجالاً قبلى ، فأى الأمانات تعطينى؟ أمان ابن هبيرة ! ! أم أمان عمّك عبد الله بن على ! ! أم أمان أبى مسلم ! !

فلما ورد كتابه على المنصور قال له أبو أيوب المُورِيَانى : دعنى

(١) النص فى الكامل جـ٥ ص٤٠٩ وفى تاريخ الطبرى جـ١١ ص٢١٠ لم يذكر وأماه
(٢) فى الكامل جـ٥ ص٤٠٩ والطبرى جـ١١ ص٢١١ : أمر

أجبه عنه ، قال : لا ، إذا تقارعنا على الأحساب دعنى وإياه ، ثم كتب إليه المنصور :

بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فقد بلغنى كلامك ، وقرأت كتابك فإذا جلّ فخرك بقرابة النساء ، لتضلّ به الجفاة والغوغاء ، ولم يجعل الله النساء كالعمومة والآباء ، ولا كالعَصَبَة [1] والأولياء ، لأن الله جعل العم أباً ، وبدأ به في كتابه على الوالدة الدنيا ، ولو كان اختار الله لهن على قدر قرابتهنّ ، لكانت آمنة أقربهنّ رحماً ، وأعظمهنّ حقا ، وأولى من يدخل الجنة غدا ، ولكن اختيار الله لخلقه على علمه فيما قضى فيهم [2] واصطفائه لهم ؛ وأمّا ما ذكرتَ من فاطمة أم أبى طالب وولادتها ، فإن الله لم يرزق أحداً من ولدها الإسلام ، لا بنتاً ولا ابناً ، ولو أن رجلا رزق الإسلام بالقرابة رُزِقه عبد الله ، ولكان أولاهم بكل خير فى الدنيا والآخرة ، لكنّ الأمر لله يختار لدينه من يشاء ، قال الله عز وجل (إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللهَ يَهْدِى مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ) [3] ، ولقد بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم وله عمومة أربعة ، فأنزل الله عز وجل (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) [4] ، فأنذرهم ودعاهم فأجاب اثنان أحدهما أبى ، وأبَى اثنان أحدهما أبوك ، فقطع الله ولايتهما منه ، فلَم يجعل بينه وبينهما إلاًّ ولا ذمة ولا ميراثاً ؛ وزعمت أنك ابن أخف أهل النار عذابا ، وابن خير الأشرار ، وليس

(١) عصبة الرجل : بنوه وقرابته لأبيه .

(٢) هكذا فى المخطوطات وفى الكامل حـ ٥ ص ٤١٠ : فيما مضى منهم ، والطبرى حـ ١١ ص ٢١١ : لما مضى منهم .

(٣) سورة ٢٨ آية ٥٦

(٤) سورة ٢٦ آية ٢١٤

فى الكفر بالله صغير ، ولا فى عذاب الله خفيف ولا يسير ، وليس فى الشر خيار ، ولا ينبغى لمؤمن – يؤمن بالله – أن يفخر بالنار ، وسترد فتعلم ، (وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ) [1] ؛ وأما أمر حسن وأن عبد المطلب ولده مرتين ، وأن النبىّ ولدك مرتين ، فخير الأوّلين والآخرين رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يلده هاشم إلا مرة ، ولاعبد المطلب إلا مرة؛ وزعمت أنك أوسط بنى هاشم نسباً وأصرحهم أما وأبا ، وأنه لم تلدك العجم ، ولم تعرّق [2] فيك أمّهات الأولاد ، فقد رأيتك فخرت على بنى هاشم طراً ، فانظر ويحك أين أنت من الله غدا ! ! فإنّك قد تعدّيْت طورك ، وفخرت على من هو خير منك – نفساً وأباً وأوّلاً وآخراً [3] – إبراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما خيار بنى أبيك خاصة وأهل الفضل منهم إلا بنو أمّهات الأولاد ، ما ولد فيكم بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل من على بن حسين ، وهو لأم ولد ولهو خير من جدّك حسن بن حسن [4] ، وما كان فيكم بعده مثل محمد بن على ، وجدّته أم وَلد ، ولهو خير من أبيك ، ولا مثل ابنه جعفر وجدّته أم ولد ، وهو خير منك ؛ وأما قولك إنكم بنو رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن الله تعالى يقول فى كتابه (مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللهِ . . . . . [5]) ،

(١) سورة ٢٦ آية ٢٢٧
(٢) فى ك : تعرف و كذلك الكامل . حـ ٥ ص ٤١٠ التصويب عن ابو يزيده الطبرى حـ ١١ ص ٢١٢ .
(٣) فى الكامل حـ ٥ ص ٤١١ : ... نفسا وأبا وأولادا وأخا ابراهيم ابن رسول الله والخطأ واضح .
(٤) فى الكامل حـ ٥ ص ٤١١ : حسن بن حسين و هو خطأ .
(٥) سورة ٣٣ آية ٤٠

ولكنكم بنو ابنته وإنها لقرابة قريبة ، ولكنّها لا تجوّز الميراث ولاترث الولاية ، ولا تجوز لها الإمامة فكيف يورّث بها ، ولقد طلبها أبوك بكل وجه ، فأخرج فاطمة رضى الله عنها نهاراً ، ومرّضها سرا ودفنها ليلا ، فأبى الناس إلا الشيخين ، ولقد جاءت السنة التى لا اختلاف فيها بين المسلمين : أن الجد أبا الأم والخال والخالة لا يُورّثون ؛ وأمّا ما فخرت به من علِيّ وسابقته ، فقد حضرت رسول الله صلى الله عليه وسلم الوفاة فأمر غيره بالصلاة ، ثم أخذ الناس رجلاً بعد رجل فلم يأخذوه [(١)] ، وكان فى السنّة فتركوه كلهم دفعاً له [(٢)] ، ولم يروا له حقا فيها ؛ وأما عبد الرحمن فقدّم عليه عثمان ، وقتل عثمان وهو له مُتّهم ، وقاتله طلحة والزبير ، وأبَى سَعْد بيعته وأغلق بابه دونه ، ثم بايع معاوية بعده ؛ ثم طلبها بكل وجه وقاتل عليها ، وتفرّق عنه أصحابه ، وشكّ فيه شيعته قبل الحكومة ، ثم حكم حكمين رضى بهما ، وأعطاهما عهد الله وميثاقه [(٣)] ، فاجتمعا على خلعه ، ثم كان حسن فباعها من معاوية بخرق ودراهم ، ولحق بالحجاز وأسلم شيعته بيد معاوية ، ودفع الأمر إلى غير أهله ، وأخذ مالا من غير حلّه [(٤)] ، فإن كان لكم فيها شىء فقد بعتموه وأخذتم ثمنه ، ثم خرج عمك حسين على ابن مرجانة ، فكان الناس معه عليه ، حتى قتلوه وأتوا برأسه إليه ؛

---

(١) فى ك ، ت : فلم يأخذه ويؤيده الكامل جـ ٥ ص ٤١١ والطبرى جـ ١١ ص ٢١٣

(٢) فى الكامل جـ ٥ ص ٤١١ الطبرى جـ ١١ ص ٢١٣ : دفعا له عنها.

(٣) هكذا فى المخطوطات والكامل جـ ٥ ص ٤١١ ، وفى تاريخ الطبرى جـ ١١ ص ٢١٣ ... وأعطاهما عهد وميثاقه

(٤) هكذا فى المخطوطات وفى الكامل جـ ٥ ص ٤١١ ، والطبرى جـ ١١ ص ٢١٤ : .. وأخذ مالا من غير ولاية ولا حلة

ثم خرجتم على بنى أمية ، فقتلوكم وصلبوكم على جذوع النخل ، وأحرقوكم بالنيران ونفوكم من البلدان ، حتى قتل يحيى بن زيد بخراسان ، وقتلوا رجالكم وأسروا الصبية والنساء ،وحملوكم بلا وطاء فى المحامل ، كالسبى المجلوب إلى الشام ، حتى خرجنا عليهم وطلبنا بثأركم ، وأدركنا بدمائكم وأورثناكم أرضهم وديارهم ، وسَنَّيْنَا سلفكم وفضّلْناه فاتخذتَ ذلك علينا حجة ، وظننت أنّا إنما ذكرنا أباك وفضّلناه للتقدمة منّا له ، على حمزة والعباس وجعفر ، وليس ذلك كما ظننت ، ولكن خرج هؤلاء من الدنيا سالمين ، متسلّما منهم مجتمعا عليهم بالفضل ، وابتلى أبوك بالقتال والحرب ، وكانت بنو أمية تلعنه كما تلعن الكفرة فى الصلاة المكتوبة ، فاحتججنا عليهم[(١)] وذكرناهم فضله ، وعنّفناهم وظلّمناهم بما نالوا منه . ولقد علمتَ أن مكرمتنا فى الجاهلية سقاية الحاج الأعظم وولاية زمزم ، فصارت للعباس من بين إخوته ، فنازعنا فيها أبوك فقضى لنا عليه عمر ، فلم نزل نليها فى الجاهلية والإسلام ، ولقد قحط أهل المدينة ، فلم يتوسل عمر إلى ربّه ولم يتقرّب إليه إلا بأبينا ، حتى نعشهم[(٢)] الله وسقاهم الغيث ، وأبوك حاضر لم يتوسل به ، ولقد علمتَ أنه لم يبق أحد من بنى عبد المطلب بعد النبى صلى الله عليه وسلم غيره ، فكانت وراثته من عمومته ، ثم طلب هذا الأمر غير واحد من بنى هاشم ، فلم ينله إلا ولده ، فالسقاية سقايته ، وميراث النبى صلى الله عليه وسلم له ، والخلافة فى

---

(١) فى تاريخ الطبرى ج١١ ص ٢١٤ : فاحتججنا له وهو أما فى الكامل ج٥ ص٤١٢ فلم يذكر حرف الجر .

(٢) هكذا فى المخطوطات ويؤيدها الطبرى ج١١ ص٢١٤ وفى الكامل ج٥ ص٤١٢ : ينعشهم وهو خطأ .

ولده ، فلم يبق شرف ولا فضل فى جاهلية ولا إسلام – فى دنيا ولا آخرة – إلا والعباس وارثه ومُوَرِّثه . أمّا ما ذكرت من بدر فإنّ الاسلام جاء ، والعباس يمون أبا طالب وعياله ، وينفق عليهم للأزمة التى أصابته ، ولولا أن العبّاس أخرج إلى بدرٍ كارهاً لمات طالب وعقيل جوعاً ، ولَلَحِسَا جفان عتبة وشيبة ، ولكنه كان من المطعمين ، فأذهب عنكم العار والسُّبة ، وكفاكم النفقة والمؤونة ، ثم فدا عقيلاً يوم بدر ، فكيف تفخر علينا وقد علناكم فى الكفر ، وفديناكم وحزنا عليكم مكارم الآباء ، وورثنا دونكم خاتم الأنبياء ، وطلبنا بثأركم فأدركنا منه ما عجزتم عنه ، ولم تدركوا لأنفسكم ، والسلام عليكم ورحمة الله .

وكان محمد قد استعمل الحسن (١) بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب على مكة ، والقاسم بن إسحاق على اليمن ، وموسى ابن عبد الله على الشام ، فأما الحسن والقاسم فسارا إلى مكة ، فخرج إليها السرىّ بن عبد الله ، عامل المنصور على مكة ، فلقيهما ببطن أذاخر فهزماه ، ودخل الحسن (٢) مكة وأقام بها يسيراً ، فأتاه كتاب محمد بن عبد الله يأمره بالمسير إليه فيمن معه ، ويخبره بمسير عيسى ابن موسى إليه ليحاربه ، فسار إليه من مكة هو والقاسم ، فبلغه بنواحى قُدَيْد قَتْلُ محمد ، فهرب هو وأصحابه وتفرّقوا ، فلحق الحسن بإبراهيم فأقام عنده حتى قتل إبراهيم ، واختفى القاسم بالمدينة

---

(١) فى المخطوطات والكامل جـ ٥ ص ٤١٣ : . . . استعمل محمد بن الحسن بن معاوية ابن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب ، وهو خطأ تصويبه عن الطبرى جـ ١١ ص ٢٠٢

(٢) فى المخطوطات والكامل جـ ٥ ص ٤١٣ محمد وهو خطأ نشأ من الخطأ فى ذكر الأسم أول الأمر ، والتصويب عن الطبرى جـ ١١ ص ٢١٩

حتى أخذت له ابنة عبد الله بن محمد بن على بن عبد الله بن جعفر امرأة عيسى الأمان له ولإخوته معاوية وغيره ، وأما موسى بن عبد الله فسار نحو الشام ومعه رزام مولى محمد بن خالد القسرى ، فانسلَ منه رزام بتيماء ، وسار إلى المنصور برسالة من مولاه محمد القسرى ، فظهر محمد بن عبد الله على ذلك فحبس محمد القسرى ، ووصل موسى إلى الشام فرأي منهم سوء ردّ عليه وغلظة ، فكتب إلى محمد :

أخبرك أنّى لقيت الشام وأهله ، فكان أحسنهم قولا الذى قال : والله لقد مللنا البلاء ، وضقنا حتّى ما فينا لهذا الأمر موضع ، ولا لنا به حاجة ؛ ومنهم طائفة تحلف لئن أصبحنا من ليلتنا أو أمسينا من غدٍ ليرْفَعُنَّ أمرنا ؛ فكتبت إليك ، وقد غيّبت وجهى ، وخفت على نفسى .

ثم رجع إلى المدينة ، وقيل أتى البصرة ، وأرسل صاحبا له يشترى له طعاماً فاشتراه ، وجاء به على حمّال أسود ، فأدخله الدار التى سكنها وخرج ، فلم يكن بأسرع من أن كبست الدار ، وأُخذ موسى وابنه عبد الله وغلامه فحملوا إلى محمد بن سليمان بن على بن عبد الله بن العباس ، فلما رأى موسى قال : لا قرّب الله قرابتكم ، ولا حيًّا وجوهكم ، تركت البلاد كلها إلا بلدًا أنا فيه !! فإن وصلتُ أرحامكم أغضبت أمير المؤمنين ، وإن أطعته قطعت أرحامكم ، ثم أرسلهم إلى المنصور ، فأمر بضرب موسى وابنه كل واحد خمسمائة سوط. فلم يتأوّها ، فقال المنصور : عذرت أهل الباطل فى صبرهم ، فما بال هؤلاء ! ! فقال موسى : أهل الحق أولى بالصبر ، ثم أخرجهم وأمر بهم فسجنوا .

ذكر مسير عيسى بن موسى
لقتال محمد بن عبد الله بن حسن وقتل محمد

قال[(١)] : ثم إن المنصور أحضر ابن اخيه عيسى بن موسى بن محمد ابن على بن عبد الله بن عباس ، وأمره بالمسير إلى المدينة لقتال محمد ابن عبد الله بن حسن ، فقال : شاوِرْ عمومتك يا أمير المؤمنين ، قال : فأين قول ابن هرمة :

نزور امرأً لا يمخض القوم سرّه ولا ينتجى الأدنين فيما يحاول
إذا ما أتى شيئا مضى كالذى أبى وإنْ قال إنى فاعلٌ فهو فاعل

فقال المنصور : أمض أيها الرجل - فو الله ما يراد غيرى وغيرك ، وما هو إلا أن تشخص أنت أو أشخص أنا ، فسار وسيرّ معه الجنود ، وكان عيسى ولى عهد المنصور إذ ذاك ؛ فقال المنصور حين سار عيسى : لا أبالى أيهما قتل صاحبه ؛ وبعث معه محمد بن أبى العباس السفاح ، وكثير بن حُصَين العبدى ، وحُميد بن قحبطة ، وهزار مرد وغيرهم ، وقال له المنصور حين ودّعه : يا عيسى ، إنّى أبعثك إلى ما بين هذين ، وأشار إلى ما بين جنبيه[(٢)] ، فإن ظفرت بالرجل فاغمد سيفك ، وابذل الأمان ، وإن تغيّب فضَمِنْهم إياه فإنهم يعرفون مذاهبه ، ومن لقيك من آل أبى طالب ، فاكتب إلىّ باسمه ، ومن لم يلقك فاقبض ماله ، وكان جعفر الصادق تغيّب عنه ، فقبض ماله ، فلما قدم المنصور

(١) هنا ينقل النويرى عن ابن الأثير - راجع الكامل حـ٥ ص٤١٤ - فهو المعنى .
(٢) هكذا فى المخطوطات يؤيدها الطبرى حـ١١ ص٢٢٥ وفى الكامل حـ٥ ص٤١٥ : جبينه وهو خطأ كما هو واضح .

المدينة قال له جعفر فى معنى ماله ، فقال : قبضه مهديّكم ، فلما وصل عيسى إلى فَيْد كتب إلى الناس فى خرق الحرير ، منهم عبد العزيز ابن المطلب المخزومى ، وعبيد الله بن محمد بن صفوان الجُمَحِى ، وكتب إلى عبد الله بن محمد بن عمر بن على بن أبى طالب ، يأمره بالخروج من المدينة فيمن أطاعه ، فخرج هو وعمر[1] بن محمد ابن عمر ، وأبو عقيل محمد بن عبد الله بن محمد بن عقيل فأتوا عيسى .

قال : ولما بلغ محمداً قرب عيسى من المدينة ، استشار أصحابه فى الخروج من المدينة والمقام بها ، فأشار بعضهم بالخروج عنها ، وبعضهم بالمقام بها ، لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : رأيتُنى فى درع حصينة فأوّلتُها المدينة ، فأقام ثم استشارهم فى حفر خندق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له جابر بن أنَس – رئيس سُلَيم – يا أمير المؤمنين : نحن أخوالك وجيرانك وفينا السلاح والكراع ، فلا تخندق الخندق ، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم خندقه لمّا أعلمه الله به ، وإن خندقته لم يحسن القتال رجالةً ، ولم توجّه لنا الخيل بين الأزقة ، وأن الذين نخندق دونهم هم الذين يحول الخندق دونهم ؛ فقال له أحد بنى شُجَاع : خندق رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقتد أنت به ، وتريد أن تدع أثر رسول الله صلى الله عليه وسلم لرأيك ! ! قال : إنه والله – يا ابن شُجاع – ما شىء أثقل عليك وعلى أصحابك من لقائهم ، وما شىء أحبّ إلينا من مناجزتهم ، فقال محمد : إنما اتّبعنا

(١) فى ك : عمرو يزيد ا ، ت : الكامل حـ ٥ ص ٤١٥ ، والطبرى حـ ١١ ص ٢٢٦

فى الخندق أثر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلا يردّنى أحد عنه فلست بتاركه ، فأمر به فحفر ، وبدأ هو فحفر بنفسه الخندق (١) ، الذى حفره رسول الله صلى الله عليه وسلم للأحزاب ، وسار عيسى حتى نزل الأعوص ، وكان محمد قد جمع الناس وأخذ عليهم الميثاق : ألّا يخرج منهم أحد ، ثم خطبهم فقال :

إنّ عدوّ الله وعدوّكم قد نزل الأعوص ، وإنّ أحق الناس بالقيام بهذا الأمر ، لأبناء المهاجرين والأنصار ، ألا وإنّا قد جمعناكم وأخذنا عليكم الميثاق ، وعدوّكم فى عدد كثير ، والنصر من الله والأمر بيده ، وأنّه قد بدا لى أن آذن لكم ، فمن أحبّ منكم أن يقيم أقام ، ومن أحبّ أن يظعن ظعن ؛ فخرج عالم كثير ، وخرج ناس من أهل المدينة بذراريهم وأهليهم إلى الأعراض والجبال ، وبقى محمد فى شرذمة يسيرة(٢) ، فأمر أبا القَلَمّس بردّ من قدر عليه ، فأعجزه كثير منهم فتركهم .

قال : وكان المنصور قد أرسل ابن الأصم مع عيسى بن موسى ينزله المنازل ، فلما قدموا نزلوا على ميل من المدينة ، فقال ابن الأصم : إن الخيل لا عمل لها مع الرجّالة ، وإنّى أخاف إنْ كشفوكم كشفة (٣) أن يدخلوا اعسكركم ، فتأخّروا إلى سقاية سليمان بن عبد الملك بالجُرْف وهو على أربعة أميال من المدينة ، وقال : ولا يهرول الراجل أكثر من

(١) هكذا فى ا ويؤيده الكامل جـ٥ ص١٥٤ وفى ك : وبدأ هو بنفسه بحفر الخندق ، وفى ت : وبدأ هو يحفر بنفسه الخندق .

(٢) فى ك : قليلة ويؤيد ا الكامل جـ٥ ص١٦٤

(٣) هذه الكلمة غير موجودة فى ك ، ت وهى عن ا ، ويؤيده الكامل جـ٥ ص٢٦٤

ميلين أو ثلاثة حتى تأخذه الخيل ، وأرسل عيسى خمسمائة رجل إلى بطحاء ابن أزهر – على ستة أميال من المدينة – فأقاموا بها ، وقال : أخاف أن ينهزم محمد فيأتى مكة ، فيردّه هؤلاء ، فكانوا بها حتى قتل محمد ، وأرسل عيسى إلى محمد يخبره أن المنصور أمّنه وأهله ، فأعاد الجواب : يا هذا ، إنَّ لك برسول الله صلى الله عليه وسلم قرابة قريبة ، وإنى أدعوك إلى كتاب الله وسنّة نبيّه والعمل بطاعته ، وأحذّرك نقمته وعذابه ، وإنى والله ما أنا بمنصرف عن هذا الأمر حتى ألقى الله عليه ، وإياك أن يقتلك من يدعوك إلى الله : فتكون شر قتيل ، أو تقتله [1] فيكون أعظم لوزرك . فلما بلغته الرسالة قال عيسى : ليس بيننا وبينه إلا القتال ؛ وقال محمد للرسول : علام تقتلونى ؟ وإنما أنا رجل فرّ من أن يقتل ، قال : إن القوم يدعونك إلى الأمان ، فإن أبيت إلا قتالهم قاتلوك ، على ما قاتل عليه خير آبائك طلحة والزبير ، على نكث بيعتهم وكيد ملكه .

قال ، ونزل عيسى بالجُرْف لاثنتى عشرة خلت من شهر رمضان سنة خمس وأربعين ومائة وذلك يوم السبت ، فأقام السبت والأحد وغدا يوم الإثنين فوقف على سَلْع ، فنظر إلى المدينة ومن فيها ، ونادى يا أهل المدينة : إنَّ الله تعالى حرّم دماء بعضنا على بعض ، فهلمّوا إلى الأمان ، فمن قام تحت رايتنا فهو آمن [2] ، ومن ألقى سلاحه فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن ، ومن خرج من المدينة فهو آمن ،

(١) هكذا فى ك ، ا ويؤيدهما الكامل حـ ٥ ص ٤١٦ وفى ت : يقتلك .

(٢) بعد ذلك يذكر الكامل حـ ٥ ص ٤١٧ والطبرى حـ ١١ ص ٢٣٤ : ومن دخل داره فهو آمن ، ويظهر أن هذه العبارة سقطت من النويرى .

خلّوا بيننا وبين صاحبنا فإمّا لنا وإمّاله . فشتموه فانصرف من يومه وعاد من الغد ، وقد فرّق القوّاد من سائر جهات المدينة ، وأخلى ناحية مسجد أبى الجرّاح وهو على بُطْحان ، أخلى تلك الناحية لخروج من ينهزم ، وبرز محمد فى أصحابه ورايته مع عثمان بن محمد بن خالد بن الزبير ، وكان شعاره : أحد أحد ، فبرز أبو القَلَمَّس وهو من أصحاب محمد ، فبرز إليه أخو أسد ، فاقتتلوا طويلا فقتله أبو القلمّس ، وبرز إليه آخر فقتله ، وقال حين ضربه : خذها وأنا ابن الفاروق ، فقال رجل من أصحاب عيسى : قتلتَ خيرًا من ألف فاروق ، وقاتل محمد يومئذ قتالاً عظيماً ، فقتل بيده سبعين رجلا ، وأمر عيسى حُمَيد بن قحبطة فتقدم فى مائة[1] كلهم راجل سواه ، فزحفوا حتى بلغوا جدارا دون الخندق ، عليه ناس من أصحاب محمد ، فهدم حُميد الحائط وانتهى إلى الخندق ، ونصب عليه أبواباً وعبر هو وأصحابه عليها ، فجازوا الخندق وقاتلوا مَنْ وراءه أشد قتال من بكرة النهار إلى العصر ، وأمر عيسى أصحابه فألقوا الحقايب وغيرها في الخندق ، وجعل الأبواب عليها وجازت الخيل ، فاقتتلوا قتالا شديدا ، وانصرف محمد فاغتسل وتحنّط ثم رجع ، فقال له عبد الله بن جعفر : بأبى أنت وأمىّ ، والله مالك بما ترىِ طاقة أتيت الحسن بن معاوية بمكة فإنّ معه جلّ أصحابك ! ! فقال : لو خرجتُ لقُتل أهل المدينة ، والله لا أرجع حتى أقتل أو أقتل ، وأنت منى فى سعة فاذهب حيث شئت ، فمشى معه قليلا ثم رجع عنه ، وتفرّق عنه جل أصحابه ، حتى بقى فى ثلاثمائة رجل يزيدون قليلا ، فقال بعض أصحابه : نحن اليوم بعدة

(١) بعدهذه الكلمة إلى آخر الفصل أى إلى عنوان ظهور إبراهيم ساقط من لك

أهل بدر ؛ وصلّى محمد الظهر والعصر ، وكان معه عيسى بن خُضَير وهو يناشده : إلا ذهب إلى البصرة أو غيرها ، ومحمد يقول : لا والله لا تُبتلون بى مرّتين ، ولكن اذهب أنت حيث شئتَ ، فقال ابن خضير : وأين المذهب عنك ! ؟ ثم مضى فأحرق الديوان ، الذى فيه أسماء مَنْ بايعهم ، وقتل رياح بن عثمان وأخاه عباس بن عثمان ، وقتل ابن مُسْلِم بن عُقْبَة المُرى ، ومضى إلى محمد بن خالد القسرى وهو محبوس ليقتله فعلم به ، فردم الأبواب دونه فلم يقدر على قتله ، وكانَ محمد بن عبد الله قد حبس محمد بن خالد بعد ما أطلقه ، ورجع عيسى بن خضير إلى محمد فقاتل بين يديه حتّى قتل ، وتقدّم حُميد بن قحطبة ، وتقدّم محمد بن عبد الله فلما صار ببطن مسيل سَلْع عرقب فرسه ،وعرقب بنو شجاع الجهنيون (١) دوابهّم ،ولم يبق أحد منهم إلا كسر جفن سيفه ، فقال لهم محمد : قد بايعتمونى ولست بارحاً حتى أُقتل ، فمَنْ أحبّ أن ينصرف فقد أذنتُ له ، واشتد القتال فهزموا أصحاب عيسى بن موسى مرّتين أو ثلاثاً ، فقال يزيد بن معاوية بن عبد الله بن جعفر (٢) : ويل أمّه فتحاً ، لو كان له رجال !! صعد نفر من أصحاب عيسى على جبل سَلْع ، وانحدروا منه إلى المدينة ، وأمرت أسماء بنت حسن بن عبد الله بن عبيد الله بن العباس (٣)

---

(١) فى الكامل حـ ٥ ص ٤١٨ : الحميسيون وهو خطأ .

(٢) فى الكامل حـ ٥ ص ٤١٨ : يزيد بن معاوية بن عباس بن جعفر ويؤيد المخطوطات الطبرى حـ ١١ ص ٢٤٣

(٣) فى ا : أسماء بنت حسن بن عبيد الله بن العباس وفى ت : أسماء بنت حسن بن عبد الله ابن العباس والتصويب عن الكامل حـ ٥ ص ٤١٨ والطبرى حـ ١١ ص ٢٤٤

بخمار أسود فرفع على منارة مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال أصحاب محمد بن عبد الله : دُخِلت المدينة فهربوا ، فقال يزيد : لكل قوم جبل يعصمهم ، ولنا جبل لا نؤتى إلا منه ! ! - يعني سلْعا ، وفتح بنو أبي عمرو الغفاريّون طريقا فى بنى غفار لأصحاب عيسى ، فدخلوا منه أيضا وجاءوا من وراء أصحاب محمد ، ونادي محمد حُميدَ بن قَحطبة : أبرزْ إلىّ فأنا محمد بن عبد الله ، فقال حُميد : قد عرفتُك ، وأنت الشريف ابن الشريف ، الكريم ابن الكريم ، والله ، لا أبرز إليك وبين يدىّ من هؤلاء الأغمار واحد ، فإذا فرغت منهم فسأبرز إليك ، وجعل حميد يدعو ابن خُضَير إلى الأمان ، وابن خضير يحمل على الناس راجلا ، لا يصغى إلى أمانه وهو يأخذهم بين يديه ، فضربه رجل من أصحاب عيسى على إليته فخلّها ، فرجع إلى أصحابه فشدّها بثوب ، ثم عاد إلى القتال ، فضربه إنسانٌ على عينه فغاص(1) السيف ، وسقط فابتدروه فقتلوه وأخذوا رأسه ، وكأنه باذنجانة مفلقة من كثرة الجراح فيه ، فلما قُتل تقدّم محمد فقاتل على جيفته ، فجعل يهدّ الناس هدًّا ، وكان أشبه الناسَ بقتال حمزة بن عبد المطلْب رضى الله عنه ، ولم يزل محمد يقاتل حتى ضربه رجل دون شحمة أذنه اليمنى ، فبرك لركبتيه وجعل يذبّ عن نفسه ، ويقول : ويحكم ابن نبيّكم مجرّح مظلوم ، فطعنه ابن قحطبة فى صدره فصرعه ، ثم نزل إليه فأخذ رأسه وأتى به عيسى ، وهو لا يُعرف من كثرة الدماء ؛ وقيل إن عيسى بن موسى اتّهم حُميد بن قحطبة وكان على الخيل ، فقال

---

(1) فى ت : فخاص ويؤيد ا الكامل جـ٥ ص ٤١٩ .

له : ما أراك تُبالغ ! ! فقال له : اتتّهمنى ! ! فوالله لأضربنّ محمدا حين أراه بالسيف أو أُقتل دونه ، قال : فمرّ به وهو مقتول فضربه ليبرّ يمينه ، وقيل بل رُمى بسهم وهو يقاتل ، فوقف إلى جدار فتحاماه الناس ، فلما وجد الموت تحامل على سيفه فكسره ، وهو ذو الفقار ، سيف على بن أبى طالب رضى الله عنه ، وقيل بل أعطاه رجلا من التجار ، كان معه وله عليه (١) أربعمائة دينار ، وقال خذه فإنّك لا تلقى أحدًا من آل أبى طالب إلا أخذه وأعطاك حقّك ، فلم يزل عنده حتى ولى جعفر بن سليمان المدينة ، فأُخبر به فأخذ السيف منه وأعطاه أربعمائة دينار ، ولم يزل معه حتى أخذه منه المهدى ، ثم صار إلى الهادى فجرّبه فى كلب فانقطع السيف ؛ وقيل بل بقى إلى أيامُ الرشيد ، وكان يتقلّده وكان به ثمانى عشرة فقارة .

قال : ولما أُتى عيسى برأس محمد قال لأصحابه : ما تقولون فيه ؟ فوقعوا فيه ، فقال بعضهم : كذبتم ما لهذا قاتلناه ، ولكنّه خالف أمير المؤمنين ، وشقّ عصا المسلمين ، وإن كان لصوّاما قوّاما فسكتوا . وأرسل عيسى بن موسى الرأس إلى المنصور مع محمد بن أبى الكرام بن عبد الله بن على بن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب ، وبالبشارة مع القاسم بن الحسن بن زيد بن الحسن بن على بن أبى طالب ، وأرسل معه رؤوس بنى شجاع ، فأمر المنصور برأس محمد فطيف به فى الكوفة وسيرّه إلى الآفاق . قال : ولمّا رأى المنصور رؤوس بنى شجاع قال : هكذا فليكن الناس ! طلبتُ محمدا فاشتمل عليه

---

(١) فى ت : تزيد دين (العبارة فيها : وله عليه دين أربعمائة دينار) .

هؤلاء ، ثم نقلوه وانتقلوا معه ، ثم قاتلوا معه حتى قُتلوا . وكان مقتل محمد وأصحابه يوم الاثنين بعد العصر لأربع عشرة خلت من شهر رمضان خمس وأربعين ومائة .

قال [١] : وكان المنصور قد بلغه أن عيسى بن موسى قد هزم ، فقال : كلا ، فأين لعب صبياننا بها على المنابر ومشورة النساء ؟ ماأنى [٢] لذلك بعد . ثم بلغه أن محمدًا هرب ، فقال : كلا ، إنّا أهل بيت لا نفرّ ، فجاءته بعد ذلك الرؤوس . قال : ولما وصل رأس محمد إلى المنصور كان الحسن بن زيد بن الحسن بن على بن أبي طالب عنده ، فلما رأى الرأس عظم عليه وتجلّد خوفاً من المنصور ، فالتفت المنصور إليه وقال : أهو هو ؟ قال : نعم ، ولوددتُ أن الله تعالى قاده إلى طاعتك ، ولم تكن فعلت به كذا ، قال : وأنا وإلاّ فأم موسى طالق ، ولكنه أراد قتلنا فكانت نفسنا أكرم علينا من نفسه .

قال : وأرسل عيسى بن موسى ألوية فنُصبت فى مواضع بالمدينة ، ونادى مُناديه : من دخل تحت لواء منها فهو آمن ؛ وأخذ أصحاب محمد فصلبهم ما بين ثنية الوداع إلى دار عمر بن عبد العزيز صفّين ، ووكل بخشبة ابن خضير من يحفظها ، فاحتمله قوم من الليل فواروه سرا ، وبقى الآخرون ثلاثا ، ثم أمر بهم عيسى فألقوا فى مقابر اليهود ، ثم ألقوا بعد ذلك فى خندق ذباب ، فأرسلت زينب بنت عبد الله ،

(١) لا يزال المؤلف ينقل عن الكامل لابن الأثير .

(٢) فى الكامل جـ ٥ ص ٤٢٠ : ما أتي كذلك بعد وهو خطأ ، وفى المخطوطات : ما أن و التصويب عن الطبرى حـ ١١ ص ٢٥٠ .

أخت محمد - وابنته [١] فاطمة إلى عيسى : إنكم قد قتلتموه وقضيتم حاجتكم منه ، فلو أذنتم لنا فى دفنه ! فأذن لهما فدفن بالبقيع . قال : وقطع المنصور الميرة عن المدينة فى البحر ، ثم أذن فيها المهدى .

قال : ورد الخبر بقتل محمد بن عبد الله على أخيه إبراهيم بالبصرة يوم العيد ، وكان إبراهيم قد استولى على البصرة ، فخرج فصلى بالناس ، ونعاه على المنبر وأظهر الجزع عليه .

قال : وكان محمد بن عبد الله بن حسن أسمر شديد السمرة ، سميناً شجاعاً كثير الصوم والصلاة شديد القوة رحمه الله تعالى . قال : وسئل جعفر الصادق عن أمر محمد فقال : فتنة يقتل فيها محمد ، ويقتل أخوه لأبيه وأمه بالعراق ، وحوافر فرسه فى ماء . قال : وقال محمد بن عبد الله لعبد الله بن عامر السلمى : تغشانا سحابة فإن أمطرتنا ظفرنا ، وإن تجاوزتنا إليهم فانظر إلى دمى عند أحجار الزيت ، قال : فو الله لقد أظلتنا سحابة فلم تمطرنا ، وتجاوزتنا إلى عيسى وأصحابة فظفروا ، وقتلوا محمدا ورأيت دمه عند أحجار الزيت ، وكان محمد يلقب المهدى رحمه الله .

(١) فى الكامل ج٥ ص٤٢١ : ابنة و يؤيد المخطوطات الطبرى ج١١ ص٢٥٢

ذكر تسمية المشهورين
ممن كان مع محمد بن عبد الله بن حسن

كان معه من بنى هاشم أخوه موسى بن عبد الله بن حسن ، وحسين[(١)] وعلى ابنا زيد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب ؛ ولما بلغ المنصور أن ابنى زيد أعانا محمداً عليه قال : عجبا لهما ! ! قد خرجا علىّ وقد قتلنا قاتل أبيهما كما قتله ، وصلبناه كما صلبه وأحرقناه كما أحرقه ؛ وكان معه حمزة بن عبد الله بن محمد بن على بن الحسين ، وعلى وزيد ابنا الحسن بن زيد بن الحسن بن على بن أبى طالب ، وكان أبوهما مع المنصور ، والحسن[(٢)] ويزيد وصالح بنو معاوية بن عبد الله ابن جعفر بن أبى طالب ، والقاسم بن إسحاق بن عبد الله بن جعفر ، والمُرَجَّى على بن جعفر بن إسحاق بن على بن عبد الله بن جعفر ، وكان أبوه مع المنصور[(٢)] ؛ وكان معه من غيرهم :

محمد بن عبد الله بن عمرو بن سعيد بن العاص ، ومحمد بن عجلان ، وعبد الله[(٣)] بن عمر بن حفص بن عاصم أخذ أسيرا ، فأتى به المنصور فقال له : أنت الخارج علىّ ؟ قال : لم أجد إلا ذلك أو الكفر بما أنزل الله على محمد، وكان معه أبو بكر بن عبدالله بن محمد بن

---

(١) فى تاريخ الطبرى حـ ١١ ص ٢٥٨ : حسين وعيسى ، وفى الهامش ذكرا احدى المخطوطات أنه على ، ويتفق الكامل مع المخطوطات لأن النقل كان منه راجع حـ ٥ ص ٤٢١

(٢) هذا الجزء ساقط من ت

(٣) فى تاريخ الطبرى حـ ١١ ص ٢٥٩ : عبيدالله ويتفق الكامل مع المخطوطات لان النقل منه راجع حـ ٥ ص ٤٢١ ، ص ٤٢٢

أبى سَبْرَة ، وعبد الواحد بن أبى عَوْن ـ مولى الأزد ، وعبد الله بن جعفر ابن عبد الرحمن بن المِسْوَر بن مَخْرَمة ، وعبد العزيز بن محمد الدَّراوَرْدى ، وعبد الحميد بن جعفر ، وعبد الله بن عطاء بن يعقوب ، مولى بنى سباع ، وإبراهيم وإسحاق وربيعة[1] وجعفر وعبد الله وعطاء ويعقوب وعثمان وعبد العزيز بنو عبد الله بن عطاء ، وعيسى بن خُضَير وعثمان بن خُضير ، وعثمان بن محمد بن خالد بن الزبير هرب بعد مقتل محمد ، فأتى البصرة فأخذ منها وأُتى به المنصور ، فقال له : هيه يا عثمان ، أنت الخارج علىّ مع محمد ! ! قال : بايعته أنا وأنت بمكة ، فوفيت ببيعتى وغدرت ببيعتك ، قال : يا ابن اللخناء ، قال : ذاك من قامت عنه الاماء يعنى المنصور ، فأمر به فقتل ، وكان مع محمد عبد العزيز بن عبد الله[2] بن عبد الله بن عمر بن الخطاب ، وأُخذ أسيرا فأطلقه المنصور ، وعبد العزيز بن إبراهيم بن عبد الله بن مطيع ، وعلى بن المطلب بن عبد الله بن حَنْطَب ، وإبراهيم بن جعفر بن مصعب بن الزبير ، وهشام بن عُمارة بن الوليد بن عدى بن الخِيار ، وعبد الله بن يزيد بن هرمز وغيرهم .

(١) فى ت : زمعة ويزيدك ، الطبرى حـ ١١ ص ٢٦٠

(٢) فى المخطوطات متابعة الكامل حـ ٥ ص ٤٢٢ : عبيد الله وهو خطأ صححته المخطوطات فى فصل ظهور الحسين بن على قتيل فخ وذكره الطبرى صحيحا حـ ١٠ ص ٢٤٣ ، ص ٢٦٤

ذكر ظهور ابراهيم بن عبد الله بن حسن ابن الحسن بن على بن أبى طالب اخى محمد

كان ظهوره بالبصرة فى أول شهر رمضان سنة خمس وأربعين ومائة ، وكان قبل ظهوره قد طلب أشد الطلب ، فحكت جارية له أنّهم لم تقرّهم أرض خمس سنين ، مرة بفارس ، ومرة بكرمان ، ومرة بالجبل ، ومرة بالحجاز ، ومرة باليمن ، ومرة بالشام ، ثم إنّه قدم الموصل وقدمها المنصور فى طلبه ، فحكى إبراهيم عن نفسه قال : اضطرّنى الطلب بالموصل حتى جلست على مائدة المنصور ، ثم خرجت وقد كفّ الطلب ، وكان قوم من أهل العسكر يتشيّعون ، فكتبوا الى إبراهيم يسألونه القدوم عليهم ليثبوا بالمنصور فقدم عسكر أبى جعفر وهو ببغداد وقد خطّها ، وكانت له مرآة ينظر فيها ، فيرى عدوّه من صديقه ، فنظر فيهافقال : يا مُسَيَّب قد رأيت إبراهيم فى عسكرى ، وما فى الأرض أعدى لى منه ، فانظر أىّ رجل يكون ؟ ثم إنّ المنصور أمر ببناء قنطرة الصراة العتيقة ، فخرج إبراهيم ينظر إليها مع الناس ، فوقعت عليه عين المنصور ، فجلس إبراهيم وذهب فى الناس ، فأتى فاميا فلجأ إليه فأصعده غرفة له ، وجدّالمنصور فى طلبه ووضع الرصد بكل مكان ، فثبت (١) إبراهيم مكانه ، فقال له صاحبه سفيان بن حيّان العَمِىّ (٢) : قد نزل بنا ما ترى ، ولابد

---

(١) موضع هذه الكلمة فى الكامل جـ ٥ ص ٤٢٨ والطبرى جـ ١١ ص ٢٨٥ : فنشب والمعنى واحد .

(٢) فى الكامل جـ ٥ ص ٤٢٨ : القمى ويؤيد المخطوطات الطبرى جـ ١١ ص ٢٨٥

من المخاطرة ، قال : فأنت وذاك ، فأقبل سفيان إلى الربيع ، فسأله الإذن على المنصور فأدخله إليه ، فلمّا رآه شتمه فقال : يا أمير المؤمنين ، أنا أهل لما تقول ، غير أنيّ أتيتك تائبا ولك عندي كلّ ما تحبّ ، وأنا آتيك بإبراهيم بن عبد الله ، إنىّ قد بلوتهم فلم أجد فيهم خيرًا ، فاكتب لى جوازا ولغلام معى ، واحملنى على البريد ووجّه معى جندا ، فكتب له جوازا ودفع إليه جندا ، وقال له : هذه ألف دينار[1] فاستعن بها ، قال : لا حاجة لى فيها ، فأخذ منها ثلاثمائة دينار ، وأقبل والجند معه فدخل البيت على إبراهيم ، وعلى إبراهيم جبة صوف وقباء كأقبية الغلمان ، فصاح به فوثب فجعل يأمره وينهاه ، وسار على البريد ، وقيل لم يركب البريد ، وسار حتّى قدم المدائن ، فمنعه صاحب القنطرة بها ، فدفع جوازه إليه ، فلما جازها قال له الموكّل بالقنطرة : ما هذا غلام وإنّه لإبراهم بن عبد الله ، اذهب راشدا فأطلقهما ، فركبوا سفينة حتّى قدموا البصرة ، فجعل يأتى بالجند الدار لها بابان ، فيقعد البعض منهم على أحد البابَيْن ، ويقول : لا تبرحوا حتى آتيكم ، فيخرج من الباب الآخر ويتركهم ، حتى فرّق الجند عن نفسه وبقى وحده ، وبلغ الخبر سفيان بن معاوية أمير البصرة ، فأرسل إلى الجند فجمعهم ، وطلب العَمِىّ فأعجزه ، وكان إبراهيم قد قدم الأهواز قبل ذلك فاختفى عند الحسن بن حبيب[2] ،

---

(١) فى ك : درهم ويؤيدا ، ت الكامل حـ ٥ ص ٤٢٩ ، والطبرى حـ ١١ ص ٢٨٦ ، وما هو مذكور بعد .

(٢) فى الكامل حـ ٥ ص ٤٢٩ : الحسن بن حبيب ويؤيد المخطوطات الطبرى حـ ١١ ص ٢٨٨

وكان محمد بن حُصَين يطلبه ، فقال يوما : إنَّ أمير المؤمنين كتب إلَيَّ يخبرني أنَّ المنجّمين أخبروه : أنَّ إبراهيم نازل بالأهواز ، وهو في جزيرة بين نهرين ، وقد طلبتُه في الجزيرة وليس هناك ، وقد عزمتُ أن أطلبه غدا بالمدينة ، لعلَّ أمير المؤمنين يعني بقوله – بين نهرين – بين دجيل والمَسْرُقان ، فرجع الحسن بن حبيب إلى إبراهيم فأخبره ، وأخرجه إلى ظاهر البلد ، ولم يطلبه محمد ذلك اليوم ، فلما كان آخر النهار خرج الحسن إلى إبراهيم ، فأدخله البلد وهما على حمارين وقت العشاء الآخرة ، فلحقه أوائل خيل ابن الحصين ، فنزل إبراهم عن حماره كأنَّه يبول ، فسأل ابن الحُصَيْن الحسن بن حبيب عن مجيئه ، فقال : جئت من عند بعض أهلي ، فمضى وتركه ، ورجع الحسن إلى إبراهيم فأركبه وأدخله إلى منزله ، فقال له إبراهيم : والله لقد بُلْت دما ، فأتيت الموضع فرأيته وقد بال دما ، ثم إن إبراهيم قدم البصرة ، قيل قدمها في سنة خمس وأربعين ومائة ، بعد ظهور أخيه محمد بالمدينة ، وقيل قدمها في سنة ثلاث وأربعين ومائة ، وكان الذى أقدمه وتولى أمره – في قول بعضهم – يحيى بن زياد بن حيان (١) النبطي ، وأنزله في داره في بني ليث ، وقيل نزل في دار أبي فروة ، ودعا الناس إلى بيعة أخيه ، وكان أوّل من بايعه نُمَيْلة بن مُرَّة العَبْشِمِي ، وعَفْو الله بن سفيان ،

---

(١) هكذا في المخطوطات وفي الكامل جـ ٥ ص ٤٣٠ وفي تاريخ الطبري جـ ١١ ص ٢٨٨ والبداية والنهاية لأبي الفدا (ابن كثير) جـ ١٠ ص ٩١ : يحيى بن زياد بن حسان النبطي .

وعبد الواحد بن زياد ، وعمرو[١] بن سَلمة الهُجَيْمِى ، وعبد الله[٢] ابن يحى بن حُصَين الرَّقَاشِى ، وندبوا الناس ، فأجابهم المغيرة بن الفزع[٣] وأشباه له ، وأجابه أيضا عيسى بن يونس ، ومُعَاذ بن مُعَاذ ، وعَبَّاد بن العَوَّام ، وإسحاق بن يوسف الأزرق ، ومعاوية بن هشيم ابن[٤] بشير ، وجماعة كثيرة من الفقهاء وأهل العلم ، حتى أحصى ديوانه أربعة آلاف ، وشهر أمره فقالوا له : لو كنت تحوّلت إلى وسط البصرة ، أتاك الناس وهم مستريحون ، فتحوّل فنزل دار أبى مروان – مولى بنى سُلَيم – فى مقبرة بنى يَشْكُر .

وكان سفيان بن معاوية – أمير البصرة – قد مالأ على أمره ، ولما ظهر أخوة محمد كتب إليه يأمره بالظهور ، فوجم لذلك واغتمّ ، فجعل بعض أصحابه يسهّل عليه ذلك ، وقال له : قد اجتمع لك عالم من الناس ، فطابت نفسه ، وكان المنصور بظاهر الكوفة فى قلة من العساكر ، وقد أرسل ثلاثة من القوّاد إلى سفيان بن معاوية بالبصرة مددا له ، ليكونوا عونا له على إبراهيم ، إن ظهر ، فلما أراد إبراهيم الظهور أرسل إلى سفيان فأعلمه ، فجمع القوّاد عنده ، وظهر إبراهيم أول شهر

---

(١) هكذا فى المخطوطات والكامل حـ٥ ص٤٣٠ وفى تاريخ الطبرى حـ١١ ص٢٩٠ : عمر بن سلمة الهجمى .

(٢) هكذا فى المخطوطات وفى الكامل حـ٥ ص ٤٣٠ وفى تاريخ الطبرى حـ١١ ص٢٩٠ : عبيد الله .

(٣) فى المخطوطات : المغيرة بن الأقرع والتصويب عن الكامل حـ٥ ص٤٣٠ الطبرى حـ ١١ ص ٢٩٠

(٤) فى المخطوطات : ومعاوية وهشيم بن بشير ، وفى تاريخ الطبرى حـ ١١ ص٢٩٨ معاوية بن هشام والتصويب عن الكامل حـ٥ ص ٤٣٠ يؤيده الامام شمس الدين الذهبى فى تذكرة الحفاظ حـ١ ص٢٢٥

رمضان سنة خمس وأربعين ومائة ، فغنم دوابّ أولئك الجند ، وصلّى بالناس الصبح بالجامع ، وقصد دار الإمارة وبها سفيان متحصنا ، فحضره فطلب سفيان منه الأمان، فأمّنه إبراهيم ودخل إلى الدار ، ففرشوا له حصيرا فهبّت الريح فقلبته قبل أن يجلس ، فتطيّر الناس لذلك ، فقال إبراهيم : إنّا لا نتطيّر وجلس عليه مقلوبا ، وحبس القوّاد وحبس أيضا سفيان بن معاوية فى القصر وقيّده بقيد خفيف ، ليعلم المنصور أنه محبوس ، وبلغ جعفرا ومحمدا ، ابنى سليمان بن على ظهور إبراهيم ، فأتيا فى ستمائة رجل ، فأرسل إليهما إبراهيم المضاء ابن القاسم الجزرى فى خمسين رجلا فهزمهما ، ونادى منادى إبراهيم : لا يتبع منهزم ولا يذفف[1] على جريح ، ومضى إبراهيم بنفسه إلى باب زينب بنت سليمان بن على بن عبد الله بن العباس ؛ وإليها ينسب الزينبيون من العباسيين ، فنادى بالأمان وألّا يعرض لهم أحد ، فصفت له البصرة ووجد فى بيت ما لها ألفى ألف درهم ، فقوى بذلك وفرض لأصحابه لكل رجل خمسين درهما .

فلما استقرت له البصرة أرسل المغيرة إلى الأهواز ، فبلغها فى مائتى رجل ، وكان فيها محمد بن الحُصَين عاملا للمنصور ، فخرج إليه فى أربعة آلاف فالتقوا ، فانهزم ابن الحصين ودخل المغيرة الأهواز ؛ وقيل إنّما سيرّ إبراهيم المغيرة إلى الأهواز بعد مسيره من البصرة إلى بَاخمْرَى ، وسيرّ إبراهيم إلى فارس عمرو بن شدّاد ، فقدمها وبها إسماعيل وعبد الصمد ابنا على بن عبد الله بن العباس ، فبلغهما دنو

(١) ذف على الجريح ذفاً وذفافاً وذففاً : أجهز عليه (أقرب الموارد).

عمرو – وهما باصطخر – فقصدا داربجرد فتحصّنا بها ، فصارت فارس فى يد عمرو ، وأرسل إبراهيم هارون بن سعد[1] العجلىّ فى سبعة عشر ألفا إلى واسط ، وبها هارون بن حُمَيد الإيادي من قبل المنصور – فملكها العجلىّ ، وأرسل المنصور لحربه عامر بن إسماعيل المسلى[2] فى خمسة ، آلاف وقيل فى عشرين ألفاً ، وكانت بينهم وقعات ثم تهادنوا على ترك الحرب ، حتى ينظروا ما يكون من إبراهيم والمنصور ، فلما قتل إبراهيم هرب هارون بن[3] سعد عنها ، واختفى حتى مات .

قال : ولم يزل إبراهيم بالبصرة ، يفرّق العمّال والجيوش حتى أتاه نعى أخيه محمد قبل الفطر بثلاثة أيام ، فخرج بالناس يوم العيد وفيه الانكسار ، فصلىّ بهم وأخبرهم بقتل محمد ، فازدادوا فى قتال المنصور بصيرة ، وأصبح من الغد فعسكر واستخلف على البصرة نُمَيْلة ، وخلّف ابنه حسنا معه .

ذكر مسير ابراهيم ومقتله

قال: ثم عزم إبراهيم على المسير ، فأشار عليه أصحابه البصريون أن يقيم ويرسل الجنود ، فيكون ، إذا انهزم لك جند أمددتهم بغيرهم ، فخيف مكانك واتقاك عدوك ، وجبيت الأموال وثبتت وطأتك ، فقال من عنده من أهل الكوفة : إنّ بالكوفة أقواما لو رأوك ماتوا دونك ،

---

(١) فى الكامل حـ ٥ ص٤٣١ : مروان بن سعيد العجلى ويؤيد المخطوطات الطبرى حـ١١ ص ٣٠٢

(٢) فى المخطوطات : عامر بن إسماعيل المسلمى والتصويب عن الكامل حـ٥ ص٤٣٢ والطبرى حـ١١ ص٣٠٢ .

(٣) فى المخطوطات : إبراهيم بن سعد ، وفى الكامل حـ٥ ص٤٣٢ : مروان بن سعيد والتصويب عن الطبرى حـ١١ ص٣٠٣

وإن لم يروك قعدت[١] بهم أسباب شتى ؛ فسار عن البصرة إلى الكوفة ، وكان المنصور – لما بلغه ظهور إبراهيم – فى قلة من العسكر فقال : والله ما أدري كيف أصنع ! ! ما فى عسكرى إلا ألفا رجل ، فرّقتُ جندى ! ! فمع المهدى بالرىّ ثلاثون ألفا ، ومع محمد بن الأشعث بإفريقية أربعون ألفا ، والباقون مع عيسى بن موسى ، والله : لئن سلمتُ من هذه لا يفارق عسكرى ثلاثون ألفا ، ثم كتب إلى عيسى بن موسى يأمره بالعود مسرعا ، فأتاه الكتاب وقد أحرم بعُمْرة فتركها ، وعاد وكتب إلى سلم بن قتيبة فقدم عليه من الرىّ ، فقال له المنصور : اعمد إلى إبراهيم ولا يروعنّك جمعه ، فو الله – إنّهما جملا بنى هاشم المقتولان ، فثِقْ بما أقول ، وضمّ إليه غيره من القوّاد . وكتب إلى المهدى يأمره بانفاذ خزيْمَة بن خازِم إلى الأهواز ، فسيّره فى أربعة آلاف فارس فوصلها ، وقاتل المغيرة ، فرجع المغيرة إلى البصرة ، واستباح خزيمة الأهواز ثلاثا ، وتوالت على المنصور الفتوق : من البصرة والأهواز وفارس وواسط والمداين والسواد ، وإلى جانبه أهل الكوفة فى مائة ألف مقاتل ، ينتظرون به صيحة ، فلما توالت الأخبار عليه بذلك أنشد :

وجعلتُ نفسى للرماح دريّـةً إن الرئيس بمثل ذاك فعول[٢]

(١) فى المخطوطات : بعدت والتصويب عن الكامل جـ ٥ ص ٤٣٢ والطبرى جـ ١١ ص ٣٠٩

(٢) البيت فى المخطوطات مثل ما فى الكامل جـ ٥ ص ٤٣٢ ، وفى تاريخ الطبرى جـ ١١ ص ٣٠٧

ونصبت نفسى للرماح درية إن الرئيس لمثل ذاك فعول

ثم إن المنصور رمى كل ناحية بحجرها ، وبقى على مصلاه خمسين يوماً ، ينام عليه ويجلس عليه ، وعليه جبة ملوّنة ، قد[1] اتسخ جيبها ، ما غيّرها ولا هجر المصلىَ ، إلّا أنّه ، إذا ظهر للناس لبس السواد ، فإذا فارقهم رجع إلى هيئته ، وأهديت إليه امرأتان من المدينة ، إحداهما فاطمة بنت محمد بن عيسى بن طلحة بن عبيد الله والأخرى أمَة[2] الكريم بنت عبد الله من ولد خالد بن أسيد ، فلم ينظر إليهما ، فقيل له : إنّهما قد ساءت ظنونهما ، فقال : ليست هذه أيام نساء ، ولا سبيل إليهما حى أنظر : أرأس[3] إبراهيم لى أم رأسى له ؟ قال الحجّاج بن قتيبة : لما تتابعت الفتوق على المنصور ، دخلتُ مسلّما عليه وقد أتاه خبر البصرة والأهواز وفارس ، وعساكر إبراهيم قد عظمت ، وبالكوفة مائة ألف سيف بازاء عسكره ، تنتظر صيحة واحدة فيثبون به ؛ فرأيته أحوذيا[4] مشمرا قد قام إلى ما نزل به من النوائب يعركها ، فقام بها ولم تقعد به نفسه ، وإنّه لكما قال الأوّل :

نفس عصام سوّدَتْ عصاما وعلّمتـه الكرّ والإقداما

وصيّرته ملكا هماما

---

(١) فى ك ، ت : قمل ويؤيده الكامل حـ ٥ ص ٤٣٣

(٢) هكذا فى المخطوطات ، وفى الكامل حـ ٥ ص ٤٣٣ ، والطبرى حـ ١١ ص ٣٠٦ : أم الكريم .

(٣) هكذا فى ا ويؤيده الطبرى حـ ١١ ص ٣٠٦ ، وفى ك و الكامل حـ ٥ ص ٤٣٣ : رآس (بغير الهمزة) .

(٤) هكذا فى المخطوطات والكامل حـ ٥ ص ٤٣٣ وفى تاريخ الطبرى حـ ١١ ص ٣٠٨ فوجدته صقرا أحوزيا . والحوز الذى ينزل وحده ولا يخالط القوم (وهو بالذال وبالزاى) راجع أقرب الموارد مادة حوز .

ثم وجّه المنصور إلى إبراهيم ، عيسى بن موسى فى خمسة عشر ألفا ، وعلى مقدّمته حُميد بن قحطبة فى ثلاثة آلاف ، وقال له – لمّا ودّعه – : إنّ هؤلاء الخبثاء – يعنى المنجّمين – يزعمون أنّك إذا لاقيت إبراهيم ، تجول أصحابك جولة حين تلقاه ، ثم يرجعون إليك وتكون العاقبة لك.
قال : ولمّا سار إبراهيم عن البصرة مشى ليلة فى عسكره سراً ، فسمع أصوات الطنابير ، ثم فعل ذلك ليلة أخرى فسمعها أيضا ، فقال : ما أطمع فى نصر عسكر فيه مثل هذا ، وسمع وهو ينشد فى طريقه أبيات القطامىّ :

أمورٌ لو تدبّرها حليمٌ إذاً لَنَهَى وهَيَّبَ ما استطاعا
ومعصيةُ الشفيق عليك مِمّا يَزِيدك مَرَّةً منه استماعا
وخيرُ الأمرِ ما اسْتَقْبَلْتَ منه وليس بأنْ تَتَبَّعَهُ اتباعا
ولكنَّ الأديمَ إذَا تَفَرَّى بِلىً وتَعَيُّباً غلب الصَّنَاعا

فعلموا أنّه نادم على مسيره ، وكان ديوانه قد أحصى مائة ألف ، وقيل كان معه فى طريقه عشرة آلاف ، وقيل له فى طريقه ليأخذ غير الوجه الذى فيه عيسى بن موسى ويقصد الكوفة ، فإن المنصور لا يقوم له وينضاف أهل الكوفة إليه ، ولا يبقى للمنصور مرجع دون حُلْوان ، فلم يفعل ، وقيل له ليبيّت عيسى بن موسى ، فقال : أكره البيات إلا بعد الإنذار ، وقال له بعض أهل الكوفة : إئذن لى بالمسير إلى الكوفة ، أدعو الناس سراً ثم أجهر ، فإذا سمع المنصور الهيعة بأرجاء الكوفة ، لم يردّ وجهه شىء دون حُلْوان ، فاستشار إبراهيم بشير الرحّال ، فقال : لو وثقنا بالذى تقول لكان رأيا ، ولكنّا لا نأمن أن

تجيئك منهم طائفة ، فيرسل إليهم المنصور الخيل ، فيأخذ البرىء والصغير والمرأة ، فيكون ذلك تعرّضا للمآثم ، فقال الكوفى : كأنكم خرجتم لقتال المنصور وأنتم تتوقون قتل الضعيف، والصغير والمرأة ، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث سراياه ، فيقاتل ويكون نحو هذا ، فقال بشير : أولئك كفار وهؤلاء مسلمون ، فاتّبع إبراهيم رأيه وسار حتى نزل باخمرا ، وهى من الكوفة على ستة عشر فرسخا ، مقابل عيسى بن موسى ، فأرسل إليه سَلْم بن قُتَيْبَة يقول : إنك قد أصحرت (١) ، ومثلك أنفس به عن الموت ، فخندِق على نفسك حتى لا تؤتى إلا من وجه واحد ، فإن أنت لم تفعل فقد أعرى أبو جعفر عسكره ، فتخفف فى طائفة حتى تأتيه فتأخذ بقفاه ، فدعا إبراهيم أصحابه وعرض عليهم ذلك ، فقالوا : نخندق على أنفسنا ونحن ظاهرون عليهم ؟ ! لا والله لا نفعل ؛ قال : فنأتى أبا جعفر ، قالوا : ولِمَ وهو فى أيدينا ، متى أردناه ؟ ! فقال إبراهيم للرسول : أتسمع ، فارجع راشدا .

ثم إنهم تصافوا ، فصفّ إبراهيم أصحابه صفا واحدًا ، فأشار عليه بعض أصحابه بأن يجعلهم كراديس ، فإذا انهزم كردوس ثبت كردوس ، فإنّ الصّفّ إذا انهزم بعضه تداعى سائره ، فقال الباقون : لا نصفّ إلا صفّ أهل الإسلام ، يعنى قول الله تعالى (إنَّ اللهَ يُحِبُّ الَّذِين يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيانٌ مَرْصُوصٌ)(٢) ، ثم التقوا

---

(١) أصحر : برز إلى الصحراء لايواريه شئ (راجع أقرب الموارد — مادة صحر).

(٢) سورة : ٦١ آية : ٤

واقتتلوا قتالا شديدًا ، فانهزم حُميد بن قحطبة وانهزم الناس معه ، فعرض لهم عيسى يناشدهم الله والطاعة ، فلا يلوون عليه ، وأقبل حُميد منهزما فقال له عيسى : الله الله والطاعة ، فقال لا طاعة فى الهزيمة ، ومرّ الناس فلم يبق مع عيسى إلا نفرٍ يسير ، فقيل له : لو تنحّيت عن مكانك حتى يثوب إليك الناس ، فتكرّ بهم ؟ فقال : لا أزول عن مكانى هذا أبدا حتى أقتل أو يفتح الله على يدى ، والله لا ينظر أهل بيتى إلى وجهى أبدا وقد انهزمت عن عدوّهم ، وجعل يقول لمن يمرّ به : اقرأوا أهل بيتى السلام ، وقولوا لهم لم أجد فداء أفديكم به أعزّ من نفسى ، وقد بذلتها دونكم ، فبينما هم كذلك لا يلوى أحد على أحد إذ أتى جعفر ومحمد ابنا سليمان بن على من ظهور أصحاب إبراهيم ، ولا يشعر باقى أصحابه الذين يتّبعون المنهزمين ، حتى نظر بعضهم فرأى القتال من ورائهم ، فعطفوا نحوه ورجع أصحاب المنصور يتبعونهم ، فكانت الهزيمة على أصحاب إبراهيم ، فلولا جعفر ومحمد لتمّت الهزيمة ، وكان من صنع الله للمنصور أن أصحابه لقيهم نهر فى طريقهم ، فلم يقدروا على الوثوب ولم يجدوا مخاضة فعادوا بأجمعهم ؛ وكان أصحاب إبراهيم قد مخروا الماء ليكون قتالهم من وجه واحد ؛ فلما انهزموا منعهم الماء من الفرار ، وثبت إبراهيم فى نفر من أصحابه يبلغون ستمائة ، وقيل أربعمائة ، فقاتلهم حُميد وجعل يرسل بالرؤوس إلى عيسى ، وجاء إبراهيم سهم عائر[1] فوقع فى حلقه فنحره ، فتنحّى عن موقفه وقال : أنزلونى ، فأنزلوه عن مركبه وهو يقول : وكان

(١) سهم عائر : هو الذى لا يدرى من رمى به (راجع أقرب الموارد ــ مادة عير) .

أمر الله قدراً مقدوراً ، أردنا أمرًا وأراد الله غيره ، واجتمع عليه أصحابه وخاصته يحمونه ويقاتلون دونه ، فقال حُميد بن قحطبة لأصحابه : شدّوا على تلك الجماعة حتى تزيلوهم عن موضعهم ، وتعلموا ما اجتمعوا عليه ، فشدّوا عليهم فقاتلوهم أشد القتال ، حتى أفرجوهم عن إبراهيم وخلصوا إليه وحزّوا رأسه ، فأتوا[١] به عيسى بن موسى ، فأراه ابن أبي الكرام الجعفرىّ ، فقال : نعم هو رأسه[١] ، فنزل عيسى إلى الأرض فسجد ، وبعث برأسه إلى المنصور ، وكان مقتله يوم الاثنين لخمس ليال بقين من ذى القعدة سنة خمس وأربعين ومائة ، وكان عمره ثمانيا وأربعين سنة ، ومكث منذ خرج إلى أن قتل ثلاثة أشهر إلا خمسة أيام .

وقيل كان سبب انهزام أصحاب إبراهيم ، أنهم لما هزموا أصحاب المنصور وتبعوهم نادى منادى إبراهيم : ألّا تتبعوا مدبرا فرجعوا ، فلما رآهم أصحاب المنصور راجعين ظنّوهم منهزمين ، فعطفوا فى آثارهم وكانت الهزيمة . قال : وبلغ المنصور الخبر بهزيمة أصحابه أولا ، فعزم على اتيان الرىّ ، فأتاه نَوْبَخْت المنجّم فقال : يا أمير المؤمنين ، الظفر لك ، وسيُقتل إبراهيم فلم يقبل منه ، فبينما هو كذلك إذ أتاه الخبر بقتل إبراهيم ، فتمثل :

فألقتْ عصاها واستقرّ بها النّوَى ... كما قرّ عيناً بالإياب المسافرُ

فأقطع المنصور نوبخت ألفى جريب بنهر جَوْبَر[٢] ، وحمل رأس

(١) هذه العبارة ساقطة من ت

(٢) فى الكامل ج٥ ص٤٣٦ : خوزة وفى المخطوطات : جور والتصويب عن الطبرى ج ١١ ص٣١٨ وفتوح البلدان للبلاذرى (ط . ١٨٦٦ ليدن) ص ٢٧١

إبراهيم إلى المنصور ، فوضع بين يديه فلما رآه بكى ، حتى جرت دموعه على خد إبراهيم ، ثم قال : أما والله إن كنت لهذا كارها ؛ ولكنك ابتُليت بي وابتُليت بك ، ثم جلس مجلسا عاما وأذن للناس ، فكان الداخل يدخل فيتناول إبراهيم ، ويسيء القول فيه ويذكر فيه القبيح ، التماسا لرضا المنصور ، والمنصور ممسك متغيّر لونه ، حتى دخل جعفر بن حَنظلة البَهرانى ، فوقف فسلّم ثم قال : عظّم الله أجرك يا أمير المؤمنين فى ابن عمّك ، وغفر له ما فرط فيه من حقك ؛ فاستقرّ لون المنصور وأقبل عليه ، وقال : مرحبا أبا خالد ههنا ، فعلم الناس[1] أن ذلك يرضيه ، فقالوا مثل قوله . قيل ولما وضع الرأس بين يدى المنصور بصق فى وجهه رجل من الحرس ، فأمر به المنصور فضرب بالعمد ، فهشمت أنفه ووجهه ، وضرب حتى خمد وأمر به فجروا برجله فألقوه خارج الباب .

قال : ومما رثى به محمد بن عبد الله وأخوه إبراهيم قول عبد الله ابن مصعب بن ثابت :

يا صاحبيّ دعا الملامة واعلما ... أن لستُ فى هذا بألوم منكما
وقفا بقبر ابن النبيّ فسلّما ... لا بأس أن تقفا به فتسلّما
قبر تضمّن خير أهل زمانه ... حسبا وطيب سجية وتكرّما
رجل نفى بالعدل جور بلاده ... وعفا عظيمات الأمور وأنعما

(١) فى الكامل ج٥ ص ٤٣٧ : فأسفر وفى تاريخ الطبرى ج١١ ص ٣١٨ : فاصفر

لم يجتنب قصد السبيل ولم يجر عنه ولم يفتح بفاحشة فمـــا
لو أعظم الحدثان شيئا قبلـــه بعد النبيّ به لكنت المعْظمـــا
أو كان أمتع بالسلامة قبله أحــدًا لكان قُصَارُه أن يسلما
ضحّوا بإبراهيم خير ضحيّة فتصرّمَتْ أيامـــه وتصرّمـــا
بطلاً يخوض بنفسه غمراتهـــا لا طائشاً رعشا ولا مستسلما
حتى مضت فيه السيوف وربما كانت حُتُوفُهُم السيوف وربّما
أضحى بنو حسن أبيح حريمهم فينا وأصبح نهبهم متقسّما
ونساؤهم فى دورهـــنّ نوائح سجع الحمام إذا الحمام ترنّما
يتوسّلون بقتلهم ويرونـــــه شرَفاً لهم عند الامـــام ومغنما
والله لو شهد النبيّ محمـــدٌ صلَّى الإله على النبيّ وسلّمـــا
إشراع أمّتِه الأسنّة لابنـــه حتى تقطّر مـــن ظباتهم دمـــا
حقـــاً لأيقـــن أنهم قد ضيّعوا تلك القرابة واستحلّوا المحرما

هذا ما كان من أخبار محمد بن عبد الله بن حسن وأخيه إبراهيم رحمهما الله تعالى ، ثم لم يتحرك بعدهم أحد من الطالبيين إلى أن ظهر الحسين بن على بن الحسن .

ذكر ظهور الحسين بن على بن الحسن بن الحسن ابن الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله عنه وهو المقتول بفخ (١)

كان ظهوره بالمدينة فى ذى القعدة سنة تسع وستين ومائة فى خلافة الهادى موسى ، وسبب ذلك أن الهادى استعمل على المدينة عمر ابن عبد العزيز بن عبد الله بن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فلما وليها أخذ أبا الزفت الحسن بن محمد بن عبد الله بن الحسن ، ومسلم بن جُنْدُب الشاعر الهُذَلى ، وعمر بن سلاّم مولى آل عمر ، على شراب لهم ، فأمر بهم فضربوا جميعا ، وجُعل فى أعناقهم حبال وطيف بهم فى المدينة ، فجاء الحسين بن على إلى العُمَرِى ، وقال له : قد ضربتَهم ولم يكن لك أن تضربهم ! لأنّ أهل العراق لا يرون به بأسا ، فلِمَ تطوف بهم ؟ فأمر بهم فردّوا وحبسهم ؛ ثم إن الحسين ابن على هذا ويحيى بن عبد الله بن الحسن كفلا الحسن بن محمد فأخرجه العُمَرى من الحبس ، وكان قد ضمن بعض آل أبى طالب بعضا ، وكانوا يعرضون ، فغاب الحسن بن محمد عن العرض يومين ، فأحضر العُمَرى الحسين بن على ويحيى بن عبد الله وسألهما عنه وأغلظ لهما ، فحلف له يحيى أنْه لا ينام حى يأتيه به ، أو يدقّ عليه باب داره حتى يعلم أنْه جاءه به ، فلمّا خرجا قال له الحسين :

---

(١) هو الحسين بن على بن الحسن المثلث بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن على ابن أبى طالب هذا والمخطوطات والكامل جـ٦ ص٦٠ تذكرة : الحسين بن على بن الحسن بن الحسن بن على أبى طالب وهذا خطأ وذكره الطبرى صحيحا جـ١١ ص٥٥١

سبحان الله ! ما دعاك إلى هذا ؟ ومن أين تجد حسنا ؟ حلفتَ له بشيء لا تقدر عليه ، فقال : والله لا نمتُ حتى أضرب عليه باب داره بالسيف، فقال له الحسين : إنّ هذا ينقض ما كان بيننا وبين أصحابنا من الميعاد ، وكانوا قد تواعدوا على أن يظهروا بمنى أو[1] بمكة فى الموسم ، فقال يحي : قد كان ذلك فانطلقا ، وعملا فى ذلك من ليلتهم ، وخرجوا آخر الليل ، وجاء يحي حتى ضرب على العُمَرى باب داره فلم يجده ، وجاءوا فاقتحموا المسجد بعد الصبح ، فلما صلّى الحسين الصبح أتاه الناس فبايعوه : على كتاب الله وسنّة نبيّه صلى الله عليه وسلم ، للمرتضى من آل محمد ، وجاء خالد البربرى[2] فى مائتين من الجند ، وجاء العمرى ووزير بن إسحاق الأزرق ومحمد بن واقد الشرّوى ومعهم ناس كثير ، فدنا خالد منهم فقام إليه يحي وإدريس ابنا عبد الله بن حسن ، فضربه يحي على أنفه فقطعه ، ودار له إدريس من خلفه فضربه فصرعه ثم قتلاه ، وانهزم أصحابه ودخل العمرى فى المسوّدة ، فحمل عليهم أصحاب الحسين فهزموهم من المسجد ، وانتهبوا بيت المال وكان فيه بضعة عشر ألف دينار ، وقيل سبعون ألفا ، وتفرّق الناس وأغلق أهل المدينة أبوابهم ، فلما كان الغد اجتمع عليهم شيعة بنى العباس فقاتلوهم ، وفشت الجراحات فى الفريقين ، واقتتلوا إلى الظهر ثم افترقوا ، ثم إن مباركا التركى أتى شيعة بنى العباس من الغد – وكان قدم حاجا – فقاتل معهم فاقتتلوا أشد قتال إلى منتصف النهار، ثم تفرّقوا ورجع أصحاب الحسين إلى المسجد،

---

(١) فى الكامل حـ ٦ ص ٦١ : و بمكة ويؤيد المخطوطات الطبرى حـ ١١ ص ٥٥٣

(٢) فى الكامل حـ ٦ ص ٦١ : خالد البزيدى والتصويب عن الطبرى حـ ١١ ص ٥٥٤

وواعد مبارك الناس الرواح إلى القتال ، فلمّا غفلوا عنه ركب رواحله وانطلق ، وراح الناس فلم يجدوه ، فقاتلوا شيئا من قتال إلى المغرب ثم تفرّقوا ، وقيل إن مباركا أرسل إلى الحسين يقول له : والله لئن أسقط من السماء فيتخطفنى الطير أيسر علىّ من أن تشوكك شوكة ، أو تُقطع من رأسك شعرة ، ولكن لابدّ من الإعذار ، فبيّتنى فإنى منهزم عنك ، فوجّه إليه حسين أو خرج إليه فى نفر ، فلما دنوا من عسكره صاحوا وكبّروا ، فانهزم هو وأصحابه ، وأقام الحسين وأصحابه أياما يتجهّزون ، فكان مقامهم بالمدينة أحد عشر يوما ، ثم خرجوا لست بقين من ذى القعدة ، فلما خرجوا عاد الناس إلى المسجد ، فوجدوا فيه الطعام الذى كانوا يأكلون وآثارهم ، فدعوا عليهم .

ولما فارق الحسين المدينة قال : يا أهل المدينة ، لا خلف الله عليكم بخير ، فقالوا : بل أنت ، لا خلف الله عليك بخير ، ولا ردّك إلينا ، وكان أصحابه يُحْدِثون فى المسجد ، فغسله أهل المدينة . قال : ولما أتى الحسين مكة فنودى : أيما عبدٍ أتانا فهو حرّ ، فأتاه العبيد ، فانتهى الخبر إلى الهادى ؛ وكان قد حجّ تلك السنة رجال من أهل بيته ، منهم سليمان بن المنصور ، ومحمد بن سليمان بن على ، والعباس ابن محمد بن على ، وموسى وإسماعيل ابنا عيسى بن موسى ، فكتب الهادي إلى محمد بن سليمان بتوليته على الحرب ؛ وكان قد سار من البصرة بجماعة وسلاح لخوف الطريق ، فاجتمعوا بذى طوى ، وكانوا قد أحرموا بعُمرة ، فلما قدموا مكة طافوا وسعوا وحلّوا من العمرة ، وعسكروا بذى طوى وانضمّ إليهم من حجّ من شيعتهم ومواليهم وقوّادهم ، والتقوا واقتتلوا يوم التروية ، فانهزم أصحاب الحسين ،

وقُتل منهم وجرح ، وانصرف [١] محمد بن سليمان ومن معه إلى مكة ، ولا يعلمون حال الحسين [١] ، فلما بلغوا ذا طوى لحقهم رجل من أهل خراسان يقول : البشرى ، البشرى ؛ هذا رأس الحسين فأخرجه وبجبهته ضربة طولا ، وعلى قفاه ضربة أخرى ، وكانوا قد نادوا الأمان ، فجاء الحسن بن محمد بن عبد الله أبو الزفت فوقف خلف محمد بن سليمان والعباس بن محمد ، فأخذه موسى بن عيسى وعبد الله ابن العباس فقتلاه ، فغضب محمد بن سليمان غضبا شديدا ، وأخذ رؤوس القتلى فكانت مائة رأس ونيّفا ، وفيها رأس سليمان بن عبد الله ابن حسن بن حسن بن على ، وأخذت [٢] أخت الحسين فتُركت عند زينب بنت سليمان ، واختلط المنهزمون بالحاج ، وأتى الهادى بستة أسرى ، فقتل بعضهم واستبقى بعضهم ، وغضب على موسى ابن عيسى كيف قتل الحسن بن محمد ، وقبض أمواله فلم تزل بيده حتى مات ، وغضب على مبارك التركى ، وأخذ ماله وجعله سائس الدوابّ ، فبقى كذلك حتى مات الهادى ، وأفلت من المنهزمين إدريس ابن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على [٢] ، فأتى مصر وعلى بريدها واضح ، مولى صالح بن المنصور ، وكان شيعيا فحمله على البريد إلى أرض المغرب ، فوقع بأرض طَنْجَة بمدينة وَلِيلَة ، فاستجاب له من بها من البربر ، فضرب الهادى عنق واضح وصلبه ، وقيل إن

---

(١) هذه العبارة ساقطة من المصدر المرموز له بحرف ك ، وربما كانت هذه العبارة بالأصل المصور ولم تظهر بالتصوير ، ذلك لأن الناسخ وضع إشارة سقط وكتب الساقط فى الهامش ومن ثم لم تظهر .

(٢) هذه العبارات ساقطة من ك .

الرشيد هو الذى قتله ، وأن الرشيد دسّ إلى إدريس الشمّاخ اليمامىّ ، مولى المهدى ، فأتاه وأظهر أنه من شيعتهم وعظّمه وآثره على نفسه ، فمال إليه إدريس وأنزله عنده ، ثم إن إدريس شكا إليه مرضا فى أسنانه ، فوصف له دواء وجعل فيه سما ، وأمره أن يستنّ [١] به عند طلوع الفجر فأخذه منه ، وهرب الشمّاخ ثم استعمل إدريس الدواء فمات منه ، فولىّ الرشيد الشمّاخ بريد مصر . قال : ولما مات إدريس ابن عبد الله خلف مكانه ابنه إدريس بن إدريس ، وأعقب بها وملكوها ، ونازعوا بنى أميّة فى إمارة الأندلس ، وقد تقدم ذكر ذلك فى أخبار الأندلس فلا فائدة فى إعادته . قال : وحملت الرؤوس إلى الهادى ، فلمّا وُضع رأس الحسين بين يديه قال : كأنكم قد جئتم برأس طاغوت من الطواغيت ! ! إنّ أقلّ ما أجزيكم أن أحرمكم جوائزكم ، فلم يعطهم شيئا .

قال : وكان الحسين شجاعا كريما ، قدم على المهدى فأعطاه أربعين ألف دينار ، ففرّقها فى الناس ببغداد والكوفة ، وخرج من الكوفة لا يملك ما يلبسه ، إلا وبرا [٢] ليس تحته قميص ، وهذا غاية فى الجود ونهاية فى الكرم والإيثار ، رحمه الله تعالى وغفر له .

---

(١) فى ك : يشر به ويزيد ١ ، ت الكامل حـ٦ ص ٦٣

(٢) فى الكامل حـ٦ ص ٦٤ والطبرى حـ١١ ص ٥٦٣ : فروا .

ذكر ظهور يحيى بن عبد الله بن الحسن [(١)] ابن الحسن بن على بن أبى طالب

كان ظهوره فى خلافة الرشيد بن المهدى فى سنة ست وسبعين ومائة ببلاد الديلم ، واشتدت شوكته وكثرت جموعه ، وأتاه الناس من الأمصار ، فاغتمّ الرشيد لذلك ، فندب إليه الفضل بن يحيي بن خالد البرمكى فى خمسين ألفا ، وولّاه جرجان [(٢)] وطبرستان والرى وغيرها وحمل معه الأموال ، فكاتب يحيى بن عبد الله ولطف به وحذّره ، وأشار عليه وبسط أمله ، ونزل الفضل بالطالقان [(٣)] ، بمكان يقال له أَشَب ، ووالى كتبه إلى يحيى ، وكاتب صاحب الديلم وبذل له ألف ألف درهم ، على أن يسهّل له خروج يحيى بن عبد الله ، فأجاب يحيى إلى الصلح على أن يكتب له الرشيد أمانا بخطّه ، يشهد عليه فيه القضاة والفقهاء وجلة بنى هاشم ومشايخهم ؛ منهم عبد الصمد بن على ، فأجابه الرشيد إلى ذلك ، وسرّ به وعظمت منزلة الفضل عنده ، وسيرّ الأمان مع هدايا وتحف ، فقدم يحيى مع الفضل بغداد ، فلقيه الرشيد بكل ما أحبّ وأمر له بمال كثير ، ثم حبسه الرشيد بعد ذلك فمات فى

(١) فى ك : يحى بن عبد الله بن الحسين بن الحسن بن على بن أبى طالب ويؤيد ا ، ت الكامل حـ٦ ص٨٥ والطبرى حـ١١ ص٦١٢ ومقاتل الطالبيين (القاهرة ١٩٤٩) ص ٦٣

(٢) فى المخطوطات : خراساذ وبالرجوع إلى الطبرى حـ١١ ص ٦١٣ نجده يقول (فندب إليه الفضل بن يحيى فى خمسين ألف رجل ... وولاه كور الجبال والرى وجرجان وطبرستان وقومس ودنباوند والرويان) وابن الاثير فى الكامل حـ٦ ص ٨٥ يقول (... وولاه جرجان وطبرستان والرى وغيرها) وواضح أن النويرى ينقل عن الكامل هنا وفيما سبق ومن ثم فان الخطأ فى النقل .

(٣) طالقان الرى (راجع للطبرى حـ١١ ص ٦١٣)

حبسه ؛ وكان الرشيد قد عرض كتاب أمان يحيى على محمد بن الحسن الفقيه وعلى أبى البخترى القاضى ، فقال محمد : الأمان صحيح ، فحاجّه الرشيد ، فقال محمد : وما يصنع بالأمان ؟ لو كان محارباً ثم ولّى كان آمنا ، وقال أبو البخترى : هذا أمان منتقض من وجه كذا ، فمزقه الرشيد ، وقد ذكرنا خبر يحيى فى حبسه فيما تقدّم من كتابنا هذا ، عند ذكرنا لأخبار القبض على البرامكة فى أيام الرشيد ، وأن الرشيد كان قد حبسه عند جعفر ، فأطلقه جعفر بغير أمر الرشيد ، وقيل بل أخبره بوفاته ، ثم نقله إلى خراسان وأودعه عند أميرها على ابن عيسى بن ماهان ، وأوصاه به أن يكون عنده موسعا عليه واستكتمه أمره ، فكتب علىّ بذلك إلى الرشيد ، فكان ذلك سبب زوال نعمة البرامكة ، وقد تقدّم ذكر هذه القصّة هناك مبسوطة ، ولا فائدة فى تكرار ذلك واعادته ، فلنذكر خلافه من أخبار من ظهر من الطالبيين .

ذكر ظهور محمد بن ابراهيم بن اسماعيل بن ابراهيم ابن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب (١) رضى الله عنه وهو المعروف بابن طباطبا

كان ظهوره بالكوفة لعشر خلون من جمادى الآخرة سنة تسع وتسعين ومائة ، فى خلافة عبد الله المأمون بن الرشيد هارون ، وخرج يدعو إلى الرضا من آل محمد صلَى الله عليه وسلَم ، والعمل بكتاب الله عزّ وجلَ وسنة رسوله صلَى الله عليه وسلم، وكان القيمّ بأمره فى الحرب أبو السرايا السرى بن منصور ، وهو من ولد هانىء بن قبيصة ابن هانىء بن مسعود الشيبانى ، فلما اشتد أمر محمد أراد أن يستقل بالأمر دون أبى السرايا ، فسقاه أبو السرايا سما فمات ، فى مستهّل شهر رجب من السنة المذكورة ، وقد ذكرنا خبره مبيّنا فى أخبار المأمون ابن الرشيد . ولما مات محمد بن إبراهيم نصب أبو السرايا مكانه غلاما أمرد يقال له :

محمد بن محمد بن زيد بن على بن الحسين بن على (٢)

وصار الحكم لأبى السرايا ، واستعمل العمّال على البصرة والأهواز وفارس ومكة واليمن ، وانتشر الطالبيون فى البلاد وقوى أمرهم ، إلى أن قتل أبو السرايا وذلك فى المحرم سنة مائتين ، فاستعيدت البلاد من الطالبيين على ما قدّمناه فى أخبار أبى السرايا فى خلافة المأمون .

(١) فى ك والكامل ج٦ ص ٢١١ ، ص٢١٢ : محمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم ابن الحسن بن الحسين بن على بن أبى طالب والتصويب عن ا، ت ويؤيدها الطبرى ج١٢ ص ٩٧٦

(٢) سابقه من فرع الحسن وهو من فرع الحسين .

ذكر ظهور ابراهيم بن موسى بن جعفر بن محمد ابن على بن الحسين[١] بن على بن أبى طالب وماكان من أمره

كان ظهوره بمكة فى سنة مائتين فى خلافة المأمون ، وكان أبو السرايا قد ولّاه اليمن ، فأتاه الخبر بمقتل أبى السرايا وهو بمكة ، فسار إلى اليمن وبها إسحاق بن موسى بن عيسى عاملا للمأمون ، فلمّا بلغه قرب إبراهيم من صنعاء سار نحو مكة ، واستولى إبراهم على اليمن ، وكان يسمى الجزّار لكثرة من قتل باليمن ، وسبي وأخذ الأموال ، ولم يتمّ أمره ولا أمر غيره ممّن كان أبو السرايا استعملهم ، وقد[٢] ذكرنا خبر الحسين بن الحسن الأفطس ومحمد بن جعفر وما كان من أمرهما بمكة فى أخبار المأمون ، ولا فائدة فى اعادته[٢] ، وقد ذكرنا أيضا خبر محمد بن القاسم بن عمر بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب وخروجه بالطالقان ، وما كان من أمره فى أخبار المعتصم بالله بن الرشيد فى سنة تسع عشرة ومائتين .

---

(١) فى ت الحسن ويؤيدها ك ، ا الطبرى ح ١٢ ص ٩٨٧

(٢) هذه الملاحظة ساقطة من ت

ذكر ظهور يحيى بن عمر بن يحيى بن حسين [١]
ابن زيد بن على بن الحسين بن على
ابن أبى طالب وهو المكنى بأبى الحسين

وكان ظهوره بالكوفة فى سنة خمسين ومائتين فى خلافة المستعين بالله ، وسبب ظهوره أنه نالته ضائقة ، ولزمه دين ضاق به ذرعا ، فلقى عمر بن فرج وهو يتولى أمر الطالبيين ، فكلّمه فى صلته فأغلظ له عمر ، وحبسه فلم يزل محبوسا حتى كفله أهله ، فأطلق وسار إلى بغداد ، فأقام بها سنة ثم رجع إلى سامرّا ، فلقى وصيفا فكلّمه فى رزق يجريه له ، فأغلظ له وصيف وقال : لأى [٢] شىء يُجرى على مثلك ؟ فانصرف إلى الكوفة وبها أيوب بن الحسن بن موسى بن جعفر بن سليمان الهاشمى ، عامل محمد بن عبد الله بن طاهر ، فجمع أبوالحسين جمعا كثيرا من الأعراب وأهل الكوفة ، وأتى الفَلُّوجَة فكتب صاحب البريد بخبره إلى محمد بن عبد الله ، فكتب محمد بن عبد الله إلى أيوب [٣] وعبد الله بن محمود السرخسى ، عامله على معاون السواد ، يأمرهما بالاجتماع على حرب يحيى . قال : ومضى يحيى بن عمر إلى بيت مال الكوفة فأخذ ما كان فيه ، وهو ألفا دينار وسبعون ألف درهم ، وأظهر أمره بالكوفة وفتح السجون وأخرج من فيها ،

---

(١) فى ا ، ت : حسن والتصويب عن ك يؤيده الكامل حـ٧ ص٨٢ و الطبرى حـ٣ص١٥١٥

(٢) فى المخطوطات : لا والتصويب عن الكامل حـ٧ ص ٨٢ والطبرى حـ١٣ ص١٥١٦

(٣) فى المخطوطات : أبى أيوب والتصويب عن الكامل حـ٧ص٨٣ ويؤيده الطبرى حـ١٣ص ١٥١٧ إذ يذكره : أيوب بن الحسن .

وأخرج العمّال عن الكوفة ، فلقيه عبدالله بن محمود السرخسى فيمن معه ، فضربه يحي على وجهه ضربة أثخنه بها ، فانهزم عبد الله ، وأخذ أصحاب يحي ما كان معهم من الدوابّ والمال ، وخرج يحي إلى سواد الكوفة ، وتبعه جماعة من الزيدية وغيرهم إلى ظهر واسط ، وأقام بالبستان فكثر جمعه ، فوجّه محمد بن عبد الله إلى محاربته الحسين(١) بن إسماعيل بن إبراهم بن الحسين بن مصعب فى جمع من أهل النجدة والقوّة ، فسار إليه ونزل فى مقابلته ولم يقدم عليه ، وسار يحى والحسين فى أثره حتى نزل الكوفة ، ولقيه عبد الرحمن بن الخطاب المعروف بوجه الفَلْس قبل دخولها ، فقاتلة فانهزم عبد الرحمن إلى ناحية شاهى فوافاه الحسين بها ، واجتمعت الزيدية إلى يحي بن عمر ، ودعا بالكوفة إلى الرضا من آل محمد صلى الله عليه وسلم ، واجتمع الناس إليه ، وتولّاه العامّة من أهل بغداد ، ولا يُعلم أنَهم تولوا أحدا من أهل بيته سواه ، وبايعه جماعة من أهل الكوفة ممّن له تدبير وبصيرة فى تشيعهم ، ودخل فيهم أخلاط لا ديانة لهم ، وأقام الحسين بشاهى فأراح واستراح ، واتصلت به الأمداد ، ويحي بالكوفة يعدّ الرجال ويصلح السلاح ، فأشار عليه جماعة من الزيدية ممّن لا علم لهم بالحرب بمعاجلَه الحسين بن إسماعيل ، وألحّوا عليه فزحف إليه فى ليلة الإثنين لثلاث عشره ليلة خلت من شهر رجب من السنة ، ومعهم الهيضم العجلى وغيره ، ورجاله من أهل الكوفة ليس لهم علم بالحرب

(١) فى المخطوطات : الحسين بن إبراهم بن الحسين بن مصعب والتصويب عن الكامل حـ٧ ص٨٣ وذكرت المخطوطات الاسم صحيحاً بعد ذلك وذكره الطبرى حـ١٣ ص ١٥١٨ : الحسن بن إسماعيل ابن إبراهم بن مصعب .

ولا شجاعة ، وأسروا ليلتهم وصبّحوا حسينا وهومستريح، فثاروا بهم فى الغلس ، فركب أصحاب الحسين وحملوا عليهم فانهزموا ، ووضعوا فيهم السيف وأسَروا منهم ، فكان أوّل من أسر الهيضم العجلى ، وانكشف العسكر عن يحيى وعليه جوشن، وقد تقطَّر[1] به فرسه ، فوقف عليه ابن لخالد بن عمران يقال له خير[2] ، فلم يعرفه وظنَّه من أهل خراسان لما رأى عليه الجوشن، فأمر رجلا فنزل إليه وأخذ رأسه ، فعرفه رجل وسيّر الرأس إلى محمد بن عبد الله بن طاهر ، وادعى قتله غير واحد ، فبعث محمد الرأس إلى المستعين ، فنصب بسامرّا ثم حطَّ وسيّر إلى بغداد لينصب بها ، فلم يقدر محمد بن طاهر على ذلك لكثرة من اجتمع من الناس ، فلم ينصبه وخاف أن يأخذوه ، فجعله فى صندوق فى بيت السلاح ، ووجّه الحسين بن إسماعيل رؤوس من قتل ومن أسر إلى بغداد فحبسوا بها ، وكتب محمد بن عبدالله فيهم فأمر بتخليتهم ودفن الرؤوس .

قال : ولما ورد الخبر بقتل يحيى على محمد بن عبد الله جلس ليهنَأ بذلك ، فدخل عليه داود بن الهيثم الجعفري فقال : أيها الأمير ، إنَك لتهنَأ بقتل رجل لو كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حياً لعُزّى به ، فما ردّ محمد عليه شيئا ، وأكثر الشعراء المراثى فى يحيى ، لما كان عليه من حسن السيرة والديانة ، فمن ذلك قول بعضهم :

بكت الخيل شجوها بعد يحيى ... وبكاه المهنّد المصقول

(١) تقطر به فرسه : ألقاه على قطره أى أحد جانبيه .

(٢) فى ك : حسن ، وفى ا ، ت : حرا والتصويب عن الكامل ح ٧ ص ٨٤ والطبرى ح ١٢ ص ١٥٠ .

وبكته العراق شرقا وغربـــــا وبكـــاه الكتاب والتنزيــــــل
والمصلّى والبيت والركن والحِجْـــــر جميعا له عليــه عـــويل
كيف لم تسقط السماء علينـــا يوم قالوا أبو الحسين قتيــل
وبنات النبيّ يندبــن شجــوا موجعــات دموعهــنّ همــول
قطِّعت وجهه سيوف الأعــادى بأَبِى وجهه الوسيم الجميــــل
إنّ يحيى أبقى بقلـبى غليــلا سوف يودى بالجسم ذاك الغليل
قتله مُذكــر لقتـــل علــىّ وحسين ويوم أَو ذِى الرسول
صلوات الإلــه[1] وقفا عليهم ما بكى موجَع وحـنّ ثكــول

ذكر ظهور الحسين بن محمد

وفى سنة إحدى وخمسين ومائتين فى زمن الخلاف الذى وقع بين المستعين والمعتز ، ظهر بالكوفة رجل من الطالبيين ، اسمه الحسين ابن محمد[2] بن حمزة بن عبد الله بن حسين بن على بن الحسين ابن على بن أبى طالب ، واستخلف بها محمد بن جعفر العلوي ، فوجّه إليه المستعين مُزَاحم بن خَاقَان ، وكان العلوىّ بسواد الكوفة فى جماعة من بنى أسد ومن الزيدية ، وأجلى عنها عامل الخليفة ، وهو أحمد بن نصر[3] بن حمزة بن مالك الخزاعى إلى قصر ابن هبيرة ، فاجتمع

(١) فى المخطوطات : الرسول وهذا الشعر منقول عن الكامل حـ٧ ص ٨٤ ، ص ٨٥ والتصويب عنه ، وهذا الشعر لم يرد فى تاريخ الطبرى الذى هو مرجع ابن الأثير فيما نقل فى كامله .

(٢) فى الكامل حـ٧ ص ١١٠ : أحمد ويؤيد المخطوطات الطبرى حـ١٣ ص ١٦١٧

(٣) فى الكامل حـ٧ ص ١١٠ : نصير ويؤيد المخطوطات الطبرى حـ١٣ ص ١٦١٧

وهشام بن أبي دُلَف العِجْلي فسارا إلى الكوفة ، فحمل أهل الكوفة العلوية على قتالهما ووعدوهم النصرة ، فقاتلهم مُزاحِم وكان قد سيّر قائدا مع جماعة ، فأتى الكوفة من الجهة الأخرى ، فأطبقوا عليهم فلم يفلت منهم أحد ، ودخل الكوفة فرماه أهلها بالحجارة فأحرقها بالنار ، وأحرق منها سبعة أسواق حتى خرجت النار إلى السبيع ، ثم هجم على الدار التى فيها العلوي ، فهرب وأقام مزاحم بالكوفة .

ذكر خبر اسماعيل بن يوسف بن ابراهيم ابن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على

كان ظهوره بمكة فى سنة إحدى وخمسين ومائتين ، ولما ظهر هرب عاملها ، وانتهب إسماعيل داره ومنازل أصحاب السلطان ، وقتل الجند وجماعة من أهل مكة ، وأخذ ما فى الكعبة وخزائنها من الذهب والفضة وغير ذلك ، وأخذ كسوة الكعبة ، وأخذ من الناس نحوا من مائتى ألف دينار ، وخرج منها بعد أن نهبها وأحرق بعضها فى شهر ربيع الأوّل ، بعد أن أقام بها خمسين يوما ، وصار إلى المدينة فتوارى عاملها ، ثم رجع إلى مكة فى شهر رجب ، فحصرهم حتى غلتِ الأسعار ، ولقى أهل مكة منه كل بلاء ، ثم سار إلى جُدّة بعد مقامه سبعة وخمسين يوما ، فحبس عن الناس الطعام ، وأخذ أموال التجار وأصحاب المراكب ، ثم وافى عرفة وبها محمد بن عيسى [1] الملقب كعب البقر ، وعيسى بن

(١) هو محمد بن أحمد بن عيسى بن المنصور راجع الطبرى جـ١٣ ص ١٦٤٥ والكامل جـ٧ ص ١١١ .

محمد المخزومى كان المعتز قد وجّههما إليها ، فقاتلهما إسماعيل ، وقُتل من الحاج نحو ألف ومائة انسان ، وسلب الناس فهرّبوا إلى مكة ، ولم يقفوا بعرفة ليلا ولا نهارا ، ووقف إسماعيل وأصحابه ، ثم رجع إلى جُدّة فجبى (١) أموالها .

ذكر ظهور على بن زيد العلوى بالكوفة وخروجه عنها

كان ظهوره فى سنة ست وخمسين ومائتين واستولى على الكوفة ، وأزال عنها نائب الخليفة المعتمد على الله واستقرّ بها ، فسيرّ إليه المعتمد الشاه بن ميكال فى جيش كثيف ، فالتقوا واقتتلوا فانهزمت جيوش المعتمد ، وقتل جماعة منهم ، فسيرّ لمحاربته كنجور (٢) التركى ، وأمره (٣) أن يدعوه إلى الطاعة ويبذل له الأمان ، ففعل ذلك فطلب علىّ أمورا لم يجبه كنجور (٣) إليها ، فخرج علىّ عن الكوفة إلى القادسية فعسكر بها ، ودخل كنجور الكوفة فى ثالث شوال من السنة ، ومضى على بن زيد إلى خَفّان ، ثم دخل البرّ إلى بلاد بنى أسد وكان قد صاهرهم ، فأقام هناك ثم فارقهم وصار إلى جهة (٤) : فبلغ كنجور خبره فسار إليه من الكوفة فى سلخ ذى الحجة ، فواقعة فانهزم علىّ وقتل نفر من أصحابه ، ولم يزل علىّ بن زيد إلى سنة ستين فقتله صاحب الزنج . فلنذكر أخبار دولتهم بطبرستان .

(١) هكذا فى المخطوطات وموضع هذه الكلمة فى الكامل حـ٧ ص ١١١ وفى تاريخ الطبرى حـ١٣ ص ١٦٤٥ : فأفنى

(٢) فى الكامل جـ٧ ص ١٦٥ : كيجور ويؤيد المخطوطات الطبرى جـ ١٣ أحداث سنة ٢٥٥ هـ ، سنه ٢٥٦ هـ .

(٣) هذه العبارة ساقطة من ت .

(٤) لم تذكر المخطوطات اسم الجهة، وذكرت فى الكامل حـ٧ ص ١٦٦ : جنبلاء .

ذكر اخبار الدولة العلويه بطبرستان

الداعي الى الحق الحسن بن زيد

كان ظهور هذه الدولة فى سنة خمسين ومائتين فى خلافة المستعين بالله ، وأول من ظهر منهم الداعى إلى الحق : الحسن بن زيد بن محمد ابن إسماعيل بن الحسن بن زيد بن الحسن بن على بن أبى طالب (١) رضى الله عنهما ، وكان سبب ظهوره أنّ محمد بن عبد الله بن طاهر لما ظفر بيحيي بن عمر أقطعه المستعين بالله من صوافى السلطان بطبرستان ، قطائع منها قطيعة بقرب ثغر الديلم ،وهى كَلّار وسَالُوس ؛ وكان بجوارها أرض يحتطب منها أهل تلك الناحية ، وترعى فيها مواشيهم ليس لأحد عليها مِلْك ، إنما هى موتان ، وهى ذات عيون وأشجار وكلأ ، فوجّه محمد بن عبد الله نائبه لحيازة ما أقطع ، وهو جابر بن هارون النصرانى ، وكان عامل طبرستان يومئذ سليمان بن عبد الله بن طاهر ، خليفة عن محمد بن طاهر ، وكان الغالب على أمر سليمان ، محمد بن أَوْس البلخى ، وقد فرّق محمد بن أوس هذا أولاده فى مدن طبرستان ، وهم أحداث سفهاء فتأذّى بهم الرعيّة ، وشكوا سوء سيرتهم وسيرة أبيهم وسيرة سليمان ، ثم دخل محمد بن أوس بلاد الديلم ، وهم مسالمون لأهل طبرستان ، فسبى منهم وقتل ، وساء ذلك أهل طبرستان ، ولما قدم جابر بن هارون لحيازة ما أقطع لمحمد

(١) فى المخطوطات : الحسن بن زيدبن محمد ين إسماعيلبن الحسن بن زيد الجواد بن الحسن ابن الحسن بن على بنأبى طالب و فى الكامل حـ٧ ص٨٥ : الحسن بن زيد بن محمد بن اسماعيل بن زيد بن الحسن بن الحسين بن على بن أبى طالب والتصويب عن الطبرى حـ ١٣ ص ١٥٢٣ وراجع اعيان الشيعة جـ٢١ ص ٣٢٤ .

ابن عبد الله عَدَا على تلك الأرض المباحة ، فحازها إلى كَلَا روسالوس ، وكان فى تلك الناحية أخوان لهما بأس ونجدة ، مذكوران ببذل الطعام وشلة الطعان ، يقال لأحدهما محمد والآخر جعفر ابنا رستم ، فأنكرا ما فعل جابر من حيازة المَوَات ، وكانا مطاعين (١) فى تلك الناحية ، فاستنهضا من أطاعهما لمنع جابر من حيازة ذلك الموات ، فخافهما جابر وهرب منهما ولحق بسليمان بن عبد الله ، وخاف محمد وجعفر ومن معهما من عامل طبرستان ، فراسلوا من جاورهم من الديلم يذكرونهم العهد الذى بينهم ويعتذرون ممّا فعله محمد بن أوس بهم من السبى والقتل ، واتفقوا على المعاونة على حرب سليمان بن عبد الله وغيره ، ثم أرسل ابنا رستم إلى رجل من الطالبيين — اسمه محمد بن إبراهيم — كان بطبرستان ، يدعونه إلى البيعة له فامتنع من ذلك ، وقال : ولكنى أدلكم على رجل منّا ، هو أقوم بهذا الأمر منى ، فدلّهم على الحسن بن زيد وهو إذ ذاك بالرىّ ، فوجّهوا إليه برسالة محمد بن إبراهيم يدعونه إلى طبرستان ، فشخص إليها وقد اجتمعت كلمة الديلم وأهل كلاروسالوس على بيعته ، فبايعوه وطردوا عمّال ابن أوس عنهم ، فلحقوا بسليمان .

وانضم إلى الحسن بن زيد أيضا أهل جبال طبرستان ، فتقدم الحسن ومن معه نحو مدينة آمُل طبرستان . وهى أقرب المدن إليهم . وأقبل ابن أوس من سارية لدفعهم عنها . والتقوا واقتتلوا قتالا شديدا . فتوجه الحسن بن زيد فى جماعة إلى آمُل فدخلها ، فلما سمع ابن أوس

(١) هنا سقط من ك وما هو جدير بالذكر أن السقط فى ك كثير ويذكر منه على سبيل المثال

الخبر - وهو مشغول بحرب أصحاب الحسن-لم تكن له همّة إلا النجاة بنفسه ، فهرب ولحق بسليمان إلى سارية ، واستولى الحسن على آمل ، وكثر جمعه وأتاه كل طالب نهب وفتنة . فأقام بآمل أياما ثم سار نحو سارية لحرب سليمان بن عبد الله ، فالتقوا خارج مدينة سارية ، ونشبت الحرب بينهم ، فسار بعض قوّاد الحسن نحو سارية فدخلها ، فلما سمع سليمان الخبر انهزم هو ومن معه ، وترك أهله وعياله وأثقاله بها ، واستولى الحسن وأصحابه على جميع ذلك ، وسيّر إليه أولاده وأهله فى مركب إلى جرجان ، وقيل إنّ سليمان إنّما انهزم اختيارا ، لأنّ الطاهريّة كلها كانت تتشيع ، فلما أقبل الحسن نحو طبرستان تأثّم [1] سليمان من قتاله لشدة تشيعه ، وقال :

نبّئت خيل ابن زيد أقبلت حينا ... تريدنا لِتُحَسّينَا الأَمَرِّينـــا

يا قوم إن كانت الأنباء صادقة ... فالويل لى ولجمع الطاهريّينـــا

أما أنا فإذا اصطفّت كتائبهم ... أكون من بينهم رأس المولّينـــا

والعذر عند رسول الله منبسط ... إذا احتسبت دماء الفاطميّينـــا

فلما التقوا انهزم سليمان ، قال [2] : ولما اجتمعت طبرستان للحسن بن زيد وجّه إلى الريّ جندا مع رجل من أهله ، يقال له الحسن بن زيد أيضا ، فملكها وطرد عامل الطاهرية عنها ، واستخلف بها رجلا من العلويين يقال له محمد بن جعفر ، وانصرف عنها .

قال : وورد خبر الحسن على المستعين بالله ، ومُدبّر أمره يومئذ

(١) فى المخطوطات : تأفف وفى الكامل حـ٧ ص ٨٧ : يأثم .

(٢) مصدر المؤلف الكامل لابن الأثير راجع حـ٧ ص ٨٧ ومابعدها .

وصيف ، وكاتبه أحمد بن صالح ، فوجّه إسماعيل بن فراشة فى جند إلى همذان ، وأمره بالمقام بها ليمنع خيل الحسن بن زيد عنها ، وما عدا همذان فأمره إلى محمد بن طاهر .

قال : ولما استقرّ محمد بن جعفر الطالبى بالرىّ ، ظهر منه أمور كرهها أهل الرىّ ، ووجّه محمد بن طاهر بن عبد الله بن طاهر قائدا يقال له ابن ميكال ، فى جمع من الجند إلى الرىّ ، فالتقى هو ومحمد ابن جعفر الطالبى خارج الرىّ ، فأسر محمد وانهزم جيشه ، ودخل ابن ميكال إلى الرىّ وأقام بها ، فوجّه إليه الحسن بن زيد عسكرا ، مع قائد من قوّاده يقال له واجن ، فالتقوا واقتتلوا فانهزم ابن ميكال واعتصم بالرىّ ، فاتبعه واجن وأصحابه حتّى قتلوه ، وصارت الرىّ فى يد أصحاب الحسن بن زيد .

ثم ظهر بالرى فى سنة خمسين ومائتين ايضا

أحمد بن عيسى بن على بن حسين (الصغير) بن على بن حسين ابن (١) على بن أبى طالب رضى الله عنه ، وإدريس بن موسى بن عبد الله بن موسى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على (٢) [بن أبى طالب] ، فصلّى أحمد بن عيسى بأهل الرىّ صلاة العيد ، ودعا إلى الرضا من آل محمد ، فحاربه محمد بن على بن طاهر ، فانهزم ابن طاهر وصار إلى قزوين .

(١) فى المخطوطات : أحمد بن عيسى بن حسين بن حسين بن على بن أبى طالب وفى الكامل جـ٧ ص ٨٨ هو : أحمد بن عيسى بن حسين بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب والتصويب عن الطبرى جـ١٣ ص ١٥٣٢ .

(٢) فى المخطوطات : ادريس بن موسى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على والتصويب عن الكامل جـ٧ ص ٨٨ والطبرى جـ١٣ ص ١٥٣٢ ، ص ١٥٣٣ .

ثم مسك أحمد فى سنة اثنتين وخمسين ومائتين ، وسيرّ إلى نيسابور ، وكان الذى ظفر به عبد الله بن عزيز .

وفى سنة احدى وخمسين ومائتين

رجع سليمان بن عبد الله بن طاهر إلى طبرستان بجمع كثير ، ففارقها الحسن بن زيد ولحق بالديلم ، ودخلها سليمان وقصد سارية ، وأتاه أهل آمل وغيرهم ، منيبين مظهرين الندم يسألون الصفح ، فلقيهم بما أرادوا ، ونهى أصحابه عن القتل والنهب ، ثم فارقها سليمان وعاد الحسن بن زيد إليها ، فسار مفلح إليه من قبل موسى بن بغا فى سنة خمس وخمسين ومائتين ، وحاربه فانهزم الحسن ولحق بالديلم ، ودخل مفلح آمل وأحرق منازل الحسن ، وسار إلى الديلم فى طلبه ، ثم كتب إليه موسى بن بغا بالقدوم عليه إلى الرىّ ، فسار إليه ثم سار إلى سامرّا .

ذكر ملك الحسن بن زيد جرجان

وفى سنة سبع وخمسين ومائتين قصد الحسن جُرْجان واستولى عليها ، وكان محمد بن عبد الله بن طاهر أمير خراسان — لما بلغه عزم الحسن على قصد جرجان — جهّز العساكر ، وأخرج عليها الأموال الكثيرة ، وسيّرها لحفظ جرجان ، فلم يقوموا بحرب الحسن ، وظفر بهم وملك البلد وقتل كثيرا من العساكر ، وغنم هو وأصحابه ما معهم ، فضعف حينئذ محمد بن طاهر ، وانتقض عليه كثير من الأعمال التى يجبى خراجها إليه ، ولم يبق فى يده إلا بعض خراسان ، وأكثرها بيد المتغلبين كيعقوب بن الليث الصفّار وغيره .

وفيها فارق عبد العزيز بن أبي دُلَف الريّ من غير سبب يُعلم وأخلاها ، فأرسل الحسنُ بن زيد القاسمَ بن على بن القاسم العلوى ، فغلب عليها فأساء السيرة فى أهلها ، وخلع أبواب المدينة ـ وكانت من حديد ـ وسيّرها إلى الحسن ، وبقى كذلك نحو سنتين (١) .

وفى سنة تسع وخمسين ومائتين

غلب الحسن بن زيد على قومس ، ودخلها أصحابه ، وفى سنة ستين ومائتين دخل يعقوب بن الليث الصفّار طبرستان ، وانهزم الحسن إلى أرض الديلم على ما نذكره فى أخبار الدولة الصفّارية .

ذكر وفاة الحسن بن زيد وشىء من أخباره وسيرته

كانت وفاته يوم الاثنين لثلاث خلون من رجب سنه سبعين ومائتين ، فكانت مدة ولايته تسع عشرة سنة وثمانية أشهر وستة أيام ـ وقيل ـ واثنى عشر يوما ، وكان مهيبا عظيم الخلق . حكى صاحب كنوز المطالب فى بنى أبى طالب (٢) عن الصولى : أن الحسن عطس يوما عطسة ، وكان رجل يؤذن فى المنارة ففزع فسقط منها إلى الأرض فمات . قال : وكان أقوى البغال لا تحمله أكثر من فرسخين ، وكان فى آخر عمره يشق بطنه ويخرج منه الشحم ثم يخاط . وكان جوادا ممدوحا ، امتدحه رجل فأعطاه عشرة آلاف درهم ، وفيه يقول محمد بن إبراهيم الجرجانى وقد افتصد :

(١) فى الكامل حـ٧ ص ١٧٢ : ثلاث سنين .
(٢) لم أعثر على هذا الكتاب .

إنّما غيّب الطبيب شَبا (١) المِبْــضع عندي في مهجة الإسلام
سرّت الأرض حين صُبّ عليهــا دم خير الورى وأعلى الأنــام

وكان متواضعا لله عزّ وجلَ . حكى عنه أنه مدحه شاعر فقال الله فرد وابن زيد فرد ، فردّ فقال : بفيك الكثكث يا كذّاب ! ! لِمَ لا قلتَ : الله فرد وابن زيد عبد ، ثم نزل عن مكانه وخرّ ساجد الله تعالى ، وألصق خدّه بالتراب وحرم ذلك الشاعر . وكان عالما بالشعر (٢) والعربية .

فمدحه شاعر فقال :

لا تقل بشرى ولكن (٣) بُشْريان غرّة الداعى ويوم المهرجــان

فقال : كان الواجب أن تفتح الأبيات بغير لا ، لأن الشاعر المجيد يتخيرّ لأول القصيدة ، ما يعجب السامع ويتبرّك به ، ولو ابتدأت بالمصراع الثانى لكان أحسن ، فقال الشاعر : ليس فى الدنيا كلمة أجلّ من لا إله إلا الله وأوّلها لا ، فقال له الحسن : أصبت ، وأجازه . وأهدي إليه أبو العمر الطبرى سهمين فى بعض الأعياد عليهما مكتوب :

أهديت للداعى إلى الحـــق سهمى فتوح الغرب والشرق
زُجّاهما (٤) النصر وريشاهما ريشا جناحى طائر السبق
أيّد هــذا الفــأل بالصدق هما بشيرا دعوة الحــق (٥)

(١) شبا المبضع : أعلاه (راجع مادة شبو - القاموس المحيط) .
(٢) فى الكامل حـ٧ ص ٢٨٦ : بالفقة والمخطوطات أصح .
(٣) فى الكامل حـ٧ ص ٢٨٦ : وقل لى .
(٤) الزج : بالضم نصل السهم (أقرب الموارد) .
(٥) هذا البيت ساقط من ك .

فسرّه الفأل ، وأعطاه عشرة آلاف درهم . وحكى عنه أنه غنىّ عنده مُغنٍ بأبيات الفضل بن العباس بن عتبة بن أبى لهب ، التى أوّلها :

وأنا الأخضر من يعرفنى أخضر الجلدة من بيت العرب

فلما وصل إلى قوله :

برسول الله وابنى عمّه وبعبّاس بن عبد المطّلب

غيّر البيت فقال : لابعبّاس بن عبد المطّلب ، فغضب الحسن وقال : يا ابن اللخناء ، أتهجونى عمّنا بين أيدينا ، وتغيّر ما مُدحوا به ؟ ! ، إن فعلتها مرة ثانية لأجعلنّها آخر غنائك .

وكان الحسن شاعرا فمن شعره :

لم نُمْنعِ الدنيا لفضل بها ولا لأنّا لم نكن أهلها
لكن لنعطى الفوز فى جنّة ما إن رأى ذو بصر مثلها
هاجرها خير الورى جدّنا فكيف نرجو بعده وصلها

وله أشعار مستحسنة تركناها اختصاراً ، وكان كاتبه سعيد بن محمد الطبرى . قال : ولما مات قام بالأمر بعده أخوه محمد بن زيد .

ذكر أخبار محمد بن زيد

لما مات الحسن كان أخوه هذا بجرجان ، وكان فى مرضه قد أمر صهره محمد بن إبراهيم العلوي - أن يكتب إلى أخيه محمد بن زيد ليسارع بالحضور ، فينتصب فى المملكة ، فتباطأ ، فلما توفى الحسن انتصب محمد ابن إبراهيم مكانه ، وتلقّب بالقائم بالحق ، فبلغ الخبر محمد بن

زيد فسار من جرجان ، فلمّا قرب هرب محمد بن إبراهيم إلى سالوس ، فأنفد في أثره سريّة فأدرك وقتل ، ولبس محمد بن زيد القلنسوة وتلقّب بالداعي .

واستقامت له طبرستان وذلك فى بقية رجب سنة سبعين ومائتين ، ووصل إلى الرى فى جموع كثيرة ، فلما كان فى سنة إثنتين وسبعين ومائتين فى جمادي الأولى ، سار اذكوتكين – صاحب الرى – من قزوين إلى الرى ، ومعه أربعة آلاف فارس ، وكان مع محمد بن زيد من الديلم والطبرية والخراسانية عالم كثير ، فالتقوا واقتتلوا فانهزم عسكر محمد وتفرّقوا ، وقتل منهم ستة آلاف وأسر ألفان ، وغنم اذكوتكين من أموالهم وأثقالهم ودوابهم ما لم ير مثله .

قال [١] : وجلس اذكوتكين بالمصلّى ، ليضرب أعناق الأسرى بين يديه ، فمن عجيب ما اتفق أنّ ديلميا قدّم ليضرب عنقه ، فوثب على السيّاف واستلب السيف من يده ، وعلاه به فقتله ومرّ هاربا فلم يلحق ، واذكوتكين ينظر إليه ويضحك ، ودخل [٢] اذكوتكين الرىّ وأقام بها ، وأخذ من أهلها مائة ألف دينار ، وفرّق عمّاله على أعمال الرى .

---

(١) لايعتمد النويرى على ابن الأثير وحده، وإنما يعتمد على مصادر أخرى لم يصرح بها ، وهذه القصة لم يذكرها الكامل (راجع حـ٧ ص ٢٩٣) وهى مأخوذة من مصادر لم تظهر بعد ، ولقد ألفنا من النويرى حين يقول (قال) إنما يعنى ابن الأثير فى الكامل ولكنه هنا يعنى مصدر آخر .

(٢) عاد إلى النقل عن الكامل حـ٧ ص ٢٩٣

وفى سنة خمس وسبعين ومائتين

استولى رافع بن هرثمة ـ أمير خراسان ـ على جرجان ، وأزال عنها محمد بن زيد ، فسار محمد إلى استراباذ فحصره بها رافع نحو سنتين ، فغلت الأسعار بحيث إنّه عدم المأكل ، وبيع وزن درهم ملح بدرهمين فضة [(١)] ، ففارقها محمد ليلا فى نفر يسير ، فبعث رافع إليه عسكرا فتحاربا ، وسار محمد عن سارية وطبرستان فى شهر ربيع الأول سنة سبع وسبعين .

ثم سار إلى الديلم فدخل رافع خلفه ، فوصل إلى حدود قزوين ، وعاد إلى الريّ وأقام إلى سنة تسع [(٢)] وسبعين ، حتى توفى المعتمد على الله ، ودام محمد إلى أن قتل ، على ما نذكره إن شاء الله تعالى .

---

(١) هكذا فى الكامل حـ٧ ص ٣٠٣ وهو الاصح وفى المخطوطات : وابيع الملح وزن درهم بدرهمين .

(٢) فى تاريخ الطبرى حـ١٤ص ٢٢٠٠ (أحداث سنه ٢٨٧هـ) ولخمس بقين من شوال ورد الخبر على السلطان بان محمد بن زيد العلوى قتل ــ فالطبرى اذن يذكر موته سنة ٢٨٧ هـ وهو مايذكره المؤلف أيضا بعد ذلك غير موثق لأنه يصدره بقوله : وقيل . وفى أحداث سنه ٢٨٧ هـ قال المسعودى فى مروج الذهب ٨ ص ١٩٤ ، ص ١٩٥ (طبعة باريس) : ... فأسفرت الحرب وقد أثخن بالكلوم ، وأسره ولده محمد بن زيد ، وبقى محمد الداعى أياما يسيره ، وتوفى لماناله فدفن بباب جرجان وقبره هنالك معظم إلى هذه الغاية) ومن هذا يتبين أن المسعودى أيضا يروى وفاته فى سنه ٢٨٧ وكذلك ابن الاثير فى الكامل حـ٧ص٣٤٨ وعلى ذلك يتفق الطبرى وابن الاثير والمسعودى يتفقون على تاريخ موته وكذلك حمزة بن الحسن الإصفهانى فى كتابة تاريخ ملوك الأرض ص ٢١٠ ط . كلكتا

وفى كتاب مقاتل الطالبيين ص ٤٢٧ (طبعة القاهرة سنة ١٣٥٣ هـ) ... وصلى عليه محمد بن هارون ودفنه وذلك فى شهر رمضان سنة تسع وثمانين ومائتين وحمل ابنه زيد إلى جرجان وهو بها إلى هذا الوقت مقيم .

والواضح أن فى النص تحريف فتسع هى سبع والخطأ فى النشر

ذكر مقتل محمد بن زيد وشيء من أخباره

كان مقتله سنة ثمان وثمانين ومائتين [١] ، وكان سبب قتله أنه اتّصل به أنَّ إسماعيل بن أحمد الساماني – صاحب ما وراء النهر – أسر عمرو بن الليث الصفّار – أمير خراسان – فخرج من طبرستان ظناً منه أن إسماعيل الساماني لا يتجاوز عمله ولا يقصد خراسان ، وأنّه [٢] لا دافع له عن ملك خراسان ، فلما انتهى إلى جرجان أرسل إليه إسماعيل – وقد استولى على خراسان – يقول له : ألاّ يتجاوز عمله ، ولا يقصد خراسان [٢] وترك جرجان له ، فأبى محمد ذلك ، فندب إسماعيل محمد بن هارون ؛ فكان محمد هذا يخلف رافع بن هرثمة أيام ولايته خراسان ، فجمع محمد جمعاً كثيراً من فارس وراجل ، وسار نحو محمد بن زيد فالتقوا على باب جرجان ، واقتتلوا قتالا شديدا فانهزم محمد بن هارون أولا ، ثم رجع وقد تفرّقت عساكر محمد بن زيد فى الطلب ، فلما رأوه قد رجع ولّوا هاربين ، وقُتل منهم خلق كثير ، وأصاب محمد بن زيد ضربات ، وأسر ابنه زيد وغنم ابن هارون معسكره وما فيه ، ثم مات محمد بن زيد بعد أيام من الجراحات التى أصابته ، فدفن على باب جرجان .

وقيل : كانت الوقعة التى جرح فيها يوم الجمعة لخمس ليال

---

(١) انظر هامش (٢) من الصفحة السابقة .

(٢) ساقط من ب .

خلون من شوال سنة سبع وثمانين ، ومات بعد ذلك بيوم ، وكانت مدة قيامه — بعد وفاة أخيه — نحوا من ثمانية عشر سنة .

وكان أديبا شاعرا فاضلا حسن السيرة ، قال أبو عمرو الاستراباذي : كنتُ أورد على محمد بن زيد أخبار العباسيين ، فقلت له : إنّهم قد لقّبُوا أنفسهم ، فإذا ذكرتهم عندك أسميهم أو ألقّبهم ؟ فقال : الأمر موسع عليك ، سمّهم ولقّبهم بأحسن ألقابهم واسمائهم وأحبّها إليهم . قال: وحُمل ابنه زيد إلى إسماعيل بن أحمد السامانى — لمّا أسر — فأكرمه ، وكتب إليه المكتفى كتاباً فى حمله إليه فدافع عنه ، وهو القائل :

ولقد تقول عصابة ملعونة   غوغاء ما خلقت لغير جهنّم

من لم يسبّ بنى النبى محمدٍ   ويرى قتالهم فليس بمسلم

عجبا لأمّة جدّنا يجفوننا   وتجيرنا منهم رجال الديلم

ولم يزل عند آل سامان مكرّما إلى أن مات فى سنة أربع عشرة وثلاثمائة .

ولمّا مات محمد بن زيد وأسرابنه زيد [(١)] بن محمد ، قام بالأمر ابن ابنه المهدى أبو محمد الحسن بن زيد بن محمد بن زيد ، وخطب له ببلاد الديلم ، وكانت له خطوب وحروب لم نر مَنْ دوّن فيها شيئا فنورده ، ولا وقفنا على تاريخ وفاته .

---

(١) النص فى المخطوطات وهو واضح الخطأ ... ولما مات محمد بن زيد وا سر ابنه محمد قام بالأمر ...

قالوا : ثم كانت بين الحَسَنيين والحُسَينيين حروب على الإمارة بطبرستان والديلم ، إلى أن استقرت الإمارة فى بنى الحسين ، وأول من قام منهم : الحسن بن على الأُطرُوش .

ذكر أخبار الناصر للحق

هو الحسن بن على بن الحسن بن على بن عمر بن على بن الحسين ابن على بن أبي طالب [1] رضى الله عنه ويعرف بالأطروش ، كان استيلاؤه على طبرستان فى سنة إحدى وثلاثمائة ، وذلك أنه لما قتل محمد ابن زيد استعمل إسماعيل بن أحمد السامانى محمد بن هارون على طبرستان ، وأمره بقتل من وجد من العلوية فهربوا فى البلاد ، وكان الحسن بن علىّ هذا شيخاً من شيوخ الزيدية ، شديد الصحبة لمحمد ابن زيد ، وكان قد دخل خراسان سراً ليدعو الناس إليه ، فجرت عليه مكاره وحبس ، ثم هرب من السجن وعاد إلى محمد بن زيد ،

(١) فى المخطوطات : الحسن بن على بن الحسن بن عمر بن على بن الحسين بن على بن أبي طالب والتصويب عن أعيان الشيعة حـ٢٢ ص ٢٨٨ (ط . دمشق١٩٤٦) وفيه هو أبو محمد الحسن الناصر الكبير الأطروش بن على العسكرى بن الحسن بن على الأصغر المحدث بن عمر الأشرف بن على ابن الحسين بن على بن أبي طالب عليهم السلام . (وقال أيضا) : ماذكرناه هو الصواب المستفاد من كتب الأنساب كعمدة الطالب وكتاب المجدى للشريف العلوى العمرى النسابه الشيعى الامامى المعاصر المرتضى . (ص ٢٧٧ حـ ٢٢) (وقال أيضا) : وقد وقع هنا عدة اشتباهات، ماوقع فى تاريخ ابن الاثير ورجال النجاشى وتبعه العلامة ، فى الخلاصة وكل أصحاب كتب الرجال التى بعده كالنقد ورجال ميرزا وغيرها ونحن أيضا تبعناهم فى حـ ١٣ ص ٢٩٥ من حذف لفظ «على » «قبل» (عمر) والصواب اثباته ص ٢٩٠ حـ٢٢ . ومن الواضح أن النويرى نقل الاسم عن ابن الاثير المؤرخ فى الكامل أومن مصدر يتفق معه بحذف لفظ على الذى هو جد أب الناصر الاطروش . ولئن كانت الامامية تعده أحد الذين اعتنقوا عقيدتهم إلا أنه فى (حـ٢٢ ص ٢٩٦ أعيان الشيعة) وصف بأنه (كان متبحراً فى فقه الزيدية جدا ، صنف فيه عدة تصانيف) .

وشهد معه الحرب الذى قتل فيها ؛ وكان سبب صممه أنه ضرب فى حرب مع محمد بن زيد بسيف على رأسه فطرش .

فلما وقع عليه الطلب وعلى أمثاله هرب ، ودخل إلى بلاد الديلم ، وأقام عند ملكهم جستان بن وهسوزان بن المرزبان[(١)] فأكرمه ، وأنزله فأخذ فى دعاء الديلم إلى الإسلام ، فأسلم جمهورهم ، وجعل يتنقل على قراهم ويدعو ، ثم دخل إلى بلاد الجيل ، ودعاهم فأسلم[(٢)] أكثرهم ، ووقعت دعوته على حدّ النهر باسباذروذ[(٣)] ، فاجتمع أهل دعونه عليه ، وعاد من بلاد الجيل فيمن جمع ، فلما دخل بلاد الديلم وجد جستان على خلاف ما فارقه عليه ، لأنه فارقه على أنه معلم ، يدعو الناس لا طالب مملكة ، فمنعه جستان من الأعشار والصدقات ، فوقع بينهما حرب كانت الهزيمة فيها على جستان ، ثم ألجأه الأمر إلى مسالة الناصر والدخول فى طاعته .

وأقام الناصر فى هرسم[(٤)] قاعدة مملكة الديلم ، واتفق أنّ محمد

---

(١) فى أعيان الشيعة جـ٢٢ص٣٠٣نقلا من تاريخ طبرستان بالتعريب: جستان بن وهسوذان الذى كان مرزبان الديلم .

(٢) قال الاصطخرى : وقد كان الديلم دار كفر يسبى من رقيقهم إلى أيام الحسن بن زيد ، فتوسطهم العلوية وأسلم بعضهم ، وفيهم إلى يومنا هذا كفار بالجبال المتصلة بها. (المسالك والممالك ص١٢١ط . القاهرة ١٩٦١) .

(٣) فى هامش ت : يعنى سپيذروذ .

(٤) غير واضحه فى المخطوطات وضبطها عن أعيان الشيعة جـ٢٢ ط ص ٢٩٩ ، هذا وفى كتاب الاصطخرى (المسالك الممالك ص ١٢١ ط . القاهرة ١٩٦١): والمكان الذى يقيم به الملك يسمى روذبار ، ويذكر هذا أيضا لوستيرينج (Le Strange) فى كتابه بلدان الخلافة الشرقية 'The Lands of the Eastern Caliphate p. 173. 174, Canbridge 1930 ، إلا أنه فى ص ١٧٤ يقول ما تعريبه : وعلى بعد مرحلتين من سفيذروذ وأربع مراحل من بيلمان تقع مدينة خشم (Khashm) مقر الداعى العلوى الذى كان فى النصف الثانى من القرن الثالث يحكم هاتين المقاطعتين كحاكم مستقل لايعترف بسلطان الخليفة .

ومن الواضح أن الاشارة هنا إلى حكم الحسن بن زيد ومن جاء بعده إلى الناصر .

ابن هارون السرخسي – نائب إسماعيل بن أحمد على طبرستان – تخوّف منه ، فهرب واستأمن إلى الحسن ، وتسلّم طبرستان وجرجان محمد ابن [1] على المعروف بصعلوك السامانى وكان فى عسكر كثيف ، واتصل السرخسى بالناصر فى عسكر قوى فاستظهر به ، واجتمعا على لقاء صعلوك ، فاحتال عليهما صعلوك ، حتى افترقا بحيلة غريبة ، فلما افترقا مضى السرخسى إلى نواحى الرىّ ، ورجع الناصر إلى بلاد الديلم ، ولم يتمّ له أمر ، ثم أنفذ كرّة ثانية جيشاً مع كالى والحسن بن الفَيْرُزان ، فهزمهما صعلوك وقتلا فى الوقعة ، ثم خرج الناصر بنفسه إلى سالوس ، وسار إليه صعلوك ومعه اصفهبد شهريار [2] من الخراسانية ، فالتقوا وكان مع الناصر كما ذكر المكثّر عشرة آلاف رجل من الديلم والجيل ، وأكثرهم رجّالة ليس معهم من الخيل والأسلحة إلا القليل ، وعدّة الخراسانية نيّف وثلاثون ألف رجل على غاية القوّة والمنعة ، فهزمهم الناصر وقتل منهم مقتلة عظيمة ، وألجأهم إلى بحر طبرستان ، فكان من غرق أمثال من قتل ، قال الصابى فى الكتاب التاجى : يقال إنّ المفقودين كانوا نيّفا على عشرين ألفا ، وقال حمزة بن الحسن الأصفهانى : كانوا سبعة آلاف [3] رجل ، وكانت الوقعة فى سنة ثلاثمائة ، ودخل الناصر مدينة آمل فى جمادى الآخرة سنة إحدى وثلاثمائة .

---

(١) فى الكامل جـ٨ ص٦١ : محمد بن إبراهيم صعلوك وهو خطأ صححه فيما بعد فى ص٧٤ ، ص ٧٥

(٢) فى المخطوطات : أبوالوفا اصفهسلار ، والتصويب عن أعيان الشيعة جـ٢٢ ص ٣٠٣ واسمه كما ورد : اصفهبد شهر يار بن بادوسيان .

(٣) راجع كتاب تاريخ ملوك الأرض ص ٢١٠ ط . كلكتا سنه ١٨٦٦ .

ولما دخل طبرستان وملكها فوّض أمر الجيش إلى الحسن بن القاسم العلوى ، فاستبدّ بالأمر واصطنع الرجال ووسّع عليهم فى العطاء ، وقبض على الناصر وحبسه ، فاستكبر الديلم هذا الفعل ، وحضروا إلى القاسم العلوى وطالبوه بإخراجه إليهم ، ووثب إليه ليلى بن النعمان وأخوه ـ وهما من أكبر القوّاد ـ وقالا له : إن أفرجت عنه الساعة وإلا قتلناك ، فأخرجه لهم وهرب إلى بلاد الجيل ، فأطاعوه فتلقّب بالداعى ، فتكلّم الناس عند الناصر فى أن يردّه ويولّيه جيشه وعهده ، وكان الناصر قد ولّى ليلى بن النعمان الجيش ، فأجاب وعاد الحسن بن القاسم فوفّى له الناصر بذلك ، وزوّجه بإبنة ولده على بن الناصر[1] ، واستمرت الحال على ذلك إلى أن توفى الناصر ، وكانت وفاته فى شعبان سنة أربع وثلاثمائة ، وله من العمر تسع وسبعون سنة ، وكانت مدة مملكته المستقيمة الدائمة إلى حين وفاته ثلاث سنين وثلاثة أشهر وأياما . ـ

وكان الحسن الناصر شاعراً ظريفاً كثير المجون حسن النادرة ، وهو الذى حرّر مذهب الزيدية وألّف فيه ، وكان يقول : بزر القز ليس بمال ، والديلم ليسوا بعسكر ، أما البزر فلأنّه إذا أقبل الربيع صار بعوضاً ، وأما الديلم فلسرعة تنقّلهم من عسكر إلى عسكر . وكان يقول لأصحابه : من قتل منكم مقبلا فهو مؤمن ، ومن قتل منكم مدبرا فهو كافر ، فإذا أتى بجريح جرح مقبلا نثر عليه الكافور المسحوق ، فيجد

(١) ينقل النويرى من مصادر غير شيعية ، ذلك لأن المصادر الشيعية تجمع على أن الحسن ابن القاسم تزوج ابنة الناصر نفسه ، وقد ورد فى أعيان الشيعة جـ٢٢ ص ٣١١ : فأرجع الحسن وزوجه الناصر ابنته وولاه على كركان . والاشارة إلى هذا الصهر تذكر على هذا الوجه راجع جـ٢٣ ص ٢٦ ، ص ٣٠ من أعيان الشيعة .

واحة ويسكن ألمه ، وإذا أتى بجريح جرح مدبراً نثر عليه ملحا فيشتد أمره ، فيقول : قد بان لكم أن المؤمن ينتفع بالدواء لإيمانه ، والكافر لا ينتفع به لكفره .

وكان له من الأولاد أبو الحسن على ، وأبو القاسم جعفر ، وأبو الحسين أحمد . ولما مات الحسن الناصر قام بالأمر بعده .

الحسن بن القاسم [١] الداعى العلوى

وهو ولى العهد ، ولبس القلنسوة ، وكان أول ما بدأ به أن بعث أبا القاسم جعفر وأبا الحسين أحمد — ولدى الناصر — إلى جرجان لانتزاعها من أيدى الخراسانية ، فلقيهما دونها إلياس بن محمد ابن اليسع الصغدى — والى جيش خراسان — بموضع يقال له سياله [٢] فلما اصطف الجيشان برزبين الصفين ودعا إلى المبارزة ، فبرز إليه من جيش ولدى الناصر بويه بن فناخسره — جد عضد الدولة — فقتله وانفض جيش الخراسانية ، فبعث إليهما بعد ذلك الأمير نصر بن أحمد السامانى جيشاً عليه سيمجور الدواتى ، فلقياه بحلابين [٤] من سواد جرجان فهزماه ،

---

(١) هو الحسن بن القاسم بن على بن محمد بن عبد الرحمن بن القاسم بن محمد البطحانى بن القاسم ابن الحسن ، وقيل إنه شجرى وقيل هو : الحسن بن القاسم بن الحسن بن على بن عبد الرحمن الشجرى ابن القاسم بن الحسن بن زيد الأمير بن الحسن بن زيد بن الحسن بن على بن أبى طالب (راجع أعيان الشيعة جـ٢٣ ص ٢٦) وهو الذى يسمى الداعى الصغير (جـ ٢٣ ص ٢٤) ويلقب أيضا بالناصر الصغير (أعيان الشيعة جـ٢٣ ص ٢٦) .

(٢) هكذا فى المخطوطات حرفان فميم فألف فلام فالهاء أو التاء المربوطة ، والحرف الثانى فى ا منقوطة ياء ، ولم أستطع العثور على هذا الأسم فى المصادر الأخرى وربما كان نياله .

(٣) هذا الموضع أيضا لم تذكره المصادر الأخرى التى بأيدينا ، ولم يذكر النويرى مصدره فى هذا كله ، ومن الواضح أنه ينقل عن مصادر ضائعة أو لم تظهر بعد . والكلمة ظهرت فى المخطوطات هون فقط سوى النون — الحرف الأخير .

فوقف غير بعيد وتجمّعت الخراسانية كعادتهم فى ذلك ، فكرّ راجعاً إليهم فهزمهم أقبح هزيمة ، وقتل الديلم أفظع قتل ، وانهزموا وسلكوا مضايق ليأمنوا جولان الخيل ، فوصلوا جرجان فتجمّع الديلم بها ، وأخلوها قاصدين طبرستان وقد اتفق رأيهم على خلع الداعى ، فخلعوه فى الطريق وبايعوا أبا القاسم جعفر بن الناصر ، وألبسوه القلنسوة ، وقيل إن المبايَع أبو الحسين أحمد ، وبالجملة فالأمير على الجيش أبو الحسين ؛ ولما وصلا فى جيوشهما إلى آمل لقيهما الداعى دونها ، وخرج هارباً إلى بلاد الجيل ، وملكا طبرستان مُدَيْدَة ، ثم كرّ راجعاً وقد احتشد فلقياه فهزمهما ، فمضيا إلى بلاد الجيل واحتشدا ، وعادا فحاربهما الداعى حرباً شديداً ثم انهزم واستوليا على عسكره ، وهرب وحيداً متنكراً يريد بلاد الجيل ، واخترق بلاده الديلم فأسره بعضهم ثم منّ عليه وأطلقه ، فانتهى إلى بلاد الجيل وأقام عندهم .

واتفقت وفاة أبي الحسين فجأة ، وتلاه أخوه أبو القاسم بعده ؛ فبقى أمر الديلم بطبرستان بغير مدبّر ، فعقدوا الإمرة عليهم لليلى[1] ابن النعمان ، فقام بأمرهم وهو يدعو للداعى إلى أن قتل بنيسابور[2] ، قتله حمّويه بن على صاحب جيش نصر بن أحمد السامانى ، فعقدوا بعده لعلى بن خورشيد فعاجلته المنيّة ، فعزموا على الحسن بن كالى ، فأشار عليهم بأخيه ماكان بن كالى ، وهو أشجع أهل الديلم بالانفاق ، فلما ولى عليهم اجتمع هو وأخوه على نصب أبى علىّ محمد بن أبى الحسين

(١) كان أولاد الاطروش يكاتبونه بقولهم له : المؤيد لدين الله ، المنتصر لآل رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلى بن النعمان (راجع الكامل لابن الاثير حـ٨ ص ٩٠ ، ص٩١) .

(٢) قتل سنة ٣٠٩ هـ الكامل حـ٨ ص٩٠ .

ابن الناصر ، فنصبوه فجرى على يده قتل الحسن بن كالى بسارية ، وكان ماكان بآمل ، ثم سقط بعد ذلك أبو على فى الميدان فهلك ، ولما اتصل بما كان ماجرى على أخيه كاتب الداعى يستدعيه ، فوافى فى عسكر قوى واجتمع معه وملك طبرستان ، ثم سار ومعه ماكان إلى جرجان فملكها ، وأقام الداعى بجرجان ، وكانت فى نفسه حفائظ على الديلم لنصرتهم عليه أولاد الناصر ، فعمل دعوة لهم جعل يستدعيهم واحداً واحداً فيقتله ، ففطنوا لذلك وهربوا إلى خراسان ، ودخلوا فى طاعة نصر بن أحمد السامانى ، وسودوا أعلامهم وقدموا على أنفسهم أسفار بن شيرويه الجيلى[1] ، وبعث معهم نصر بن أحمد جيشاً كثيفاً ، وساروا فدخلوا جرجان ، وسار الداعى منها إلى طبرستان ثم إلى الرىّ ، واجتمع فيها بماكان وأمره أن يمضى إلى طبرستان لدفع أسفار عنها ، فعلم أنه لا طاقة له بذلك ، فقال له : الرأى أن تمضى أنت فإنك الإمام ، ولو قد رأتك الديلم لا نفضوا إليك ، فاضطر الداعى إلى ذلك ، وسار ووقعت الحرب بينه وبين الخراسانية ، فانهزم جيشه وكان مرداويج بن زيار الجيلى يراصده ، فأمكنته فرصة منه فرماه فأشواه ، وولى منهزماً ودخل آمل واستتر بها ، فتتبع الديلم أثر دمه ، وأظهره لهم أهل البلد ، فبادروا إلى الدار التى دلوهم عليها وهجموها ، فلما رآهم بادر إلى الصلاة فقتلوه ، وكان مقتله يوم الثلاثاء لست بقين من شهر رمضان سنة ست عشرة وثلاثمائة فى أيام

---

(١) فى صلة تاريخ الطبرى لعريب ص ١٥٤ والكامل حـ٨ ص١٢٨ : أسفار بن شيرويه الديلمى .

المقتدر بالله ، فكانت مدة مملكته ثنتى عشرة سنة وشهراً وأياماً ، على ما فيها من الإختلاف عليه وقيام من ذكرنا .

ملك اسفار جرجان

ولما قتل الداعى ملك أسفار جرجان ، وأبو موسى هارون بن بهرام طبرستان ، والدعوة فيها لنصر بن أحمد الساماني ، فأجمع رأيهما على نصب أبي جعفر محمد بن أحمد الناصر بآمل ، فنصباه وألبساه القلنسوة ، والدعوة لنصر لم تقطع ، وبلغ نصرا الخبر فأنكر على أسفار غاية الإنكار ، وأمره بالقبض عليه والبعث به إليه ، ففعل أسفار ذلك وبلغ ماكان الخبر وهو بالرى ، فسار إلى طبرستان فهرب هارون منها إلى الديلم ، وأظهر ماكان ما هو عليه من التشيّع ، ونصب إسماعيل بن جعفر بن الناصر ، فتوفى بعد مدّة ووقعت فترة لم يل فيها أحد من العلويين ، ثم تخلّص بعد ذلك أبو الفضل جعفر بن محمد ابن الحسين[1] بن على بن الحسن بن على بن عمر بن على ابن الحسين بن على بن أبي طالب من حبس نصر بن أحمد ، وهو ممّن قبض عليه أسفار بن شيرويه مع أبي جعفر محمد بن الناصر ، وسار إلى بلد الجيل وابتدأ فى الدعاء لنفسه بها فى سنة عشرين وثلاثمائة ونعت نفسه بالثائر فى الله ، وكان ذا حزم وتدبير ، وساعدته الأقدار فخرج من بلد الجيل ، قاصدا طبرستان فى سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة

(١) فى المخطوطات : الحسن والتصويب عن أعيان الشيعة جـ١٦ ص٢٢١ (ط . دمشق ١٩٤٠) جـ١٨ ص ٤٦٦ (ط دمشق ١٩٤٥) وذكر كالآتى : الثائر بالله أبو الفضل جعفر بن محمد بن الحسين الشاعر المحدث بن أبي الحسن على العسكرى بن أبي محمد الحسن بن على الأصغر المحدث ابن عمر الأشرف بن على زين العابدين بن الحسين بن على بن أبي طالب عليهم السلام .

وبها الأستاذ أبو الفضل بن العميد ، وزير ركن الدولة بن بوية ، وأبو الحسن على بن كامه ، من قبل ركن الدولة ، فاستظهر عليهما وملك البلاد ، وانصرفا إلى الرىّ فأعاد ركن الدولة بن بويه أبا الحسن على بن كامة فى جيش ، وكتب إلى الحسن[1] بن الفيروزان - صاحب جرجان - يأمره بمعاونته ففعل ، وسار إلى طبرستان فى بقية سنة سبع وثلاثين ، فرحل الثائر عنها وقصد الجيل ، ثم خرج كرّة ثانية ، واتفق مع وشمكير ولم يتم لهما أمر ، ثم خرج ثالثة إلى طبرستان لاجئا إلى ركن الدولة بن بويه فنصره ، وأقام مدة بها ، ثم عاد إلى بلاد الجيل وملك هرسم ، ولم يخرج منها إلا فى سنة خمسين وثلاثمائة ، فإنه صار إلى نواحى أذربيجان زائرا للمرزبان[2] بن مسافر ، وعاد فأقام بهرسم من بلاد الجيل إلى أن توفى بها ، وكانت وفاته فى سنة خمسين وثلاثمائة .

وملك بعده جماعة من العلويين بلاد الجيل ، ولم يكن لأحد منهم دولة قائمة فى بلد مشهور ، فيعتنى بأمرهم وتدوّن أخبارهم ، وإنما كانوا بتلك الناحية شبه الأعيان والأكابر ، لا كالملوك والخلفاء ، ثم ظهر بعد ذلك أبو عبد الله محمد الحسنى

---

(١) فى المخطوطات : الحسين والتصويب عن الكامل حـ ٨ ص ٢٩٢ ، وأعيان الشيعة حـ ٢٣ ص ١٧ (ط . دمشق ١٩٤٦) .

(٢) هكذا ورد بالمخطوطات : والاسم كاملا هو : المرزبان بن محمد بن مسافر .

ذكر ظهور أبى عبد الله محمد بن الحسين الحسنى المعروف بابن الداعى

قال ابن الأثير(١): كان ظهوره فى سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة، وذلك أنه هرب من بغداد وسار نحو الديلم، فاجتمع عليه عشرة آلاف رجل، فهرب ابن الناصر العلوى من بين يديه، وتلقب ابن الداعى بالمهدى لدين الله، وعظم شأنه وهزم قائدا من قواد وشمكير.

ثم أظهر النسك والعبادة ولبس الصوف، وحارب ابن وشمكير فهزمه فى سنة خمس وخمسين وثلاثمائة، وعزم على المسير إلى طبرستان وكتب إلى العراق كتابا يدعوهم إلى الجهاد، هذا ما أورده ابن الأثير(٢) فى خبره، ولم يذكر خبر وفاته، إلا انه لم يتم له أمر، ولا ظهر لغيره من أهل هذا البيت بعد ذلك بهذه الناحية ذكر، ولا كانت لهم مملكة فى جهة من الجهات، إلا مانورده من أخبار العبيديين، الذين ملكوا المغرب والديار المصرية وغيرها، وانتسبوا إلى على بن أبى طالب ونفاهم أكثر الناس - بل عامتهم - عن هذا النسب الشريف، على ما نذكر ذلك إن شاء الله تعالى من أخبارهم.

---

(١) يعود النويرى فى هذا الجزء من كتابه إلى ابن الاثير ينقل عنه، راجع هنا الكامل ج٨ ص ٤١١

(٢) راجع الكامل ج٨ ص٢٤

الباب الثامن

من القسم الخامس

من الفن الخامس

فى اخبار صاحب الزنج والقرامطة والخوارج ببلاد الموصل

وإنما أفردنا هؤلاء بباب ، لأنّهم ممّن شاع ذكرهم وعظم محلّهم وطار اسمهم ، واستولوا على كثير من البلاد وهزموا الجيوش ، وأهمّ الخلافةَ أمرهم ، وطالت مدّتهم ولم يكونوا فى أيام خليفة واحد ، فنذكرهم فى حوادث دولته ، وإنما هم فى أيام جماعة من الخلفاء ، فلو ذكرناهم فى حوادث أيامهم لا نقطعت أخبارهم ، وعسر على المطالع معرفتها ، فلذلك أفردناهم لتكون أخبارهم مساقة ، لا تنقطع بغيرها من الأخبار .

ذكر أخبار صاحب الزنج وابتداء أمره وسبب خروجه

كان خروجه فى شوّال سنة خمس وخمسين ومائتين – فى خلافة المهتدي بالله – بفُرات البصرة ، وزعم أنّه على بن محمد بن أحمد بن على بن عيسى بن زيد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنه ، وجمع الزنج الذين كانوا يكسحون السباخ ، وعبر دجلة فنزل الديناري .

قال أبو جعفر[١] الطبرى : وكان اسمه على بن محمد بن عبد الرحيم ، ونسبه فى عبد القيس ، وأمّه ابنة[٢] على بن رحيب بن محمد بن حكيم من أهل الكوفة ، وهو أحد الخارجين على هشام بن عبد الملك ، مع زيد بن على بن الحسين ، فلما قتل زيد هرب والتحق بالرى ، فجاء إلى قرية وَرْزَنين فأقام بها ، وجدّه عبد الرحيم رجل من عبد القيس ، كان مولده بالطالقان وقدم العراق ، واشترى جارية فأولدها محمدا أباه .

قال : وكان صاحب الزنج هذا فى ابتداء أمره متصلا بجماعة من حاشية المنتصر ، منهم غانم الشطرنجي وسعيد الصغير ، وكان معاشه منهم ومن أصحاب السلطان ، وكان يمدحهم ويستميحهم بشعره ، ثم إنهّ شخص من سامرّا سنة تسع وأربعين ومائتين إلى البحرين ، فادعى

(١) ينقل النويرى عن الكامل لابن الاثير ج٧ ص١٣٩ ، ولا ينقل عن الطبرى مباشرة كما يوهم لفظه .

(٢) قال الطبرى ج١٣ ص١٧٤٢ : قرة

بها أنه على بن عبد الله[١] بن محمد بن الفضل بن حسن بن عبيدالله ابن عباس بن على بن أبى طالب ، ودعا الناس بهجَر إلى طاعته ، فاتبعة جماعة كثيره من أهلها ومن غيرها ، فجرى بين الطائفتين عصبيّة قتل فيها جماعة .

قال : وكان أهل البحرين قد أخلّوه محل نبى ، وجبا الخراج ونفذ فيهم حكمه ، وقاتلوا أصحاب السلطان بسببه ، ثم تنكّر له منهم جماعة ، فانتقل عنهم إلى الأحْسَاء ، ونزل على قوم يقال لهم بنو الشمّاس من بنى سعد بن تميم فأقام فيهم ، وفى صحبته جماعة من البحرين ، منهم يحيى بن محمد الأزرق البحرانى ، وسليمان بن جامع – وهو قائد جيشه وكان ينتقل فى البادية فذكر عنه أنه قال : أوتيت فى تلك الأيام آيات من آيات إمامتى ، ظاهرة للناس ، منها إنى لُقّنْتُ سورا من القرآن فجرى بها لسانى ، فى ساعة واحدة وحفظتها فى دفعة واحدة ، منها سبحان[٢] والكهف وص ، ومنها أنى فكرت فى الموضع الذى أقصده حيث نبت بى البلاد فأظلّتنى غمامة ، وخوطبت منها فقيل لى : اقصد البصرة ، وقيل عنه إنه قال لأهل الباديه إنّه يحيى بن عمر أبو الحسين ، المقتول بالكوفه ، فخدع أهلها فأتاد منهم جماعة كثيرة ، فزحف بهم إلى الرَّدْم[٣] من البحرين ، فكانت بينهم وقعة عظيمة ، وكانت الهزيمة عليه وعلى أصحابه ، قُتلوا قتلا ذريعا فتفرّقت الأعراب عنه ، فسار ونزل البصرة

---

(١) لم يذكر الطبرى عبد الله فى الاسم وهو الأب عند ابن الاثير والنويرى راجع حـ١٢ ص١٧٤٣ وربما كان ساقطا من الناسخ ، ذكره الطبرى كما يأتى : على بن محمد بن الفضل بن حسن ابن عبيد الله بن العباس بن على بن أبى طالب .

(٢) فى الاتقان للسيوطى حـ١ ص٥٦ : الاسراء : تسمى أيضا سورة سبحان .

(٣) فى ك والكامل حـ٧ ص ١٤٢ : الروم والتصويب عن ا ، ت والطبرى حـ١٢ ص١٧٤٥

فى بنى ضُبَيعة ، فاتبعه منهم جماعة منهم على بن أبان المهلبى ، وكان قدومه البصرة فى سنة أربع وخمسين ومائتين ، وعاملها يوم ذاك محمد ابن رجاء الحضارىّ .

فوافق قدومه فتنة أهل البصرة ، بالبلالية والسعديّة ، فطمع فى إحدى الطائفتين أن تميل إليه ، فأرسل إليهم يدعوهم فلم يجبه (١) من أهل البلد أحد ، وطلبه ابن رجاء فهرب ، فأخذ جماعة ممن كانوا يميلون إليه وحبسهم ، وكان ممن حبس ابنه وابنته وزوجته وجارية له حاملا منه ، وسار يريد بغداد ومعه من أصحابه محمد بن سلم ، ويحيى بن محمد ، وسليمان بن جامع ، وبُريَش (٢) القريعى ، فلما صار بالبطيحة نذربه وبأصحابه ، فدخل بغداد فأقام بها حولا ، فانتسب إلى محمد بن أحمد بن عيسى بن زيد ، فزعم بها أنه ظهر له آيات عرف بها مافى ضمائر أصحابه ، وما يفعله كل واحد منهم ، فاستمال جماعة من أهل بغداد منهم جعفر بن محمد الصُّوحانى ، ومحمد بن القاسم ، ومُشرق ورفيق غلاما يحيى بن عبد الرحمن ، فسمّى مشرفًا حمزة وكنّاه أبا أحمد ، وسمّى رفيقاً جعفرا وكنّاه أبا الفضل ، واتفق عزل محمد بن رجاء عن البصرة ، فوثب رؤساء البلالية والسعدية فأخرجوا من كان فى الحبس ، فخلص أهله فيهم ، فلما بلغه خلاص أهله رجع إلى البصرة ، وكان رجوعه فى شهر رمضان سنة خمس وخمسين ومائتين ، ومعه على بن

(١) فى المخطوطات : فلم يجد من أهل البلد أحد والتصويب عن الكامل ﺣ٧ ص١٤١ والطبرى ﺣ١٢ ص ١٧٤٥

(٢) فى المخطوطات : يونس ، وفى الكامل ﺣ٧ ص١٤١ : مرقس ، والتصويب عن الطبرى ﺣ١٢ ص ١٧٤٦

أبان ويحيي بن محمد وسليمان ومشرق ورفيق ، فوافوا البصرة فنزل بقصر القرشي على نهر يعرف بعمود ابن المنجّم ، وأظهر أنه وكيل لولد الواثق فى بيع السباخ .

قال(١) : وذكر ريحان ، أحد غلمان الشورجيين وهو أوّل من صحبه منهم ، قال : كنت موكّلا بغلمان مولاى أنقل لهم الدقيق فأخذنى أصحابه فصاروا بى إليه ، وأمرونى أن أسلّم عليه بالإمرة ففعلت ، فسألنى عن الموضع الذى جئت منه فأخبرته ، وسألنى عن أخبار البصرة فقلت لا علم لى ، وسألنى عن غلمان الشورجيين وعن أحوالهم وما يجرى لهم فأعلمته ، فدعانى إلى ما هو عليه فأجبته ، فقال : إحْتَلْ فيمن قدرتَ عليه من الغلمان فأقبلْ بهم ، ووعدنى أن يقوّدنى على من آتيه به ، واستحلفنى ألّا أعلم أحدا بموضعه وأن أرجع إليه ، وخلّى سبيلى وعُدت إليه من الغد ، وقد أتاه جماعة من غلمان الدبّاسين ، فكتب فى حريرة (إنَّ اللهَ اشتَرَىَ مِنَ المُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمْ الجَنَّةَ .... الآية)(٢) ورفعها علما ، ومازال يدعو غلمان أهل البصرة وهم يقبلون إليه ، للخلاص من الرق والتعب ، حتى اجتمع عنده خلق كثير ، فخطبهم ووعدهم أن يقوّدهم ويملّكهم ، وحلف لهم الأيمان ألّا يغدر بهم ولا يخذلهم ، ولا يدع شيئا من الإحسان إلا أتى به إليهم ، فأتاه مواليهم وبذلوا له عن كل عبد خمسة دنانير ، ليسلّم إليه عبده ، فبطح أصحابهم وأمر كل عبد أن يضرب مولاه أو وكيل

(١) لايزال النويرى ينقل عن الكامل لابن الاثير راجع ح٧ ص ١٤٢

(٢) سورة ٩ آية ١١١

مولاه خمسمائة شطب (١) ، ثم أطلقهم فمضوا نحو البصرة .

ثم ركب فى سفن هناك فعبر دُجَيْلا إلى نهر ميمون ، فأقام هناك والسودان تجتمع إليه إلى يوم الفطر ، فخطبهم وصلّى بهم وذكرهم ما كانوا فيه من الشقاء وسوء الحال ، وأنّ الله تعالى أنقذهم من ذلك ، وأنّه يريد أن يرفع أقدارهم ويملّكهم العبيد والأموال ، فلما كان بعد يومين رأى أصحابه الحميرىّ ، فقاتلوه حتّى أخرجوه من دجلة ، فاستأمن إلى صاحب الزنج رجل يكنى بأبى صالح ويعرف بالقصير ، فى ثلاثمائة من الزنج ، فلما كثروا جعل القوّاد منهم ، وقال لهم : من أتى منكم برجل فهو مضموم إليه ، وكان ابن أبى عون قد نقل من واسط إلى ولاية الأبلّة وكور دجلة ، وسار قائد الزنج إلى المحمديّة ، فلما نزلها وافاه أصحاب ابن أبى عون ، فصاح الزنج : السلاح ! ! وقاموا وكان منهم فتح الحجّام ، فقام وأخذ طبقا كان بين يديه ، فلقيه رجل من الشورجيين يقال له بُلْبُل ، فلما رآه فتح حمل عليه وحذفه بالطبق الذى بيده ، فرمى سلاحه وولّى هاربًا ، وانهزم أصحابه وكانوا أربعة آلاف ، وقُتل منهم جماعة ومات بعضهم عطشاً ، وأسر منهم فضرب أعناقهم ، ثم سار إلى القادسيّة فنهبها أصحابه بأمره ، ومازال يتردّد إلى أنهار البصرة ، فوجد بعض السودان دارا لبعض بنى هاشم فيها سلاح فانتهبوه ، فصار معهم ما يقاتلون به .

فأتاه وهو بالسَّيب جماعة من أهل البصرة يقاتلونه ، فوجّه يحى

---

(١) عصا وفى المنتظم لابن الجوزى (الجزء الخامس ـ القسم الثانى ورقة ٢٠٣ مخطوط بدار الكتب رقم ١٢٩٦ تاريخ) : خمسين سوطا

ابن محمد فى خمسمائة رجل فلقوا البصريين ، فانهزم [١] البصريون منهم وأخذوا سلاحهم ، ثم قاتل طائفة أخرى عند قرية تعرف بقرية اليهودية [١] فهزمهم أيضا ، وأثبت أصحابه فى الصحراء ، ثم أسرى إلى الجعفرية فوضع فى أهلها السيف ، فقتل أكثرهم وأتى منهم بأسرى فأطلقهم ، ولقى جيشاً كبيراً للبصريين مع رُمَيْس وعقيل ، فهزمهم وقتل منهم خلقاً كثيرًا ، وكان معهم سفن فهبّت ريح فألقتها إلى الشط ، فنزل الزنج وقتلوا من وجدوا فيها وغنموا ما فيها ، وكان مع رُمَيْس سفن فركبها ونجا ، فأنفذ صاحب الزنج فأخذها ونهب ما فيها ، ثم نهب القرية المعروفة بالمهلبيّة وأحرقها ،وعاث فى الأرض وأفسد ، ثم لقيه قائد من قواد الأتراك ، يقال له أبو هلال فى أربعة آلاف مقاتل ، فاقتتلوا على نهر الريّان ، فحمل السودان عليهم حملة صادقة ، فقتلوا صاحب علمه فانهزم أبو هلال وأصحابه ، وتبعهم السودان فقتلوا من أصحاب أبى هلال أكثر من ألف وخمسمائة رجل ، وأخذوا منهم أسرى فأمر صاحب الزنج بقتلهم ، ثم أتاه من أخبره أنّ الزينبى قد أعدّ له الجند والمتطوّعة والبلاليّة والسعديّة ، وهم خلق كثير ، وأنهم قد أعدّوا الحبال لتكتيف من يأخذونه من السودان ، وأنّ المقدّم عليهم أبو منصور أحد [٢] موالى الهاشميين ، فأرسل على بن أبان فى مائة أسود ليأتيه بخبرهم ، فلقى طائفة منهم فهزمهم ، وصار من معهم من العبيد إلى على بن أبان ، وأرسل طائفة أخرى من أصحابه ، إلى موضع فيه ألف

(١) ساقط من ت .

(٢) فى الكامل جـ ٧ ص ١٤٤ : وأحد موالى الهاشميين ، ويؤيده المخطوطات الطبرى جـ ١٢ ص ١٧٦٧ .

وتسعمائة سفينة ومعها من يحفظها ، فلما رأوا الزنج هربوا عنها ، فأخذ الزنج السفن وأتوا صاحبهم بها ، فلما أتوه جلس على نشز من الأرض ، وكان فى السفن قوم حجّاج أرادوا أن يسلكوا طريق البصرة ، فناظرهم فصدقوه فى قوله ، وقالوا له : لو كان معنا فضل نفقة لأقمنا معك فأطلقهم ، وأرسل طليعة تأتيه بخبر ذلك العسكر فأتاه بخبرهم : أنهم قد أتوه بخلق كثير ، فأمر محمد بن سلم [1] وعلى بن أبان أن يعقدوا لهم بالنخيل ، وقعد هو على جبل مشرف ، فلم يلبث أن طلعت الأعلام والرجال ، فأمر الزنج فكبّروا وحملوا عليهم ، فحملت الخيول فتراجع الزنج حتى أتوا لجبل ، ثم حملوا فثبتوا لهم ، وقتل من الزنج فتح الحجّام ، وصدق الزنج الحملة فأخذوهم بين أيديهم ، وجرح محمد بن سلم ، وحملوا عليهم فقتلوا منهم ، وانهزم الناس وذهبوا كل مذهب ، وتبعهم السودان إلى نهر بيان فوقعوا فى الوحل ، فقتلهم السودان وغرق كثير منهم ، وأتى الخبر إلى الزنوج بأنّ لهم كمينا ، فساروا إليه فإذا الكمين فى ألف من المغاربة ، فقاتلوهم قتالا شديداً ، ثم حمل السودان عليهم فقتلوهم أجمعين وأخذوا سلاحهم ، ثم وجّه أصحابه فرأوا مائتى سفينة ، فيها دقيق فأخذوه ومتاع فنهبوه ، ونهب المُعَلّى بن أيوب [2] ، ثم سار فرأى مسلحة الزينبى فقاتلوه ، فقاتلهم فقتلهم أجمعين ، وكانوا مائتين ، ثم سار فنهب قرية مُنْذَران [3] ، ورأى فيها جمعاً من الزنج

---

(١) فى الكامل حـ ٧ ص ١٤٤ : محمد بن سالم ويؤيد المخطوطات الطبرى حـ ١٣ ص ١٧٦٩

(٢) المراد قرية للمعلى بن أيوب - راجع الطبرى حـ ١٣ ص ١٧٧٣ .

(٣) فى الكامل حـ ٧ ص ١٤٥ : ميزران ويؤيد المخطوطات الطبرى حـ ١٣ ص ١٧٧٣ .

ففرقهم على قوّاده ، ثم سار فلقيه ستمائة فارس مع سليمان ؛ ابن أخى الزينبيّ ، ولم يقاتله فأرسل من ينهب ، فأتوه بغنم وبقر فذبحوا وأكلوا ، وفرّق أصحابه فى انتهاب ما هناك .

ثم سار صاحب الزنج يريد البصرة ، حتى إذا قابل النهر المعروف بالرياحى ، أتاه قوم من السودان ، فأعلموه أنهم رأوا فى الرياحى بارقة ، فلم يلبث إلا يسيرا حتى تنادى السودان : السلاح السلاح !! فأمر على بن أبان بالعبور إليهم ، فعبر فى ثلاثمائة رجل ، وقال له : إن احتجت إلى مدد فاستمدنى ، فلما مضى على بن أبان صاح الزنج ، السلاح السلاح ! ! لحركة رأوها فى جهة أخرى ، فوجّه محمد بن سلم بجمع فحاربهم من وقت الظهيرة إلى وقت العصر ، ثم حمل الزنوج حملة صادقة فهزموهم ، وقتلوا من أهل البصرة والأعراب زهاء خمسمائة ، ورجعوا إلى صاحبهم ، ثم أقبل على بن أبان فى أصحابه ـ وقد هزموا مَنْ بإزائهم وقتلوا منهم ، ومعه رأس ابن أبي الليث [1] البلالى القواريرى من أعيان البلالية ، ثم سار من الغد عن ذلك المكان ، ونهى أصحابه عن دخول البصرة ، فتسرّع بعضهم فلقيهم أهل البصرة فى جمع عظيم ، وانتهى الخبر إليه فوجّه محمد بن سلم وعلى بن أبان ومشرقاً وخلقاً كثيراً ، وجاء هو يسايرهم فلقوا البصريين ، فأرسل إلى أصحابه ليتأخروا عن المكان الذى هم فيه ، فتراجعوا فأكبّ عليهم أهل البصرة فانهزموا ، وذلك عند العصر [2] ، ووقع الزنوج فى نهر كبير ، وقتل

(١) فى تاريخ الطبرى جـ١٣ ص ١٧٧٨ : ... ومعه رأس البلالى المعروف بأبى الليث ، أما وابن الأثير ينقل عن الطبرى والنويرى ينقل عن ابن الأثير فالخطأ من النساخ .

(٢) فى ك ، ت : القصر ويؤيد ا الطبرى جـ١٣ ص ١٧٨٠ .

منهم جماعة وغرق جماعة وتفرّق الباقون ، وتخلّف صاحبهم عنهم وبقى فى نفر يسير فنجا ، ثم لحقهم وهم متحيرّون لفقده ، وسأل عن أصحابه فإذا ليس معه منهم إلا خمسمائة رجل ، فأمر بالنفخ فى البوق الذى يجتمعون إليه ، فنفخ فيه فلم يأته أحد ، وكان أهل البصرة قد انتهبوا السفن التى كانت للزنوج وبها متاعهم ، فلما أصبح رأى أصحابه فى ألف رجل ، فأرسل محمد بن سلم إلى أهل البصرة يعظهم ويعلّمهم : ما الذى دعاه إلى الخروج ؟ فقتلوه ، فلما كان يوم الاثنين لأربع [1] عشرة خلت من ذى القعدة سنة خمس وخمسين ومائتين جمع أهل البصرة وحشدوا ، لما رأوا من ظهورهم عليه ، وانتدب لذلك رجل يعرف بحمّاد [2] الساجىّ وكان من غزاة البحر ، وله علم فى ركوب السفن ، فجمع المطوّعة ورماة الأهداف وأهل المسجد الجامع ومن خفّ معه من البلاليّة والسعديّة وغيرهم ، وشحن ثلاثة مراكب مقاتلة ، ومضى جمهور الناس رجّالة ، منهم من معه سلاح ومنهم نظّارة ، فدخلت المراكب فى المدّ والرجّالة على شاطىء النهر ، فلما علم صاحب الزنج بذلك وجّه طائفة من أصحابه مع زريق [3] الأصفهانى كمينا فى شرقىّ النهر ، وطائفة مع شبل وحُسين الحمّامى فى غربيّه كمينا ، وأمر على بن أبان أن يلقى أهل البصرة وأن يتستر هو ومن معه — بتراسهم ، ولا يقاتل حتى يظهر أصحابه ، وتقدّم إلى

(١) فى الكامل حـ٧ ص١٤٦ : لأربع خلون ويؤيد المخطوطات الطبرى حـ١٣ ص١٧٨٣ .

(٢) فى الكامل حـ٧ ص ١٤٦ : حماز ويؤيد المخطوطات الطبرى حـ١٣ ص ١٧٨٣ .

(٣) فى ا : رزيق ويؤيد ك ، ت : الكامل حـ٧ ص ١٤٦ ، والطبرى حـ١٣ ص ١٧٨٣ .

الكمينَيْن - إذا جازوهم (١) أهل البصرة - أن يخرجوا ويصيحوا بالناس ، وبقى هو فى نفر يسير من أصحابه ، وقد هاله ما رأى من كثرة الجمع ، فثار أصحابه إليهم وظهر الكمينان من جانبى النهر وراء السفن والرجّالة ، فضربوا من ولّى من الرجّالة والنظّارة ، فغرقت طائفة وقُتلت طائفة وهرب الباقون إلى الشط ، فأدركهم السيف فمن ثبت قُتل ، ومن ألقى نفسه فى الماء غرق ، فهلك أكثر ذلك الجمع فلم ينج إلا الشريد ، وكثر المفقودون من أهل البصرة ، وعلا العويل من نسائهم ، وهذا اليوم يسمى يوم الشذا (٢) - وهو يوم أعظمه الناس ، وكان فيمن قتل جماعة من بنى هاشم وغيرهم فى خلق كثير لا يحصى ، وجمعت الرؤوس لصاحب الزنج ، فأتاه جماعة من أولياء المقتولين فأعطاهم ما عرفوا ، وجمع الرؤوس التى لم تطلب فى جُرَيبيّة (٣) وأطلقها ، فوافت البصرة فجاء الناس وأخذوا كلَّ ما عرفوه منها ، وقوى صاحب الزنج بعد هذا اليوم ، وتمكن الرعب فى قلوب أهل البصرة وأمسكوا عن حربه ، وكتب الناس إلى الخليفة بخبر ما كان ؛ فوجّه إليهم جُعْلان التركى مددا ، وأمر بالأحوص (٤) الباهلى بالمصير إلى الأُبُلّة والبا ، وأمدّه بقائد من الأتراك يقال له جُرَيح ، وانصرف

(١) هكذا فى ا ، ت وهو الأدق وفى ك ، والكامل حـ ٧ ص ١٤٦ ، والطبرى حـ ١٣ ص ١٧٨٤ : جاوزهم .

(٢) فى المخطوطات والكامل حـ٧ ص ١٤٧ : البيداء ، وفى تاريخ الطبرى حـ١٣ ص ١٧٨٥ : الشذا وهو الأرجح ، والشذا نوع من السفن : والمتأمل فى الموقعة تبين له دقة الطبرى لأن الحرب كان عمادها السفن ، هذا ولم يتعرض لذكر هذا الاسم المؤرخون القدماء أمثال ابن الجوزى فى المنتظم .

(٣) فى الكامل حـ٧ ص ١٤٧ : خزينة ويؤيد المخطوطات الطبرى حـ١٣ ص ١٧٨٥ .

(٤) فى المخطوطين ك ، ت : الأعوض البابكى والتصويب عن ا ويؤيدها الكامل حـ٧ ص ١٤٧ والطبرى حـ١٣ ص ١٧٨٦ .

صاحب الزنج بأصحابه فى آخر النهار إلى سبخة - وهى سبخة أبى قُرّة - وبثّ أصحابه يمينا وشمالا للغارة والنهب .

ووصل جُعْلان إلى البصرة فى سنة ست وخمسين ومائتين ، ونزل بمكان بينه وبين صاحب الزنج فرسخ ، وخندق عليه وعلى أصحابه وأقام ستة أشهر فى خندقه ، وجعل يوجّه الزينبيّ وبنى هاشم ومن خفّ لحرب الزنج ، ثم سار جُعْلان للقائه فلم يكن بينهم إلا الرمى بالحجارة والسهام ، ولا يجد جعلان إلى لقائه سبيلا لضيق المكان عن مجال الخيل ، وكان أكثر أصحاب جعلان خيّالة ، فلما طال مقامه فى خندقه أرسل صاحب الزنج أصحابه إلى مسالك الخندق ، فبيّتوا جعلان وقتلوا من أصحابه جماعة ، وخاف الباقون خوفاً شديداً ، وكان الزينبيّ قد جمع البلاليّة والسعديّة ووجّههم من مكانين ، وقاتلوا صاحب الزنج فظفر بهم وقتل منهم مقتلة عظيمة ، فترك جعلان خندقه وسار إلى البصرة ، وظهر عجزه للسلطان فصرفه عن حرب الزنج ، وأمر سعيد الحاجب بمحاربتهم ، وتحوّل صاحب الزنج بعد ذلك من السبخة - التى كان فيها - ونزل بنهر أبى الخصيب ، وأخذ أربعة وعشرين مركبا من مراكب البحر ، وأخذ منها أموالا عظيمة لا تحصى ، وقتل من فيها وأنهبها أصحابه ثلاثة أيام ، وأخذ لنفسه بعد ذلك من النهب .

ذكر دخول الزنج الأبله

وفى سنة ست وخمسين ومائتين دخل الزنج الأُبُلَّة ، فقتلوا فيها خلقاً كثيرًا وأحرقوها ، وكان سبب ذلك أنّ جُعْلان لما تنحّى عن خندقه إلى البصرة ألحّ صاحب الزنج بالغارات على الأبلَة ، وجعلت سراياه تضرب إلى ناحية نهر مَعْقِل ، ولم يزل يحارب إلى يوم الأربعاء لخمس بقين من شهر رجب فافتتحها ، وقُتل بها الأحوص وعبد[1] الله بن حميد الطوسى وأضرمها نارًا ، وكانت مبنيّة بالساج فأسرعت النار فيها ، وقُتل من أهلها خلق كثير ، وفرّق الأموال العظيمة ، وكان ما أحرقت النار أكثر من الذى نهب .

قال : ولما اتصل خبر أهل الأبلَة بأهل عبّادان راسلوا صاحب الزنج فى طلب الأمان ، على أن يسلّموا إليه البلد ، فأمّنهم وسلّموه إليه وأخذ ما فيه من الأموال والسلاح ، ففرّقه فى أصحابه .

ذكر أخذ الزنج الأهواز

قال : ولما فرغ صاحب الزنج من الأبلّة وعبّادان طمع فى الأهواز ، واستنهض أصحابه وسار إليها ، فهرب من بها من الجند ومن أهلها ولم يبق إلا القليل ، فدخلها وأخربها ، وكان بها إبراهيم بن المدبّر يتولى الخراج فأخذوه أسيرا ، بعد أن قاتل وجرح ونهب جميع ماله . وذلك

(١) فى تاريخ الطبرى حـ١٣ ص١٨٣٧ : وقتل فى هذه الليلة عبد الله بن حميد الطوسى وابن له كانا فى شذاة بنهر معقل مع نصير المعروف بأبى حمزة ، وفى ب عبيد الله ، وفى الكامل حـ٧ ص ١٦٤ : عبد الله بن حميد بن الطوسى

لإثنتى عشرة ليلة مضت من رمضان من السنة ، فخافه أهل البصرة وانتقل كثير من أهلها إلى البلدان .

وأما إبراهيم بن المدبّر فإنّ صاحب الزنج وكل به وحبسه فى بيت يحيى بن محمد البَحْراني ، فكان به إلى سنة سبع وخمسين ومائتين ، فأرغب الموكَّلِيْن به بمال فأطلقوه ، فخرج هو وابن أخ له ورجل هاشمى

ذكر انهزام الزنج من سعيد الحاجب وغلبة الزنج

وفى شهر رجب سنة سبع وخمسين ومائتين أوقع سعيد الحاجب بجماعة من الزنج ، فهزمهم واستنقذ من معهم ، وذلك فى خلافة المعتمد على الله بن المتوكل ، فكانت المرأة من نساء تلك الناحية تأخذ الزنجى فتأتى به عسكر سعيد فلا يمتنع عليها ، ثم عبر سعيد إلى غرب دجلة فأوقع بصاحب الزنج عدّة وقعات ، ثم عاد إلى معسكره بهَطْمة[1] فأقام من ثانى رجب إلى آخر شعبان .

ثم أوقع صاحب الزنج بسعيد ، وذلك أنّه سيّر إلى سعيد جيشاً ، فأوقعوا به ليلا وأصابوا مقتلة من أصحاب سعيد ، فقتلوا خلقا كثيرا وأحرقوا عسكره ، فأمر بالمسير إلى باب الخليفة ، وترك بُغْراج بالبصرة ، فسار سعيد من البصرة وأقام بها بغراج يحمى أهلها ، فردّ السلطان أمرها إلى منصور بن جعفر الخيّاط بعد سعيد ، فجمع منصور الشذا وسار نحو صاحب الزنج ، فكمّن له صاحب الزنج كمينا ، فلما أقبل خرجوا عليه فقتلوا فى أصحابه مقتلة عظيمة ، وغرق منهم خلق كثير ، فلم يقابله منصور بعد ذلك .

(١) فى الكامل حـ٧ ص ١٦٧ : هطة ويؤيد المخطوطات الطبرى حـ ١٣ ص ١٨٤٣ .

ذكر انهزام الزنج بالأهواز

قال : وفى سنة سبع وخمسين ومائتين أرسل صاحب الزنج جيشا مع على بن أبان ليقطع قنطرة أربك [١] ، فلقيهم إبراهيم بن سيما منصرفا من فارس ، فأوقع بهم وهزمهم وقتل منهم وجرح على بن أبان ، ثم سار إبراهيم قاصدا نهر جُبىّ [٢] ، وأمر كاتبه شاهين بن بسطام بالمسير على طريق آخر ، ليوافيه بنهر جبىّ بعد الوقعة ، وكان على بن أبان قد سار من الوقعة فنزل الخَيْزُرَانيّة ، فأتاه رجل فأخبره باقبال شاهين إليه ، فسار نحوه فالتقيا وقت العصر بموضع بين جبىّ ونهر موسى ، فاقتتلوا قتالا شديدًا ، ثم صدمهم الزنج صدمة صادقة فهزموهم ، وقتلوا شاهين وابن عم له وخلقا كثيرا ، فلما فرغ الزنج منهم أتاهم الخبر بقرب إبراهيم بن سيما منهم ، فسار علىٌّ نحوه فوافاه وقت العشاء الآخرة ، فأوقع بإبراهيم وقعة شديدة قتل فيها جمعا كثيرا ؛ قال على بن أبان : وكان أصحابي قد تفرّقوا بعد الوقعة مع شاهين ، ولم يشهد معى حرب إبراهيم غير خمسين رجلا ، ثم انصرف على بن أبان إلى جُبىّ .

---

(١) فى المخطوطات : اربل والتصويب عن الكامل حـ٧ ص١٦٨ والطبرى حـ١٣ ص١٨٤٥

(٢) فى المخطوطات والكامل حـ٧ ص١٦٨ : جى والتصويب عن الطبرى حـ ١٣ ص ١٨٤٦ وصححت المخطوطات الاسم فى آخر الفصل .

ذكر أخذ الزنج البصرة وتخريبها

قال : وفى شوال سنة سبع وخمسين ومائتين جمع صاحب الزنج أصحابه لدخول البصرة ، وتخريبها لضعف أهلها وتفرّقهم ، وكان منصور الخيّاط. قد أمسك عن حربه بعد تلك الوقعة التى ذكرناها ، واقتصر على تخفير القيروانات والسفن ، فامتنع أهل البصرة فعظم ذلك على صاحب الزنج ، فتقدّم إلى على بن أبان بالمقام بالخيزرانيّة ليشغل منصورا عن تسيير القيروانات ، وكان علىّ بنواحى جُىٍّ والخيزرانيّة ، ثم أمر محمد بن يزيد الدارمى – وهو أحد من صحبه بالبحرين – أن يخرج إلى الأعراب فيجمعهم ، فخرج إليهم فأتاه منهم خلق كثير فأناخوا بالقَنْدَل (١) ، ووجّه إليهم سليمان بن موسى الشّعْرانى ، وأمرهم بطرق البصرة والايقاع بها ليتمرّن الأعراب على ذلك ، ثم انهض علىّ بن أبان وضمّ إليه طائفة من الأعراب ، وأمره باتيان البصرة من ناحية بنى سعد ، وأمر يحيى بن محمد البَحْرانى باتيانهامن ناحية نهر عدى وضمّ إليه سائر الأعراب ، فكان أوّل من واقع أهل البصرة على بن أبان ، وبُغْرَاج يومئذ بالبصرة فى جماعة من الجند ، فأقام يقاتلهم يومين ومال الناس نحوه ، وأقبل يحى بن محمد فيمن معه نحو الجسر ، فدخل على بن أبان البصرة وقت صلاة الجمعة لثلاث عشرة ليلة بقيت من شوال ، فأقام يقتل ويحرق يوم الجمعة وليلة السبت ويوم السبت ، ثم عاد يحيى إلى البصرة يوم الأحد فتلقّاه بُغْراج فى جمع ، فردّوه يومه ذلك ، ثم غاداهم يوم الإثنين

---

(١) فى المخطوطات : بالعبيد والتصويب عن الكامل جـ٧ ص ١٦٩ والطبرى جـ١٣ ص١٨٤٨ .

فدخل وقد تفرق الجند ، وانحاز بغراج ومن معه . ولقيه إبراهيم بن يحي المُهَلَّبي فاستأمنه لأهل البصرة فأمّنهم ، فنادى منادى إبراهيم : من أراد الأمان فليحضر دار إبراهيم ، فحضر أهل البصرة قاطبة حتى ملأوا الرحاب ، فلما رأى اجتماعهم انتهز الفرصة لئلا يتفرقوا فغدر بهم ، وأمر أصحابه بقتلهم فكان السيف يعمل فيهم وأصواتهم مرتفعة بالشهادة ، فقتل ذلك الجمع كله ولم يسلم منهم إلا النادر ، ثم انصرف يومه ذلك ، ودخل علىّ بن أبان إلى الجامع فأحرقه . وأُحرقت البصرة من عدة مواضع ، واتسع الحريق من الجبل إلى الجبل ، وعظم الخطب وعمّها القتل والنهب والاحراق ، وقتلوا كل من رأوه بها ، فمن كان من أهل اليسار أخذوا ماله وقتلوه ، ومن كان فقيراً قتلوه لوقته ، فبقوا كذلك عدة أيام ، ثم أمر يحي أن ينادى بالأمان ليظهروا فلم يظهر أحد ، ثم انتهى الخبر إلى صاحب الزنج فصرف على بن أبان عنها ، وأقرّ يحي عليها لموافقته هواه فى كثرة القتل ، وصرف عليا لابقائه على أهلها ، فهرب الناس على وجوههم ، وصرف صاحب الزنج جيشه عن البصرة .

قال : ولما أخرب البصرة انتمى إلى زيد لمصير جماعة من العلويين إليه ، وترك الانتساب إلى عيسى بن زيد . وانتسب إلى يحي بن زيد ، قال القاسم بن الحسن النوفلى : كذب ، ابن يحي [١] لم يُعقب غير بنت ماتت وهى ترضع .

---

(١) هكذا بالمخطوطات ولعلها إن يحيى .

ذكر مسير المولد لحرب صاحب الزنج وانتصار صاحب الزنج

وفى ذى القعدة من السنة أمر المعتمد على الله المُوَلَّد بالمسير إلى البصرة لحرب الزنج ، فسار فنزل الأُبلّة فسيّر صاحب الزنج يحيى ابن محمد لحربه ، فسار إليه فقاتله عشرة أيام ، ثم وطّن المولّد نفسه على المقام ، فكتب صاحب الزنج إلى يحيى يأمره بتبييت المولّد ، وسيّر إليه أبا الليث الأصفهانى فبيّته ، ونهض المولّد فقاتله تلك الليلة ومن الغد إلى العصر ، ثم انهزم عنه ودخل الزنج عسكره فغنموا ما فيه ، واتبعه يحيى إلى الجَامِدَة فأوقع بأهلها ، ونهب تلك القرى وسفك ما قدر عليه من الدماء ، ثم رجع إلى نهر معقل .

ذكر الحرب بين منصور الخياط والزنج وقتل منصور

قال : وفى سنة ثمان وخمسين ومائتين قتل منصور بن جعفر الخياط ، وسبب ذلك أن صاحب الزنج لما فرغ من أمر البصرة أمر على بن أبان بالمسير إلى جُبّى ، لحرب منصور بن جعفر وهو يومئذ يلى الأهواز ، فأقام بازائه شهرا وكان منصور فى قلّة من الرجال ، ثم وجّه صاحب الزنج جلّة أصحابه مع أبى الليث الأصفهانى ، وأمره بطاعة على بن أبان فلما صار إليه خالفه واستبدّ ، وجاء منصور كما كان يجىء للحرب ، فتقدّم إليه أبو الليث عن غير إذن علىّ ، فظفر به منصور وقتل من الزنج خلقا كثيرا ، وأفلت أبو الليث ورجع إلى

صاحب الزنج ، ثم إنّ على بن أبان وجّه طلائع يأتونه بخبر منصور ، وأسري إلى وال كان لمنصور على بعض الأعمال ، فقتله وقتل أكثر أصحابه وغنم ما كان معهم ورجع ، وبلغ الخبر منصور بن جعفر فأسري إلى الخيزرانيّة ، وخرج إليه على بن أبان فتحاربوا إلى الظهر فانهزم منصور وتفرّق عنه أصحابه ، وأدركته طائفة من الزنج فحمل عليهم ، وقاتلهم حتى تكسّر رمحة وفنى نشّابه ، ثم حمل حصانه ليعبر النهر فوقع فى النهر ، وسبب وقوعه أن بعض الزنج رآه حين أراد أن يعبر النهر ، فألقى نفسه فى النهر قبل منصور وتلقّى الفرس حين وثب ، فنكص الفرس وسقط منصور فى النهر فقتله الأسود وأخذ سلبه ، وقُتل معه أخوه خلف بن جعفر وغيره من أصحابه .

ذكر مسير أبى أحمد الموفق لقتال الزنج وقتل مفلح

وفى سنة ثمان وخمسين ومائتين عقد المعتمد على الله لأخيه أبى أحمد الموفّق على ديار مضر وقنّسرين والعواصم ، وخلع عليه وعلى مُفْلِح فى شهر ربيع الآخر وسيّرهما لحرب الزنج بالبصرة ، وركب المعتمد معه وشيّعه وسار نحو البصرة ، ونازل صاحب الزنج ، وكان سبب ارساله ما فعله الزنج بالبصرة ، فأكبر الناس ذلك وتجهّزوا إليه وساروا فى عدة وعُدة كاملة ، وصحبه من سوقة بغداد خلق كثير ، وكان علىّ بن أبان بجُبّى ، وسار يحيى بن محمد البحرانى إلى نهر العباس ومعه أكثر الزنوج ، وبقى صاحبهم فى قلّة من الناس ، وأصحابه يغادون البصرة ويراوحونها لنقل ما نالوه منها ، فلما نزل عسكر الموفّق

نهر معقل أجفل من فيه من الزنوج إلى صاحبهم مرعوبين ، وأخبروه بعظم الجيش وأنهم لم يرد عليهم مثله ، فأحضر رئيسين من أصحابه فسألهما عن قائد الجيش فلم يعرفاه ، فجزع لذلك ثم سيّر إلى على ابن أبان يأمره بالمصير إليه فيمن معه ، فلما كان يوم الأربعاء لإثنتى عشرة ليلة بقيت من جمادى الأولى أتاه بعض قوّاده ، فأخبره بمجىء العساكر وتقدّمهم ، وأنّهم ليس فى وجوههم من الزنوج من يردّهم ، فكذّبه وسبّه وأمر فنودى فى الزنوج بالخروج إلى الحرب فخرجوا ، فرأوا مُفلِحا قد أتاهم فى عسكر فقاتلوه ، فبينما مفلح يقاتلهم إذ أتاه سهم غرب ، لا يعرف من رمى به ، فأصابه فرجع وانهزم أصحابه ، وقتل الزنج فيهم قتلا ذريعا ، وحملوا الرؤوس إلى صاحب الزنج ، واقتسم الزنج لحوم القتلى ، وأتى بالأسرى فسألهم عن قائد الجيش فأخبروه أنه أبو أحمد ، ومات مفلح من ذلك السهم ولم يلبث صاحب الزنج إلا يسيرا حتى وافاه على بن أبان ، ثم رحل الموفّق إلى الأبلّة ليجمع ما فرّقته الهزيمة ثم صار إلى نهر أبى الأسد (١) .

ذكر مقتل يحيى بن محمد البحرانى

وفى سنة ثمان وخمسين ومائتين أيضا أُسر يحيى بن محمد البَحْرَانى قائد صاحب الزنج . وكان سبب ذلك أنّه لما سار نحو نهر العبّاس لقيه عسكر اصفجون (٢) ، عامل الأهواز بعد منصور ، فقاتلهم وكان

(١) فى المخطوطات : نهر الأسد والتصويب عن الكامل حـ٧ ص ١٧٥ ، والطبرى حـ١٣ ص ١٨٦٥ ، وراجع أيضا معجم البلدان حـ٤ ص٨٣٠ (ط . ليبزج سنه ١٨٦٩) .

(٢) فى المخطوطات والكامل حـ ٧ ص ١٧٥ : اصعجور والتصويب عن الطبرى جـ١٣ ص ١٨٦٦ .

أكثر منهم عددًا ، فنال ذلك العسكر من الزنج بالنشاب وجرحوهم ، فعبر يحيي النهر إليهم فانحازوا عنه ، وغنم سفنا كانت مع العسكر فيها الميرة ، وساروا بها إلى عسكر صاحب الزنج ، على غير الوجه الذى فيه على بن أبان لتحاسد كان بينه وبين يحيي ، ووجّه يحيي طلائعه إلى دجلة فلقيهم جيش أبى أحمد الموفّق ، سائرين إلى نهر أبى الأسد ، فرجعوا إلى علىّ فأخبروه بمجىء الجيش ، فرجع من الطريق الذى كان سلكه وسلك طريق نهر العبّاس ، وعلى فم النهر مراكب تحميه من عسكر الخليفة ، فلما رآهم يحيي راعه ذلك ، وخاف أصحابه فنزلوا السفن وعبروا النهر ، وبقى يحيي ومعه بضعة عشر رجلا ، فقاتلهم هو وذلك النفر اليسير فرموهم بالسهام ، فجرح ثلاث جراحات فلماجرح تفرّق أصحابه عنه ، فرجع حتّى دخل بعض السفن وهو مثخن بالجراح ، وأخذ أصحاب السلطان الغنائم وأخذوا السفن ، وعبروا إلى سفن كانت للزنج فأحرقوها ، وتفرّق الزنج عن يحيي فى بقيّة نهارهم ، فلما رأى تفرّقهم ركب سميريّة وأخذ معه طبيباً لأجل الجراح ، وسار فيها فرأى الملّاحون سميريّات السلطان فخافوا فألقوا يحيي ومن معه . فمشى وهو مثقل وقام الطبيب الذى معه فأتى أصحاب السلطان ، فأخبرهم خبره فأخذوه وحملوه إلى أبى أحمد ، فحمله أبو أحمد إلى سامرّا فقطعت يداه ورجلاه ثم قتل ، فجزع صاحب الزنج عليه جزعاً شديدًا وقال لهم لما قتل يحيي : اشتدّ جزعى عليه فخوطبت أنّ قتله كان خيرًا لك ، إنّه كان شرها .

ذكر عود أبى أحمد الموفق الى سامرا واستخلافه محمد المولد على حرب الزنج

وفى هذه السنة أيضا انحاز أبو أحمد الموفق إلى واسط ، ثم منها إلى سامرّا ، وكان سبب ذلك أنه لما صار إلى نهر أبى الأسد كثرت الأمراض فى أصحابه وكثر فيهم الموت ، فرجع إلى باذَاوَرْد فأقام هناك ، وأمر باعطاء الجند أرزاقهم واصلاح الآلات والسميريّات وشحنها بالقوّاد ، وعاد إلى عسكر صاحب الزنج ، وأمر جماعة من قوّاده بقصد مواضع سمّاها من نهر أبى الخصيب وغيره[1] ، وبقى معه جماعة ، فمال أكثر ، الخلق حتّى التقى الناس ونشبت الحرب إلى نهر أبى الخصيب[1] ، وبقى أبو أحمد فى قلّة من أصحابه ، فلم يزل عن موضعه خوفاً أن يطمع الزنج فيه ، ولما رأى الزنج قلّة من معه طمعوا فيه وكثروا عليه ، واشتدت الحرب عنده وكثر القتل والجراح ، وأحرق أصحاب أبى أحمد منازل الزنوج ، واستنقذوا من النساء جمعا كثيراً ، ثم ألقى الزنج جدّهم نحوه ، فلما رأى أبو أحمد ذلك علم أنّ الحزم فى المحاجزة ، فأمر أصحابه بالرجوع إلى سفنهم على مهل وتؤدة ، واقتطع الزنج طائفة من أصحابه فقاتلوهم ، فقتلوا من الزنج خلقا كثيراً ثم قتلوا بأجمعهم ، وحملت رؤوسهم إلى قائد الزنج ، وهى مائة رأس وعشرة أرؤس ، فزاد ذلك فى عتوّ صاحب الزنج ، فعبّى أبو أحمد أصحابه للرجوع إلى الزنج ، فوقعت نار فى أطراف

---

(١) ساقط من ث .

عسكره فى يوم ريح عاصف ، فاحترق كثير منه فرحل[١] إلى واسط ، فلما نزل إلى واسط. تفرّق عنه عامّة أصحابه، فسار منها إلى سامّرا ، واستخلف على واسط لحرب الزنج محمد المولّد ، ثم عاد الموفّق بعد ذلك لحرب الزنج ، على مانذكره إن شاء الله تعالى .

ذكر دخول الزنج الأهواز ومسير موسى بن بغا لحربهم

قال : وفى سنة تسع وخمسين ومائتين فى شهر رجب دخل الزنج الأهواز ، وذلك أنّ صاحبهم أنفذ على بن أبان وضمّ إليه الجيش الذى كان مع يحيى البحرانى وسليمان بن موسى الشعرانى ، وسيّره إلى الأهواز ، وكان المتولى عليها بعد منصور بن جعفر رجلا يقال له اصغجون ، فبلغه خبر الزنج فخرج إليهم ، والتقى العسكران بدَسْت[٢] مِيسَان ، فانهزم اصغجون وغرق وقتل وأُسر خلق كثير من أصحابه ؛ وكان ممّن أُسر الحسن بن هرثمة والحسن بن جعفر ، وحملت الرؤوس والأعلام والأسرى إلى صاحب الزنج ، فأمر بحبس الأسرى ، ودخل الزنج الأهواز فأقاموا يفسدون فيها ويعبثون ، إلى أن قدم موسى بن بغا .

قال[٣] : ولما كان فى ذى القعدة أمر المعتمد على الله موسى بن بُغا

(١) فى ك ، ت : فوصل .

(٢) فى تاريخ الطبرى ح١٣ ص ١٨٧٦ : دستماران ويؤيد المخطوطات والكامل ح٧ص١٧٨ ياقوت فى معجم البلدان ح٢ ص ٥٧٤ (ليبزج سنه ١٨٦٧) .

(٣) لايزال النويرى ينقل عن الكامل راجع ح٧ من ص ١٧٨ .

بالمسير إلى حرب صاحب الزنج ، فسير إلى الأهواز عبد الرحمن بن مُفْلِح ، وإلى البصرة اسحاق بن كنداجيق ، وإلى بَاذَاوَرْد إبراهيم بن سيما ، وأمرهم بمحاربة صاحب الزنج ،فسار عبد الرحمن إلى محاربة على ابن أبان فتواقعا ، فانهزم عبد الرحمن ثم استعدّ وعاد إلى علىّ ، فأوقع به وقعة عظيمة قتل فيها من الزنج قتلا ذريعا ، وأسر خلقا كثيرا ، وانهزم على بن أبان ، ثم أراد ردّ الزنج فلم يرجعوا من الخوف الذى دخلهم من عبد الرحمن ، فلما رأى ذلك أذن لهم بالانصراف ، فانصرفوا إلى مدينة صاحبهم ، ووافى عبدالرحمن حصن مهدي ليعسكر به ، فسيرّ إليه صاحب الزنج علىّ بن أبان فواقعة فلم يقدر عليه ، ومضى يريد الموضع المعروف بادركه[1] ، وكان إبراهيم بن سيما بالبَاذَا وَرْد ، فواقعه على بن أبان فهزمه علىّ ، ثم واقعه ثانية فهزمه إبراهيم ، فمضى علىّ بالليل حتى انتهى إلى نهر يحيى ، وانتهى خبره إلى عبد الرحمن فوجّه إليه طَاشْتُمرُ فى جمع من الموالى ، فلم يصل إليه لامتناعه بالآجام والقصب والحلافى ، فأضرمه عليه نارا فخرجوا هاربين ، فأسر منهم أسرى وانصرف أصحاب عبد الرحمن بالأسرى والظفر ، ثم سار عبد الرحمن نحو علىّ بن أبان بمكان نزل فيه ، فكتب إلى صاحب الزنج يستمده فأمدّه بثلاث عشرة شذاة ، ووافاه عبد الرحمن فتواقعا يومهما ، فلما كان الليل انتخب علىّ من أصحابه جماعة ممّن يثق بهم ، وسار وترك عسكره وأتى عبد الرحمن من ورائه فبيّته ، فنال

(١) هذه الكلمة ظهرت مختلفة فى المراجع فهى فى الكامل حـ٧ ص١٧٩ : الدكه وفى الهامش (إحدى المخطوطات للكامل) بادركة وفى تاريخ الطبري حـ١٣ ص ١٨٧٨ : الدكرو فى الهامش بادركه فى احدي المخطوطات

منه شيئا يسيرا وانحاز عبد الرحمن ، فأخذ عليّ منهم أربع شذوات وأتى عبد الرحمن دولاب فأقام به ، وسار طاشتَمر إلى عليّ فوافاه وقاتله ، فانهزم عليّ إلى نهر السّدره ، وكتب طاشْتِمُر يستمد عبد الرحمن ويخبره بانهزام عليّ ، فأتاه عبد الرحمن وواقع عليا بنهر السّدرة وقعه عظيمة ، فانهزم عليّ إلى صاحب الزنج ، وعسكر عبد الرحمن ببيان [١] فكان هو وإبراهيم بن سيما يتناوبان المسير إلى عسكر الزنج فيوقعان به ، واسحاق بن كنداجيق بالبصرة ، وقد قطع الميرة عن الزنج ، فكان صاحبهم يجمعهم يوم محاربة عبد الرحمن وإبراهيم ، فإذا انقضت الحرب سيّر طائفة منهم إلى البصرة لقتال اسحاق ، فأقاموا كذلك بضعة عشر شهراً ، إلى أن انصرف موسى بن بُغا عن حرب الزنج ، ووليها مسرور البلخى على مانذكره إن شاء الله تعالى .

وفى سنة إحدى وستين ومائتين ولى أبو الساج الأهواز وسُيّر عبد الرحمن إلى فارس ، وأمر أبو الساج بمحاربة الزنج فندب صهره [٢] لمحاربتهم ، فلقيه عليّ بن أبان بناحية دولاب ، فقتل عبد الرحمن وانحاز أبو الساج إلى ناحية عسكر مُكْرَم ، ودخل الزنج الأهواز فقتلوا أهلها وسبوا وأحرقوا ، ثم انصرف أبو الساج عما كان وليه من الأهواز وحرب الزنج ، ووليها إبراهيم بن سيما فلم يزل بها حتى انصرف عنها مع موسى بن بغا .

---

(١) فى الكامل حـ٧ ص ١٧٩ : بلنان وفى المخطوطات : يشبان والتصويب عن الطبرى جـ١٣ ص ١٨٧٩ ، وفى معجم البلدان لياقوت بالفتح والتخفيف صقع من سواد البصرة فى الجانب الشرق من دجلة .

(٢) صهر أبى الساج راجع الطبرى حـ١٣ ص ١٨٨٨ ، ص ١٨٨٩ .

ذكر انتداب أبى أحمد الموفق لحرب الزنج وماشغله عن ذلك واستعماله مسرورا البلخى على حربهم وماكان فى خلال ذلك من أخبارهم

وفى سنة إحدى وستين ومائتين ولّى المعتمد على الله أخاه أباأحمد العهد بعد ابنه جعفر ، ولقّبه الناصر لدين الله الموفّق ، وولّاه من الأعمال ماقدّمنا ذكره فى أخباره الدولة العباسية ، وولّى موسى بن بغا إفريقية على ماقدمناه ، وأمر المعتمد على الله أخاه الموفّق بحرب الزنج ، فولّى الموفَق الأهواز والبصرة و كور دجلة – وذلك من جملة ماهو مضاف إلى ولايته – مسرورا البلخى ، وسيّره على مقدمته فى ذى الحجة من السنة وعزم على المسير بعده ، فحدث من أمر يعقوب بن الليث الصفّار مامنعه عن المسير على مانذكر ذلك إن شاء الله تعالى فى أخبار الدولة الصفارية ، ثم رجع مسرور البلخى لقتال يعقوب ، فخلت البلاد من العساكر السلطانية ، فبثّ صاحب الزنج سراياه فى تلك البلاد تنهب وتحرق وتخرّب ، وذلك فى سنة اثنتين وستين ومائتين ، وأتته الأخبار بخلوّ البطيحة من جند السلطان ، فأمر سليمان بن جامع وجماعة من أصحابة بالمسير إلى الحوانيت ، وأمر سليمان بن موسى بالمصير إلى القادسية ، وقدم أبّا (١) التركى فى ثلاثين شذاة يريد عسكر الزنج فنهب وأحرق ، فكتب صاحب الزنج إلى سليمان بن موسى يأمره بمنعه من العبور ، فأخذ سليمان عليه الطريق ، فقاتلهم

(١) فى المخطوطات: ابن وفي الكامل ايضا ج٧ ص ٢٠٢ والتصويب عن الطبرى ج ١٣ ص ١٩٠٠ وسيرد أسمه صحيحا بعد ذلك .

شهرا حتى تخلَّص ، وانحاز إلى سليمان بن جامع من مذكورى البلاليّة وأنجادهم جمع كثير فى خمسين ومائة سميرية ، وكان مسرور البلخى قد وجّه قبل مسيره عن واسط جماعة من أصحابه فى شذاة إلى سليمان ، فأشار الباهليون على سليمان أن يتحصّن فى عَقْرما وراء (١) طهيثا والأدغال التى فيها ، وكرهوا خروجه عنهم لموافقته فى فعله وخافوا السلطان ، فسار فنزل إليه بقربة مروان بالجانب الشرقى من نهر طهيثا ، وجمع إليه رؤساء الباهليين ، وكتب إلى صاحب الزنج يعلمه بما صنع ، فكتب إليه يصوّب رأيه ويأمره بانفاذ ماعند من ميرة ونِعَم ، فأنفذ ذلك إليه .

وورد الخبر على سليمان أنّ أغَرْتميش وخُشَيْشا قد أقبلا فى الخيل والرجال (٢) والسميريات والشذاة يريدون حربه ، فجزع جزعا شديدا ، فلما أشرفوا عليه ورآهم أخذ جمعا من أصحابه ، وسار راجلا واستدبر أغرتميش ، وجدّ أغرتميش فى المسير إلى عسكر سليمان ، وكان سليمان قد أمر الذي استخلفه فى جيشه ألايظهر منهم أحد لأصحاب أغرتميش ، وأن يخفوا أنفسهم ما قدروا إلى أن يسمعوا أصوات طبولهم ، فإذا سمعوها خرجوا عليه ، وأقبل أغرتميش إليهم فجزع أصحاب سليمان جزعا شديدا فتفرّقوا ، ونهضت شرذمة منهم فواقعوهم وشغلوهم عن دخول العسكر ، وجاء سليمان من خلفهم وضرب طبوله ، وألقوا أنفسهم فى الماء للعبور إليهم ، فانهزم أصحاب أغرتميش وظهر من كان

(١) فى المخطوطات : فى عقر مادروا بطهثا ، وفى الكامل حـ٧ ص ٢٠٢ : عقر ماوراء بطهثا ، وفى تاريخ الطبرى حـ١٣ ص ١٩٠٢ عقر ماور والتحصن بطهيثا .

(٢) فى المخطوطات : الرجل والتصويب عن الكامل حـ٧ ص٢٠٢ والطبرى حـ١٣ ص١٩٠٤

من السودان بطهيثا ، ووضعوا السيوف فيهم فقتل خُشَيْش وانهزم أغرتميش ، وتبعه الزنوج إلى عسكره فنالوا حاجتهم منه ، وأخذوا شذاوات فيها مال وغيره ، فعاد أغرتميش إليهم فانتزعها من أيديهم ، وعاد سليمان وقد ظفر وغنم ، وكتب إلى صاحب الزنج بالخبر وسيّر إليه رأس خُشَيْش ، فسيّره إلى علىّ بن أبان وهو بنواحى الأهواز ، وسيّر سليمان سريّة فظفروا باحدى عشرة شذاة وقتلوا أصحابها .

ثم كانت للزنج وقعة عظيمة انهزموا فيها فى سنة اثنتين وستين أيضا وكانت هذه الوقعة مع أحمد بن لَيْثَوَيه . وكان سببها أن مسرورا البلخى وجّه أحمد بن ليثويه إلى كور الأهواز ، فنزل السوس وكان يعقوب الصفّار – المستولى على خراسان – قد قلّد محمد بن عبيد الله ابن هزار [1] مرد الكردى كور الأهواز ، فكاتب محمد قائد الزنج يطمعه فى الميل إليه ، وأوهمه أنه يتولى له كور الأهواز ، وكان محمد يكاتبه قديماً ، وعزم على مداراة الصفّار وقائد الزنج ، حتى يستقيم له الأمر فيها ، فكاتبه صاحب الزنج يجيبه إلى ما سأل ، على أن يكون على بن أبان المتولّى للبلاد ، ومحمد بن عبيد الله يخلفه عليها ، فقبل محمد ذلك ، فوجّه إليه على بن أبان جيشا وأمدّهم محمد بن عبيد الله ، فساروا نحو السوس فمنعهم أحمد بن ليثويه ومن معه من جند الخليفة عنها ، وقاتلهم فقتل خلقاً كثيراً وأسر جماعة ، وسار أحمد حتى جُنْدَيْ [2] سَابور ، وسار على بن أبان من الأهواز منجدا محمد بن

(١) فى ك ، ت : عبد الله وفى تاريخ الطبرى جـ١٣ ص ١٩٠٧ : أزارمرد والتصويب عن ا والكامل جـ٧ ص ٢٠٣ .

(٢) فى المخطوطات : سابور ومن الواضح أنه يقصد جند يسابور ، هذا والتصويب عن الكامل جـ٧ ص ٢٠٤ والطبرى جـ١٣ ص ١٩٠٩ .

عبيد الله على أحمد بن ليثويْه ، فلقيه محمد (١) فى جيش كثير من الأكراد والصعاليك ، ودخل محمد تُسْتَر ، فانتهى إلى أحمد بن ليثويه الخبر بتضافرهما على قتاله ، فخرج عن جُنْدَىْ سَابور إلى السوس ، وكان محمد قد وعد علىّ بن أبان أن يخطب لصاحبه قائد الزنج يوم الجمعة على منبر تُستر ، فلما كان يوم الجمعة خطب للمعتمد على الله وللصفّار ، فلما علم على بن أبان ذلك انصرف إلى الأهواز ، وهدم قنطرة كانت هناك لئلا تلحقه الخيل ، وانتهى أصحاب علىّ إلى عَسْكر مُكْرَم فنهبوها ، وكانت داخلة فى سلم صاحب الزنج فغدروا بها ، وساروا إلى الأهواز ، فلما علم أحمد ذلك أقبل إلى تستر ، فأوقع بمحمد بن عبيد الله ومن معه ، فانهزم محمد ودخل أحمد تُستر ، وأتت الأخبار على بن أبان أنّ أحمد على قصده ، فسار إلى لقائه ومحاربته فالتقيا واقتتل العسكران ، فاستأمن جماعة من الأعراب ، الذين كانوا مع علىّ بن أبان — إلى أحمد بن ليثويه ، فانهزم باقى أصحاب علىّ وثبت معه جماعة يسيرة ، فاشتد القتال وترجّل على بن أبان وباشر القتال راجلا ، فعرفه بعض أصحاب أحمد فأنذر به ، فلما عرفوه انصرف هارباً ، وأتاه بعض أصحابه بسميريّة فركب فيها ونجا مجروحا ؛ وقتل من أصحابه جماعة كثيرة ، وعاد إلى الأهواز ولم يُقم بها ، ومضى إلى عسكر صاحبه يداوى جراحه ، واستخلف على عسكره بالأهواز ؛ فلما برئت جراحه عاد إلى الأهواز ، ووجّه أخاه الخليل بن أبان فى سنة ثلاث وستين ومائتين فى جيش كثيف إلى

(١) فى المخطوطات : أحمد وهو خطأ تصويبه عن الكامل ج٧ ص ٢٠٤ والطبرى ج ١٣ ص ١٩٠٩ .

أحمد بن ليثويه ، وكان أحمد بعسكر مُكْرَم فكمّن لهم أحمد وخرج إلى قتالهم ، فالتقى الجمعان واقتتلوا أشد قتال ، وخرج الكمين على الزنج فانهزموا وتفرّقوا وقتلوا ، ووصل المنهزمون إلى على بن أبان ، فوجّه عليٌّ مسلحة [إلى المَسْرقان][1] ، فوجّه إليهم أحمد بن ليثويه ثلاثين فارسا من أعيان أصحابه فقتلهم الزنج جميعهم .

ذكر دخول الزنج واسط وماتقدم ذلك من الحروب والوقائع

كان دخول الزنج واسط فى سنة أربع وستين ومائتين ، وذلك أن سليمان بن جامع لما سار إلى البطائح فى سنة اثنتين وستين – وكان بينه وبين أَغَرتْمِيش ما ذكرناه – كتب إلى صاحبه يستأذنه فى المسير إليه ليحدث به عهدا ، فأذن له فى ذلك ، فأشار عليه الجبّائى[2] أن يتطرق إلى عسكر تكين البخاريّ ، وهو ببَرْدُود[3] ، فقبل قوله وسار إلى تكين ، فلما كان على فرسخ منه قال له الجبّائى : الرأى أن تقيم أنت ها هنا ، وأمضى أنا فى السميريّات فأجرّ القوم إليك فيأتونك وقد تعبوا ، فتنال منهم حاجتك ، ففعل سليمان ذلك وجعل بعض أصحابه كمينا ، ومضى الجبّائى إلى تكين فقاتله ساعة ، ثم تطارد لهم فتبعوه ،

(١) سهو من المؤلف وضع بين قوسين بيانا أنه مضاف إلى النص عن الكامل جـ٧ ص ٢١٣ .

(٢) فى المخطوطات : الجنابى وهو خطأ لأن الجنابى زعيم القرامطة ظهر فى البحرين بعد أن بسط سلطانه عليها ، وبزعامته صار القرامطة قوة مرهوبة ، وحركة القرمطة جاءت بعد حركة الزنج هذه وفى الكامل جـ٧ ص ٢١٦ : الحيانى ، والتصويب عن الطبرى جـ١٣ ص ١٩١٧ .

(٣) فى الكامل جـ٧ ص ٢١٦ : يزدود ويؤيد المخطوطات الطبرى جـ١٣ ص ١٩١٧ .

فأرسل إلى سليمان يعلمه ذلك ، وقال لأصحابه – وهو بين يدى أصحاب تكين شبه المنهزم ليسمع أصحاب تكين قوله – غرّرتمونى وأهلكتمونى !! وكنت نهيتكم عن الدخول ها هنا فأبيتم ولا أرانا ننجو منه ! ! فطمع أصحاب تكين وجدّوا فى طلبه ، وجعلوا ينادون « بلبل فى قفص » ، فمازالوا كذلك حتى جاوزوا موضع الكمين وقاربوا عسكر سليمان ، وقد كمّن أيضا خلف جدر هناك ، فخرج سليمان إليهم فقاتلهم ، وخرج الكمين من خلفهم ، وعطف الجبّائى على من فى النهر ، فاشتد القتال ، فانهزم أصحاب تكين من الوجوه كلها ، وركبهم الزنج فقتلوهم وسلبوهم أكثر من ثلاثة فراسخ ، وعادوا عنهم ، فلما كان الليل عاد الزنج إليهم وهم فى معسكرهم فكبسوهم ، فقاتلهم تكين وأصحابه فانكشف سليمان ، ثم عبى أصحابة وأمر طائفة أن تأتيه من جهة ذكرها لهم ، وطائفة من الماء . وأتى هو فى الباقين ، وقصدوا تكين من جهاته كلها ، فلم يقف من أصحابه أحد ، وانهزموا وتركوا عسكرهم فغنم الزنج ما فيه ، وعادوا بالغنيمة .

واستخلف سليمانُ الجبّائى على عسكره ، وسار إلى صاحبه وذلك فى سنة ثلاث وستين ، فلما سار سليمان إلى صاحب الزنج خرج الجبّائى بالعسكر إلى مَازَرْوَان(١) لطلب الميرة ، فاعترضه جعْلان فقاتله ، فانهزم الجبّائى وأخذت سفنه ، وأتته الأخبار أنّ منجور ومحمد ابن على (٢) بن حبيب اليشكرى قد بلغا الحجّاجيّة ، فكتب إلى

(١) فى الكامل جـ٧ ص ٢١٧ : ما زوران ويؤيد المخطوطات الطبرى جـ١٣ ص ١٩٢٠ .

(٢) فى ك ، ت محمد بن جعب اليشكرى والتصويب عن ا والكامل جـ٧ ص ٢١٧ والطبرى جـ١٣ ص ١٩٢٠ .

صاحبه بذلك ، فسيّر إليه سليمان فوصل إلى طهيثا مجدا ، وأظهر أنه يريد قصد جُعْلان ،وقدم الجبّائى وأمره أن يأتى جُعْلان ويقف بحيث يراه ولا يقاتله ، ثم سار سليمان نحو محمد بن على بن حبيب مجدا فأوقع به وقعة عظيمة ، وغنم غنائم كثيرة ، وقتل أخاً لمحمد بن على ورجع ، وذلك فى شهر رجب سنة ثلاث وستين أيضا .

ثم سار فى شعبان إلى قرية حسّان ، وبها قائد يقال له جيش [1] ابن خمارتكين فأوقع به ، فهزمه ونهب القرية وأحرقها وعاد ، ثم سار فى شعبان أيضا إلى مواضع فنهبها وعاد ، ثم سار فى رمضان وأظهر أنه يريد جُعْلان بمازَرْوَان [2] ، فبلغت الأخبار جُعلان [2] فضبط عسكره ، فتركه سليمان وعدل إلى أبّا فأوقع به وهو غارٌّ ، وغنم منه ست شذاوات ، ثم أرسل الجبّائى فى جماعة لينهب ، فصادفهم جعْلان فأخذ سفنهم وغنم منهم ، فتداد سليمان فى البرّ فهزمه واستنقذ سفنهم ، وغنم شيئا آخر وعاد ، ثم سار سليمان إلى الرصافة فى [3] ذى القعدة فأوقع بمطر بن جامع وهو بها ، وغنم غنائم كثيرة وأحرق الرصافة [3] واستباحها ، وحمل أعلاما وانحدر إلى مدينة صاحب الزنج ، وأقام ليعيّد هناك بمنزله ، فسار مطر إلى الحجّاجيّة فأوقع بأهلها وأسر جماعة ، وكان بها قاض لسليمان فأسره مطر وحمله إلى واسط ، وصار مطر إلى قريب طهيثا ورجع ، فكتب الجبّائى إلى سليمان بذلك ، فسار نحوه فوافاه لليلتين بقيتا من ذى الحجة سنة ثلاث وستين .

(١) فى الكامل ح٧ ص ٢١٧ : حسن ويؤيد المخطوطات الطبرى ح١٤ ص ١٩٢٢ .
(٢) ساقط من ك ، ت .
(٣) ساقط من ت .

ثم صرف جعلان ووافاه أحمد بن ليثويه فأقام بالشديدية ، ومضى سليمان إلى تكين فى خمس شذاوات ، وذلك فى سنة أربع وستين ، فواقعه تكين بالشديدية ، وكان أحمد بن ليثويه حينئذ قد سار إلى الكوفة ، فظهر تكين على سليمان وأخذ الشذاوات بما فيها ، وكان فيها صناديد سليمان وقوّاده فقتلهم ، ثم إنّ أحمد عاد إلى الشديديّة وضبط تلك الأعمال . حتى وافاه محمد المولّد وقد ولّاه الموفّق مدينة واسط ، فكتب سليمان إلى صاحبه يستمده ، فأمدّه بالخليل بن أبان فى زهاء ألف وخمسمائة فارس [1] . فلما أتاه المدد قصد إلى محاربة محمد المولّد ، فأوقع به وهرب المولّد ، ودخل سليمان مدينة واسط فقتل فيها خلقا كثيرا ونهب وأحرق ، وكان بها كنجور [2] البخارى ، فقاتله يومه إلى العصر ثم قتل ، وانصرف سليمان عن واسط إلى جُنْبُلاء ليعيث ويخرّب ، فأقام هناك تسعين ليلة .

ذكر وقائع كانت بين الزنج وبين أحمد بن ليثويه وتكين البخارى وأغرتميش فى سنة خمس وسنة ست وستين ومائتين

وفى سنة خمس وستين كانت وقعة بين أحمد بن ليثويه وبين سليمان بن جامع والزنج بناحية جُنبلاء . وسبب ذلك أن سليمان كتب إلى صاحب الزنج ، يخبره بحال نهر يسمّى الزهيرى [3] ويسأله

(١) فى المخطوطات : فرس والتصويب عن الكامل حـ٧ ص ٢١٨ والطبرى حـ١٤ ص ١٩٢٥

(٢) فى المخطوطات : ابن منكجور وكذلك فى الكامل حـ ٧ ص ٢١٨ وفى هامش الكامل . كنجور فى احدى مخطوطاته والتصويب عن الطبرى حـ١٤ ص ١٩٢٥ .

(٣) فى المخطوطات والكامل حـ٧ ص٢٢٣ : الزهرى والتصويب عن الطبرى حـ١٤ ص١٩٢٨

أن يأذن فى عمله ، ويقول إنّه متى أنفذه تهيّأ له حمل ما فى جنبلاء وسواد الكوفة ، فأنفذ إليه زكرويه (١) لذلك ، وأمره بمساعدته والنفقة على عمل النهر ، فمضى سليمان فيمن معه وأقام بالشريطيّة نحوا من شهر ، وشرعوا فى عمل النهر ، وكان أصحاب سليمان فى أثناء ذلك يتطرّقون إلى ما حولهم ، فواقعه أحمد بن ليثويه ، وهو عامل الموفّق بجنبلاء ، فقتل من الزنوج نيّفا وأربعين قائدًا ، ومن عامّتهم ما لا يحصى كثرة وأحرق سفنهم ، فمضى سليمان مهزوما إلى طهيثا .

وفيها سار جماعة من الزنوج فى ثلاثين سميريّة إلى جُبُّل (٢) ، فأخذوا أربع سفن فيها طعام وانصرفوا . وفيها دخل الزنج النُّعْمَانِيَّة فأحرقوها وسبوا ، وصاروا إلى جَرْجَرَايَا ودخل أهل السودان بغداد .

وفيها استعمل الموفّق مسرورًا البلخى على كور الأهواز ، فولّى مسرور ذلك تكين البخاريّ ، فسار تكين إليها ، وكان على بن أبان والزنج قد أحاطوا بتُسْتَر ، فخاف أهلها وعزموا على تسليمها إليهم ، فوافاهم تكين وهم على تلك الحال ، فواقع على بن أبان حال وصوله ، فانهزم علىّ والزنج وقتل كثير منهم وتفرقوا ، ونزل تكين تستر . قال : وهذه الوقعة تعرف بوقعة كُودَك (٣) وهى مشهورة .

---

(١) هكذا فى ا الملاحظ دقته فى النقل وكذلك فى ت ، فى ك : بكروية ، وفى الكامل ج٧ ص ٢٢٣ : نكرويه ، وفى تاريخ الطبرى ج ١٤ ص ١٩٢٨ : فوجة الخبيث للقيام بذلك رجلا يقال له محمد بن يزيد البصرى . ولم يذكر لقبه المذكور فى الكامل أو المخطوطات .

(٢) فى المخطوطات : دجيل والتصويب عن الكامل ج٧ ص٢٢٣ و الطبرى ج١٤ ص١٩٣٢

(٣) فى المخطوطات والكامل ج٧ ص٢٢٤ : كورك بالراء والتصويب عن الطبرى ج١٤ ص ١٩٣٣ وراجع أيضا البداية والنهاية ج ١١ ص ٣٨ (مطبعة السعاده ، القاهرة

قال : ثم إن عليا قدم عليه جماعة من قوّاد الزنج ، فأمرهم بالمقام بقنطرة فارس ، فهرب منهم غلام رومى إلى تكين وأخبره بمقامهم بالقنطرة ، وتشاغلهم بالنبيذ وتفرّقهم فى جمع الطعام ، فسار تكين إليهم ليلا فأوقع بهم ، وقتل من قوّادهم جماعة وانهزم الباقون ، وسار تكين إلى على بن أبان فلم يقف له علىّ وانهزم ، وأسر غلام له يعرف بجعفرويه ورجع علىّ إلى الأهواز ورجع تكين إلى تستر ، وكتب علىّ إلى تكين يسأله الكفّ عن قتل غلامة فحبسه ، ثم تراسل علىّ وتكين وتهاديا ، فبلغ الخبر مسرورا بميل تكين إلى الزنج ، فسار حتى وافى تكين وقبض عليه وحبسه حتى مات ، وتفرّق أصحاب تكين : ففرقة صارت إلى الزنج ، وفرقة صارت إلى محمد بن عبيد الله الكردى ، فبلغ ذلك مسرورا فأمّنهم ، فجاءه الباقون منهم . قال : وبعض ما ذكرناه كان فى ست وستين ومائتين .

وفى سنة ست وستين ولى أغرتميش ما كان يتولاه تكين البخارى من أعمال الأهواز ، فدخل تُستر ومعه أبَّا ومطر بن جامع ، فقتل مطر جعفرويه ـ غلام علىّ بن أبان ـ وجماعة معه كانوا مأسورين ، وساروا إلى عسكر مكرم ، وأتاهم الزنج هناك مع على بن أبان فاقتتلوا ، فلما رأوا كثرة الزنج قطعوا الجسر وتحاجزوا ، ورجع علىّ إلى الأهواز وأقام أخوه الخليل بالمَسْرُقان فى جماعة كثيرة من الزنج ، وسار أغرتميش ومن معه نحو الخليل ، ليعبروا إليه من قنطرة أَرْبُك ، فكتب إلى أخيه علىّ فوافاه فى النهر ، وخاف أصحابه الذين خلّفهم بالأهواز فارتحلوا إلى نهر السّدْرَة ، وتحارب علىّ وأغرتميش يومه ، ثم انصرف علىّ إلى الأهواز فلم يجد أصحابه ، فوجّه من يردّهم من نهر السدرة ،

فعسر عليهم ذلك فتبعهم وأقام معهم ورجع أغرتميش ، فنزل[1] عسكر مكرم واستعد لقتالهم ، وبلغ ذلك أغرتميش[1] ومن معه من عسكر الخليفة ، فساروا إليه فكمّن لهم علىّ ، وقدّم الخليل إلى قتالهم فاقتتلوا : فكان أوّل النهار لأصحاب الخليفة ، ثم خرج عليهم الكمين فانهزمو وأسر مطر بن جامع وعدّة من القوّاد ، فقتله علىّ بغلامه جعفرويه وعاد إلى الأهواز ، وأرسل رؤوس القتلى إلى صاحب الزنج ، وكان علىّ وأغرتميش بعد ذلك فى حروبهم على السواء ، وصرف صاحب الزنج أكثر جنوده إلى علىّ بن أبان ، فلما رأى ذلك أغرتميش وادعه ، وجعل علىّ يغير على النواحى ، فأغار على قرية بيروذ ونهبها ، ووجه الغنائم إلى صاحبه .

ذكر دخول الزنج رامهرمز

وفى سنه ست وستين ومائتين دخل علىّ والزنج رَامَهُرْمُز ، وسبب ذلك أن محمد بن عبيد الله كان يخاف علىّ بن أبان ، لما في نفس علىّ منه لما ذكرناه ، فكتب إلى انكلاى ابن صاحب الزنج ، وسأله أن يسأل أباه ليرفع يد علىّ عنه ويكون إلى نفسه ، فزاد ذلك غيظ علىّ منه ، وكتب إلى صاحب الزنج بالايقاع بمحمد ، ويجعل ذلك الطريق إلى مطالبته بالخراج . فأذن له فكتب إلى محمد يطلب منه حمل الخراج ، فمطله ودافعه فسار إليه علىّ وهو برامهرمز ، فهرب محمد عنها ودخلها علىّ والزنج فاستباحها ، ولحق محمد بأقصى معاقله . وانصرف علىّ غانما ، وخاف

(١) ساقط من ك ، ت .

محمد فكتب إليه يطلب المسالمة ، فأجابه إلى ذلك على مال يؤديه إليه ، فحمل إليه مائتى ألف درهم فأنفذها إلى صاحب الزنج ، وأمسك عن محمد بن عبيد الله وأعماله .

وفيها كانت وقعة للزنج انهزموا فيها ، وكان سببها أن محمد بن عبيد الله كتب إلى علىّ بن أبان بعد الصلح يسأله المعونة على طائفة من الأكراد ، على أن يجعل له ولأصحابه غنائمهم ، فكتب علىّ إلى صاحبه يستأذنه ، فكتب إليه أن : وجِّهْ إليه جيشا وأقم أنت ، ولا تنفذْ حتى تستوثق منه بالرهن ، ولا تأمنْ غدره والطلب بثأره ، فكتب علىّ إلى محمد يطلب منه اليمين والرهائن ، فبذل له اليمين ومطله بالرهائن ، فلحرص علىّ على الغنائم أنفذ إليه جيشا ، فسير محمد معهم طائفة من أصحابه إلى الأكراد ، فخرج إليهم الأكراد فقاتلوهم ونشبت الحرب ، فتخلى أصحاب محمد عن الزنج فانهزموا ، وقتلت الأكراد منهم خلقا كثيرا ، وكان محمد قد أعدّ لهم من يتعرض لهم إذا انهزموا ، فأوقعوا بهم وسلبوهم وأخذوا دوابّهم ، ورجعوا بأسوأ حال ، فكتب علىّ إلى صاحب الزنج يعرّفه فقال : ضيَّعت أمرى فى ترك الرهائن ، وكتب إلى محمد يتهدّده فخاف محمد ، وكتب يخضع ويذل وردّ بعض الدواب ، وقال : إنّى كبست من كانت عندهم ، وخلّصت هذه منهم ، فأظهر صاحب الزنج الغضب عليه ، فأرسل محمد إلى بهبوذ ومحمد بن يحيى الكرمانىّ ، وكان أقرب الناس إلى علىّ ، فضمن لهما مالا إن أصلحا له عليا وصاحبه ففعلا ذلك ، وأجابهما صاحب الزنج بالرضا عن محمد ، على أن يخطب له على منابر بلاده ، فأعلما محمدا ذلك فأجابهما إلى جميع ما طلبا ، وجعل

براوغ فى الدعاء له على المنابر ، ثم إنّ عليا استعدّ لمَتُّوث وسار إليها فلم يظفر بها ، فرجع وعمل السلالِم والآلات التى يصعد بها إلى السور ، واستعدّ لقصدها فعرف ذلك مسرور البلخى ، وهو يومئذ بكور الأهواز ، فلما سار علىّ إليها سار إليه مسرور ، فوافاه قبل المغرب وهو نازل عليها ، فلما عاين الزنج أوائل خيل مسرور انهزموا أقبح هزيمة ، وتركوا ما كانوا أعدّوه وقُتل منهم خلق كثير ، وانصرف علىّ مهزوما ، فلم يلبث إلا يسيرا حتى أتته الأخبار باقبال الموفّق ، ولم يكن لعلىّ بعدها وقعة ، حتى فتحت سوق الخميس وطهيثا على الموفّق ، على ما نذكره إن شاء الله ، فكتب إليه صاحبه يأمره بالعود إليه ويستحثه حثا شديدا .

ذكر مسير أبى العباس بن الموفق وهو المعتضد بالله الى حرب الزنج وانتزاعه عامة ماكان بيد سليمان ابن جامع والزنج من أعمال دجلة

كان مسيره لذلك فى سنة ست وستين ومائتين ، وسبب ذلك أن الزنج لما دخلوا واسط وفعلوا بها ما فعلوا – واتصل ذلك بالموفّق – أمر ابنه أبا العباس بتعجيل المسير بين يديه ، إليهم ، فسار فى شهر ربيع الآخر وشيّعه أبوه ، وسيّر معه عشرة آلاف من الرجّالة والخيّالة فى العدّة الكاملة ، وأخذ معه الشذاوات والسميريّات والمعابر للرجّالة ، فسار حتى وافى دير العاقول ، وكان على مقدمته فى الشذاوات نُصير المعروف بأبى حمزة ، فكتب نصير إليه يخبره أنّ سليمان بن جامع قد وافى خيله ورجله وشذاوات وسميريّات – والجبّائى على مقدمته ، حتى

نزل الجزيرة فحصر بردودا [1] ، وأنّ سليمان بن موسى الشعرانى قد وافى الصلح ، ووجّه طلائعه ليعرف أخبارهم ، فعادوا وأعلموه موافاة الزنج وجيشهم ، وأن أوّلهم بالصلح وآخرهم ببستان موسى بن بغا أسفل واسط .

قال : وكان سبب جمع الزنج وحشدهم أنهم قالوا : إن العباس فتى حدث غرّ بالحرب ، والرأى لنا أن نرميه بحدّنا كلّه ، ونجتهد فى أول مرّة نلقاه فلعلّ ذلك يروعه فينصرف عنّا ، فجمعوا وحشدوا ، فلما علم أبو العباس قربهم عدل عن سنن الطريق واعترض فى مسيره ، ولقى أصحابه أوائل الزنج فتطاردوا لهم حتى طمعوا فيهم وتبعوهم ، وجعلوا يقولون : اطلبوا أميرا للحرب فإنّ أميركم قد اشتغل بالصيد ، فلما قربوا منه خرج عليهم فيمن معه ، وصاح بنُصير إلى أين يتأخر عن هذه الأكلب ، فرجع نصير ، وركب أبو العباس سميريّة وحفّ به أصحابه من جميع الجهات ، فانهزمت الزنج وكثر القتل فيهم ، وتبعوهم إلى أن وصلوا قرية عبد الله ، وهى على ستة فراسخ من الموضع الذى لقوهم به وأخذوا منهم خمس شذاوات وعدّة سميريّات ، وأسر جماعة واستأمن جماعة ، فكان هذا أول الفتح .

فسار سليمان بن جامع إلى نهر الأمير ، وسار سليمان الشعرانى إلى سوق الخميس ، وانحدر أبو العباس فأقام بالعُمْر ، وهو على فرسخ من واسط ، وأصلح شذاواته وأخذ يراوح القوم القتال ويغاديهم ، ثم إن سليمان استعدّ وحشد وجعل أصحابه فى ثلاثة أوجه ، وقالوا إنه

(١) فى المخطوطات والكامل حـ ٧ ص ٢٣٤ : بردرويا والتصويب عن الطبرى حـ ١٤ ص ١٩٤٨ هذا ويلاحظ أن هذه الكلمة ترد بعد ذلك وتذكرها المخطوطات صحيحة .

حدث غرّ يغرّر بنفسه وكمّنوا كمينا ، فبلغ الخبر أبا العبّاس فحذر ، وأقبلوا وقد كمّنوا الكمناء ليغتر باتباعهم فيخرج الكمين عليه ، فمنع أبو العبّاس أصحابه من اتّباعهم ، فلما علموا أنّ كيدهم لم يتمّ خرج سليمان فى الشذاوات والسميريّات ، فأمر أبو العبّاس نصيرا أن يبرز إليهم ، وركب هو فى شذاة من شذاواته سماها الغزال ، ومعه جماعة من خاصّته ، وأمر الخيّالة بالمسير بازائه على شاطىء النهر إلى أن ينقطع ، فيعبروا دوابّهم ، ونشبت الحرب بين الفريقين فوقعت الهزيمة على الزنج ، وغنم أبو العبّاس منهم أربع عشرة شذاة ، وأفلت سليمان والجبّائى بعد أن أشفيا على الهلاك ، وبلغوا طهيثا وأسلموا ما كان معهم ، ورجع أبو العباس إلى معسكره . وأقام الزنج عشرين يوما لا يظهر منهم أحد ، وجعلوا على طريق الخيل آبارا وجعلوا فيها سفافيد حديد ، وجعلوا على رؤوسها البواري والتراب ليسقط فيها المجتازون ، فسقط فيها رجل ففطنوا لها فتركوا ذلك الطريق . واستمد سليمان صاحب الزنج فأمدّه بأربعين سميريّه بآلاتها ومقاتليها ، فعادوا للتعرض للحرب فلم يثبتوا لأبى العبّاس ، ثم سيّر إليهم عدة سميريّات فأخذها الزنج ، فبلغه الخبر وهو يتغدّى فركب فى سميريّة ولم ينتظر أصحابه وتبعه منهم من خفّ فأدرك الزنج ، فانهزموا وألقوا أنفسهم فى الماء ، فاستنقذ سميريّاته ومن كان فيها ، وأخذ منهم إحدى وثلاثين سميريّة ورمى أبو العبّاس يومئذ عن قوس حتّى دميت ابهامه ، فلما رجع أمر لمن معه بالخلع ، وأمر باصلاح السميريّات المأخوذة من الزنج .

ثم إنّ أبا العبّاس رأى أن يتوغّل ما زروان حتى يصير إلى الحجّاجيّة ونهر الأمير ، ويعرف ما هناك ، فقدّم نصيرا فى أوّل السميريّات

وركب أبو العبّاس فى سميريّة ومعه محمد بن شُعيب ، ودخل مازروان وهو يظنّ أنّ نصيرا أمامه ، فلم يقف له على خبر ، وكان قد سار على غير طريق أبى العباس ، وخرج من مع أبى العبّاس من الملّاحين إلى غنم رأوها ليأخذوها ، فبقى هو ومحمد بن شعيب فأتاهما جمع من الزنج من جانبى النهر ، فقاتلهم أبو العباس بالنشّاب ، ووافاه زِيرك فى باقى الشذاوات ، فسلم أبو العبّاس وعاد إلى عسكره ، ورجع نصير ، وجمع سليمان بن جامع أصحابه وتحصّن بطهيثا ، وتحصّن الشعرانىُّ وأصحابه بسوق الخميس ، وجعلوا يحملون الغلات إليها ، واجتمع بالصينيّة جمع كثير ، فوجّه أبو العباس جماعة من قوّاده على الخيل إلى ناحية الصينيّة ، وأمرهم بالمسير فى البرّ وإذا عرض لهم نهر عبروه ، وركب هو فى الشذاوات والسميريّات ، فلما أبصرت الزنج الخيل خافوا ولجأوا إلى الماء والسفن ، فلم يلبثوا أن وافتهم الشذاوات مع أبى العبّاس ، فلم يجدوا ملجأ فاستسلموا ، فقُتل منهم فريق وأسر فريق ، وألقى فريق أنفسهم فى الماء ، وأخذ أصحاب أبى العبّاس سفنهم وهى مملوءة أرزاً ، وأخذ الصينيّة وأزاح الزنج عنها ، فانحازوا إلى طهيثا وسوق الخميس ، ورجع أبو العباس إلى عسكره وقد فتح الصينيّة .

وبلغه أنّ جيشا عظيما للزنج مع ثابت بن أبى دُلَف ولؤلؤ ، فسار إليهم وأوقع بهم وقعة عظيمة وقت السحر ، فقتل منهم خلقا كثيرا منهم لؤلؤ ، وأسر ثابتا فمنّ عليه وجعله مع بعض قوّاده ، واستنقذ خلقا كثيرا من النساء ، فأمر بردّهنّ إلى أهلهنّ ، وأخذ كلّ ما كان الزنج جمعوه ، وأمر أصحابه أن يتجهزوا للمسير إلى سوق الخميس ،

وأمر نصيرا بتعبئة أصحابه للمسير ، فقال له : إن نهر سوق الخميس ضيّق ، فأقمْ أنت ونسير نحن ، فأبى عليه ، فقال له محمد بن شعيب : إن كنت لا بدّ فاعلا فلا تكثر الشذاوات ولا الرجال فإنّ النهر ضيّق ، فسار نصير بين يديه إلى فم برمساور[١] ، فوقف أبو العبّاس وتقدّمه نصير فى خمس عشرة شذاة ، فى نهر يؤدي إلى مدينة الشعرانىّ ، التى سماها المَنِيعة فى سوق الخميس ، فلما غاب عنه نصير خرج جماعة كثيرة فى البرّ على أبى العبّاس ، فمنعوه من الوصول إلى المدينة ، وقاتلوه قتالا شديداً من أوّل النهار إلى الظهر ، وخفى عليه خبر نصير ، وجعل الزنج يقولون : قد قتلنا نصيرا ، فاغتمّ أبو العبّاس لذلك وأمر محمداً يتعرّف خبره ، فسار فرآه عند سكر[٢] الزنج ، وقد أحرقه وأضرم النار فى مدينتهم ، وهو يقاتلهم قتالا شديداً ، فعاد إلى أبى العبّاس فأخبره فسرّ بذلك ، وأسر نصير من الزنج جماعة كثيرة ، ورجع حتى وافى أبا العبّاس ، ووقف أبو العبّاس فقاتلهم فرجعوا عنه ، وكمّن بعض شذاواته وأمر أن تظهر واحدة منها ، فطمعوا فيها وأدركوها فعلقوا بسكّانها ، فخرجت عليهم السفن الكمائن وفيها أبو العبّاس ، فانهزم الزنج وغنم أبو العبّاس منهم ست سميريّات ، وانهزموا لا يلوون على شيء من الخوف ، ورجع أبو العبّاس إلى عسكره سالما ، وخلع على الملّاحين وأحسن إليهم .

---

(١) فى المخطوطات والكامل جـ٧ ص٢٢٧ : ابن مساور والتصويب الطبرى جـ١٤ ص١٩٥٨

(٢) فى الكامل جـ٧ ص ٢٢٨ : عسكر ، ويؤيد المخطوطات الطبرى جـ ١٤ ص ١٩٥٩

ذكر مسير الموفق لقتال الزنج وفتح المنيعة

قال : وفى سنة سبع وستين ومائتين أيضا سار الموفّق عن بغداد إلى واسط لحرب الزنج ، وجمع وحشد الفرسان والرجّالة واستكثر من العدّة ، وسدّ الجهات التى يخاف منها لئلا يبقى له ما يشغل قلبه وكان صاحب الزنج قد أرسل إلى علىّ بن أبان المهلبىّ ، يأمره أن يجتمع مع سليمان بن جامع على حرب أبى العبّاس بن الموفّق ، فخاف الموفّق وَهْنا يتطرق إلى ابنه أبى العبّاس ، فسار عن بغداد فى صفر سنة سبع وستين فوصل إلى واسط فى شهر ربيع الأوّل ، فلقيه ابنه فأخبره بحال جنده وقوّاده فخلع عليه وعليهم ، ورجع أبو العبّاس إلى معسكره بالعُمْر ، ثم نزل الموفّق على نهر بسنداد[١] بازاء قرية عبد الله ، وأمر ابنه فنزل شرقىّ دجلة بازاء فوّهة بردودا ، وولاّه مقدّمته وأعطى الجيش أرزاقهم ، وأمر ابنه أن يسير بما معه من الآلات الحربية إلى فوّهة برمساور ، فرحل فى نخبة أصحابه[٢] ، ورحل الموفّق بعده فنزل فوّهة برمساور ، فأقام يومين ثم وصل إلى المدينة التى سماها صاحب الزنج — المنيعة — من سوق الخميس يوم الثلاثاء لثمان خلون من شهر ربيع الآخر سنة سبع وستين ، وسلك بالسفن فى برمساور وسارت الخيل شرقيّه حتى[٣] حاذوا براطق ، الذى يوصل إلى المنيعة ، وأمر

(١) فى المخطوطات والكامل حـ٧ ص ٢٣٨ : نهر شداد والتصويب عن الطبرى حـ١٤ ص ١٩٦١

(٢) العبارة فى ك ، ت : فدخل فى غير أصحابه والتصويب عن ا والكامل حـ٧ ص ٢٣٩ والطبرى حـ١٤ ص ١٩٦٢ .

(٣) فى الكامل حـ٧ ص٢٣٩ : جاوزوا ويؤيد المخطوطات الطبرى حـ١٤ ص ١٩٦٢

أن تعبر الخيل لتصير من الجانبين ، وأمر ابنه أبا العبّاس بالتقدّم بالشذاوات بعامة الجيش ، ففعل فلقيه الزنج فحاربوه حربا شديدة ، ووافاهم أبو أحمد الموفّق والخيل من جانبي النهر ، فلما رأوا ذلك انهزموا وتفرّقوا ، وعلا أصحاب أبى العبّاس السور ووضعوا السيوف فى من لقيهم ، ودخلوا المنيعة فقتلوا بها خلقا كثيرا ، وأسروا عالما عظيما ، وغنموا ما كان فيها ، وهرب الشعرانى ومن معه وتبعه أصحاب الموفّق إلى البطائح ، فغرق منهم خلق كثير ولجأ الباقون إلى الآجام ؛ ورجع الموفّق إلى معسكره من يومه ؛ وقد استنقذ من المسلمات زهاء خمسة آلاف امرأة ، سوى من ظفر به من الزنجيّات ، وأمر بحفظ النساء وحملهنّ إلى واسط ليُدفعن إلى أهلهنّ ، ثمّ بكّر إلى المدينة وأمر الناس بأخذ ما فيها فأُخذ جميعه ، وأمر بهدم سورها وطمّ خندقها واحراق ما بقى فيها من السفن ، وأخذوا من الطعام والشعير والأرز شيئاً كثيراً ، فأمر ببيع ذلك وصرفه إلى الجند .

قال : ولما انهزم سليمان لحق بالمَذَار ، وكتب إلى صاحب الزنج بذلك ، فورد الكتاب عليه — وهو يتحدّث — فانحلّ بطنه فقام إلى الخلاء دفعات ، وكتب إلى سليمان بن جامع يحذّره مثل الذى نزل بالشّعرانىّ ويأمره بالتيقّظ . قال : وأقام الموفّق ببرمساور يومين يتعرّف أخبار الشّعرانىّ وسليمان بن جامع ، فأتاه من أخبره أن سليمان بن جامع بالحَوَانيت ، فسار حتى وافى الصِينيّة ، وأمر ابنه أبا العبّاس بالتقدّم بالشذاوات والسميريّات إلى الحوانيت ، فسار أبو العبّاس إليها فلم ير سليمان بها ، ورأى هناك جمعا من الزنج مع قائدَيْن لهم ، خلّفهم سليمان بن جامع هناك لحفظ غلّات كثيرة لهم فيها ، فحاربهم أبو

العبّاس إلى أن حجز بينهم الليل ، واستأمن إلى أبي العبّاس رجل ، فسأله عن سليمان بن جامع فأخبره أنّه مقيم بطهيثا بمدينته التى سماها المنصورة ، فعاد أبو العبّاس إلى أبيه بالخبر ، فأمره بالمسير إليه فسار حتى نزل بَرْدُودا ، فأقام بها لاصلاح ما يحتاج إليه ، واستكثر من الآلات التى يسدّ بها الأنهار ويصلح بها الطرق للخيل ، وخلّف ببردودا بُغْراج التركى .

ذكر استيلاء أبى أحمد الموفق على طهيثا

قال : ولما فرغ الموفّق من الذى يحتاج إليه سار عن بَرْدُودا إلى طهيثا لعشر بقين من شهر ربيع الآخر سنة سبع وستين ومائتين ؛ وكان امسيره على الظهر فى خيله ، وحُدّرت السفن والآلات فنزل بقرية الجوزيّة وعقد جسرا ، ثم غدا فعبر خيله عليه ثم عبر بعد ذلك ، فسار حتى نزل معسكرا على ميلين من طهيثا فأقام بها يومين ؛ ومطرت السماء مطرا شديدا فشغل عن القتال ، ثم ركب لينظر موضعا للحرب ، فانتهى إلى قريب من سور مدينة سليمان بطهيثا – وهى التى سمّاها المنصورة – فتلقّاه خلق كثير وخرج عليه كمناء من مواضع شتى ، واشتدت الحرب وترجّل جماعة من الفرسان ؛ وقاتلوا حتى خرجوا عن المضيق الذى كانوا فيه ، وأسر من غلمان الموفّق جماعة ، ورمى أبو العبّاس ابن الموفّق أحمد بن مهدى[1] الجبّائى بسهم خالط دماغه فسقط ؛ وحمل

(١) فى المخطوطات والكامل حـ ٧ ص ٢٤١ : أحمد بن هندى وفى الكامل الحيامى وفى المخطوطات الجنابي ، والتصويب عن الطبرى حـ ١٤ ص ١٩٦٩ ، والجبائى نسبة إلى جبى ، وهى مدينة فارسية ، وهى ينسب إليها أبو على الجبائى إمام المعتزلة المعروف

إلى صاحب الزنج فلم يلبث أن مات بحضرته ، فصلّى عليه وعظمت لديه المصيبة بموته ، وكان أعظم أصحابه غناء ، وانصرف الموفّق إلى معسكره وقت المغرب ، وأمر أصحابه بالتحارُس ليلتهم والتأهّبِ للحرب ، فلما أصبحوا – وذلك فى يوم السبت لثلاث بقين من شهر ربيع الآخر – عبّى الموفّق أصحابه ، وجعلهم كتائب يتلو بعضها بعضا فرسانا ورجّالة ، وأمر بالشذاوات والسميريّات أن يُسار بها إلى النهر الذى يشقّ مدينة سليمان ، وهو النهر المعروف بنهر المُنْذِر ، ورتّب أصحابه فى المواضع التى يخاف منها ، ثم نزل فصلّى أربع ركعات وابتهل إلى الله عزّ وجلّ فى النصر ثم لبس سلاحه ، وأمر ابنه أبا العبّاس أن يتقدّم إلى السور ، فتقدّم إليه فرأى خندقا فأحجم الناس عنه ، فحرّضهم قوّادهم وترجّلوا معهم فاقتحموه وعبروه ، وانتهوا إلى الزنج وهم على سورهم ، فلمّا رأى الزنج تسرّعهم إليهم ولّوا منهزمين ، واتبعهم أصحاب أبى العبّاس فدخلوا المدينة ، وكان الزنج قد حصّنوها بخمسة خنادق ، وجعلوا أمام كل خندق سورا ، فجعلوا يقفون عند كل سور وخندق فيكشفهم أصحاب أبى العباس ، ودخلت الشذاوات والسميريّات المدينة من النهر . فجعلت تغرق كلّ ما مرّت لهم به من سميريّة وشذاة . وقتلوا مَنْ بجانبى النهر وأسروا ، حتى أجلوهم عن المدينة وعمّا اتصل بها . وكان مقدار العمارة بها فرسخا ، وحوى الموفّق ذلك كلّه . وأفلت سليمان بن جامع ونفر من أصحابه ، وكثر القتل فيهم والأسر ، واستنقذ أبو أحمد من نساء أهل واسط والكوفة والقرى وصبيانهم

أكثر من عشرة [١] آلاف ، فأمر بحملهم إلى واسط. ودفعهم إلى أهليهم ، وأخذ ماكان فيها من الذخائر والأموال ، وأمر بصرف ذلك إلى الأجناد ، وأسر عدّة من نساء سليمان وأولاده ،وتخلص من كان أُخذ من أصحاب الموفَق ، ولجأ جمع كثير إلى الآجام فأمر أصحابه بطلبهم ، وأقام سبعة عشر يوما ، وهدم سور المدينة وطمّ خنادقها ، وجعل لكل من أتاه برجل منهم جُعْلاً ، فكان إذا أُتى بالواحد منهم عفا عنه وضمّه إلى قوّاده وغلمانه ، لما كان دبّره من استمالتهم ، وأرسل فى طلب سليمان ابن جامع حتى بلغوا دجلة العوراء فلم يظفروا به ، وأمر زِيرك بالمقام بطهيثا ليتراجع أهل تلك الناحية إليها .

ذكر مسير الموفق الى الأهواز واجلاء الزنج عنها

قال : ولما فرغ أبو أحمد الموفَق من المنصورة رحل نحو الأهواز لاصلاحها واجلاء الزنج عنها ، فأمر ابنه أبا العبّاس أن يتقدّمه ، وأمر باصلاح الطرق للجيوش ، واستخلف على من ترك من عسكره بواسط ابنه هارون ، ولحقة زِيرك فأخبره بعود أهل طهيثا إليها وأمّن الناس ، فأمره الموفَق بالانحدار فى الشذا والسميريّات مع نصير ، ليتتبّع المنهزمين ويوقع بهم وبمن ظفروا به من الزنج ، حتّى ينتهى إلى مدينة صاحب الزنج بنهر أبى الخصيب ، فسارا وارتحل الموفَق فى مستهل جمادى الآخرة من واسط حتى أتى السوس ، وأمر مسرورا بالقدوم عليه ، وهو عامله هناك فأتاه ، وكان صاحب الزنج — لما بلغه ماعمل

---

(١) فى الكامل ح ٧ ص ٢٤١ : عشرين ألفا وفى الهامش عشرة آلاف فى ثلاث مخطوطات ، ويؤيد المخطوطات للطبرى ح١٤ ص ١٩٧١

الموفَّق بسليمان بن جامع خاف أن يأتيه ، وهو على حال تفرّق أصحابه عنه ، فكتب إلى علىّ بن أبان بالقدوم عليه ، وكان بالأهواز فى ثلاثين ألفا ، فترك جميع ماكان عنده من طعام ودوابّ وأغنام وغير ذلك ، واستلخف عليه محمد بن يحيى الكَرْنَبائىّ ، فلَم يُقم ولاتبع عليا ، وكتب صاحب الزنج أيضا إلى بهبوذ بن عبد الوهاب ، وهو بالفَنْدَم(١) والبَاسِيَان وما اتصل بهما ، يأمره بالقدوم عليه ، فترك ماكان عنده من الذخائر وسار نحوه ، فحوى ذلك جميعه الموفَّق وقوى به على حرب صاحب الزنج .

قال : ولما سار على بن أبان عن الأهواز تخلف بها جمع من أصحابه زهاء ألف رجل ، فأرسلوا إلى الموفَّق يطلبون الأمان فأمّنهم ، فقدموا عليه فأجرى عليهم الأرزاق ، ثم رحل عن السوس إلى جُنْدَيْسَابور وتُسْتَر وجبا الأموال ، ووجّه إلى محمد بن عُبيد الله الكردى ــ وكان خائفا منه ــ فأمّنه وعفا عنه وطلب منه الأموال والعساكر ، فحضر عنده فأحسن إليه ، ثم رحل إلى عسكر مُكْرَم ووافى الأهواز ، ثم رحل عنها إلى نهر المُبَارك من فرات البصرة ، وكتب إلى ابنه هارون أن يوافيه بجميع الجيش إلى نهر المبارك ، فلقيه هناك فى منتصف شهر رجب ، وكان زِيرَك ونصير ــ لما خلفهما الموفَّق ليتتبّعا الزنج ــ انحدرا حتى وافيا الأُبُلَّة ، فاستأمن إليهما رجل أخبرهما : أن صاحب الزنج قد أرسل إليهما عددا كثيرا فى الشذا والسميريّات إلى دجلة ، ليمنع عنها من يريدها ، وأنهم يريدون عسكر نصير ــ وكان عسكره بنهر المرأة ،

(١) فى الكامل ح ٧ ص ٢٤٢ : الفيدم وفى المخطوطتين ك ، ت برسم الفاء غينا ، وأما المخطوطة ا فتركت النقط والتصويب عن الطبرى ح ١٤ ص ١٩٧٥ .

فرجع نصير من الأبلّة إلى عسكره لما بلغه ذلك ، وسار زيرك من طريق آخر ، لأنّه قدّر أن الزنج تأتى عسكر نصير من ذلك الوجه ، فكان كذلك فلقيهم فى طريقه فظفر بهم وانهزموا منه ، وكانوا قد جعلوا كمينا فدُلّ زيرك عليه ، فتوغّل حتى أتاه ، فقتل من الكمناء جماعة وأسر جماعة ، وكان ممن ظفر به مقدّم الزنج ، وهو أبو عيسى محمد بن إبراهيم البصرى ، وهو من أكابر قوادهم ، وأخذ منهم مايزيد على ثلاثين سميرية ، فجزع لذلك جميع الزنج ، فاستأمن إلى نصير منهم زهاء ألفى رجل ، فكتب بذلك إلى الموفّق ، فأمره بقبولهم والإقبال إليه بالنهر المبارك ، فوافاه هنالك ؛ وأمر الموفّق ابنه أبا العبّاس بالمسير إلى محاربة صاحب الزنج بنهر أبى الخصيب ، فسار إليه فحاربه من بكرة النهار إلى الظهر ، واستأمن إليه قائد من قوّاد الزنج ومعه جماعة ، فكسر ذلك صاحب الزنج ، وعاد أبو العبّاس بالظفر ، وكتب الموفّق إلى صاحب الزنج يدعوه إلى التوبة والإنابة إلى الله تعالى مما ركب من سفك الدماء وانتهاك المحارم وخراب البلدان واستباحة الفروج والأموال وادعاء النبوّة والرسالة ، ويبذل له الأمان ، فوصل الكتاب إليه فقرأه ولم يكتب جوابه .

ذكر محاصرة مدينة صاحب الزنج
وهى المدينة التى سماها المختارة

قال : ولما أنفذ الموفَق الكتاب إلى صاحب الزنج ولم يرد جوابه ، عرض عسكره وأصلح آلاته ورتَب قوّاده ، ثم سار هو وابنه أبوالعبّاس فى العشرين من شهر رجب سنة سبع وستين إلى مدينة صاحب الزنج ، فلما أشرف عليها وتأمّلها ورأى حصانتها بالأسوار والخنادق ووعور الطريق إليها وما أعدَ من المجانيق والعرّادات والقسى وسائر الآلات على سورها مما لم يرَ مثله ممّن تقدّم من منازعى السلطان ، ورأى من كثرة عدد المقاتله ماستعظمه ، فلما عاين الزنج أصحاب الموفَق ارتفعت أصواتهم حتى ارتجّت الأرض ، فأمر الموفَق ابنه بالتقدّم إلى سور المدينة ورمى مَنْ عليه بالسهام ، فتقدّم حتى ألصق شذاواته بقصر صاحب الزنج ، فكثر الزنج وأصحابهم على أبى العبّاس ، وتتابعت سهامهم وحجارة مجانيقهم ومقاليعهم ، ورمى عوامّهم بالحجارة عن أيديهم ، حتى مايقع الطرف إلاعلى سهم أوحجر ، وثبت أبو العبّاس ، فرأى صاحب الزنج من ثباته وثبات أصحابه مالارأى مثله من أحد ممّن حاربهم ، ثم أمرهم الموفَق بالرجوع ففعلوا ، واستأمن إلى الموفَق مقاتلة من سمارتين فأمّنهم ، وخلع على من فيها من المقاتلة والملاحين على أقدارهم ووصلهم ، وأمر بادنائهم إلى موضع يراهم فيه نظراؤهم ، فكان ذلك من أنجع المكائد ، فلما رأوهم الباقون رغبوا فى الأمان وتنافسوا فيه وابتدروا إليه ، فصار إلى الموفَق فى ذلك اليوم عدد كثير من أصحاب السميريّات فعمّهم بالخلع والصلات ، فلما رأى صاحب

الزنج ذلك أمر بردّ أصحاب السميريّات إلى نهر أبي الخصيب ، ووكل بفوّهة النهر من يمنعهم من الخروج ، وأمر بهبوذ – وهو من أشرّ قوّاده : أن يخرج فى الشذاوات ، فخرج فبرز إليه أبو العبّاس فى شذاواته وقاتله ، واشتدت الحرب فانهزم بهبوذ إلى فناء قصر صاحب الزنج ، وأصابته طعنتان وجرح بالسهام ، فولج نهر أبي الخصيب وقد أشفى على الموت ، وقُتل ممّن كان معه قائد ذو بأس – يقال له عُميرة ، وظفر أبو العبّاس بشذاة فقتل أهلها ، ورجع هو ومن معه سالمين ، واستأمن إلى أبي العباس أهل شذاة فأمّنهم وأحسن إليهم وخلع عليهم : ورجع الموفَق ومن معه إلى عسكره بالنهر المبارك ،واستأمن إليه عند منصرفه خلق كثير ، فأمّنهم وخلع عليهم ووصلهم وأثبت أسماءهم مع أبي العبّاس ، وأقام فى عسكره يومين ثم نقل عسكره لست ليال بقين من شهر رجب إلى نهر جَطّى فنزله ،وقام به إلى منتصف شعبان لم يقاتل .

ثم ركب فى منتصف شعبان فى الخيل والرَّجْل وأعدَّ الشذاوات والسميريات ، وكان معه من الجند والمطَوعة زهاء خمسين ألفا ، وكان مع صاحب الزنج أكثر من ثلاثمائة ألف انسان : كلهم ممّن يقاتل بسيف أو رمح أو مقلاع أو منجنيق ، وأضعفهم رماة الحجارة من أيديهم وهم النظّارة ، والنساء تشركهم فى ذلك ، فأقام أبو أحمد ذلك اليوم ، ونودى بالأمان للناس كافّة إلا أصحاب الزنج ، وكُتب الأمان فى رقاع ورميت فى السهام ، ووعد فيها الإحسان ، فمالت قلوب أصحاب صاحب الزنج فاستأمن من ذلك اليوم خلق كثير ، فخلع عليهم ووصلهم ، ولم يكن ذلك اليوم حرب .

ثم رحل من نهر جَطّى من الغد فعسكر قرب مدينة صاحب الزنج ، ورتّب قوّاده وأجناده وعيّن لكل طائفة موضعا يحافظون عليه ويضبطونه ، وكتب الموفّق إلى البلاد فى عمل السميريّات والشذاوات والزواريق والاكثار منها ، ليضبط بها الأنهار لتنقطع الميرة عن صاحب الزنج وأسّس فى منزلته مدينة سمّاها الموفّقيّة ، وكتب إلى عمّاله فى النواحى بحمل الأموال والميرة فى البر والبحر إلى مدينته ، وأمرهم بانفاذ من يصلح للاثبات فى الديوان ، وأقام ينتظر ذلك شهرا ، فوردت عليه المير متتابعة ، وجهّز التجار صنوف التجارات إلى الموفّقيّة ، واتخذت فيها الأسواق ، ووردتها مراكب البحر . وبنى الموفّق بها المسجد الجامع وأمر الناس بالصلاة فيه ، فجمعت هذه المدينة من المرافق وسيق إليها من صنوف الأشياء ما لم يكن فى مصر من الأمصار القديمة ، وحُملت الأموال وأُدرّت الأرزاق .

قال [١] : وعبرت طائفة من الزنج فنهبوا أطراف عسكر نصير وأوقعوا به ، فأمر الموفّق نصيرا بجمع عسكره وضبطهم ، وأمر الموفّق ابنه أبا العبّاس بالمسير إلى طائفة من الزنج كانوا خارج المدينة ، فقاتلهم فقتل منهم خلقا كثيرا وغنم ما كان معهم ، فصار إليه طائفة منهم بالأمان ، فخلع عليهم وأمّنهم ووصلهم ، وأقام أبو أحمد يكايد صاحب الزنج ، يبذل الأمان لمن صار إليه ، ومحاصرة الباقين والتضييق عليهم ، وكانت قافلة قد أتت من الأهواز فأسرى إليها

(١) فى هذا الفصل حينما يقول النويرى (قال) فإنما يشير إلى ابن الاثير فى الكامل ، وهو هنا يشير إليه راجع حـ٧ ص ٢٤٧ ومن اليسير الرجوع إليه خاصة والإشارة إليه تذكر بين حين وآخر .

بهبوذ فى سميريات ، فأخذها فعظم ذلك على الموفّق ، وغرم لأهلها ما أخذ منهم ، وأمر بترتيب الشذاوات على مخارج الأنهار ، وقلّد ابنه أبا العبّاس الشذاوات وحفظ الأنهار بها من البحر إلى المكان الذى هم به .

قال : وفى شهر رمضان من السنة عبرت طائفة من الزنج يريدون الايقاع بنصير ، فردّهم الله خائبين ، وظفروا بصَنْدَل الزنجى ، وكان يكشف رؤوس المسلمات ويقلّبهن تقليب الإماء ، فلما أتى به أمر الموفّق أن يرمى بالسهام ثم قتله ، واستأمن إلى الموفّق من الزنج خلق كثير ، فبلغت عدة من استأمن إليه إلى آخرشهر رمضان خمسين ألفا ؛ وفى شوّال انتخب صاحب الزنج من عسكره خمسة آلاف من الشجعان والقوّاد ، وأمر على بن أبان المهلبىّ بالعبور لكبس عسكر الموفّق ، وكان فيهم أكثر من مائتىْ قائد ، فعبروا ليلا واختفوا فى آخر النخل ، وأمرهم : أنه إذا ظهر أصحابهم وقاتلوا الموفّق من بين يديه ظهروا وحملوا على عسكره ، وهم غارون مشاغيل بحرب مَنْ أمامهم ، فاستأمن منهم انسان من الملاحين فأخبر الموفّق ، فسيّر ابنه أبا العبّاس لقتالهم وضبط الطرق التى يسلكونها ، فقاتلوا قتالا شديدا ، وأسر أكثرهم ، وغرق منهم خلق كثير ، وقُتل بعضهم ونجا بعضهم ، فأمر أبو العبّاس أن تحمل الأسرى والرؤوس فى السميريات ، ويعبر بهم على مدينة صاحب الزنج ، ففعلوا ذلك ، وبلغ الموفّق أنَ صاحب الزنج قال لأصحابه : إن الأسرى والرؤوس من المستأمنة ، فأمر بالقاء الرؤوس إليهم فى منجنيق ، فلما رأوها عرفوها فأظهروا الجزع والبكاء ، وظهر لهم كذب صاحبهم .

وفيها أمر صاحب الزنج باتخاذ شذاوات فعملت له ، فكانت

خمسين شذاة فقسمها بين ثلاثة من قوّاده ، وأمرهم بالتعرض لعسكر الموفّق ، وكانت شذاوات الموفّق يومئذ قليلة ، لأنّه لم يصل إليه ما أمر بعمله ، والتى كانت عنده منها فرّقها على أفواه الأنهار ، ليقطع الميرة عن صاحب الزنج ، فخافهم أصحاب الموفّق فورد عليهم الشذاوات التى كان الموفّق أمر بعملها ، فسيّر ابنه أبا العباس يوردها خوفا عليها من الزنج ، فلما أقبل بها رآها الزنج فعارضوها بشذاواتهم ، فقصد غلام لأبى العبّاس منعهم وقاتلهم ، فانكشفوا بين يديه وتبعهم حتى أدخلهم نهر أبى الخصيب ، وانقطع عن أصحابه فعطفوا عليه فأخذوه ومن معه بعد حرب شديدة ، فقتلوا وسلمت الشذاوات التى مع أبى العبّاس ، وأصلحها ورتّب فيها من يقاتل ، ثم أقبلت شذاوات صاحب الزنج على عادتها ، فخرج إليهم أبو العبّاس فى أصحابه ، فقاتلهم فهزمهم وظفر منهم بعدّة شذاوات ، فقتل منهم من ظفر به فيها ، فمنع صاحب الزنج أصحابه من الخروج عن فناء قصره ، وقطع أبو العبّاس الميرة عن الزنج فاشتد جزع الزنج ، وطلب جماعة من وجوه أصحاب صاحب الزنج الأمان فأمّنوا ؛ وكان منهم محمد ابن الحارث العمّى (١) ، وكان إليه ضبط السور مما يلى عسكر الموفق ، فخرج ليلا فأمّنه الموفّق ووصله بصلات كثيرة له ولمن خرج معه ، وحمله على عدّة دواب بآلاتها وحليتها ، وأراد اخراج زوجته فلم يقدر ، وأخذها صاحب الزنج فباعها ؛ ومنهم أحمد البرذعى (٢) ،

---

(١) فى الكامل ج ٧ ص ٢٤٧ : القمى ويؤيد المخطوطات الطبرى ج ١٤ ص ١٩٩٨

(٢) فى الكامل ج ٧ ص ٢٤٨ : اليربوعى وكذلك فى المخطوطات والتصويب عن الطبرى ج ١٤ ص ١٩٩٩

وكان من أشجع رجال صاحب الزنج ، فخلع عليه وعلى غيره ممّن أتاه ووصلهم بصلات كثيرة . قال : ولما انقطعت الميرة والمواد عن صاحب الزنج أمر شِبْلا وأبا الندا وهما رؤساء قوّاده - وكان يثق بهم - بالخروج إلى البطيحة فى عشرة آلاف من ثلاثة وجوه للغارة وقطع الميرة عن الموفّق ، فسيّر الموفّق إليهم زيرك فى جمع من أصحابه ، فلقيهم بنهر ابن عمر فرأى كثرتهم فراعه ذلك ، ثم استخار الله تعالى فى قتالهم فحمل عليهم وقاتلهم ، فقذف الله تعالى الرعب فى قلوبهم فانهزموا ، فوضع فيهم السيف وقتل منهم مقتلة عظيمة ،وغرق منهم مثل ذلك وأسر خلقا كثيرا ، وأخذ من سفنهم ما أمكنه أخذه ، وغرق منها ما غرق ،وكان ما أخذه من سفنهم نحو أربعمائة سفينة ، وأقبل بالأسرى والرؤوس إلى مدينة الموفّق .

ذكر عبور الموفق الى مدينة صاحب الزنج وخروجه عنها وعوده اليها

قال : وفى ذى الحجّة سنة سبع وستين أيضا عبر الموفّق مدينة صاحب الزنج لست بقين من الشهر ، وكان سبب ذلك أنّ جماعة من قوّاد صاحب الزنج ، لما رأوا ما حلّ بهم من البلاء ، من قتل من يظهر منهم ، وشدّة الحصار على من لزم المدينة ، وحال من خرج بالأمان ، جعلوا يهربون من كل وجه ويخرجون إلى الموفّق ، فلما رأى ذلك صاحب الزنج جعل على الطريق التى يمكنهم الهرب منها من يحفظها ، فأرسل جماعة من القوّاد إلى الموفّق يطلبون الأمان ، وأن يوجّه لمحاربة صاحبهم جيشا ليجدوا طريقا إلى المصير إليه . فأمر ابنه أبا العبّاس بالمصير إلى النهر

الغربي – وبه عليّ بن أبان – ففعل ، واشتدت الحرب فاستظهر أبو العباس على الزنج ، فأمدّهم صاحبهم بسليمان بن جامع في جمع ، واتصلت الحرب من أوّل النهار إلى العصر ، وكان الظفر لأبي العبّاس وصار إليه القوم الذين كانوا طلبوا الأمان منه ، واجتاز أبو العبّاس بمدينة صاحب الزنج عند نهر الأتراك ، فرأى قلّة الزنج هناك ، فطمع فيهم فقصدهم وقد انصرف أكثر أصحابه إلى الموفقيّة ، فدخل البلد بمن بقي معه ، وندب صاحب الزنج أصحابه لحربهم ، فلما رأى أبو العباس اجتماعهم وقلّة أصحابه رجع ، وأرسل إلى أبيه الموفّق يستمدّه فأتاه من خفّ من الغلمان وظهروا على الزنج وهزموهم ، وكان سليمان ابن جامع لما رأى ظهور أبي العبّاس سار في النهر مصعدا في جمع كثير فأتى أصحاب أبي العبّاس [1] من خلفهم وهم يحاربون من بإزائهم ، وخفقت طبوله فانكشف أصحاب أبي العبّاس [1] ، ورجع عليهم من كان انهزم عنهم من الزنج ، فأصيب جماعة من غلمان الموفّق ، وأخذ الزنج عدة أعلام وحامى أبو العبّاس عن أصحابة فسلم أكثرهم ثم انصرف وطمع الزنج بهذه الوقعة وشدّت قلوبهم ، فأجمع الموفّق على العبور إلى مدينتهم بجميع جيوشه ، وأمر الناس بالتأهّب وجمع المعابر والسفن وفرّقها عليهم ، ودخل يوم الأربعاء لست بقين من الشهر ، وفرّق أصحابه على المدينة ليضطر صاحبها إلى تفرقة أصحابه ، وقصد الموفّق إلى ركن من أركان المدينة وهو أحصن ما فيها ، وقد أنزله صاحب الزنج ابنه انكلاى وسليمان بن جامع وعليّ بن أبان ، وعليه من المجانيق

(١) ساقط من ت .

وآلات القتال ما لا يحدّ ، فلما التقى الجمعان أمر الموفّق غلمانه بالدنوّ منه ، وبينهم وبين ذلك السور نهر الأتراك . وهو نهر عريض كثير الماء فأحجموا عنه ، فصاح بهم الموفّق وحرّضهم على العبور ، فعبروا سباحة والزنج ترميهم بالمجانيق والمقاليع والحجارة والسهام ، فصبروا حتى جاوزوا النهر وانتهوا إلى السور . ولم يكن معهم من الفعلة من كان أعدّ لهدم السور ، فتولّى الغلمان تشعيث السور بما كان معهم من السلاح ، وسهّل الله تعالى ذلك وكان معهم بعض السلالم ، فصعدوا على ذلك إلى السور ، ونصبوا علما من أعلام الموفّق ، فانهزم الزنج عنه وسلّموه بعد قتال شديد ، وقُتل من الفريقين خلق كثير ، ولما علا أصحاب الموفّق السور أحرقوا ما كان عليه من مجانيق وآلات وغير ذلك ، وكان أبو العبّاس قصد ناحية أخرى ، فمضى على بن أبان لقتاله فهزمه أبو العبّاس وقتل جمعا كثيرا من أصحابه ، ولحق أصحاب أبي العبّاس بالسور فثلموا فيه ثلمة ، ودخلوه فلقيهم سليمان ابن جامع فقاتلهم حتى ردّهم إلى مواضعهم . ثم إن الفعلة وافوا السور فهدموه في عدة مواضع ، وعملوا على الخندق جسر فعبر الناس عليه من ناحية الموفّق ، فانهزم الزنج عن سور ثان[1] كانوا قد اعتصموا به ، وجعل أصحاب الموفّق يقتلونهم حتى انتهوا إلى نهر ابن سمعان ، وقد صارت دار ابن سمعان في أيدي أصحاب الموفّق فأحرقوها ، وقاتلهم الزنج هناك ثم انهزموا حتى بلغوا ميدان صاحبهم ؛ فرجع في جمع من أصحابه فانهزم أصحابه عنه ، وقرب منه بعض رجّالة الموفّق ، فضرب

(١) في الكامل حـ ٧ ص ٢٥٠ : باب ويزيد المخطوطات الطبرى حـ ١٤ ص ٢٠٠٥

وجه فرسه بترسه وذلك مع مغيب الشمس ، فأمر الموفّق الناس بالرجوع فرجعوا ، ومعهم من رؤوس أصحابه شيء كثير ، وقد استأمن إلى أبي العباس أوّل النهار نفر من قوّاد صاحب الزنج ، فتوقف عليهم حتى حملهم فى السفن .

وأظلم الليل وهبّت ريح عاصف وقوى الجزر ، فلصق أكثر السفن بالطين ، فخرج جماعة من الزنج فنالوا من أصحابه ، وقتلوا منهم نفرا ؛ وكان بهبوذ بازاء مسرور البلخى فأوقع بأصحاب مسرور ، وقتل منهم وأسر جماعة ، فكسر ذلك من نشاط أصحاب الموفّق ، وكان بعض أصحاب صاحب الزنج قد انهزم على وجهه نحو نهر الأمير وعبّادان ؛ وهرب جماعة من الأعراب إلى البصرة ، فأرسلوا يطلبون الأمان فأمّنهم الموفّق ، وخلع عليهم وأجرى عليهم الأرزاق ، وكان ممّن رغب فى الأمان من قوّاده ريحان بن صالح المغربى – وكان من رؤساء أصحابه ، فأرسل يطلب الأمان وأن يرسل جماعة إلى مكان ذكره ليخرج إليهم ، ففعل الموفّق فصار إليه فخلع عليه وأحسن إليه ووصله ، ثم ضمّه إلى أبي العباس ، ثم استأمن بعده جماعة من أصحابه ، وكان خروج ريحان إليه لليلة بقيت من ذى الحجّة من هذه السنة .

وفى سنة ثمان وستين ومائتين فى المحرّم خرج إلى الموفّق من قوّاد صاحب الزنج جعفر بن إبراهيم المعروف بالسجّان ، وكان من ثقات أصحابه فارتاع لذلك ، وخلع عليه الموفّق وأحسن إليه ، وحمله فى سميرية إلى ازاء قصر صاحبه ، وأخبرهم أنهم فى غرور وأعلمهم بما وقف عليه من كذب الخبيث وفجوره ؛ فاستأمن فى ذلك اليوم خلق كثير من قوّاد الزنج وغيرهم ، فأحسن إليهم الموفّق وتتابع الناس فى

طلب الأمان ، ثم أقام الموفق لا يحارب ليريح أصحابه إلى شهر ربيع الآخر من السنة .

فلما انتصف الشهر قصد الموفق مدينة الزنج ، وفرّق قوّاده على جهاتها ، وجعل مع كل طائفة منهم من النقّابين جماعة لهدم السور ، وتقدّم إلى جميعهم ألا يزيدوا على هدم السور ولا يدخلوا المدينة ، وتقدّم إلى الرماة أن يحموا بالسهام من يهدم السور وينقبه ، فتقدموا إلى المدينة من سائر جهاتها ، ووصلوا إلى السور وثلموه فى مواضع كثيرة ، ودخل أصحاب الموفّق المدينة من تلك الثلم ، ، وجاء أصحاب صاحب الزنج فقاتلوهم فهزمهم أصحاب الموفّق ، وتبعوهم حتى أوغلوا فى طلبهم ، واختلفت بهم طرق المدينة ، فبلغوا أبعد من الموضع الذى وصلوا إليه فى المرّة الأولى وأحرقوا وأسروا ، وتراجع الزنج عليهم وخرج الكمناء من مواضع يعرفونها ويجهلها أصحاب الموفّق ، فتحيّروا ودافعوا عن أنفسهم وتراجعوا نحو دجلة ، بعد أن قتل منهم جماعة وأخذ الزنج أسلابهم ، ورجع الموفّق إلى مدينته وأمر بجمع أصحابه ، ولامهم على مخالفته فى دخولهم وافساد رأيه وتدبيره ، وأمر باحصاء مَنْ فُقد من أصحابه ، وأقر ما كان لهم من الرزق على أولادهم وأهليهم ، فحسن موقع ذلك عندهم ، وزاد فى صحة نيّاتهم وصدق عزائمهم .

ذكر ايقاع أبى العباس بن الموفق بالأعراب وانقطاع الميرة عن الزنج ومقتل بهبوذ بن عبد الوهاب

وفى سنة ثمان وستين ومائتين أوقع أبو العبّاس أحمد بن الموفّق ، وهو المعتضد بالله بقوم من الأعراب ، كانوا يحملون الميرة إلى الزنج فقتل منهم جماعة وأسر الباقين وغنم ما كان معهم ، وأرسل إلى البصرة من أقام بها لأجل قطع الميرة ، وسيّر الموفّق رشيقا مولى أبى العبّاس ، فأوقع بقوم من بنى تميم كانوا يجلبون الميرة إلى صاحب الزنج ، فقتل أكثرهم وأسر جماعة منهم ، فحمل الأسرى والرووس إلى الموفقيّة ، فأمر بهم الموفّق فوقفوا بازاء عسكر الزنج ، وكان فيهم رجل يسفر بين صاحب الزنج والأعراب [1] ، فقطعت يده ورجله وألقى فى عسكر الزنج ، وأمر بضرب أعناق الأسرى فانقطعت الميرة بذلك عن صاحب الزنج [1] ، فأضرّ بهم الحصار وأضعف أبدانهم ، فكان يسأل الأسير والمستأمن عن عهده بالخبز فيقول : عهدى به منذ زمان طويل ، فلما وصلوا إلى هذه الحال رأى الموفّق أن يتابع عليهم الحرب ، ليزيدهم ضرا وجهدا ، فكثر المستأمنون فى هذا الوقت ، وخرج كثير من أصحاب الخبيث فتفرّقوا فى القرى والأنهار البعيدة فى طلب القوت ، فبلغ ذلك الموفّق فأمر جماعة من قوّاد غلمانه بقصد تلك المواضع ، ويدعون من بها إليه فمن أبى قتلوه ، فقتلوا منهم خلقا كثيرا وأتاه كثير منهم ، فلما كثر المستأمنون عند الموفّق عرضهم ، فمن كان ذا قوّة وجَلَد أحسن إليه وخلطه بغلمانه ، ومن كان منهم

---

(١) ساقط من ت .

ضعيفا أو شيخا أو جريحا قد أزمنته الجراحة كساه وأعطاه دراهم ، وأمر به أن يُحمل إلى عسكر صاحب الزنج ، فيذكر ما رأى من الإحسان ، فتهيّأ له بذلك ما أراد من استمالة أصحاب الخبيث ، وجعل الموفّق وابنه أبو العبّاس يلا زمان قتال صاحب الزنج – تارة هذا وتارة هذا – وجرح أبو العبّاس ثم برىء ، وكان من جملة من قتل من أعيان قوّاد صاحب الزنج بهبوذ بن عبد الوهاب ، وكان كثير الخروج فى السميريّات ، وكان ينصب عليها أعلاما تشبه أعلام الموفّق ، فإذا رأى من يستضعفه أخذه ، فأخذ من ذلك مالا جزيلا ، فواقعه فى بعض خرجاته أبو العباس ، فأفلت بعد أن أشفى على الهلاك ، ثم خرج مرّة أخرى فرأى سميريّة ، فيها بعض أصحاب أبى العباس فقصدها طامعا فى أخذها ، فحاربه أهلها فطعنه غلام من غلمان أبى العبّاس فى بطنه ، فسقط فى الماء فأخذه أصحابه فحملوه إلى عسكر صاحبه ، فمات قبل وصوله وكان قتله من أعظم الفتوح ، وعظمت الفجيعة على صاحب الزنج وأصحابه ، فاشتد جزعهم عليه ، وأحسن الموفّق إلى ذلك الغلام فوصله وكساه وطوّقه وزاد فى رزقه ، وفعل بكل من كان معه فى تلك السميريّة نحو ذلك ، ثم ظفر بالذوائبى [1] وكان مما يلا لصاحب الزنج .

وفى سنة تسع وستين ومائتين رُمى الموفّق بسهم فى صدره ، وكان سبب ذلك أنّ بهبوذ لما هلك طمع صاحب الزنج فى أخذ أمواله ، وكان قد صحّ عنده أن ملكه قد حوى مائتى ألف دينار وجواهر وفضّة ، فطلب

(١) فى الكامل حـ٧ ص ٢٥٦ : الدوابى ويؤيد المخطوطات الطبرى حـ١٤ ص ٢٠٢٤

ذلك وأخذ أهله وأصحابه فضربهم ، وهدم أبنيته طمعا فى المال فلم يجد شيئا ، فكان فعله مما أفسد قلوب أصحابه عليه ، ودعاهم إلى الهرب منه ، فأمر الموفق بالنداء بالأمان فى أصحاب بهبوذ ، فسارعوا إليه فألحقهم فى العطاء بمن تقدّم ، ورأى الموفّق ما كان يتعذّر عليه من العبور إلى الزنج ، فى الأوقات التى تهب فيها الرياح لتحرّك الأمواج ، فعزم على أن يوسّع لنفسه ولأصحابه موضعا فى الجانب الغربى ، فأمر بقطع النخل واصلاح المكان ، وأن تعمل له الخنادق والسور ليأمن البيات ، فعلم صاحب الزنج أنّ الموفّق إذا جاوره قرّب على من يريد اللحاق به المسافة ، مع ما يدخل قلوب أصحابه من الخوف وانتقاض تدبيره عليه فاهتمّ بمنع الموفّق من ذلك وبذل الجهد فيه وقاتل أشد القتال ، فاتفق أن الريح عصفت فى بعض تلك الأيام وقائد من القواد هناك ، فانتهز صاحب الزنج الفرصة فى انفراد هذا القائد وانقطاع المدد عنه فسيّر إليه جميع أصحابه فقاتلوه فهزموه ، وقتلوا كثيرا من أصحابه ولم يجد الشذاوات التى لأصحاب الموفق سبيلا إلى القرب منهم ، خوفا من الزنج أن تلقيها على الحجارة فتنكسر ، فغلب الزنج عليهم وأكثروا القتل والأسر ، ومن سلم منهم ألقى نفسه فى الشذاوات وعبروا إلى الموفقيّة فعظم ذلك على الناس ، ونظر الموفّق فرأى أنّ نزوله بالجانب الغربى لا يأمن معه حيلة الزنج وصاحبهم وانتهاز فرصة لكثرة الأدغال وصعوبة المسالك ، وأنّ الزنج أعرف بتلك المضايق وأجرأ عليها من أصحابه ، فترك ذلك وجعل قصده إلى هدم سور صاحب الزنج وتوسعة الطرق والمسالك ، فأمر بهدم السور من ناحية النهر المعروف بمنكى ، وباشر الحرب بنفسه واشتد القتال ، وكثر القتل

والجراح من الجانبين ودام ذلك أياما عدّة ، وكان أصحاب الموفّق لا يستطيعون الولوج لقنطرتين كانتا على نهر منكى ، وكان الزنج يعبرون عليها وقت القتال ، فيأتون أصحاب الموفّق من وراء ظهورهم فينالون منهم ، فأعمل الحيلة فى إزالتهما ، فأمر أصحابه بقصدهما عند اشتغال الزنج وغفلتهم عن حراستهما ، وأمرهم أن يعدّوا الفؤوس والمناشير وما يحتاجون إليه من الآلات ، فقصدوا القنطرة الأولى نصف النهار فأتاهم الزنج لمنعهم ، فاقتتلوا فانهزم الزنج ، وكان مقدّمهم أبا النداء فأصابه سهم ، فى صدره فقتله ، وقطع أصحاب الموفّق القنطرتين ورجعوا ، وألحّ الموفّق على صاحب الزنج بالحرب ، وهدم أصحابه من السور ما أمكنهم ، ودخلوا المدينة وقاتلوا فيها ، وانتهوا إلى دار ابن سمعان وسليمان بن جامع فهدموهما ، ونهبوا ما فيهما ، وانتهوا إلى سويقة لصاحب الزنج سمّاها الميمونة ، فهدمت وأخربت وهدموا دار الجبّائى وانتهبوا ما كان فيها من الخزائن ، وتقدّموا إلى الجامع ليهدموه فاشتد محاماة الزنج عنه ، فلم يصل إليه أصحاب الموفّق ، لأنّه كان قد خلص مع صاحب الزنج نخبة أصحابه وأرباب البصائر ، فكان أحدهم إذا قتل أو جرح اجتذبه الذى إلى جنبه ووقف مكانه ، فلما رأى الموفّق ذلك أمر أبا العبّاس بقصد الجامع من أحد أركانه بشجعان أصحابه ، وأضاف إليهم الفعول للهدم ونصب السلاليم ففعل ذلك ، وقاتل عليه أشد قتال فوصلوا إليه فهدموه ، وأخذ منبره فأُتى به الموفّق ، ثم عاد الموفّق لهدم السور فأكثر منه ، وأخذ أصحابه دواوين صاحب الزنج وبعض خزانته ، فظهر للموفّق أمارات الفتح ، فإنّهم لعلى ذلك إذ وصل سهم إلى الموفّق فأصابه فى صدره

رماه به رومى كان مع صاحب الزنج اسمه قرطاس وذلك لخمس بقين من جمادى الأولى ، فستر الموفّق ذلك وعاد إلى مدينته فبات ، ثم عاود الحرب على ما به من ألم الجراح ، ليشدّ بذلك قلوب أصحابه فزاد فى علّته ، وعظم أمرها حتى خيف عليه ، واضطرب العسكر والرعيّة وخافوا وأشار عليه بعض أصحابه وثقاته بالعود إلى بغداد ، ويخلف من يقوم مقامه فأبى ذلك ، وخاف أن يستقيم من حال صاحب الزنج ما فسد ، واحتجب عن الناس مدّة ثم برىء من علّته ، وظهر لهم ونهض لحرب صاحب الزنج وكان ظهوره فى شعبان من هذه السنة .

ذكر احراق قصر صاحب الزنج
ومايتصل بذلك من الحروب والوقائع

قال[1] : ولما صحّ الموفّق من جراحه عاد إلى ما كان عليه من حرب صاحب الزنج ، وكان قد أعاد بعض الثلم فى السور ، فأمر الموفّق بهدم ذلك وهدم ما يتصل به وركب فى بعض الشذايا ، وكان القتال متصلا ذلك اليوم مما يلى نهر مُنْكى ، والزنج مجتمعون فيه قد شغلوا أنفسهم بتلك الجهة ، وظنّوا أنّهم لا يؤتون إلا منها ، فأتى الموفّق ومعه الفعلة وقرب من نهر مُنْكِى وقاتلهم ، فلما اشتدت الحرب أمر الذين فى الشذاوات بالمصير إلى أسفل نهر أبى الخصيب ، وهو خال من المقاتلة والرجال ، فتقدمّ أصحاب الموفّق وأخرجوا الفعلة فهدموا السور من تلك الناحية ، وصعد المقاتلة فقتلوا فى النهر مقتلة عظيمة ،

(١) راجع الكامل حـ٧ ص ٢٦٣ لابن الأثير الجزرى .

وانتهوا إلى قصور من قصور صاحب الزنج فأحرقوها وانتهبوا ما فيها واستنقذوا عددا كثيرا من النساء اللاتى كنّ فيها ، وغنموا منها ، وانصرف الموفّق عند غروب الشمس بالظفر والسلامة ، وبكّر إلى حربهم وهدم السور ، فأسرع الهدم حتّى اتصل بدار انكلاى ، وهى متصلة بدار صاحب الزنج ، فلما أعيت صاحب الزنج الحيل أشار عليه على ابن أبان باجراء الماء على السباخ ، وأن يحفر خنادق فى مواضع عدة تمنعهم من دخول المدينة ففعل ذلك ، فرأى الموفّق أن يجعل قصده طمّ الخنادق والأنهار والمواضع المُعَوَّرَة ففعل ذلك ، وحامى الزنج عنه ودامت الحرب ، ووصل إلى الفريقين من القتل والجراح أمر عظيم ، وذلك لتقارب ما بين الفريقين ، فلما رأى شدّة الأمر من هذه الناحية قصد احراق دار صاحب الزنج والهجوم عليها من دجلة ، فكان يعوقه عن ذلك كثرة ما أعدّ لها من المقاتلة والحماة عن داره ، فكانت الشذاوات إذا قربت من قصره رُميت من فوق القصر بالسهام والحجارة والمجانيق والمقاليع ، وأذيب الرصاص وأفرغ عليهم فتعذّر احراقها لذلك ، فأمر الموفق أن يسقف الشذا بالأخشاب ، ويعمل عليها الخيش وتطلى بالأدوية التى تمنع النار من احراقها ففعل ذلك ، ورتّب فيها أنجاد أصحابه وجمعا من النفّاطين .

واستأمن إلى الموفّق محمد بن سمعان كاتب صاحب الزنج ، وكان أوثق أصحابه فى نفسه ، وكان سبب استئمانه أنّ صاحب الزنج أطلعه على أنّه عازم على الخلاص وحده بغير أهل ولا مال ، فلما رأى ذلك من عزمه أرسل يطلب الأمان ، فأمّنه الموفّق وأحسن إليه ؛ وقيل كان سبب خروجه أنّه كان كارها لصحبة صاحب الزنج ، مطّلعا على كفره

وسوء باطنه ، ولم يمكنه التخلّص منه إلى الآن ، ففارقه فى عاشر شعبان .

فلمّا كان الغد بكّر الموفّق لمحاربة الزنج ، وأمر أبا العبّاس بقصد دار محمد الكَرَنْبَائِى – وهى بازاء دار صاحب الزنج – واحراقها وما يليها من منازل قوّاد الزنج ، يشغلهم بذلك عن حماية دار صاحبهم وأمر المرتَّبِين فى الشذاوات المطليّة بقصد دار صاحب الزنج واحراقها ففعلوا ذلك ، وألصقوا شذاواتهم بسور قصره ، وحاربوهم أشد حرب فنضحهم الزنج بالنيران فلم تعمل شيئا ، وأحرق من القصر الرواشين والأبنية الخارجة وعملت النار فيها ، وسلم الذين كانوا فى الشذا مما كان الزنج يرسلونه عليهم ، وأمر الموفّق الذين فى الشذا بالرجوع فرجعوا ، فأخرج من كان فيها ورتّب غيرهم ، وانتظر إقبال المدّ وعاود فلما أقبل عادت الشذا إلى قصره ، وأحرقوا بيوتا منه كانت تشرع على دجلة ، واضطرمت النار فيها وقويت واتصلت ، فأعجلت صاحب الزنج ومن كان معه عن التوقّف على ما كان فيها من الأموال والذخائر وغير ذلك ، فخرج هاربا وتركه ، وعلا غلمان الموفّق قصره مع أصحابهم فانتهبوا ما لم تأت النار عليه من الذهب والفضّة والحلىّ وغير ذلك ، واستنقذوا جماعة من النساء اللواتى كان صاحب الزنج يأنس بهنّ من اللواتى كان استرقّهنّ ، ودخلوا دوره ودور ابنه انكلاى فأحرقوها جميعا ، وفرح الناس بذلك وتحاربوا ، هم وأصحاب صاحب الزنج على باب قصره ، فكثر القتل فى أصحابه والجراح والأسر ، وفعل أبو العبّاس فى دار الكرنبائى من النهب والهدم والإحراق مثل ذلك ، وقطع أبو العبّاس يومئذ سلسلة عظيمة كان صاحب الزنج

قطع بها نهر أبى الخصيب ، لتمتنع الشذا من دخوله ، فحازها أبو العباس وأخذها معه ، وعاد الموفّق بالناس مع المغرب مظفّرا ، وأصيب صاحب الزنج فى نفسه وماله ، وجرح ابنه انكلاى فى بطنه جرحا أشفى منه على الهلاك .

ذكر غرق نصير صاحب الشذا

قال : وفى يوم الأحد لعشر بقين من شعبان غرق أبو حمزة نصير وهو صاحب الشذاوات ، وكان سبب غرقه أن الموفّق بكّر إلى القتال وأمر نصيرا بقصد قنطرة لصاحب الزنج ، كان عملها فى نهر أبى الخصيب دون الجسرين ، اللذين كان اتخذهما على النهر ، وفرّق أصحابه من الجهات ، فعجّل نصير فدخل فى أوّل المدّ فى عدة من شذاواته ، فحملها الماء فألصقها بالقنطرة ، ودخلت عدّة من شذاوات الموفّق مع غلمانه ، ولم يأمرهم بالدخول فضلّت شذاوات نصير ولم يبق للملّاحين فيها عمل ، ورأى الزنج ذلك فاجتمعوا على جانبى النهر ، وألقى الملّاحون أنفسهم فى الماء خوفا من الزنج ، ودخل الزنج الشذاوات فقتلوا بعض المقاتلة ، وغرق أكثرهم ، وصابرهم نصير حتّى خاف الأسر ، فقذف بنفسه فى الماء فغرق ، وأقام الموفّق يومه ذلك يحاربهم وينهبهم ويحرق منازلهم ، ولم يزل يومه مستعليا عليهم ، وكان سليمان بن جامع ذلك اليوم من أشد الناس قتالا لأصحاب الموفّق ، وثبت مكانه حتّى خرج عليه كمين للموفّق فانهزم أصحابه ، وجرح سليمان جراحة فى ساقه ، فسقط لوجهه فى مكان كان به حريق وفيه بعض الجمر فاحترق بعض جسده ، وحمله أصحابه بعد أن كاد يؤسر ، وانصرف

الموفّق سالما ظافرا ، وأصاب الموفّق مرض المفاصل فبقى به شعبان وشهر رمضان وأياما من شوّال ، وأمسك عن حرب الزنج ثم برىء وتماثل ، فأمر باعداد آلة الحرب .

ذكر احراق قنطرة صاحب الزنج

قال [١] : ولما اشتغل الموفّق بعلّته أعاد صاحب الزنج القنطرة التى غرق عندها نصير ، وزاد فيها وأحكمها ونصب دونها أدْقال [٢] ساج ، وألبسها الحديد وسكر أمامها سكرا من حجارة ، ليضيق المدخل على الشذا وتحتدّ جرية الماء فى النهر ، فندب الموفّق أصحابه ، وندب طائفة من شرقىّ نهر أبى الخصيب وطائفة من غربيّه ، وأرسل النجّارين والفعلة لقطع القنطرة وما جعل أمامها ، وأمر بسفن مملوءة قصبا أن يُصبّ عليها النفط ، وتدخل النهر ويلقى فيها النار لتحرق الجسر ، وفرّق جنده على أصحاب صاحب الزنج ، ليمنعوهم من معاونة من عند القنطرة ، فسار الناس إلى ما أمرهم به ، وذلك فى عاشر شوّال ، وتقدّمت الطائفتان إلى الجسر فلقيهما انكلاى ابن صاحب الزنج وعلى بن أبان وسليمان بن جامع ، واشتبكت الحرب ودامت وحامى أولئك عن القنطرة ، لعلمهم بما عليهم فى قطعها من الضرر ، ودامت الحرب على القنطرة إلى العصر ؛ ثم إنّ غلمان الموفّق أزالوا الزنج عن القنطرة ، وقطعها النجّارون ونقضوها وما كان عمل

(١) القائل هو ابن الأثير و هو المشار إليه . راجع الكامل حـ٧ ص ٢٦٦ .

(٢) الدقل خشبة طويلة تشد وسط السفينة عليها الشراع (تاج العروس) والمقصود هنا أنواع الساج .

من الأدقال الساج ، وكان قطعها قد تعذّر عليهم فأدخلوا تلك السفن التى فيها القصب والنفط. وأضرموها نارا ، فوافت القنطرة فأحرقتها فوصل النجّارون بذلك إلى ما أرادوا ، وأمكن أصحاب الشذا دخولهم النهر فدخلوا ، وقتلوا الزنج حتى أجلوهم عن مواقفهم إلى الجسر الأول الذى يتلو هذه القنطرة ، وقُتل من الزنج كثير واستأمن كثير ، ووصل أصحاب الموفَق إلى الجسر وقت المغرب ، فكره الموفَق أن يدركهم الليل فأمرهم بالرجوع ، وأثاب المحسن على قدر احسانه ليزدادوا جدا فى حرب عدوّه ، وأخرب من الغد برجين حجارة كانوا عملوهما ، ليمنعوا الشذا من الخروج منه إذا دخلته ، فلما أخربهما سهل له ما أراد من دخول النهر والخروج منه .

ذكر انتقال صاحب الزنج الى الجانب الشرقى واحراق سوقه

قال : لما أُحرقت دور صاحب الزنج وقصوره ومنازل أصحابه ، كما قدّمنا ذكر ذلك - ونُهبت أموالهم انتقلوا إلى الجانب الشرقى من نهر أبى الخصيب ، وجمع عياله حوله ونقل أسواقه ، فضعف أمره بذلك ضعفا شديدا ، ظهر للناس وامتنعوا من جلب الميرة إليه ، فانقطعت عنه كل مادّة ، وبلغ الرطل من خبز البُرّ عشرة دراهم ، ، فأكلوا الشعير وأصناف الحبوب ، ثم لم يزل الأمر بهم إلى أن كان أحدهم يأكل صاحبه إذا انفرد به ، والقوى يأكل الضعيف ، ثم أكلوا أولادهم ، ورأي الموفّق أن يخرب الجانب الشرقى كما أخرب الغربىَ ، فأمر أصحابه بقصد دار الهمدانىّ ومعهم الفعلة ، وكان هذا الموضع محصّنا بجمع كثير ،

وعليه عرّادات ومنجنيقات وقسى ، فاشتبكت الحرب وكثرت القتلى فانتصر أصحاب الموفّق عليهم وقتلوهم وهزموهم ، وانتهوا إلى الدار فتعذر عليهم الصعود إليها لعلوّ سورها ، فلم تبلغه السلالم الطوال فرمىٰ بعض غلمان الموفّق كلاليب معهم ،فعلّقوها فى أعلام صاحب الزنج وجذبوها فتساقطت الأعلام منكوسة ، فلم تشك المقاتلة عن الدار فى أنّ أصحاب الموفّق قد ملكوها ، فانهزموا لايلوى أحدمنهم على صاحبه فأخذها أصحاب الموفّق وصعد النفّاطون فأحرقوها وماكان عليها من المجانيق والعرّادات ، ونهبوا ما كان فيها من المتاع والأثاث ، وأحرقوا ما كان حولها من الدور ، واستنقذوا من كان فيها من النساء ، وكنّ كثيرا ، فحملن إلى الموفقيّة وأمر الموفّق بالإحسان إليهن ، واستأمن يومئذ من أصحاب صاحب الزنج وخاصّته الذين يلون خدمته جماعة كثيرة ، فأمّنهم الموفّق وأحسن إليهم ، ودلّ جماعةٌ من المستأمنة الموفّق على سوق عظيمة كانت لصاحب الزنج ، متّصلة بالجسر الأوّل تسمّى المباركة ، وأعلموه أنّه إن أحرقها لم يبق لهم سوق غيرها ، وخرج عنهم تجّارهم الذين بهم قواهم ، فعزم الموفّق على احراقها وأمر أصحابه بقصد السوق من جانبيها ففعلوا ، وأقبلت الزنج إليهم فتحاربوا أشد حرب ، واتصل أصحاب الموفّق إلى طرف من أطراف السوق وألقوا فيه النار فاحترق ، واتصلت النار ، وكان الناس يقتتلون والنار محيطة بهم ، وسقطت على المقاتلة واحترق بعضهم ، فكانت هذه حالهم إلى مغيب الشمس ، ثم تحاجزوا ورجع أصحاب الموفّق إلى عسكرهم ، وانتقل تجّار السوق إلى أعلى المدينة ، وكانوا قد نقلوا معظم أمتعتهم وأموالهم .

قال : ثم فعل صاحب الزنج بالجانب الشرقى من حفر الخنادق وتعوير (١) الطرق مثل ما كان فعل بالجانب الغربىّ بعد هذه الوقعة ، واحتفر خندقا عظيما حصّن به منازل أصحابه التى على النهر الغربىّ ، فرأى الموفّق أن يخرب باقى السور إلى النهر الغربىّ ، ففعل ذلك بعد حرب طويلة فى مدة بعيدة ، وكان بالجانب الغربىّ جمع من الزنج قد تحصّنوا بسور منيع ، وهم أشجع أصحابه ، فكانوا يحامون عنه وكانوا يخرجون على أصحاب الموفّق عند محاربتهم ، فأمر الموفّق أن يقصد هذا الموضع ويخرب سوره ويخرج من فيه ، وأمر ابنه أبا العبّاس والقوّاد بالتأهّب لذلك ، وتقدّم إليهم وأمر أن تقرب الشذاوات من السور ، ونشبت الحرب ودامت إلى بعد الظهر ، وهدم فى السور مواضع وأحرق ما كان عليه من العرّادات ، وتحاجز الفريقان وهما على السواء سوى هذا السور واحراق عرّادات كانت عليه ، ونال الفريقين من الجراح أمر عظيم ، وعاد الموفّق فوصل الناس على قدر بلائهم ، هكذا كان عمله فى محاربته ، وأقام الموفّق بعد هذه الوقعة أياما ، ثم رأى معاودة هذا الموضع لما رأى من حصانته وشجاعة من فيه ، وأنّه لا يقدر على ما يريد إلا بعد إزالته ، فأعدّ الآلات ورتّب أصحابه وقصده ، وقاتل مَنْ فيه وأدخلت الشذاوات النهر ، واشتدت الحرب ودامت ، وأمدّ صاحب الزنج بالمهلبىّ وسليمان بن جامع فى جيشهما ، فحملوا على أصحاب الموفّق حتى ألحقوهم بسفنهم وقتلوا منهم جماعة ، فرجع الموفّق ولم يبلغ منهم ما أراد ، وتبيّن له أنّه إذا

---

(١) عجل الطرق وعرة .

قاتلهم من وجوه عدّة خفّت وطأتهم على من يقصد هذا الموضع ، ففرّق أصحابه على جهات أصحاب الزنج ، وصار هو فى جهة النهر الغربى وقاتل من فيه وصدقهم أصحابه القتال فهزموهم ، فولّوا وتركوا حصنهم فى أيدِي أصحاب الموفّق ، فهدموه وأسروا وقتلوا وخلّصوا من هذا الحصن خلقا كثيرا من النساء والصبيان ، ورجع الموفّق إلى عسكره بما أراد .

ذكر استيلاء الموفق على مدينة صاحب الزنج الغربية

قال (١) : لما هدم الموفّق سور دار صاحب الزنج أمر باصلاح المسالك ، ليتسع على المقاتلة الطريق إلى الحرب ، ثم رأى قلع الجسر الأوّل الذي على نهر أبى الخصيب ، لما فى ذلك من منع معاونة بعضهم بعضا ، وأمر بسفينة كبيرة أن تملأ قصبا ويجعل فيه النفط ، ويوضع فى وسطها دَقل طويل يمنعها من مجاوزة الجسر إذا التصقت به ، ثم أرسلها عند غفلة الزنج وقوة المدّ ، فوافت الجسر وعلم بها الزنج فأتوها وطمّوها بالحجارة والتراب ، ونزل بعضهم فخرقها فغرقت ، وكان قد احترق من الجسر شىء يسير فأطفأه الزنج ، فاهتمّ الموفّق بالجسر فندب أصحابه وأعدّ النفّاطين والفعلة والفؤوس ، وأمرهم بقصده من غربىّ النهر وشرقيّه ، وركب الموفّق فى أصحابه وقصد فوّهة نهر أبى الخصيب ، وذلك فى منتصف شوّال سنة تسع وستين فسبق الطائفة التى فى غرب النهر ، فهزم الموكّلين على الجسر وهم سليمان بن جامع

(١) راجع الكامل ج ٧ ص ٢٧٠ .

وانكلاى ابن صاحب الزنج وأحرقوه ، وأتى بعد ذلك الطائفة الأخرى ففعلوا بالجانب الشرقى[١] مثل ذلك ، فأحرق الجسر وتجاوزه إلى جانب حظيرة كان يعمل فيها سميريّات صاحب الزنج وآلاته ، فاحترق ذلك كله إلا شيئا يسيرا من الشذاوات والسميريّات كانت فى النهر ، وقصدوا سجنا للزنج فقاتلهم الزنج ساعةً من النهار ، ثم غلبهم أصحاب الموفّق عليه فأطلقوا من فيه ، وأحرقوا ما مرّوا به إلى دار مُصْلح – وهو من قدماء أصحابه – فدخلوها فنهبوها وما فيها وسبوا نساءه وولده واستنقذوا خلقا كثيرا ، وعاد الموفّق وأصحابه بالظفر والسلامة ، وانحاز صاحب الزنج واصحابه من هذا الجانب إلى الجانب [٢] الشرقى من نهر أبى الخصيب ، واستولى الموفّق على الجانب الغربى غير طريق يسيرة على الجسر الثانى ، فأصلحوا الطرق فزاد ذلك فى رعب الزنج ، فأجمع كثير من القوّاد – الذين كان صاحب الزنج يرى أنّهم لا يفارقونه – على طلب الأمان فطلبوه ، فبُذل لهم فخرجوا أرسالا فأحسن الموفّق إليهم وألحقهم بأمثالهم ، وأحب الموفّق أن يتمرّن أصحابه على سلوك النهر ليحرق الجسر الثانى فكان يأمرهم بادخال الشذا فيه واحراق ما على جانبه من المنازل ، فهرب إليه فى بعض الأيام قائد للزنج ومعه قاض كان لهم ففتّ ذلك فى أعضادهم ، ووكّل صاحب الزنج بالجسر الثانى من يحفظه وشحنه بالرجال ، فأمر الموفّق بعض أصحابه فأحرق ما عند الجسر من سفن فزاد ذلك فى احتياط صاحب الزنج وحراسته للجسر ، لئلا يُحرق

---

(١) فى ك : الغربى .

(٢) فى المخطوطات : ... وأصحابه من هذا الجانب للشرق ، إلا أن اصحح الخطأ فى الهامش

ويستولى الموفّق على الجانب الغربىّ ، وكان قد تـأخّر من أصحابه جمع فى منازلهم المقاربة للجسر الثانى ، وكان أصحاب الموفّق يأتونهم ويقفون على الطريق الخفيّة ، فلما عرفوا ذلك عزموا على احراق الجسر الثانى ،فأمرالموفّق ابنه أبا العبّاس والقوّاد أن يتجهّزوا لذلك ، وأن يأتوا من عدّة جهات ليوافوا الجسر ، وأعدّمعهم الفؤوس والنفط والآلات ودخل هو فى الشذا ومعه أنجاد أصحابه ، واشتبكت الحرب فى الجانبين جميعا واشتد القتال ، وكان فى الجانب الغربى بازاء أبى العباس ومن معه انكلاى ابن صاحب الزنج وسليمان بن جامع ، وفى الجانب الشرقى بازاء راشد مولى الموفق ومن معه صاحب الزنج والمهلبى فى باقى الجيش ، فدامت الحرب مقدار ثلاث ساعات ثم انهزم الزنج لايلوون على شىء ، وأخذت السوق منهم ، ووصل أصحاب الشذا النهر ودانوا من الجسر ، وقاتلوا من يحميه بالسهام وأضرموه نارا ، وانهزم انكلاى وسليمان وقد أثخنا بالجراح ، فوافيا الجسر والنار فيه فحالت بينهما وبين العبور ، فألقيا أنفسهما ومن معهما فى النهر فغرق منهم خلق كثير ، وأفلت انكلاى وسليمان بعد أن أشفيا على الهلاك ، وقطع الجسر وأحرق وتفرّق جيش الموفّق فى جانبى المدينة ، وأحرق من الدور والقصور والأسواق شيئا كثيرا واستُنقذ من النساء والصبيان مالا يُحصى ودخلوا الدار التى كان صاحب الزنج سكنها بعد إحراق قصره فنهبوا ما كان فيها وأحرقوها ، وهرب هو واستنقذ فى هذا اليوم نسوة من العلويّات ، كنّ محبسات فى موضع قريب من داره فأحسن الموفّق إليهن ، وفتح سجنا كان له وأخرج خلقا كثيرا ففكّ عنهم الحديد ، وأخرج ذلك اليوم كلّ ما كان بنهر أبى الخصيب من شذا ومراكب بحرية وسفن كبار

بصغار وحرّاقات وغير ذلك من أصناف السفن إلى دجلة ، وأباحها أصحابه بما فيها من السلب ، وكانت قيمته عظيمة ، وأرسل انكلاى ابنُه يطلب الأمان ، وسأل أشياء فأجابه الموفق إليها ، فعلم أبوه بذلك فردّه عما عزم عليه ، فعاد إلى الحرب ومباشرة القتال ، ووجّه سليمان بن موسى الشعرانى - وهو أحد رؤساء صاحب الزنج - يطلب الأمان ، فلم يجبه الموفق إلى ذلك لما تقدّم منه من سفك الدماء والفساد ، ثم اتصل به أنّ جماعة من أصحاب صاحب الزنج قد استوحشوا لذلك فأجابه وأرسل الشذا إلى موضع ذكره فخرج هو وأخوه وأهله وجماعة من قوّاده ، فأرسل صاحبهم من يمنعهم من ذلك فقاتلهم ووصل إلى الموفق فزاد فى الإحسان إليه وخلع عليه وعلى من معه ، وأمر باظهاره لأصحابه ليزدادوا ثقة ، فلم يرجع من مكانه حتى استأمن جماعة من القوّاد ، منهم شبل بن سالم ، فأجابه الموفق وأرسل إليه شذاوات فركب فيها وعياله وولده وجماعة من قوّاده ، فلقيهم قوم من الزنج فقاتلهم ونجا ووصل إلى الموفق فأحسن إليه ووصله بصلة سنيّه ، وهو من قدماء أصحاب الخبيث ، فعظم ذلك عليه وعلى أوليائه لما رأوا من رغبة رؤسائهم فى الأمان قال : ولما رأى الموفق مناصحه شبل أمره أن يكفيه بعض الأمور ، فسار ليلا فى جمع من الزنج لم يخالطهم غيرهم إلى عسكر الزنج ، فأوقع بهم وأسر منهم وقتل وعاد فأحسن إليه الموفق وإلى أصحابه ، وصار الزنج بعد هذه الوقعة لاينامون الليل ولا يزالون يتحارسون ، وأقام الموفق ينفذ السرايا إليهم ويكيدهم ويحول بينهم وبين القوت ، وأصحابه يتدرّبون فى سلوك تلك المضايق التى فى أرضه ويوسّعونها .

ذكر استيلاء الموفق على مدينة صاحب الزنج الشرقية

قال : ولما علم الموفّق أن أصحابه قد تمرّنوا على سلوك تلك الأرض وعرفوها صمّم على العبور إلى محاربة صاحب الزنج من الجانب الشرقى من نهر أبي الخصيب ، فجلس مجلسا عاما وأحضر قوّاد المستأمنة وفرسانهم فوقفوا بحيث يسمعون كلامه ، ثم عرّفهم ما كانوا عليه من الضلالة والجهل وانتهاك المحارم ومعصية الله عزّ وجلّ ، وأنّ ذلك قد أحلّ لهم دماءهم ، وأنّه غفرلهم زلّتهم وأمّنهم ووصلهم ، وأن ذلك يوجب عليهم حقّه وطاعته ، وأنّهم لن يرضوا ربّهم وسلطانهم بأكثر من الجدّ فى محاربة الخبيث ، وأنّهم يخبرون مسالك ذلك العسكر ومضايق مدينته وأولى أن يجتهدوا فى الولوج عليه والتوغّل فى حصونه حتّى يمكنهم الله منه ، فإذا فعلوا ذلك فلهم الإحسان والمزيد ، ومن قصّر منهم فقد أسقط منزلته ، فارتفعت أصواتهم بالدعاء والاعتراف بإحسانه ، وبماهم عليه من المناصحة والطاعة وأنّهم يبذلون دماءهم فى كل مايقرّبهم منه ، وسألوه أن يفردهم بناحية ليظهر من نكايتهم فى العدو مايعرف به إخلاصهم وطاعتهم ، فأجابهم إلى ذلك وأثنى عليهم ، وكتب فى جمع السفن والمعابر من دجلة والبطيحة ونواحيها ليضيفها إلى عسكره ، إذ كان ماعنده يقصر عن الجيش لكثرته ، وأحصى مافى الشذا والسميريّات وأنواع السفن ، فكانوا زهاء عشرة آلاف ملاّح ممّن يجرى عليه الرزق من بيت المال مشاهرة ، سوى سفن أهل العسكر التى تحمل فيها الميرة ويركبها الناس فى حوائجهم ، وسوى ما لكل قائد من السميريات والحربيّات والزواريق ، فلما تكاملت السفن تقدّم إلى ابنه أبى العباس

وقوّاده بقصد المدينة الشرقية من جهاتها ، فسيرّ ابنه إلى ناحية دار المهلبيّ أسفل العسكر ، وكان قد شحنها بالرجال والمقاتلة ، وأمر جميع أصحابه بقصد دار صاحب الزنج وإحراقها ، فإن عجزوا عنها اجتمعوا على دار المهلبيّ ، وسارهو فى الشذا وهى مائة وخمسون قطعة فيها أنجاد غلمانه ، وانتخب من الفرسان والرجّالة عشرة آلاف وأمرهم أن يسيروا على جانبي النهر إذا سار ، وأن يقفوا معه إذا وقف ، وبكّر يوم الثلاثاء لثمان خلون من ذى القعدة سنة تسع وستين ومائتين ، وكانوا قد تقدّموا إليهم يوم الاثنين وواقعوهم ، وتقدّمت كلّ طائفة إلى الجهة التى أمرهم بها ، فلقيهم الزنج واشتدت الحرب وكثر القتل والجراح فى الفريقين ، ثم نصر الله عزّ وجلّ أصحاب الموفّق بانهزام الزنج ، وقتل منهم خلق كثير وأسر من أنجادهم وشجعانهم خلق كثير فأمر الموفّق بضرب أعناق الأسرى فى المعركة ، وقصد بجمعه الدار التى يسكنها صاحب الزنج ، وكان قد لجأ إليها وجمع أبطال أصحابه للمدافعه عنهافلم يغنوا شيئا فانهزمواعنها وأسلموها . ودخلها أصحاب الموفّق، وفيها بقايا ما كان سلم من مال صاحب الزنج وولده وأثاثه فنهب ذلك أجمع وأخذوا حرمه وأولاده وكانوا عشرين [1] مابين صبي وصبيّة ، وهرب صاحب الزنج نحو دار المهلبي لايلوى على أهل ولامال ، وأحرقت داره وأتى الموفّق بأهل صاحب الزنج وولده فسيرّهم إلى بغداد ، وكان أصحاب أبي العبّاس قد قصدوا دار المهلبيّ ، وقد لجأ إليها خلق كثير من المنهزمين فغلبوهم عليها واشتغلوا بنهبها وأخذوا مافيها من حرم المسلمين وأولادهم

(١) فى تاريخ الطبرى حـ١٤ ص ٢٠٧٧ : وكانوا أكثر من مائة بين امرأة وصبى .

وجعل من ظفر منهم بشيء حمله إلى سفينته ، فلما رآهم الزنج كذلك رجعوا إليهم فقتلوا منهم مقتلة عظيمة[1] ، وكان جماعة من غلمان الموفّق قد قصدوا دار صاحب الزنج ، فتشاغلوا بحمل الغنائم إلى السفن أيضا ، فأطمع ذلك الزنج فيهم فكشفوهم واتبعوا آثارهم ، وثبت جماعة من أبطال الموفّق فردّوا الزنج حتى تراجع الناس إلى مواقفهم ، ودامت الحرب إلى العصر فأمر الموفّق غلمانه بصدق الحملة عليهم ففعلوا ، فانهزم صاحب الزنج ومن معه وأخذتهم السيوف حتى انتهوا إلى داره أيضا ، فرأى الموفّق أن يصرف أصحابه فردّهم ، وقد استنقذوا جمعاً من النساء المأسورات فحملن إلى الموفقيّة ، وكان أبو العبّاس قد أرسل في ذلك اليوم قائدا فأحرق بيادر كانت ذخيرة لصاحب الزنج وكان ذلك مما أضعفه وأضعف أصحابه . قال : ثم وصل إلى الموفّق كتاب لؤلؤ غلام أحمد بن طولون يستأذنه فى القدوم عليه ؛ فأمره بذلك وأخّر القتال إلى أن يحضر .

ذكر مقتل صاحب الزنج

قال : ولما ورد كتاب لؤلؤ على الموفّق يستأذنه فى الحضور إليه أذن له ، وأحبّ أن يؤخر القتال إلى أن يحضر فيشهده ، وكان لؤلؤ قد خالف على مولاه أحمد بن طولون ، وكان فى يده حمص وقنّسرين وحلب وديار مضر من الجزيرة وصار إلى بالس فنهبها ، وكاتب الموفّق فى المصير إليه واشترط شروطا فأجابه الموفّق إليها ، وكان بالرقة

(١) فى الكامل حـ٧ ص ٢٧٥ : مقتلة يسيرة وهذا مايتفق ومايقوله الطبرى حـ١٤ ص ص ٢٠٧٨ : ... وقتلوا من فرسانهم ورجالتهم جماعة يسيرة .

فسار إلى الموفّق فوصل إليه فى ثالث شهر المحرّم سنة سبعين ومائتين فى جيش عظيم ، فأكرمه الموفّق وأنزله وخلع عليه وعلى أصحابه ووصلهم وأحسن إليهم ، وأمر لهم بالأرزاق على قدر مراتبهم ، وأضعف ما كان لهم .

ثم تقدّم إلى لؤلؤ بالتأهب لحرب الزنج ، وكان صاحب الزنج ، لمّا غُلب على نهر أبي الخصيب وقُطعت القناطر والجسور التى عليه ، أحدث سكرا فى النهر من جانبيه ، وجعل فى وسط النهر بابا ضيّقا لتحتد جرية الماء فيه فيمتنع الشذا من دخوله فى الجزر ، ويتعذّر خروجها منه فى المدّ ، فرأى الموفّق أنّ حربة لا يتهيّأ إلا بقلع هذا السكر ، وحاول ذلك فاشتدت محاماة الزنج عليه ، وجعلوا يزيدون كل يوم فيه ، فشرع الموفّق فى محاربتهم بفريق بعد فريق من أصحاب لؤلؤ ، ليتمرّنوا على قتالهم ويقفوا على المسالك والطرق فى مدينتهم ، وأمر لؤلؤا أن يحضر فى جماعة من أصحابه للحرب على هذا السكر ففعل ، فرأى الموفّق من شجاعتهم وإقدامهم ما سرّه ، فأمر لؤلؤا بصرفهم إشفاقا عليهم ووصلهم وأحسن إليهم ، وألحّ الموفّق على هذا السكر ، فكان يحارب والفعلة يعملون فى قلعه ، واستأمن إليه جماعة ، وكان قد بقى لصاحب الزنج وأصحابه أرضين بناحية النهر الغربى ، لهم فيها مزارع وحصون وقنطرتان وبه جماعة يحفظونه ، فسار إليهم أبو العباس وفرّق أصحابه من جهاتهم ، وجعل كمناء ، ثم أوقع بهم فانهزموا فما قصدوا جهة إلا خرج عليهم من يقاتلهم فيها ، فقُتلوا لم يسلم منهم إلا الشريد ، وأخذوا من أسلحتهم ما أثقلهم حمله ، وقطع

القنطرتين ، ولم يزل الموفّق يقاتلهم على سكرهم حتى تهيّأ له فيه ما أحب وحرقه .

فلما فرغ منه عزم على لقاء صاحب الزنج ، فأمر باصلاح السفن والآلات للماء والطين ، وتقدّم إلى ابنه أبى العبّاس أن يأتى الزنج من ناحية دار المهلبىّ ، وفرّق العساكر من جميع جهاته ، وأضاف المستأمنة إلى شِبْل ، وأمر الناس ألّا يزحفوا حتى يحرّك علما أسود كان نصبه على دار الكَرَنْبَائِى ، وحتى ينفخ فى بوق بعيد الصوت ، وكان عبوره يوم الاثنين[1] لثلاث بقين من المحرّم ، فعجّل بعض الناس وزحف نحوهم ، فلقيه الزنج فقتلوا منهم وردّوهم إلى مواقفهم ، ولم يعلم سائر العسكر بذلك لكثرتهم وبُعْد المسافة فيما بين بعضهم وبعض ، وأمر الموفّق بتحريك العلم الأسود والنفخ فى البوق ، فزحف الناس فى البر والماء يتلو بعضهم بعضا ، فلقيهم الزنج وقد حشدوا واجترأوا بما تهيّأ لهم ، فلقيهم الجيش بنيّات صادقة وبصائر نافذة ، واشتد القتال وقتل من الفريقين جمع كثير ، فانهزم أصحاب صاحب الزنج وتبعهم أصحاب الموفّق ، فقتل منهم ما لا يحصى وغرق منهم مثل ذلك ، وحوى الموفّق المدينة بأسرها ، فغنم أصحابه ما فيها واستنقذوا من كان بقى من الأسارى من الرجال والنساء والصبيان ، وظفروا بجميع عيال على بن أبان المهلبىّ وبأخويه الخليل ومحمد وأولادهما ، فسيّروا إلى الموفقيّة ، ومضى صاحب الزنج فى أصحابه ومعه ابنه انكلاى وسليمان بن جامع وقوّاد من الزنج وغيرهم

(١) فى المخطوطات : الثلاثاء والتصويب عن الكامل ح٧ ص ١٨٦ والطبرى ح١٤ ص ٢٠٨٧

هرابا ، عامدين إلى موضع كان قد أعدّه ملجأ إذا غُلب على مدينته ، وذلك المكان على النهر المعروف بالسفيانى ، وكان أصحاب الموفّق قد اشتغلوا بالنهب والإحراق ، وتقدّم أصحاب الموفّق فى الشذا نحو نهر السفيانى ، وانتهى الموفّق ومن معه إلى عسكر صاحب الزنج وهم منهزمون ، واتبعهم لؤلؤ فى أصحابه حتى عبروا النهر فاقتحم[(١)] لؤلؤ النهر بفرسه واتبعه أصحابه حتى انتهى إلى النهر[(١)] المعروف بالقريرى[(٢)] فوصل إليه لؤلؤ وأصحابه ، فأوقعوا به وبمن معه فهزموهم حتى عبروا نهر المساوان[(٣)] ولؤلؤ فى أثرهم ، فاعتصموا بجبل وراءه ، وانفرد لؤلؤ وأصحابه باتباعهم إلى هذا المكان إلى آخر النهار ، فأمر الموفّق بالانصراف فعاد مشكورا محمود الفعل ، فحمله الموفّق معه وجدّد له البرّ والكرامة ورفع منزلته ، ورجع الموفّق فلم ير أحدا من أصحابه بمدينة الزنج ، وكانوا قد انصرفوا إلى الموفقيّة بما حووا فى سفنهم ، فرجع الموفّق إلى مدينته واستبشر الناس بالفتح ، وغضب الموفّق على أصحابه لمخالفتهم أمره وتركهم الوقوف حيث أمرهم ،فجمعهم ووبّخهم على ذلك وأغلظ لهم ، فاعتذروا بما ظنّوه من انصرافه ، وأنّهم لم يعلموا بمسيره ولو علموا ذلك لأسرعوا نحوه ، ثم تعاقدوا وتحالفوا على ألّا ينصرف منهم أحد إذا توجّهوا نحو صاحب الزنج حتى يظفروا ، فإنْ أعياهم أقاموا حتّى يحكم الله بينهم وبينه ، وسألوا الموفّق أن يردّ السفن التى يعبرون فيها إلى

(١) هذه العبارة غير موجودة فى ك ، ت ، ويؤيدها الكامل حـ٧ ص٢٨١ وهو مصدر المؤلف
(٢) فى المخطوطات دون نقط ، وفى الكامل حـ٧ ص٢٨١ : الفربرى والتصويب عن الطبرى حـ١٤ ص ٢٠٨٩ .
(٣) فى المخطوطات : خاقان ، وفى الكامل حـ٧ ص٢٨٢ : السفيانى والتصويب عن الطبرى حـ١٤ ص ٢٠٨٩ ومن المعروف أن الطبرى هو مصدر ابن الأثير فى الكامل .

صاحب الزنج ، لينقطع الناس عن الرجوع فشكرهم وأثنى عليهم وأمرهم بالتأهّب . وأقام الموفّق بعد ذلك إلى يوم الجمعة يصلح ما يحتاج الناس إليه ، وأمر الناس بالمسير إلى حرب الزنج بُكرة السبت ، وطاف عليهم بنفسه يعرّف كل قائد مركزه والمكان الذى يقصده .

وغدا الموفّق يوم السبت لليلتين (١) خلتا من صفر سنة سبعين وعبر الناس ، وأمر بردّ السفن فردّت ، وسار يقدمهم إلى المكان الذى قدّر أن يلقاهم فيه ، وكان صاحب الزنج وأصحابه قد رجعوا إلى مدينتهم بعد انصراف الجيش عنهم ، وأمّلوا أن تتطاول بهم الأيام وتندفع عنهم المناجزة ، فوجد الموفّق المتسرّعين من غلمانه من الفرسان والرجّالة قد سبقوا الجيش ، فأوقعوا بصاحب الزنج وأصحابه وهزموهم بها ، وتفرّقوا لا يلوى بعضهم على بعض ، وتبعهم أصحاب الموفّق يقتلون ويأسرون من لحقوا منهم : فانقطع صاحب الزنج فى جماعة من حماة أصحابه منهم المهلبىّ ، وفارقه ابنه انكلاى وسليمان بن جامع ، فقصد كل فريق منهم جمعا كثيفا من الجيش ، وكان أبو العبّاس قد تقدّم فلقى المنهزمين فى الموضع المعروف بعسكر رَيْحان ، فوضع أصحابه فيهم السلاح ، ولقيهم طائفة أخرى فأوقعوا بهم وقتلوا منهم جماعة ، وأسروا سليمان بن جامع فأتوا به الموفّق من غير عهد ولا عقد ، فاستبشر الناس بأسره ؛ وأسر بعده إبراهيم بن جعفر الهمدانى — وكان أحد أمراء جيوشه — فأمر الموفّق بالاستيثاق منهما ، ثم إنّ الزنج الذين انفردوا مع صاحبهم حملوا على الناس

(١) فى الكامل حـ٧ ص ٢٨٢ للثلاثين خلتا من صفر ويؤيد المخطوطات الطبرى حـ ١٤ ص ٢٠٩١ .

حملة أزالوهم عن مواقفهم ففتروا ، فجدّ الموفّق فى طلبهم وأمعن ، فتبعه أصحابه وانتهى إلى آخر نهر أبى الخصيب ، فلقيه البشير بقتل صاحب الزنج ، وأتاه بشير آخر ومعه كفّ ذكر أنها كفّه ، ثم أتاه غلام من أصحاب لؤلؤ يركض ومعه رأس صاحب الزنج ، فعرض الموفّق الرأس على جماعة من المستأمنة فعرفوه ، فخرّ لله ساجدا وسجد معه الناس ، وأمر برفع الرأس على قناة فعرفه الناس .

قال : ولما أحيط بصاحب الزنج كان منه المهلبى وحده ، فولّى عنه هاربا وقصد نهر فألقى نفسه فيه ، وكان انكلاى قد سار نحو الديناريّ ورجع الموفّق والرأس بين يديه وسليمان بن جامع ، فأتى مدينته وأتاه من الزنج عالم عظيم يطلبون الأمان فأمنهم ، وانتهى إليه خبر انكلاى والمهلبيّ ومكانهما ومن معهما من مقدّمى الزنج ، فبث أصحابه فى طلبهم وأمرهم بالتضييق عليهم ، فلما أيقنوا ألا ملجأ أعطوا بأيديهم فظفر بهم وبمن معهم وكانوا زهاء خمسة آلاف ، فأمر بالاستيثاق من المهلبيّ وانكلاى ، وكان ممّن هرب قرطاس الروميّ الذى رمى الموفّق بالسهم فى صدره ، فانتهى إلى رَامَهُرْمُز فعرفه رجل فدلّ عليه عامل البلد ، فأخذه وسيّره إلى الموفّق فقتله ابنه أبو العبّاس ، ثم استأمن دَرْمُويَه الزّنجى إلى أبى أحمد الموفّق ، وكان درمويه هذا من أنجاد الزنج وأبطالهم ، وكان صاحب الزنج قد وجّهه قبل هلاكه بمدّة إلى موضع كثير الأدغال والشجر والآجام متصل بالبطيحة ، وكان هو ومن معه يقطعون الطريق هناك على السابلة فى زواريق خفاف ، فإذا طلبوا دخلوا الأنهار الضيّقة واعتصموا بالأدغال ، وإذا تعذّر عليهم مسلك لضيقه حملوا سفنهم ولجأوا إلى الأمكنة الوسيعة ، ويغيرون على قرى البطيحة

ويقطعون الطريق ، فظفروا بجماعة من عسكر الموفّق معهم نساء قد عادوا إلى منازلهم ، فقتلوا الرجال وأخذوا النساء ، فسألهنّ دَرْمويه عن الخبر فأخبرنه بقتل صاحب الزنج وأسر أصحابه وقوّاده ، وأن كثيراً منهم قد صار إلى الموفّق بالأمان فأحسن إليهم ، فسقط في يده ولم ير لنفسه ملجأ إلا طلب الأمان والصفح عن جرمه ، فأرسل إلى أبي أحمد الموفّق يطلب الأمان فأجابه إلى ذلك وأمّنه ، فخرج هو ومن معه حتى وافى عسكر الموفّق فأحسن إليهم وأمّنهم ، فلما اطمأن درمويه أظهر ما كان في يده من الأموال والأمتعة ، وردّها إلى أربابها ردا ظاهرا فعلم بذلك حسن نيّته فزاد الموَفّق في الإحسان إليه ، وأمر أن يكتب إلى أمصار المسلمين بالنداء في أهل النواحي التي دخلها الزنج بالرجوع إلى أوطانهم ، فسارع الناس إلى ذلك .

وأقام الموفّق بالمدينة الموفقيّة ليأمن الناس بمقامه ، وولّى البصرة والأبلّة وكور دجلة رجلا من قواده قد حمد مذهبه وعلم حسن سيرته يقال له العبّاس بن تَرْكس ، وأمره بالمقام بالبصرة ، وولى قضاء البصرة والأبلّة وكور دجلة محمد بن حمّاد ، وقدم ابنه أبا العباس إلى بغداد ومعه رأس صاحب الزنج ليراه الناس ، فبلغها لاثنتى عشرة ليلة بقيت من جمادى الأولى من هذه السنة .

قال : وكان خروج صاحب الزنج يوم الأربعاء لأربع بقين من شهر رمضان سنة خمس وخمسين ومائتين ، وقتل يوم السبت لليلتين خلتا من صفر سنة سبعين ومائتين ، فكانت أيّامه أربع عشرة سنة وأربعة أشهر وستة أيّام .

انقضت أخبار صاحب الزنج فلنذكر أخبار القرامطة

ذكر أخبار القرامطة وابتداء أمرهم وماكان من أخبارهم وما استولوا عليه من البلاد وغير ذلك من أخبارهم

والقرامطة منسوبون إلى قِرْمِط ، وقد اختلف فيه : فمن الناس من يقول إنّه حمدان بن الأشعث ، وأنّه إنما سمّى قرمطا لأنّه كان رجلا قصيرا قصير الرجلين متقارب الخطو فسمّى بذلك ، وقيل قُرْمُط : ثور كان لحمدان بن الأشعث هذا ، وأنّه كان يحمل غَلات السواد على أثوار له بسواد الكوفة ، والله تعالى أعلم .

قال ابن الأثير فى تاريخه [١] الكامل فى حوادث سنة ثمان وسبعين ومائتين :

وفيها تحرّك بسواد الكوفة قوم يعرفون بالقرامطة ، وكان ابتداء أمرهم : أن رجلا يقال له حمدان يظهر الدين والزهد والتقشّف ، ويأكل من كسبه ، وأقام على ذلك مدة ، فكان إذا جالسه رجل ذاكره الدين وزهده فى الدنيا ، وأعلمه أن الصلاة المفروضة على الناس خمسون صلاة فى كل يوم [٢] ، حتى فشا ذلك بموضعه ، ثم أعلمهم أنّه يدعو إلى إمام من أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاستجاب له جمع كثير وكان يقعد إلى بقّال هناك ، فجاء رجل إلى البقّال يطلب منه من يحفظ له ما صرم من نخله ، فدلّه عليه وقال لعلّه يجيب ، فكلّموه فى ذلك

---

(١) من المعروف أن ابن الأثير ينقل عن الطبرى ونص الكامل حـ٧ ص٣٠٩ مماثل لنص الطبرى حـ١٤ ص ٢١٢٤ ، والملاحظ فيما سبق من نقل النويرى عن ابن الأثير أنه ينقل عنه العبارة بنصها أى بلفظها ، ولكنه هنا لايلتزم هذا النهج ، فهو ينقل باللفظ حينا ويتصرف أحيانا .

(٢) فى الكامل المنشور حـ٧ ص ٣١٠ : فى كل يوم وليله .

فاتفق معهم على أجرة معلومة ، فكان يحفظ لهم ويصلى أكثر نهاره ، ويصوم ويأخذ عند إفطاره من البقّال رطل تمر ، يفطر عليه ويجمع نواه ويعطيه للبقّال ، فلما حمل التجار تمرهم جلسوا عند البقّال وحاسبوه وأعطوه أجرته ، وحاسب هو البقّال على ما أخذ من التمر وحطّ ثمن النوى فضربوه ، وقالوا ألم يكفك أن تأكل تمرنا حتى تبيع نواه ؟ ! فأوقفهم البقّال على الخبر فاعتذروا واستحلوا منه ، وازداد بذلك عند أهل القرية ، ودعا أهل تلك الناحية إلى مذهبه فأجابوه ، وكان يأخذ من الرجل إذا أجابه دينارا واحدا ، ويزعم أنّه الإمام ، واتخذ منهم إثنى عشر نقيبا أمرهم أن يدعو الناس إلى مذهبه وقال : أنتم [١] كحوارى عيسى بن مريم ، فاشتغل أهل تلك الناحية عن أعمالهم ، وكان للهَيْصَم فى تلك الناحية ضياع ، فرأى تقصير الأكّارة فى عمارتها ، فسأل عن ذلك فقيل له خبر الرجل فحبسه ، وحلف ليقتلنّه لما اطّلع على مذهبه ، وأغلق عليه الباب ليقتله فى غد ، وجعل المفتاح تحت رأسه ، فسمع بعض جواريه خبره فرقّت له ، فسرقت المفتاح وأخرجته وأعادت المفتاح إلى موضعه ، فلما أصبح الهَيْصَم فتح الباب ليقتله فلم يجده ، فشاع ذلك فى الناس فافتتنوا به وقالوا رفع ، ثم ظهر فى ناحية أخرى ، ولقى جماعة من أصحابه فسألوه عن قصّته فقال : لا يمكن أن ينالنى أحد بسوء ، فعظم فى أعينهم ثم خاف على نفسه فخرج إلى ناحية الشام ، فلم يوقف له على خبر ، هذا ما حكاه عز الدين بن الأثير الجزرى فى تاريخه الكامل .

---

(١) فى ك ، ت : إنهم .

وحكى الشريف أبو الحسين محمد بن على بن الحسين بن أحمد بن إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق بن محمد ابن على بن الحسين [١] بن على بن أبي طالب - وهو المعروف بأخي مُحْسِن - فى كتاب [٢] ألّفه ذكر فيه عبيد الله الملقب بالمهدى ، الذى استولى على بلاد المغرب واستولى بنوه من بعده على الديار المصرية والشام وغير ذلك ، وذكر الشريف أصل عبيد الله هذا ونفاه عن النسب إلى على بن أبي طالب رضى الله عنه ، واستدلّ على ذلك بأدلّة يطول شرحها أجاد فى تبيانها ، وقال فى أثناء ما حكاه أنّه لما صار الأمر إلى أحمد بن عبد الله بن ميمون بن ديصان بعد أبيه - وأحمد هذا هو جد عبيد الله الملقّب بالمهدى - بعث - وهو بسَلَمْيَة - الحسين الأهوازى داعية إلى العراق ، فلقى حمدان بن الأشعث قُرْمطا بسواد الكوفة ومعه ثور ينقل عليه ، فقال له الحسين الأهوازى : كيف الطريق إلى قس بهرام ؟ فعرّفه حمدان أنّه قاصد إليه ، وسأله الأهوازى عن قرية تعرف ببانْبورَا من قرى السواد ، فذكر أنّها قريبة من قريته وكان حمدان هذا من قرية تعرف بالدُّور على نهر هد من رستاق مَهْرَوسَا [٣] من طَسُّوج فرات بادقلى ، قال : فتماشيا ساعة ، فقال له حمدان : إنّى أراك جئت من سفر بعيد ، وأنت معى فاركب ثورى هذا ، فقال له الحسين : لم أومر بذلك ، فقال له حمدان : كأنّك تعمل بأمْر أمر لك ؟ قال نعم ، قال : ومن يأمرك وينهاك ؟ قال :

---

(١) فى ك ، ت : الحسن وهو خطأ تصححه المخطوطتان فيما بعد .

(٢) نقل أبو بكر بن عبد الله بن أيبيك الدواداري فى كتابه « كنز الدرر وجامع الغرر » الجزء السادس تحقيق (الدكتور صلاح المنجد) المنشور فى مطبوعات المعهد الألمانى للآثار بالقاهرة سنة ١٩٦١ ، نصوصا من كتاب أخى محسن هذا عن القرامطة يتفق كثير منها مع مانقله النويرى هنا (المراجع) .

(٣) فى كنز الدرر وجامع الغرر للدوادارى (القاهرة ١٩٦١) جـ٦ ص ٤٤ : مهرونقيا .

مالكى ومالكك ومن له الدنيا والآخرة ، قال : فبهت حمدان قرمط مفكرا ، وأقبل ينظر إليه ثم قال له : يا هذا ما يملك ما ذكرتَه إلا الله تعالى ! قال : صدقت ، والله يهب ملكه لمن يشاء ، قال له حمدان : فما تريد فى القرية التى سألتنى عنها ؟ قال : دفع إلىّ جراب فيه علم بِسرّ من أسرار الله تعالى ، وأمرتُ ، أن أشفى هذه القرية وأغنى أهلها وأستنقذهم وأملّكهم أملاك أصحابهم .

وابتدأ يدعوه فقال له حمدان : يا هذا نشدتك الله إلا دفعت إلىّ من هذا العلم الذى معك وأنقذتنى ينقذك الله ! ! قال له : لا يجوز ذلك أو آخذ عليك عهدا وميثاقا أخذه الله تعالى على النبيّين والمرسلين وألقى عليك ما ينفعك ، قال : فمازال حمدان يضرع إليه حتّى جلسا فى بعض الطريق وأخذ عليه العهد ، ثم قال له : ما اسمك ؟ قال : قرمط ، ثم قال له قرمط : قم معى إلى منزلى حتى تجلس فيه ، فإنّ لى إخوانا أصير بهم إليك لتأخذ عليهم العهد للمهدى ، فصار معه إلى منزله ، فأخذ على الناس العهد هناك ، وأقام فى منزل حمدان وأعجبه أمره وعظّمه وكرّمه ، وكان على غاية ما يكون من الخشوع ، صائما نهاره قائما ليله ، وكان المغبوط[(١)] من أخذه إلى منزله ليلة ، وكان[(١)] ربما خاط لهم الثياب وتكسّب بذلك ، وكانوا يتبرّكون به وبخياطته . قال : وأدرك التمر فاحتاج أبو عبد الله محمد بن عمر بن شهاب العَدَوى إلى عمل[(٢)] تمره ، وكان من وجوه أهل الكوفة ومن أهل العلم والفضل والتوحيد ، فوصف له هذا الرجل فنصبه لحفظ تمره والقيام

(١) هذا النص غير موجود أو ساقط من ك، ت .

(٢) فى كنز الدرر للدوادارى ص ٤٥ ح ٦ : حراسه تمره وهو الأصح كما يدل على ذلك ما بعد .

فى حظيرته ، فأحسن حفظها واحتاط فى أداء الأمانة ، وظهر منه من التشديد فى ذلك ما خرج به عن أحوال الناس فى تساهلهم فى كثير من الأمور ، وذلك فى سنة أربع وستين ومائتين ، فاستحكمت ثقة الناس به ، وثقته بحمدان قرمط وسكونه إليه ، فأظهر له أمره وكشف له الغطاء .

قال : وكلّ ما كان هذا الداعية يفعله من الثقة والأمانة واظهار الخشوع والنسك إنما كان حيلة ومكرا وخديعة (١) وغشا ، قال : فلما حضرت هذا الطاغية الوفاة جعل مقامه حمدان بن الأشعث قرمطا ، فأخذ على أكثر أهل السواد وكان ذكيا خبيثا ، قال : وكان ممّن أجابه من أصحابه الذين صار لهم ذكر زَكْرُويَه بن مِهْرُويَه السلمانى وجُلَنْدَى الرازِى ، وعِكْرَمة البَابِلى ، وإسحاق السُّورَانى ، وعُطَيْف النِّيلى وغيرهم ، وبث دعاته فى السواد يأخذون على الناس ، وكان أكبر دعاته عَبْدَان متزوجا أخت قرمط أو قرمط متزوجا أخته ، وكان عَبْدَان رجلا ذكيا خفيفا (٢) فطنا خبيثا ، خارجا عن طبقة نظرائه من أهل السواد ذا فهم وخبث ، فكان يعمل عند نفسه على حدّ قد نصب له ، ولا يرى أنّه يجاوزه إلى غيره من خلع الإسلام ، ولا يظهر غير التشيّع والعلم ويدعو إلى الإمام من آل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، محمد بن إسماعيل بن جعفر ، وكان أحد مَنْ تبع عبدان

---

(١) فى الفصل السابق عن الزنج نرى النويرى يذكر رئيس الزنج فيقول : صاحب الزنج ، ولايذكر مايصفه به ابن الأثير أوالطبرى بقولهما الخبيث و غير ذلك ، ولكنه هنا ينقل الأوصاف مما يقطع أنه ينقل بالنص كما هى عادته .

(٢) فى ك ، ت : ... عبدان رجلا ذكيا خبيثا فطنا خبيثا ، وفى كنز الدرر للدوادارى حـ ٦ ص ٤٦ ... فطنا خداعا ، والتصويب عن ا .

زكرويه بن مهرويه ، وكان زكرويه شابا فيه ذكاء وفطنة ، وكان من قرية بسواد الكوفة يقال لها المنسانيّة[١] تلاصق قرية الصَوّان ، وهاتان القريتان على نهرهد ، نصبه عبدان على إقليم نهرهد وطسّوج السالحين وإقليم نهر يوسف داعية ، ومن قبله جماعة دعاة متفرقون فى عمله ، يدور كل واحد منهم فى عمله فى كل شهر مرّة ، وكلّ ذلك بسواد الكوفة ، ودخل فى دعوته من العرب من بنى ضُبَيعة بن عجل – وهم من ربيعة – رجلان ، أحدهما يعرف برباح والآخر يعرف بعلى بن يعقوب القمر ، فأنفذهما دعاة إلى العرب فى أعمال الكوفة وسُورا وبَرْبِسْما وبابل ، ودخل فى دعوته من العرب أيضا رفاعة من[٢] بنى يشكر ، ثمّ من بكر بن وائل رجل يعرف بسند[٣] وآخر يعرف بهارون ، فجعلهما دعاة نخيلة[٤] وما والاها فى العرب خاصة إلى حدود واسط ، فمال إليه هذان البطنان ودخلا فى دعوته فلم يكد يختلف رفاعى ولا ضبعى ، ولم يبق من البطون المتصلة بسواد الكوفة بطن إلا

(١) فى كنز الدرر للدوادارى حـ٦ ص ٤٦ : الميسانية .

(٢) لم تذكر المصادر التى بين أيدينا المنشورة أن من بنى يشكر قبيلة تسمى رفاعة بل الجزء الثانى من نهاية الأرب المطبوع ، والذى يذكر فيه يشكر بن بكر بن وائل لا يتضمن نسبة هذه القبيلة إلى يشكر

(٣) فى كنز الدرر للدوادارى حـ٦ ص ٤٧ : سيد .

(٤) فى المخطوطات مرسومة هكذا : نحلا ، وضع ك نقطة فوق الحرف الأول وجعل الثانى جيما و الثالث ياء ، أما ا ، ت فانها تركا النقط وجعلا نقطة تحت الحرف الثالث ، و فى كنز الدرر للدوادارى حـ٦ ص ٤٧ : بجيبلا ، وبالرجوع إلى معجم البلدان لياقوت الحموى وغيره من المصادر الجغرافية والأدبية واللغوية لا نجد بلدا يتفق والنص سوى نخيلة ، قال ياقوت حـ٤ ص ٧٧١ (ط. أوروبا) النخيلة : (تصغير نخلة موضع قرب الكوفة على سمت الشام وهو الموضع الذى خرج إليه على رضى الله عنه لما بلغه مافعل بالأنبار من قتل عامله عليها) .

دخل فى الدعوة منه ناس كثير أو قليل ، من بنى عَايش وذُهل وغيره وبنى عنز وتيم الله وثُعَل وغيرهم ، وفيهم نفر يسير من بنى شيبان ، فقوى قرمط بهم وزاد طمعه فأخذ فى جمع أموالهم .

ذكر مافرضه قرمط

على من دخل فى دعوته واستجاب له وكيف نقلهم فى استئصال أموالهم من اليسير الى الكثير حتى استقام له أمرهم

كان أول ما ابتدأ به أن فرض عليهم وامتحنهم بتأدية درهم واحد ، وسمى ذلك الفِطْرَة من كل رأس من الرجال والنساء والصبيان فسارعوا إلى ذلك ، فتركهم مُدَيْدَة ثم فرض عليهم الهجْرة ، وهو دينار على كل رأس أدرك الحِنْث ، وتلا عليهم قوله تعالى (خُذْ مِنْ أَمْوالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وتُزَكِّيهم بِهَا وصَلِّ عليهم إنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ واللهُ سميعٌ عَلِيم) (١) ، وقال : هذا تأويل هذا ، فدافعوا ذلك مبادَرِيَن به إليه ، وتعاونوا عليه فمن كان فقيرا أسعفوه ، فتركهم مديدة ثم فرض عليهم البُلْغَة : وهى سبعة دنانير ، وزعم أنَّ ذلك هو البرهان بقوله تعالى (قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إنْ كُنْتُمْ صَادِقِين) (٢) . وزعم أنَّ ذلك بلاغ من يريد الإيمان والدخول فى السابقين السابقين — « أولئك المقرّبون » ، وصنع لهم طعاما طيبا حلوا لذيذا وجعله على قدر البنادق ، يطعم كلّ من أدّى إليه سبعة دنانير واحدة منها ، وزعم أنّه طعام أهل الجنّة نزل إلى الإمام ، واتخذ ذلك كالخواتيم ينقل إلى

(١) سورة ٩ آية ١٠٣

(٢) سورة ٢ آية ١١١

الداعى منها مائة بُلغة ويطالبه بسبعمائة دينار ، فلما توطأ له هذا الأمر فرض عليهم أخماس ما يملكون وما يتكسبون ، وتلا عليهم قوله تعالى (واعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلهِ خُمُسَهُ . . . . الآية)(١) فقوّموا جميع ما يملكونه من ثوب وغيره وأدّوا خمسه إليه ، حتى كانت المرأة تخرج خُمس ما تغزل ، والرجل خُمس ما يكسب ، فلما تمّ ذلك له واستقرّ فرض عليهم الأُلفة ، وهو أن يجمعوا أموالهم فى موضع واحد وأن يكونوا فى ذلك أسوة واحدة ، لا يفضل أحد منهم صاحبه وأخاه فى ملك يملكه ، وتلا عليهم قوله تعالى (واذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عليكُمْ إِذْ كُنْتُم أَعْداءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُم فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً) (٢) ، وتلا عليهم قوله تعالى (لو أَنْفَقْتَ ما فى الأَرض جميعاً ما أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ولكن اللهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّه عَزِيزٌ حَكِيمٌ) (٣) ، وعرّفهم أنّه لا حاجة بهم إلى أموال تكون معهم ، لأَنَّ الأَرض بأسرها ستكون لهم دون غيرهم ، وقال لهم : هذه محنتكم التى امتحنتم بها ليعلم كيف تعملون ، وطالبهم بشراء السلاح واعداده ، وذلك كلّه في سنة ست وسبعين ومائتين .

وأقام الدعاة فى كل قرية رجلا مختارا من ثقاتها ، يُجمع عنده أموال أهل قريته من بقر وغنم وحلْى ومتاع وغيره ، فكان يكسو عاريهم وينفق عليهم ما يكفيهم ، ولا يبقى فقيرا بينهم ولا محتاجا ضعيفا ، وأخذ كل رجل منهم بالانكماش فى صناعته والتكسب

(١) سورة ٨ آية ٤١
(٢) سورة ٣ آية ١٠٣
(٣) سورة ٨ آية ٦٣

بجهده ، ليكون له الفضل فى رتبته ، وكانت المرأة تجمع إليه كسبها من مغزلها ، والصبي أجر نطارته الطير ، فلم يملك أحد منهم إلا سيفه وسلاحه ، فلما استقام له ذلك كلّه وصبوا إليه وعملوا به ، أمر الدعاة أن يجمعوا النساء ليلة معروفة ويختلطن بالرجال ، وقال : إنّ ذلك من صحة الودّ والألفة بينهم فربما بذل الرجل لأخيه امرأته متى أحبّ فلما تمكّن من أمورهم ووثق بطاعتهم وتبيّن مقدار عقولهم أخذ في تدريجهم إلى الضلالة ، وأتاهم بحجج من مذهب الثنويّة فسلكوا معه في ذلك ، حتى خلعهم من الشريعة ونقض عليهم ما كان يأمرهم به فى مبدأ أمرهم من الخشوع والورع والتقى ، وأباح لهم الأموال والفروج والغنى عن الصوم والصلاة والفرائض ، وأنّ ذلك كلّه موضوع عنهم وأن أموال المخالفين ودماءهم حلال لهم ، وأنّ معرفة صاحب الحق الذى يدعو إليه يغنى عن كل شىء ، ولا يُخاف معه إثم ولا عذاب .

ذكر دعوة القرامطة وعهدهم الذين كانوا يأخذونه على من يغرونه ، ويستميلونه الى مذهبهم ، وكيف ينقلونه من مرتبة الى أخرى ، حتى ينسلخ من الدين ويخلع ربقة الاسلام من عنقه

قال الشريف أبو الحسين محمد بن على : أول الدعوة بعد عمل الداعى بالرزق وقوة إجابة المدعو من سائر الأمم أن يُسلك به فى السؤال عن المشكلات ، مسلك الملحدين والشكاك ، ويكثر السؤال عن تأويل الآيات ومعانى الأمور الشرعيات ، وشىء من الطبائع ووجوه القول فى الأمور التى تكثر فيها الشُّبه ، ولا يصل إليها إلا العالم المبرّز ومن

جرى مجراه ، فإن اتفق له مجيب عارف ممارس جدل سلّم إليه الدّاعى وعظّمه وكرّمه وحشمه وصوّب قوله ، وداخله بما يحب من علم شريعته التى يومى إليها ، وكل ذلك ليقطع كلامه لئلا يتبيّن ما هو عليه من الحيلة والمكر ، وما يدخل به على الناس من أمر الدعوة ، وإن اتفق مغرور مغفّل غليظ الحواسّ ألقى إليه مايشغل به قلبه ، مثل قوله : إنّ الدين لمكتوم وإنّ الأكثر له لمنكرون وبه جاهلون ، ولو علمت هذه الأمّة ما خصّ الله به الأئمة من العلم لم تختلف ، ويوهم من سمع كلامه أنّ عنده علوما خفيّة لم تصل إليهم ، فتطلع نفس المستمع إلى معرفة بيان ما قال ، وربما وصل أمره مع من يجالسه — واحدا كان أو جماعة — بشىء من معانى القرآن ، وذكر شرائع الدين وتأويل الآيات وتنزيلها وكلام لا يشك المسلم العارف فى حقيقته ، ويوهم المستمعين منه أنّه قد ظفر بعلم ، لو صادف له مستمعا لكان ناجيا منتفعا ، وقرّر عندهم أنّ الآفة التى نزلت بالأمة وحيّرت فى الديانة وشتّتت الكلمة وأورثت الأهواء المضلّة ذهاب الناس عن أئمة نصبوا لهم ، وأقيموا حافظين لشرائعهم يؤدونها على حقائقها ، ويحفظون عليهم معانيها وبواطنها ، وأنّهم لما عدلوا عنهم ونظروا من تلقاء عقولهم ، واتباعهم لِمَا حَسُن فى رأيهم وسمعوه من أسلافهم وغلاتهم (١) — اتباع الملوك فى طلب الدنيا — وحاملى الغنى ومسمعى الإثم وأجناد الظلمة وأعوان الفسقة الطالبين العاجلة ، والمجتهدين فى الرياسة على الضعفاء ، ومن يكايد رسول الله صلّى الله عليه وسلم فى أمته وغيرّ كتابه وبدّل سنّته ، وقتل عِترته

(١) فى ا ، ت : علا بهم والتصويب من ك

وخالف دعوته وأفسد شريعته وسلك بالناس غير طريقته ، وعاند الخلفاء من بعده ، وخلط بين حقّه وباطل غيره فتحيّر وحيّر من قَبِل منه ، وصار الناس إلى أنواع الضلالات به وبأتباعه ، وقالوا لهم حينئذ - كالنصحاء الحكماء - : إنّ دين محمد لم يأت بالتحلى ولا بالتمرّى ، ولا بأمانىّ الرجال ولا شهوات الخلق ، ولا بما خفّ على الألسنة وعرفته دهماء العامّة ، وإنما الدين صعب مستصعب ، أمر مستثقل وعلم خفى غامض ، سيّره الله فى حجبه وعظّم شأنه عن ابتذال الأشرار له ، فهو سرّ الله عزّ وجلّ المكتوم وأمره المستور ، الذى لا يطيق حِمله ولا ينهض بأعبائه وثقله إلا مَلَكٌ مقرّب أو نبىٌّ مرسل ، أو عبد مؤمن امتحن الله قلبه للايمان ، فى أمثال هذا الكلام ، ويموّه على من لا يعلم بأنّهم لو أظهروا ما عندهم من العلم لأنكره من يسمعه ، وتعجّب منه وكفّر أهله ، وهذه مقدّمة يجعلونها فى نفوس المخدوعين ، ليواطئوهم على ألّا ينكروا ما يسمعونه منهم ولا يدفعوه ، فيجعلوا ذلك تأنيسا وتأسيسا لينخلع من الشرائع وترتيب أصولها والحرص على طلبها ، وربما قالوا لهم شيئا يموّهون به أن له تفسيرا ، وإنما هو تقليد فى الديانة .

فمن مسائلهم : ما معنى رمى الجمار ؟ والعدو بين الصفا والمروة ؟ ولم قضت الحائض الصيام ولم تقض الصلاة ؟ وما بال الجنُب يغتسل من ماء دافق لشىء طاهر منه البشر ، ولا يغتسل من البول النجس الكثير القذر ، وما بال الله تعالى خلق الدنيا فى ستة (١) أيام ؟ أعجز

(١) فى المخطوطات : سبعة وهو خطأ نقل أو سهو . والاشارة إلى الاية ٤ سورة ٣٢ (الله الذى خلق السموات والأرض وما بينهما فى ستة أيام ثم استوى على العرش) ، وردت (ستة) فى نص النوادارى .

عن خلقها فى ساعة واحدة ؟ وما معنى الصراط. للضروب فى القرآن مثلا ؟ والكاتبين [١] الحافظين ؟ وما لنا لا نراهما ؟ أيخاف ربنا أن نكابره ونجاحده فأذكى [٢] العيون وأقام علينا الشهود ؟ وقيّد ذلك بالقرطاس والكتابة ؟ ! وما تبديل الأرض [٣] غير الأرض ؟ وما عذاب جهنّم ؟ وكيف يصحّ تبديل جلد [٤] مذنب بجلد لم يذنب يعذب ؟ ! وما معنى : ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية [٥] ؟ وما إبليس ؟ وما ذكرته الشياطين ؟ وما وصفوا به ، ومقدار قدرهم ؟ وما يأجوج ومأجوج ؟ وهاروت وماروت ؟ وما سبعة أبواب النار ؟ وما ثمانية أبواب الجنّة ؟ وما شجرة الزقّوم النابتة فى الجحيم ؟ وما دابّة الأرض ؟ ورؤوس الشياطين ؟ والشجرة الملعونة فى القرآن ؟ والتين والزيتون ؟ وما الخنّس ؟ وما الكُنّس ؟ وما معنى الم ، والمص ؟ وما معنى كهيعص ؟ وما معنى حم عسق ؟ وأمثال هذا من الكلام ، ولم جعلت السماوات سبعا والأرضون سبعا ؟ وللثانى من القرآن بسبع آيات ؟ ولم فجّرت العيون اثنتى عشرة عينا ؟ ولم جعلت الشهور اثنى عشر شهرا ؟ وأمثال هذا من الكلام والأمور ، ممّا يوهمون أنّ فيه معانى غامضة وعلوما جليلة .

وقالوا للمغرورين : ما يعمل معكم الكتاب والسنّة ومعانى الفرائض

---

(١) سورة ٨٢ آية ١٠ ، ١١ : (وإن عليكم لحافظين ، كراما كاتبين) .

(٢) أذكى عليه العيون : أرسل عليه الطلائع (أقرب الموارد) .

(٣) سورة ١٤ آية ٤٨ : (يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات وبرزوا الله الواحد القهار)

(٤) سورة ٤ آية ٥٦ : (إن الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم ناراً كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب إن الله كان عزيزاً حكيما) .

(٥) سورة ٦٩ آية ١٧ : (والملك على أرجائها ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية) .

اللازمة ؟ وأين أرواحكم ؟ وكيف صورها ؟ وأين مستقرّها ؟ وما أوّل أمرها ؟ والإنسان ما هو ؟ وما حقيقته ؟ وما فرق بين حياته وحياة البهائم ؟ وفرق ما بين حياة البهائم وحياة الحشرات ؟ وما بانت به حياة الحشرات من حياة النبات ؟ وما معنى قول رسول الله صلى الله عليه وسلّم : « خُلقت حوّاء من ضلع آدم » ؟ وما معنى قول الفلاسفة : الإنسان هو العالم الصغير ؟ ولم جعلت قامة الإنسان منتصبة دون الحيوان ؟ ولم جعل فى أربع أصابع من يدية ثلاثة شقوق وفى الإبهام شقّان ؟ ولم جعل فى وجهه سبعة ثقب وفى سائر بدنه ثقبان ؟ ولم جعل فى ظهره اثنتا عشرة عقدة وفى عنقه سبع ؟ ولم جعل رأسه فى صورة ميم ويداه حاءً وبطنه ميما ورجلاه دالا حتى صار المذلك كتابا مرسوما يترجم عن محمد ؟ ولم جُعلت أعداد عظامكم كذا وأعداد أسنانكم كذا ؟ ولم صارت الرؤساء من أعضائكم بكذا وكذا ، وسألوا عن التشريح والقول فى العروق وفى الأعضاء ووجوه منافع الأعضاء .

ويقولون لهم : ألا تفكّرون فى حالكم وتعتبرون ؟ وتعلمون أنّ الذى خلقكم حكيم غير مجازف ، وأنّه فعل جميع ذلك بحكمة ، وله فى ذلك أغراض باطنة خفيّة ، حتى جمع ما جمعه وفرّق ما فرّقه ، وكيف الإعراض عن هذه الأمور ، وأنتم تسمعون قول الله عزّ وجلّ : (وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ [١]) وقوله : (وَفِي الأَرْض آيَاتٌ للمُوقِنينَ)[٢] ويقول : (ويَضْرِبُ اللهُ الأَمْثَالَ للنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ)[٣] ويقول

(١) سورة ٥١ آية ٢١
(٢) سورة ٥١ آية ٢٠
(٣) سورة ١٤ آية ٢٥

(سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِى الآفَاقِ وَفِى أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُم أَنَّهُ الحَقُّ) (١) فأى شيء رآه الكفّار فى أنفسهم وفى الآفاق فعرفوا أنّه الحق ؟ وأى حق عرفه من جحد الديانة ؟ أولا يدلّكم هذا على أنّ الله عزّ وجلّ أراد أن يدلّكم على بَواطن الأُمور الخفيّة وأمور فى باطنه ، و[لو] (٢) عرفتموه لزالت عنكم كل حيرة وشبهة ، ووقعت لكم المعارف السنيّة ، أولا ترون أنّكم جهلتم أنفسكم؟ التى من جهلها كان حريا بأن لايعلم غيرها ، أو ليس الله تعالى يقول (وَمَنْ كَانَ فِى هذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِى الآخِرَةِ أَعْمَى وأَضَلُّ سَبِيلاً)(٣) ، وأمثال هذه الأمور مما يسألون عنه ويعرضون به من تأويل القرآن وتفسير ألفاظ كثيرة من ألفاظ السنن والأحكام ، والجواب مَعَانٍ يفسّر بها وضع الشرائع السمعيات فيما رفع منها وما (٤) نصب ، وكثير من أبواب التعديل والتجويز (٥) مما يأتى فى المقالة الثانية إن شاء الله تعالى ، فإن أوجب ذلك للمسئول عنه شكا وحيرة واضطرابا وتعلّقت نفسه بالجواب عنه ، وتشوّق إلى معرفته فسألهم عنه عاملوه بمثل ما يفعل به صاحب الفأل والزرّاق والقصّاص على العوامّ عند امتلاء صدورهم بما يفخرون به أولا عندهم من أحوال قد عرفوها من أحوالهم ، فهم إلى معرفتها أكثر الحاجة وعلقوا بمعرفتها أنفسهم ، وعند بلوغ القصاص إلى ما يبلغون إليه يقطعون الحديث ، لتعلّق قلوب المستمعين بما يكون

(١) سورة ٤١ آية ٥٣

(٢) نص الدوادارى : وأمور باطنه . ولو عرفتموه .

(٣) سورة ١٧ آية ٧٢

(٤) فى كنز الدرر للدوادارى ص ١٠٢ : والجواب عن نصف معانى تفسيرها واضع الشرائع السمعيات فيما وقع منها وما نصب .

(٥) فى المصدر السابق : التحوير

بعده ، وهذه صفة الدعاة وحالهم ، يقدمون على الكلام والمسائل ثم يقطعون فتتعلق أنفس المغرورين ، بما قد تأخَر من القول الذى قدّموا له مقدّمة ، فإذا خاطبهم على علم معرفته تأويل البيان قالوا له : لا تعجل ، فإنَ دينَ الله أجلّ وأكبر من أن يبذل لغير أهله ، ويجعل عرضا للّعب وما جانسه ، ويقولون : قد جرت سنّة الله جلّ وعزّ فى عباده عند شرع من نصبه من النبيّين أخذ الميثاق ، كما قال تعالى (وإذْ أخذْنَا مِنَ النَبِيِّينَ مِيثَاقَهمْ ومِنْكَ وَمِنْ نُوح وإبْراهِيمَ ومُوسَى وعِيسَى بنِ مَرْيَمَ وأخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقاً غَلِيظاً) [١] وقال تعالى (مِنَ المُؤْمِنِينَ رجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ فَمنهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ ومنهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً) [٢] وقال جلّ ذكره (يا أيُّهَا الّذِينَ آمنُوا أوْفُوا بالْعُقُود) [٣] وقال (وَلَا تَنْقُضُوا الأيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وقَدْ جَعَلْتُمُ اللهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً إنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ، وَلَا تَكُونُوا كالَّتِي نَقَضتْ غزْلَهَا مِنْ بَعْدَ قُوَّةٍ أنْكَاثَا) [٤] وقال تعالى (لَقَدْ أخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إسْرَائيلَ . . .) [٥] فى أمثال هذا خبّر الله عز وجلّ فيه أنّه لم يملك حقّه إلا لمن أخذ عهده ، فأعطنا صفقة يمينك بالتوكيد من أيمانك وعقودك ، ألّا تفشى لنا سرا ولا تظاهر علينا أحدا ولا تطلب لنا غيلة ، ولا تكلّمنا إلا نصحا ولا توال علينا عدوا ، فى أمثال لهذا ، وإنّما غرضهم فى ذلك كلّه أمور : منها أن يستدلّوا بها بظاهر

---

(١) سورة ٣٣ آية ٧
(٢) سورة ٣٣ آية ٢٣
(٣) سورة ٥ آية ١
(٤) سورة ١٦ آية ٩١ ، ٩٢
(٥) سورة ٥ آية ٧٠

ما يعطيهم المخدوع من انقياده وطاعته ، على باطن أمره من شكّه واضطرابه ، وكيف موقع ذلك منه ، ومنها التوثّق بالأمن من كشف أحوالهم وانتشار أمورهم ، إلا بعد توطئه ما يريدونه حالا فحالا ، ومنها أن يرسموه بالذل والطاعة لهم والرضى منه بأن يكون منقادا ، تابعا لهم ومكبرا ، وإلا فإنّ نكث الأيمان وقلة الاكتراث بها والفكر فيها والاعتداد بها ، هو دينهم عند البلوغ إلى غايتهم التى يجرون إليها ؛ وإنّما يجعلون ذلك مانعا لأهل هذه الطبقات ، ما داموا مستشعرين العمل بالديانات ، فإن سمح المدعو باعطاء عهده وتصاغر لهم بقوة اضطراب قلبه وشكّه قالوا له حينئذ : أعطنا جُعْلا من مالك ، وغرما نجعله مقدّمة أمام كشفنا لك الأمور وتعريفك إياها ، وكان ذلك مما يستظهرون به عليه بالاستدلال به أيضا على قوّة شكّه وتعلّق نفسه ، وظهريا لهم على الاستعانة على أمرهم وتمكينهم لدعوتهم ، ثم رسموا فى مبلغ ذلك رسما بحسب ما يراه الداعى فى أمره صلاحا ، وإن امتنع عليهم المخدوع فى رتبة العهد واعطائه الداعى ، أو فى رتبة العزم وعطيّته أمسكوا عنه وزادوه أبدا فى شكّه وحيرته .

فهذا حال الدعوة الأولى ووصفها وما تدرّج به الدعاةُ المخدوعين

ذكر صفة الدعوة الثانية

قال الشريف رحمه الله : فإذا قبل المخدوع الرتبة الأولى وحصل عليها اعتقد تهمة الأمّة ، فيما نقلته عمّن كان قبلها من علماء المسلمين ، وقوى شكّه فى ذلك ثم تقرّر فى نفسه أن الله تعالى لم يرض فى إقامة حقه وما شرعه لعباده إلا بأخذ ذلك عن أئمة نصبهم لهم

وأقامهم لحفظ شرائعه على مراده ، وسلكوا به فى تقرير هذه الأمور عنده والدلالة على صواب قولهم ، وجعلوا على قولهم وبرهانهم طريقا يسلكون به مسلك أصحاب الإمامة ، فى تعاطى اتيانها من جهة السمع والعقل حتى يتأثر ، ذلك عند مَنْ يأخذون عليه ، ويقرّره فى نفسه فيكون ذلك منزلة ثانية ، ودعوة مرتَّبة بعد الدعوة الأولى التى قدّمنا ذكرها .

ثم ينقلوه إلى الدعوة الثالثة .

ذكر صفة الدعوة الثالثة

قال : وأما الدعوة الثالثة فهى أن يُقرّر الداعى عند المخدوع أنّ الذى ينبغى أن يعتقده فى عدد الأئمة أنّهم سبعة ، عظموا فى أنفسهم وأعدادهم ، ورُتّبوا سبعة كما رتبت جلائل الأمور ، وأصول الترتيب كالنجوم السيّارة والسماوات والأرضين ، ثم يُعدّد له ما فى ذلك جارٍ على هذا العدد ، ممّا سنذكره فى المقامة الرابعة ونبيّنه ونذكر مذهبهم فيه إن شاء الله تعالى .

قال : ثم يقرّر عند المخدوعين أمر الأئمة وعددهم ، فيقول : أوّل هؤلاء الأئمة على بن أبى طالب ثم الحسن ثم الحسين ابناه ، ثم على بن الحسين زين العابدين ، ثم محمد [١] بن على الجليل الرضى ، ثم أبو عبد الله جعفر بن محمد الصادق ، ثم السابع وهو عندهم القائم وصاحب الزمان الآخر . وقد كان منهم من يجعل القائم محمد بن

---

(١) هو الباقر .

إسماعيل بن جعفر ، ولا يبتدئ باسماعيل بن جعفر قبله ، ومنهم من يجعل إسماعيل ثم القائم محمد بن اسماعيل ، فمن فعل هذا خرج من أعداد السبعة ، فإذا قرّر الداعي عند المخدوع : أن الأئمة سبعة ، أسقط ستة لم يجعل لهم إمامة وهم :موسى بن جعفر ، وعلى بن موسى ، ومحمد بن على، وعلى بن أحمدوالحسن بن على(١) ، ومحمد المنتظر ، فإذا قبل منه المغرور مايلقى إليه من هذا القول استقر عقله ، وأخذ فى صرفه عن طريق الإمامة ، ويقع فى أبى الحسن (٢) موسى بن جعفر ويثلبه بماليس فيه ، ثم يقول له : إن الإماميّة الذين يقولون باثنى عشر إماما ليس لهم حقيقة بما يعتقدونه يريد بهذا أن يسهّل عليه طريق المخالفة لأهل الإمامة ، كما سهّل عليه التهمة لما عليه سائر الأمة من الاعتقاد - كما تقدم فى الدعوة الأولى ، يصدون عن طريق الإمامة فى أبى الحسن ، ويقال إنّ موسى بن جعفر يكنى أبا إبراهم ، يقولون : إنّا وجدنا صاحبنا محمد بن إسماعيل بن جعفر عنده علوم المستورات وبواطن المعلومات ، وفقدنا ذلك عند كل أحد سواه ، وربما أتوا بروايات فى الطعن على أبى الحسن موسى بن جعفر ورموه بالعظائم ، ويقولون : ليس له إمامة ، وقد أجمعت الشيعة - التى اجماعها أولى بالاتباع والحجّة - أنّه لا يستحق الإمامة بعد مضى الحسين بن على إلا فى ولد الإمام ، وقد اتفقنا وهم على صحّتهاوترتيبها إلى جعفر بن محمد ، ثم اختلفنا فى أى أولاده أحقّ بها ، فوجدنا عن صاحبنا علم التأويل وتفسير ظاهر الأمور ، وسرّ الله جلّ وعزّ فى وجه تدبيره المكتوم ، واتّفاق دلالته فى كلّ أمر يسأل عنه ، فى جميع

(١) فى ك ، ت : الحسين بن على .
(٢) فى ك : فى أبى الحسين .

المعلومات وتفسير المشكلات وبواطن الظاهر كلّه والتأويلات وتأويل التأويلات ، فنحن الوارثون لذلك من بين طبقات الشيعة المعبّرين عنه أخذناه من جهته رويناه ممّن لانجد من خالفنا ، يمكنه أن يساوينا فيه ولا يتحقّق به ويدّعيه ، فصحّ بذلك أن صاحبنا أولى بالإمامة من جميع ولد جعفر بن محمد ، وربما قالوا : وجدنا فلانا من ولد جعفر ابن محمد من شأنه كذا ، وفلانا من قصّته كذا ، فى فروق لهم كاذبة بأقاويل لاتليق بهم ، ثم يقولون : فلم يبق من سلم من الطعون المعروفة إلا صاحبنا ، فوجب أن يكون هو صاحب الأمردون كل أحد ، وليس غرض هؤلاء — أصحاب هذه الدعوة الخبيثة — أن يؤخروا موسى بن جعفر ، ولايقدّموا إسماعيل بن جعفر ولا ابنه محمد ، وإنما جعلوا هذا كأداة الصانع التى لا يتم الصنعة إلا بها ، فإذا انقادلهم للغرور وسمع قولهم تيقّنوا أنهم قد تمكنوا من عقله ، وسلكوا به أى مسلك أرادوه . فهذه الدعوة الثالثة .

ذكر صفة الدعوة الرابعة

قال الشريف : اعلم أنّ الدعوة الرابعة أن تقرّر عند المدعو بأن عدد الأنبياء الناسخين للشرائع المبدلين لها أصحاب الأدوار وتقليب الأحوال الناطقين على الأمور سبعة بعدد الأئمة سواء ، كل واحد منهم له صاحب يأخذ عنه دعوته ، ويحفظها على أمّته ، ويكون معه ظهيرا فى حياته وخليفة له من بعد وفاته ، إلى أن يؤديها إلى آخر ، يكون سبيله معه سبيله هو مع نبيّه [1] الذى هو تابعه ، ثم كذلك لكل

(١) فى ك ، ت : تبيعه .

مستخلف خليفة ، إلى أن يمضي منهم على تلك الشريعة سبعة ، ويسمّون هؤلاء السبعة الصامتين ، لثباتهم على شريعة اقتفوا فيها أثر واحد هو أوّلهم ، ويسمّون صاحب الأوّل سوسه ، وربما عبّروا عنه بغير ذلك : ثم يزعمون أنّه لابد عند انقضاء هؤلاء السبعة واستنفاد دورهم بشرعهم من استفتاح دورثان ، ينسخ به شرع من قبله ، ويكون خلفاؤه بعده يجرى أمرهم كأمر من كان قبلهم ، ثم يأتى بعدهم ناسخ ، ثم اتباع سبعة صمت أبدا إلى أن يأتى السابع ، فينسخ لجميع ما قبله ؛ ويكون صاحب الزمان الأخير الناطق .

ثم يرتّبون هؤلاء بالتسمية لهم والأوصاف ، فيقولون : أوّل هؤلاء النطقاء آدم ، وصاحبه وسوسه شيث ، ويقال بابه فى موضع سوسه ويسمّون بعده تمام سبعة صمتوا على شريعة آدم ، ثم نوح فإنّه ناطق ناسخ وسام سوسه ، ثم تمام السبعة ، ثم الثالث إبراهيم وسوسه إسماعيل ، ثم تمام السبعة ، ثم الرابع موسى وسوسه هارون ، ثم مات هارون فى حياته فصار سوسه يوشع بن نون ، ثم تمام السبعة بعده ، ثم الخامس المسيح عيسى بن مريم أخذها عن يحيى ، وهو أحد السبعة قبله ، وهو أقامه ونصبه ، ولهم فى هذا ما سيأتى ذكره ، وسوس المسيح شمعون الصفا ، ثم تمام السبعة بعده ، ثم السادس محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم ، وسوسه على بن أبى طالب رضى الله عنه ثمّ ستة ثم السابع قائم الزمان محمد بن إسماعيل بن جعفر ، وهو المنتهى إليه علوم من قبله ، والقائم بعلم بواطن الأمور وكشفها ، وإليه تفسيرها ، وإلى أمره أجرى ترتيب سائر من قبله ، فى أمور سيأتى ذكرها إن شاء الله تعالى .

فهذه درجة أخرى قرّرها الداعى عند المدعو نبوّة نبيّ بعد محمد صلى الله عليه وسلم ، وسهّل بها النقل عن شريعة ، وأخرج بها المدعو إليهاعما هو معلوم عند كل سامع لدعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم من أنّ من دينه وما علم من مذهبه ونحلته أنّه خاتم الرسل وأنّه لا نبيّ بعده ، وأنّ دولته مبقاة وشريعته مفترضة أبدا ، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، فالعلم بذلك من ديانته وما عرف من مذهبه ، وأنّ أمّته بلغت عنه ذلك وفهمته ، وأنّ من مفهوم شريعته أنّه لم يكن يجوز لأحد نبوّة غيره ، فى وقته ولا فيما بعده ، فكانت هذه الدعوة أوّل ما أخرج الداعى بها المدعوّ عن شريعة رسول الله صلّى الله عليه وسلم وأدخله فى جملة الكفّار المرتّدين عن شريعته ، وهو مع هذا لا يعلم ما خرج منه ولا دخل فيه .

ذكر صفة الدعوة الخامسة

قال : اعلم أنّه من يحصل على ما قدّمنا ذكره يحصل عليه ، وقد مُهد له بطريق تعظم الأعداد ، ووُكد بذكر الطبائع فى أبنية العالم ، وأمور كثيرة سيأتى ذكرها فى المقالة الثامنة ، كلها مبيّنة ، على مذاهب مدخولة وأمور فاسدة مرذولة ، مذاهب كثير من الملحدين المتفلسفة ، مع اطّراح ما نقلت الأمّة ، والاستخفاف بحال الشريعة ، والاعتقاد لتعظيم الشيعة ، والانتظار لفسخ ما ورث عن النبوّة ، وتوقّع أمور باطنة بخلاف ما ألف من علم الظاهر ، وقلّة احتفال بدلالة ظاهر القرآن وغيره من الكلام ، على الأمور بحقائق اللغة العربية واقتفاء أثر العرب فى أوضاع كلامهم ، مع تمقيت العرب ومع تحبيب

دناءة العجم ، ويوهم أن العرب للعجم أعداء وظالمون وأنهم لملكهم مغتصبون ، هذا يقال للمدعوّ إذا كان أعجميا ، فإن كان أعرابيا خوطب فى حال دعوته : بأنّ العجم غلبوا على دعوته وفازوا بمملكته ، وأنّ له الاسم ولهم الدنيا ، وأنه أحقّ بذلك منهم وأولى ، فى أمور من هذا يطول وصفها بحسب ما يتخرّج للداعى فيها .

ثم يمكن عنده طرفا من الهندسة فى الأشكال ، ويعرف أنّ طبائع الأعداد فى النظام ، لأمر يستخرج منه علوم الأئمة ، والطريق إلى علم الإلّه والنبوّة ، ويقرّر عنده أنّ مع كل إمام حججا متفرقين فى الأرض وأنّ عددهم فى كل زمان اثنا عشر رجلا ، كما أن عدد الأئمة سبعة ، وأن دلالة ذلك ظاهرة وحجّته قاهرة ، بأن تعلم بأنّ الله جلّ وعزّ لا يخلق الأمور مجازفة على غير معانٍ توجبها الحكمة ، وإلا فلم خلق النجوم ، التى فيها قوام العالم سبعة ؟ وجعل السماوات والأرضين سبعة ؟ وأمثال هذا وبالغوا ، وكذلك الإثنا عشر حجّة ، عدد البروج المعظّمة ، وعدد الشهور المعروفة ، وعدد النقباء من بنى اسرائيل ، ونقباء النبى صلّى الله عليه وسلم من الأنصار ، وفى كفّ الإنسان أربعة أصابع فى كل إصبع ثلاثة شقوق تكون اثنى عشر شقا ، وفى كل يد ابهام فيها شقّان بها قوام جميع كفّه ، وسداد أصابعه ومفاصله ، فالبدن كالأرض ، والأصابع كالجزائر الأربع ، والشقوق كالحجج فيها ، والإبهام كالذى يقوم الأرض بعد ما فيها ، والشقّان فيها الإمام وسوسه لا يفترقان ، ولذلك صار فى ظهر الإنسان اثنتا عشر خرزة كالحجج ، وفى عنقه سبعة عالية كالأنبياء والأئمة ، وكذلك حال السبعة الأنقاب فى وجه الإنسان العالية على بدنه ، فى أمثال لهذا كثيرة ، يحصلون بها

المدعوّ على الأنس بتمهيد طريق للخروج عن أحوال الأنبياء وشرائعهم والعدول عن ذلك إلى أمور الفلاسفة فى ترتيب شبههم أبدا ، ما رأوا أنّ هناك بقيّة من دين .

ذكر صفة الدعوة السادسة

قال الشريف رحمه الله : اعلم أنّهم إذا مكّنوا ما وصفنا وأحكموه ووثقوا لمساكنة المدعوّ أخذوا فى تفسير معانى الشرائع بغير ما يدين به أهلها وسهّلوا عليه العدول عنها ، فرتّبوا له معانى الصلاة والزكاة والحجّ والإحرام والطهارة وسائر الفرائض ، على أمور سيأتى وصفها فى المقالة الثامنة ، على أنّ ذلك يكون تفسيره على إحكام وتمهيد بغير مجازفة ولا استعجال ، فيحصل أولا على معنى : أنّ ذلك وضع دلالة على أمور نذكرها وننبّه عليها ، فإذا قوى الانسلاخ من جملة الأمّة فى نفسه ، وسهل عليه طريق العدول عمّا هى عليه ، لم يحتشم حينئذ أن يجعل ذلك موضوعا على جهة الرموز ، إلى فلسفة من الأنبياء والأئمة ، وسياسة للعامّة للجياشة إلى منافعهم فى ذلك ، وفى شغل بعضهم عن البغى على بعض أو عن الفساد فى الأرض ، مع إظهار تعظيم الناصبين لذلك ، وأنّهم أهل الحكمة فيما رتّبوه منه ، وإذا تمكّن أيضا فى نفسه ما بدأنا بذكره — نقلوه إلى التمييز بين الأنبياء وبين أفلاطون[1] وأرسطوطاليس[2] وغيرهما ، وحسّنوا عنده أشياء من حِكَمهم . وعادوا على ناصب هذه الشرائع بالاستخفاف والمذمّة والاستحقار

(١) فى المخطوطات افلاطن وهو غير المقصود صاحب نظرية المثل التى تتضمنها فلسفة الاسماعيلية

(٢) إلى هنا ينتهى الشطر الأول من المخطوطة ا ثم يبدا الشطر الثانى من هذا الجزء .

والطعن واللائمة ، فيأتى ذلك على قلوب قد فرغت له ، وسهل عليها فلم تنكره ، ورأته مما بدأت به فى تأنيسها .

ذكر صفة الدعوة السابعة

قال رحمه الله : اعلم أنّه متى أنس المدعو ، بما ذكرناه كلّه أو بكثير منه ، وقوى فى نفس الداعى أنّه يصلح لما بعد هذا ، إن كان الداعى بالغا ، وبأغراض الدعوة عالما ، وإلى التبليغ بمن يدعوه إلى هذه الأمور قاصدا ـ أنى بما نذكر ؛ وأمّا إن كان الداعى مخلوعا ومتّخذا كالآلة ليتوصل به إلى التكسّب ، ويُمهدّ به الطريق ويرتّب ، وهو غير بالغ إلى أعلى الرتبة فى دعوة دون ذلك ، فإنّه غافل لا يدرى كيف قصّته ، ولا يظنّ أنّ الأمر الذى يراد به إلا ماعرفه وبلغه ، أو ما يجانسه ويقاربه ، فإذا أراد الداعى أن يسلك بالمدعو فوق ما وصفنا قال له : قد صحّ لك أنّ صاحب الدلالة الناصب للشريعة لا يستغنى بنفسه ، ولابدّ له من صاحب معه يعبّر عنه ، ليكونا اثنين أحدهما هو الأصل والآخر عنه كان .

واعلم أنّ ذلك لم يحصل فى العالم السفلى إلا وقد يحصل مثله فى العالم العُلوى ، فمذ بدء العالم اثنان هما أصل الترتيب وقوام النظام ، أحدهما هو الأعلى والمفيد ، والآخر هو الآخذ عنه المستفيد ، وربما أنسوه فى ذلك بأن يقولوا له : هذا هو الذى أراده الله بقوله (إِنَّما أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ[1] ، وكن هو الأكبر

(١) سورة ٣٦ آية ٨٢

فى الرتبة ، وأما الثانى فهو القدر الذى قال (الله) فيه (إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ) [١] ، وربما قالوا : هذا معنى ما تسمعه مما جاءت به الملة ، من أن أول ما خلق الله اللوح والقلم ، وقال للقلم اكتب ما هو كائن ، واللوح والقلم هما ما ذكرنا ، وربما قالوا : هذا معنى قول الله تعالى (وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَٰهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَٰهٌ) [٢] ، فسالك به فى هذا الطريق العدول عن التوحيد ، وأن الصانع اثنان ، وإن كان عندهم صنع الأجسام على جهة المِثْل والنظام ، لا على معنى الاختراع والإحداث ، وسيأتى ذلك وبيانه ، وإنما قدم هذا تمهيدا له .

ذكر صفة الدعوة الثامنة

قال الشريف أبو الحسين رحمه الله تعالى : اعلم أنهم إذا رتبوا ما ذكرنا قرروا عند المدعو أن أحد المدبرين أسبق من الآخر فى الوجود وأعلى منه فى الرتبة ، وأن الآخر مخلوق منه وكائن به ، ولولاه لم يكن وأنه كونه من نفسه ، وأن السابق أنشأ الأعيان ، والثانى صورها وركبها ، ثم ذكروا له منزلة السابق ، وأن السابق كان عمن كان منه ، كما كان الثانى عن السابق ، إلا أن الذى كان عنه السابق لا اسم له ولا صفة ولا ينبغى لأحد أن يعبر عنه ولا أن يعبده ، فإذا بلغ هذه الرتبة سارعوا : إلا أن فى الأسباب التى كان لها عندهم السابق عمن كان منه ممن لا اسم له ولا صفة ، ما هو ؟ وهل هو باختيار أم بغير اختيار؟ وكذلك الحال التى كان لها الثانى عن ، السابق [اختلافا] ، فذهب

(١) سورة ٥٤ آية ٤٩
(٢) سورة ٤٣ آية ٨٤

بعضهم إلى أنّ ذلك كان لفكرة عرضت لمن كان عنه السابق، فجاء منها السابق ، ثم عرضت فكرة للسابق فجاء منها الثانى ، على نحو ما يقوله بعض للمجوس فى توليد ، اتفق واهرمن[١] الذى هو الشيطان - عن القديم ، وأنّ ذلك بفكرة وقعت رديّة ولدته ؛ وربما قال بعضهم إنَ تلك الفكرة ، لأنّ الذى لا صفة له فكّر : أقدر أخلق مثلى أم لا ؟ وكان من ذلك أن تصوّر التالى ، ثم فكّر التالى فى ذلك فلم يأت بمثله ، فى أنحاء من هذه الأمور التى سيأتى وصفها ، ممّا يخرج به قائلوه عن كل ديانة دان بها أحد من أهل الشرائع ،التى ينعقد معها نبوّة وشريعة ولا يكون إلا مع دهريّة أو ثنويّة[٢] .

ثم رتّب هولاء أنّ التالى يدأب فى أعمال منه ، حتى يلحق بمنزلة السابق [٣] ، وأنّ [٤] الناطق فى الأرض يدأب فى أعماله حتى يلحق بمنزلة التالى[٤] ، فيقوم مقامه فيكون بمنزلته سواء ، وأنّ السُّوس يدأب فى أعماله حتى يصير بمنزلة الناطق سواء ، وأنّ الداعى يدأب فى أعماله حتى يبلغ منزلة السُّوس وحاله سواء ، وأن هكذا تجرى أمور العالمين فى أدواره وأكواره ، فى أمثال لهذا .

ثم قرّر عنده أنّ القول فى معنى النبىّ الصادق الناطق ليس يجرى

---

(١) فى المخطوطات : اهرم ، واهرمن هو فاعل الشر ، قال الشهرستانى عن المجوس فى الملل والنحل (هامش الفصل جـ٢ ص ٧٣) : (وقالوا إن يزدان فكر فى نفسه أنه لو كان له منازع كيف يكون . وهذه الفكرة رديئة غير مناسبة لطبيعة النور فحدث الظلام من هذه الفكرة وسمى اهرمن ...)

(٢) فى ك ، ت : نبوة .

(٣) فى ك ، ت : التالى .

(٤) ساقط من ك ، ت

على ما يقوله أهل الشرائع ، من أنّه جاء بمعجزات ودلالات خارجة عن أحوال العادات ، وأنّ معنى ذلك إنّما هو يأتى بأمور تنتظم بها السياسة ووجوه الحكمة ، وترتّب بها الفلسفة ، ومعانٍ تنبىء [1] عن حقائق ابتداء السماوات والأرض ، وبدأتها على حقائق الأمور إمّا برموز وإمّا بإفصاح ، وتنظيم ذلك شريعة يقتفى عليها الناس ، ورتّب له أمر القرآن ، وما معنى كلام الله ، بخلاف ما يدين به أهل الكتب ، ورتّب له أمر القيامة وتقضّى أمر الدنيا وحصول الجزاء من الثواب والعقاب ، على أمور ليست ممّا يعتقده الموحّدون فى شىء ، بل ذلك على معانٍ أخر ، من تقلّب الأمور وحدوث الأدوار عند انقضاء الكواكب وعوالم جماعتها ، والقول فى الكون والفساد على ترتيب الطبائع ، على أمور كلها سيأتى شرحها إن شاء الله تعالى .

ذكر صفة الدعوة التاسعة

قال : اعلم أنّه إذا حصل المدعوّ على ما ذكرنا أحيل حينئذ على طلب الأمور وتحقيقها وحدودها والاستدلال عليها من طرق المتفلسفة وادراكها من كتبهم ، وجعلوا ما قدّموه سابقا له على طرائقهم ، واستنباط ما خفى عنهم وبنود على علم الأربع طبائع ، التى هى استقصّات وأصول الجواهر عندهم ، وعلى ترتيب القول فى الفلك والنجوم والنفس والعقل وأمثال ذلك فيما هو معروف ، فيحصل الآن البالغون إلى هذه الرتب على أحد هذه الوجوه ، التى يعتقدها بعض

(١) فى ك ، ت : تبنى ، وفى ا بدون نقط .

أهل الإلحاد ممّن يدين بقدم أعيان الجواهر ، ويصير ما قدم من ذكر الحدث والأصول رموز ا إلي معانى المبادى ، وتقلّب الجواهر وحدوث الأمور التى يكون لها على أحوال وأحكام ، وعلى نحو تنزيل كثير منهم لحال العقل من حال النفس وحال الفلك من حال العقل ، وحال الطبائع والأعراض من حال النفس والعقل ، وحال المنقلب بالكون والفساد وما يكون من حال الهيولى بتقلّب الأعراض المختلفة (١) وترتيب العناصر ، والقول فى العلّة : هل تفارق المعلول أم لا ؟ وإقرار بعضهم بصانع لم تزل معه العناصر والمبادىء أوّلا ، وما هى تلك الأمور وكيف حدودها ، وما يصحّ من صفاتها والأسباب التى تعلم بها ، فربّما صار البالغ فى النظر فى هذا إلى اعتقاد مذهب مانى وابن ديصان ، وربما صار إلى مذهب المجوس ، وربما دان بما يحكى عن أرسطاطاليس ، وربما صار إلى أمور تحكى عن أفلاطون (٢) ، وربما اختار من تلك معانى مركبة من هذه الأمور ، كما يجرى كثير من هؤلاء المتحيرّين .

قال : وجميع ما وصفنا من التدريج بالمقدّمات إنما يحصل الانسلاخ من شرائع أهل الكتُب والنبوّة فقط ، وجميعها يصلح أن تُجعل تمهيدا ورموزا إلى جميع هذه المذاهب التى ذكرناها ، وتجتذب بألفاظها إليها بالتأويل بحسب ما يريد المعتقد ، لما شاء منها ممّا سنبيّن ذلك إن شاء الله تعالى .

قال : وأمّا سلخه من جميع ماتقدم (٣) عليه من أمر الإمامة والنبوّة

(١) إلى هنا ينتهى الشطر الأول فى ك ثم يبدأ الشطر الثانى أما ت فالجزء كله وحدة .

(٢) سبق أن أشرنا إلى أن أفلاطون هو المقصود وأن المخطوطات كتبة أفلاطن .

(٣) فى ا : قدم ، والتعبير فى المخطوطات غير واضح نظرا لأستعمال صيغة من الفعل لاتبين فهو يريد أن يقول : جميع ما أقدم عليه .

فإنه أوّلا يجعل عنده منازل ، جميعهم منقوصة غير منزلة محمد بن إسماعيل صاحب الدور الآخر ، ويرتّب له أنّ جميعهم لا يأتى بوحى من الله عزّ وجلّ ، ولا معجزة كما يقول الظاهرية ، وإنما يختص بالصفا فيلقى فى فهمه ما يريد الله ، فيكون ذلك كلاما ، ثم يجسّده النبي ويظهره للخلق ، وينظّم الشرائع بحسب المصالح فى سياسات الناس ثم يؤمر بالعمل بذلك مدّة ، ثم يترك إلى أن يؤمر بذلك ، يستدعى بها الناس ، لا لأنها تجب على أهل المعرفة بأعراضها وأسبابها ثم يقال له بعد ذلك إنّما هى آصار وأثقال حملها الكفار ، وكذلك سائر المحرّمات ، ثم يلقّن أنّ إبراهيم وموسى وعيسى ، وهؤلاء أنبياء سياسات وشرائع ، فأمّا أنبياء الحكمة فإنّ هؤلاء أخذوا عنهم كافلاطون وأمثاله من الفلاسفة ، فبنوا شرائعهم ليوصلوا بها العامّة إلى علومهم ، ثم يقال له : انظر أيهما أحكم ، فلان النبي أو فلان ؟ ثم يلقّن أن فى بعض أحكامهم اختلالا وفسادا ، ثم يلقن البراءة منهم وسوء سيرتهم ، وأنّهم قتلوا النفوس ، وأمثال هذا . ويلقّن فى محمد بن إسماعيل بن جعفر أنّه سيظهر ، ثم يقال له بعد ذلك : إنما يظهر فى العالم الروحاني إذا صرنا إليه ، أما الآن فإنما يظهر أمره على ألسن أوليائه ، ثم يلقّن أنّ الله أبغض العرب لما قتلت الحسين بن على فنقل خلافة الأئمة عنهم كما نقل النبوّة عن بنى إسرائيل لما قتلوا الأنبياء ، ولا يقوم بخلافة الأئمة إلا أولاد كسرى ، فيكون ذلك غاية ما يقدّمونه فى هذا الباب كلّه متى استوى لهم ، فإنْ لم يتمّ له ذلك مع الدعوة تركه فى أى منزلة نزلها ، مستعيذا[1] بهذه الوجوه .

(١) فى ك : مستعدا ، وفى ا ، ت : مسمعدا بهذا الرسم دون نقط .

قال : ثم اعلم – رحمك الله – أنّ هذا الترتيب والتخريج والتنزيل إنّما كانت الدعاة [عليه] عند اجتماعها على مبتدأ الدعوة ، والانعقاد على طلب الغوائل للمسلمين ، فيها اتفقوا على جملة منها وأصولها ، وفتحوا بالفكر طريقها ، ومهّدوه على معنى ما ذكرناه ، وتفرّقوا فى البلدان ،وتمهيدهم بحسب أفكارهم واجتهادهم فى الحيلة على المستمع ، وتميّزوا فى ذلك وتمكّنوا منه فى طول الأيّام ، سيّما مذ قويت أحوال الجنّابى على ما نذكر ذلك إن شاء الله تعالى فى أخباره .

قال : فقد بيّنا خبر هذه الدعوة وكيف جرى أمرها ، وكيف يُسلك بالمخدوع كل مسلك ، حتى يصير إلى التعطيل والإباحة ؛ فهذا أصل هذه الدعوة الملعونة وما أسّست عليه قديما ، ثم تغيّرت وتفرّعت منذ انتشرت ببلاد المغرب ومصر والشام ، وجعلوا منها طرقا وأبوابا ، فمنها علم القوت (١) وعلم الكفاف وبلاغات مفصّلة ، وبطل الترتيب الأول الذى وصفنا : من أنّ الدعوة كانت إلى محمد بن إسماعيل بن جعفر ، فصار موضعه من يكون من ولد عبيد الله بن ميمون القدّاح ، الذين ملكوا المغرب ومصر والشام ، على ما نذكر ذلك إن شاء الله تعالى فى أخبارهم ، ولنصل هذا الفصل بذكر العهد الذى يحلفون بـه .

(١) فى ك ، ت : القرب .

ذكر العهد الذى يؤخذ على المخلوعين
فى مبدأ الدعوة الخبيثة

قال الشريف : يقول الداعى لمن يأخذ عليه العهد : جعلتَ على نفسك عهد الله وميثاقه وذمته ، وذمّة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنبيائه وملائكته ورسله ، وما أخذه على النبيّين من عهد وعقد وميثاق أنّك تستر جميع ماتسمعه وسمعته ، وعلمته ، وتعلمه ، وعرفته وتعرفه من أمرى وأمر المقيم بهذا البلد لصاحب الحق الإمام ،الذى عرفت إقرارى له : ونصحى لمن عقد ذمته ، وأمور إخوانه وأصحابه وولده وأهل بيته المطيعين له على هذا الدين ومخالصته له ، من الذكور والإناث والصغار والكبار ، فلا يظهر من ذلك قليلا ولا كثيرا ولا بشئ يدل عليه ، إلا ما أطْلقتُ لك أنّك تتكلم به ، أو أطلقه صاحب الأمر المقيم بهذا البلد ، فتعمل فى ذلك بأمرنا ولا تتعدّاه ولاتزيد عليه ، وليكن ماتعمل عليه قبل العهد بقولك وفعلك : أن تشهد أنّ لا إلّه إلا الله وحده لا شريك له ، وتشهد أن محمدا عبده ورسوله ، وتشهد أنّ الجنّة حق وأنّ النار حق ، وأنّ الموت حق وأنّ البعث حق وأنّ الساعة حق آتية لاريب فيها ، وأنّ الله يبعث مَنْ فى القبور ، وتقيم الصلاة لوقتها ، وتؤتى الزكاة بحقّها ، وتصوم شهر رمضان ، وتحج البيت الحرام ، وتجاهد فى سبيل الله حق جهاده ، على ما أمر الله به رسوله صلى الله عليه وسلم ، وتوالى أولياء الله وتعادِى أعداء الله وتقول بفرائض الله وسننه وسنن نبيّه صلى الله عليه وسلم وعلى آله الطاهرين ، ظاهرًا وباطنا وعلانية وسرا وجهرا ، فإنّ ذلك يؤكد

هذا العهد ولا يهمله ، ويثبته ولا يزيله ، ويقرّبه ولا يباعده ، ويشدّه ولا يضعفه ، ويوجب ذلك ولا يبطله ، ويوضحه ولا يعميه ، كذلك هو فى الظاهر والباطن ، وسائر ماجاء به النبيون من ربهم صلوات الله عليهم أجمعين ، على الشرائط المبينة فى هذا العهد .

وجعلتَ على نفسك الوفاء بذلك - قل نعم ، فيقول المغرور : نعم ، ثم يقول له : والصيانه له بذلك وأداء الأمانة له على ألا تُظهر شيئا أخذ عليك فى هذا العهد - فى حياتنا ولا بعد وفاتنا ، ولا على غضب ولا على حال رضى ، ولا على حال رغبة ولا رهبة ، ولا على حال شدّة ولا على حال رخاء ولا على طمع ، ولا على حال حرمان ، تلقى الله على الستر لذلك والصيانه له - على الشرائط المبيّنة فى هذا العهد .

وجعلتَ على نفسك عهد الله وميثاقه وذمّته وذمة رسوله صلى الله عليه وسلم وعلى آله أن تمنعنى وجميع من أسمّيه معي لك وأثبته عندك ، مما تمنع منه نفسك ، وتنصح لنا ولوليك - ولىّ الله - نصحا ظاهرا وباطنا ، فلا تخن الله ووليّه ، ولا تخنّا ولاَ أحدًا من إخواننا وأوليائنا ، ومن تعلم أنه منا بسبب ، فى أهل ولامال ولارأى ولا عهد ولاعقد تتأوّل عليه بما تبطله .

فإن فعلتَ شيئا من ذلك - وأنت تعلم أنك قد خالفته ، وأنت على ذكر منه - فأنت برىء من الله خالق السموات والأرض ، الذي سوى خلقك وألّف تركيبك وأحسن إليك فى دينك ودنياك وآخرتك ، وتبرأ من رسله الأولين والآخرين وملائكته المقرّبين الكروبيين والروحانيّين ،

والكلمات التامّات والسبع المثانى والقرآن العظيم ، وتبرأ من التوراة والإنجيل والزبور والذكر الحكيم ، ومن كل دين ارتضاه الله فى مقدم الدار الآخرة ، ومن كل عبد رضى الله عنه ، وأنت خارج من حزب الله وحزب أوليائه ، وخذلك الله خذلانا بيّنا ، فعجّل لك بذلك النقمة والعقوبة والمصير إلى نار جهنّم ، التى ليس فيها رحمة وأنت برىء من حول الله وقوّته ، مُلتجأ إلى حول نفسك وقوّتها ، وعليك لعنة الله التى لعن بها إبليس ، فحرم عليه بها الجنّة وخلّده النار .

إن خالفت شيئا من ذلك لقيت الله يوم تلقاه وهو عليك غضبان ، ولله عليك أن تحجّ إلى بيته الحرام ثلاثين حجة نذرا واجبا ، ماشيا حافيا ، لا يقبل الله منك إلا الوفاء بذلك ؛ وإن خالفت ذلك فكلّ ماتملكه فى الوقت الذى تخالف فيه فهو صدقة على الفقراء والمساكين ، الذين لا رحم بينك وبينهم ، لا يأجرك الله عليه ، ولا يدخل عليك بذلك منفعة ، وكل مملوك لك — من ذكر أو أنثى — فى ملكك وتستعبده إلى وقت وفاتك ، إن خالفت شيئا من ذلك ، فهم أحرار لوجه الله عزَّ وجلَّ ، وكل امرأة لك وتتزوّجها إلى وقت وفاتك — إن خالفت شيئا من ذلك — فهنّ طوالق ثلاثاً بتّة ، طلاق الحرج والسّنة لا مثنويّة لك فيها ولا اختيار ولا رجعة ولا مشيئة ، وكلّ ما كان لك من أهل ومال وغيرهما فهو عليك حرام ، وكل ظهار فهو لازم لك .

وأنا المستخلف لك لإمامك وحجّتك ، وأنت الحالف لهما وإن نويت أو عقدت أو أضمرت خلاف ما أحملك عليه وأحلّفك به ، فهذه اليمين من أوّلها إلى آخرها محدّدة عليك لازمة لك ، لا يقبل الله

منك إلا الوفاء بها ، والقيام على ما عاهدت بينى وبينك ، قل نعم ، فيقول المخلوع : نعم .

فهذه اليمين التى يؤنس بها للمخلوع من ذكر الصلاة والصيام والزكاة والحج وشرائع الإسلام ، فما ينكر شيئا مما يسمعه ، وكل ذلك تأنيس ما [١] يتوصل به إلى هذه الأمور ، التى تقدّم ذكرها على التدريج .

قال الشريف رحمه الله تعالى : ووجدتُ فى كتاب من كتبهم يعرف بكتاب السياسة ما يشرح به ذكر ما تقدم من أمر الدعوة ، فيه وصايا الدعاة ، وهذا مختصر منه يقول فيه :

من وجدته شيعيا فاجعل التشيع عنده دينك ، واجعل المدخل عليه من جهة ظلم الأُمّة لعلى وولده ، وقتلهم الحسين وسَبْيهم البنات ، والتبّرى من تيم وعدى ومن بنى أميّة وبنى العبّاس ، وما شاكل ذلك من الأعاجيب التى تسلك عقولهم ، فمن كان بهذه الصورة أسرع إلى إجابتك بهذا الناموس ، حتى يتمكّن ممّا يحتاج إليه ؛ ومن وجدتَه صائبا فداخله بالأسابيع يقرب عليك جداً ، ومن وجدته مجوسيا فقد اتفقتَ معه فى الأصل من الدرجة الرابعة ، من تعظيم النار والنور والشمس ، واتل عليه أمر السابق فإنّه لهرمُس الذى يعرفونه بالنور [٢] المكنون من ظنّه الجيّد والظلمة المكنونة من وهمه الردىء ، فإنّهم مع الصابئين أقرب الأمم إلينا وأولاهم بنا ، لولا يسير صحّفوه بجهلهم

(١) فى ا : أن .

(٢) فى ك ، ت مرسومة باكيه وفى ا : بالبه دون نقط ، وهرمس اسم آله الخير .

به ؛ وإن ظفرت بيهودى فادخل عليه من جهة المسيح ، يعنى مسيح اليهود الدجّال وأنّه المهدى ، وأنّ عند معرفته تكون الراحة من الأعمال وترك التكليفات ، كما أمر بالراحة فى يوم السبت ، وتقرّب من قلوبهم بالطعن على النصارى والمسلمين الجهّال ، وزعمهم أن عيسى (١) لم يولد ولا أب له ، وقرّر فى نفوسهم أنّ يوسف النجّار أبوه ، وأنّ مريم أمّه ، وأنّ يوسف كان ينال منها ما ينال الرجال من نسائهم وما يشاكل ذلك ، فإنّهم لا يلبثون أن يتبعوك ؛ وادخل على النصارى بالطعن على اليهود والمسلمين جميعا ، وبصحة عقدهم الصليب عندهم وعرّفهم تأويله ، وأفسد عليهم ما قام لهم من جحد الفارقليط ، وقرّر عندهم أنه جاء وأنك إليه تدعوهم ، ومن وقع إليك من الثنانية فإنّه يحرّك الذى منه تغترف ، فداخلهم بالممازجة من الباب السادس ، وأظهر من الدرجة السادسة من حدود البلاغ ، وامتزاج الظلمة بالنور إلى آخر ما فى الباب من ذلك ، فإنّك تملكهم به وتحيلهم ، فإن أنست من بعضهم رشدا كشفت له الغطاء . ومن وقع إليك من الفلاسفة فقد علمت أن على الفلاسفة العهدة ، وإنّا قد اجتمعنا وهم على نواميس الأنبياء وعلى القول بقدم العالم ، لولا ما يخالفنا بعضهم فيه من أنّ للعالم مدبّرا لا يعرفونه ، فإنّه وقع الإتفاق على أنّه لا مدبّر للعالم فقد زالت الشبهة فيما بيننا وبينهم ، وإن لك ثنوى فبَخٍ بَخٍ قد ظفرت ، فالمدخل عليه بإبطال التوحيد ، والقول بالسابق والتالى ووراثة أحدهما ، على ما هو مرسوم فى أوّل درجة البلاغ وثالثه ، وإنْ وقع لك سُنّيّ فعظّم عنده

---

(١) فى ك : موسى .

أبا بكر وعمر واذكر فيهما فضائل ، واثلب عليا (١) وولده واذكر لهم مساوىء ، ولوّح (٢) له أنّ أبا بكر وعمر قد كان لهما في هذا الأمر – الذى تلقيه إليه – نسب ، فإذا دخلت عليه بهذا المدخل درجته إلى ما تريد وملكته ، واتخذ غليظ العهود ووكيد الأيمان وشديد المواثيق جُنّة لك وحصنا ، ولا تهجم على مستجيبيك بالأشياء التى تبهر عقولهم ، حتى ترقّيهم إلى المراتب حالا فحالا ، ودرّجهم درجة درجة ، فواحد لا تزيده على التشيّع والأيمان لمحمد بن إسماعيل شيئا ، وأنّه حى لا تجاوز به هذا الحد ، وأظهر لهم العفاف عن الدرهم والدينار وخفّف عليهم وطأتك ، ومره بالصلاة السبعين ، وحذّره الكذب والزنا واللواط وشرب الخمر ، وعليك فى أمره بالرفق والتؤدة والمداراة يكن لك عونا على دهرك وعلى من يعاديك أو يتغيّر عليك من أصحابك وينافسك ، فلا تخرجه عن عبادة إلهه ، والتدبّر بشريعته ، والقول بإمامة علىّ وبنيه إلى محمد بن إسماعيل بن جعفر ، وأقم له دلائل الأسابيع فقط ، ودقّه بالصلاة دقاً ، فإنك إن أومأت إلى كرائمه يوماً – فضلا عن ماله – لم يمنعك ، فإن أدركته الوفاة وصّى إليك بما خلف وورّثك إياه ، ولم ير أنّ فى العالم أوثق منك ، وآخر ترقّيه من ذلك إلى نسخ شريعة محمد ، وأنّ السابع هو الخاتم للرسل ، وأنّه ينطق كما نطقوا ويأتى بأمر جديد ، وأنّ محمداً صاحب الدور السادس ، وأنّ عليا لم يكن إماماً ، وحسّن القول فإنّ هذا باب

(١) نظرية الطعن فى على وولده لارضاء أهل السنه فى هذا العصر من تزيد الشريف (أخى محسن) فيما يظن قياسا أوتشبيها على ارضاء المتشيع بالطعن فى أبى بكر وعمر ، فان صح هذا وجب الحذر .

(٢) فى المخطوطات مرسومة طرح .

كبير وعلم عظيم ، مرجّى الارتقاء إلى ما هو أكبر منه ، ويعينك على زوال ما جاء من قبله من وجود النبوّات ، على المنهاج الذى هو عليه ، وقليل من ترقّيه من هذا الباب إلى معرفة أم القرآن ومؤلفه وسننه .

وإياك أن تغتر بكثير ممّن يبلغ(١) معك إلى هذه المنزلة فترقّيه إلى غيرها ، إلا من بعد طول المؤانسة والمداوسة واستحكام الثقة ، إنّ ذلك يكون عوناً لك عند بلاغه على تعطيل الكتب ، التى يزعمون أنّها منزّلة من عند الله ، فيكون هذا نعم المقدّمة ؛ وآخر ترقّيه من هذا إلى ما هو أعلى منه ، فإنّ القائم قد مات ، وأنّه يقوم روحانيا ، وأنّ الخلق يرجعون إليه بصور روحانيّة ، وأنّه يفصل بين العباد بأمر الله عزّ وجلّ ، يشتفى من الكافرين للمؤمنين بالصور الروحانيّة ، فإن ذلك يكون عوناً لك عند بلاغه على إبطال المعاد ، الذى يزعمونه والنشور من القبور ؛ وآخر ترقّيه من هذا إلى إبطال الملائكة فى السماء والجنّ فى الأرض ، فإنّه قبل آدم بشر كثير ، وتقيم على ذلك الدلائل المرسومة من كتب شيوخنا المتقدّمين ، فإنّ ذلك مما يعينك فى وقت بلاغه ، على تسهيل التعطيل لله ، والإرسال بالملائكة إلى الأنبياء ، والرجوع به إلى الحق ، والقول بقدم العالم ؛ وآخر ترقّيه إلى أوائل درج التوحيد ، وتدخل عليه بما تضمّنه كتاب الدرس الشافى للنفس من أنّ لا إله لا(٢) صفة ولا موصوف ، فإنّ ذلك ممّا يعينك على القول بالإلهية ، تستحقّها عند البلاغ إلى ذلك ، ومن رقّيته إلى هـذه المنزلة فعرّفه حسب ما عرّفناك حقيقة من أمر الإمام ، وأنّ

(١) فى ك ، ت .... من لم يبلغ معك .
(٢) فى ك ، ت : ... لا إله إلا صفة .

إسماعيل ومحمداً ابنه من أبوابه ، وفى ذلك عون لك على إبطال إمامة ولد على بن أبى طالب ، عند البلوغ والرجوع إلى القول بالحق لأهله ثم لا تزال شيئاً فشيئاً فى أبواب البلاغ السبعة ، حتى تبلغ الغاية القصوى على تدريج ، وكل باب يأتى يشهد للمتقدّم قبله ، والمتقدّم يشهد للمتأخر .

واستعمل فى أمرك الكتمان كما يوصى بنى القوم خاصّته ، فقال : استعينوا على أموركم بالكتمان ، ولا تظهر أحدا على شيء ممّا تُظهر عليه من هو فوقه بوجه ولا سبب ، وعليك بإظهار التقشّف للعامّة والوقار عندهم ، وتجنّبْ ما هو منكر عندهم ، ولا تنبسط كل الانبساط لإخوانك البالغين كما فعل من كان قبلك فإنه أتى بالتشديد ثم حلّ الأمور ، فإذا تدبّرت بهذا التدبير وسلكت طريقته فقد سلكتَ طريق الأنبياء وأخذت حدودهم ، وعليك بعد ذلك بالاجتهاد فى معالجة خفّة اليد ، والأخذ بالأعين والحذق بالشعبذة ، فلن يخلو من الحاجة إلى ذلك عند قوم ينسبونك بعمله إلى إقامة المعجزات ، كما نسبوا قوما تقدّموا ؛ وعليك بمعرفة أحاديث الأوّلين وقصصهم وطرائقهم ومذاهبهم ، لتكون بيّنة أمرك فى الأقاويل على قدر ما يصلح لأهل زمانك : ترشد وتوفّق ويقدّم على الأيام أمرك ، ويعلو ذكرك ، ويكون الداخل فى أمرك بعد وفاتك أكثر من الداخل معك فى حياتك ، فينفع لك ولمخلفيك من بعدك بك ، وعلى يديك ويدى أمثالك من أهل النجابة والعقل دعوة الحق ، وتملك لك ولعقبك وذرّيتك ملكا لا ينبغى لغيرك مثله .

فهذه وصيّتى لك مشتملة على جمل من النواميس الطارقة للأنبياء على قدر عقولهم .

قال الشريف رحمه الله تعالى : ووجدتُ فى هذا الكتاب المعروف بكتاب السياسة أيضا فصلا فيه (ولشيخنا الجليل المقدس) ، وهذا مختصر منه يوصى دعاته فى أهل الأديان ـ وذلك لأمّة محمد خاصة :ـ

فابذل الآن سيفك فيهم إذا تمكّنت منهم وصار لك حزب ، وظهرْتَ بهذه الحيل التى قد وقفتك عليها ، واستملت الناس بها فإنّهم أعداؤنا ، وصفْ أموالهم واستفرد[1] بناتهم وأولادهم ، ولا تخفر[2] لهم ذمّة ولا تحفظ لهم قربة ، ولا ترحم علويا ، فلو تمكّن علوى كتمكّن غيره من الأنبياء للقينا منه جهدًا ، وعبّر بما يدّعيه من حقوق جدّه على هؤلاء الحمير ما هو أكثر مما عبره جده ، وإياك والاغضاء عمّن تجده من ولد علىّ ، يعنى اقتله إذا تمكّنت منه ، وإيّاك والرخصة لأحد من أسنانك فى الثقة بواحد منهم ، تهتدى وتوفّق لازلت بالعلم سعيدًا ، وإلى الخير هادياً ومهدياً ، وعلى جميع الأحوال الحمد لإلهنا على ما منحنا ، وصلواته على عباده المصطفين ، يعنى إلهه الذى أباحه اللذات وأعماه عن الهدى ، وفتح له طرق الضلالة ، وعباده الذين اصطفى دعاته الذين بهم يضلّون الناس .

هذا ما حكاه الشريف أبو الحسين من دعواتهم التسع ، وعهدهم الذى يأخذونه ووصاياهم .

وحكى عز الدين بن الأثير الجزرى رحمه الله تعالى فى تاريخه الكامل ـ عند ذكره لأخبار القرامطة قال[3] :

وكان فيما يحكى عن مذهبهم أنّهم جاءوا بكتاب فيه ـ يقول

(١) فى المخطوطات : استفرة ، والمعنى يجعلهم فرادى أى مشتتين .

(٢) فى ك : تجاف ، وفى ت : تجاف ، وفى ا : بحافى دون نقط .

(٣) راجع حـ ٧ ص ٣١١ وما بعدها من الكامل .

الفَرَج بن عثمان – وهو من قرية يقال لها نصرانة ، وهو داعية للمسيح وهو عيسى ، وهو الكلمة ، وهو المهدى ، وهو أحمد بن محمد بن الحنفيّة ، وهو جبريل ، وذكر أنّ المسيح تصوّر له فى جسم إنسان؟ وقال : إنّك الداعية ، وإنّك الحجّة ، وإنّك الناقة ، وإنّك الدابّة ، وإنّك يحيى بن زكريا ، وإنّك روح القدس ، وعرّفه أن الصلاة (١) أربع ركعات – ركعتان قبل طلوع الشمس ، وركعتان قبل (٢) غروبها ، وأنّ الأذان فى كل صلاة أن يقول : الله أكبر ، أربع مرات أشهد أنّ لا إله إلا الله مرتين ، أشهد أنّ آدم رسول الله ، أشهد أنّ نوحا رسول الله (٣) ، أشهد أنّ إبراهيم رسول الله ، أشهد أنّ موسى رسول الله ، أشهد أنّ عيسى رسول الله ، أشهد أنّ محمداً رسول الله ، أشهد أنّ أحمد بن محمد بن الحنفيّة رسول الله ، وأن يقرأ فى كل ركعة الاستفتاح ، وهو من المنزّل على أحمد بن محمد بن الحنفيّة ، والقبلة إلى بيت المقدس ، والجمعة يوم الاثنين لا يعمل فيه شىء ، والسورة التى يقرأها :

الحمد لله بكلمته وتعالى باسمه ، المنجد لأوليائه بأوليائه (٤) ، قل إنّ الأهلّة مواقيت للناس ظاهرها ، ليعلم عدد السنين والحساب والشهور والأيام ، وباطنها ، أوليائى الذين عرفوا عبادى ، سبيلى : اتّقونى يا أولى الألباب ، وأنا الذى لا أسأل عما أفعل ، وأنا العليم الحكيم ، وأنا الذى أبلو عبادى وأمتحن خلقى ، فمن صبر على بلائى

(١) فى ا ، ت : الصلوات ، ويؤيد ك الكامل حـ٧ ص ٣١١ والطبرى حـ١٤ ص ٢١٢٨ .
(٢) فى الكامل حـ٧ ص ٣١١ : بعد ويؤيد المخطوطات الطبرى حـ١٤ ص ٢١٢٨ .
(٣) هذه العبارة ساقطةمن الكامل،ويؤيد وجودها ظهورها فىتاريخ الطبرى حـ١٤ص٢١٢٨
(٤) هذه الكلمة ساقطة من المخطوطات .

ومحنتى واختبارى أدخلته [1] فى جنّتى وأخلدته فى نعيمى، ومن زال عن أمرى وكذّب رسلى أخلدته مهانا فى عذابى ، وأتممت أجلى وأظهرت أمرى على ألسنة رسلى ، وأنا الذى لم يَعْلُ علىّ جبّار إلا وضعته ، ولا عزيز إلا أذللته ، وليس الذى أصرّ على أمره ودام على جهالته ، وقال : لن نبرح عليه عاكفين وبه موقنين ، أولئك هم الكافرون ، ثم يركع ويقول فى ركوعه : سبحان ربىّ ورب العزّة ، وتعالى عما يقول الظالمون يقولها مرّتين ، فإذا سجد قال : الله أعلى مرّتين ، الله أعظم مرّتين .

ومن شرائعه أن يصوم يومين فى السنة ، وهما المهرجان والنيروز ، وأنّ النبيذ حرام ، والخمر حلال ، ولا غسل من جنابة إلا الوضوء كوضوء الصلاة ، وأنّ من حاربه واجبٌ قتله ، ومن لم يحاربه ممّن خالفه أخذ منه الجزية ، ولا يؤكل كلّ ذى ناب ولا ذى مخلب .

وقد أخذ هذا الفصل حقّه من الإطالة والاسهاب ، فلنذكر مبدأ هذه الدعوة .

ذكر ابتداء دعوة القرامطة

قال الشريف أبو الحسين رحمه الله تعالى : كان مبدأ هذه الدعوة الخبيثة إلى محمد بن إسماعيل بن جعفر ، وزعموا أنّه الإمام المهدى الذى يظهر فى آخر الزمان ويقيم الحق وأنّ البيعة له ، وأنّ الداعى إنما يأخذها على الناس له ، وأنّ ما يجمع من الأموال مخزون له إلى أن يظهر ، ولم تزل هذه الدعوة إلى محمد بن إسماعيل إلى أن هرب

(١) ألقيه فى الكامل ح٧ ص ٣١٢ والطبرى ح١٤ ص ٢١٢٩ ،

سعيد المسمى بعبيد الله من سَلَمْيَة إلى المغرب ، وتلقّب بالمهدى فصار هو الإمام ، وانتسب إلى أنّه من ولد إسماعيل بن جعفر ، فنقلوا الدعوة إليه ، وكان القول فى المبدأ : أن محمد بن إسماعيل حىّ لم يمت ، وأنّه يظهر فى آخر الزمان وأنه مهدىّ الأمّة .

قال : ولم يكن غرض هذا المحتال أن يرفع محمد بن إسماعيل ، ولا يأخذ له بيعة ، إنّما جعله بابا يستغل به عقل من يدخل فيه (١) ويتبيّن له أنّه قد تمكّن من خديعته وبلغ المراد منه ، شيعيا كان أوسنيّا. قال : ولما أظهر اللعين ما أظهر من هذه الأقوال كلها ، بعد تعلقه بذكر الأئمة والرسل والحجّة والإمام ، وأنّه المعوّل والقصد والمراد ، وبه اتّسقت هذه الأمور ولولا هو لهلك الحق وعدم الهدى والعلم ، وظهر فى كثير منهم الفجور ، وبسط بعضُهم أيديهم بسفك الدماء ، وقتل جماعة ممّن أظهر خلافا لهم ، فخافهم الناس جدا واستوحشوا من ظهور السلاح بينهم ، فأظهر موافقتهم كثير من مجاوريهم ، مقاربةً لهم وجزعا منهم .

ثم إنّ الدعاة اجتمعوا واتّفقوا على أن يجعلوا لهم موضعا ، يكون وطنا ودار هجرة يهاجرون إليها ويجتمعون بها ، فاختاروا من سواد الكوفة فى طسّوج الفرات – من ضياع السلطان المعروفة بالقاسميّات ، قرية تعرف بمهماباذ ، فنقلوا إليها صخرا عظيما ، وبنوا حولها سورا منيعا عرضه ثمانية أذرع ، وجعلوا من ورائه خندقا عظيما ، وفرغوا من

(١) فى كنز الدرر وجامع الغرر حـ٦ ص٥٢ للدوادارى : لا أن يرفع إلى محمد بن إسماعيل للدعوة إلا ليتمكن من عقول أضلها الله .

ذلك في أسرع وقت [١] ، وبنوا فيها البنيان العظيم ، وانتقل إليها الرجال والنساء من كل مكان ، وسمّيت دار الهجرة وذلك في سنة سبع وسبعين ومائتين [٢] .

فلم يبق بعد هذا أحد إلا خافهم ، ولا بقى أحد يخافونه لقوّتهم وتمكّنهم في البلاد ، وكان الذى أعانهم على ذلك تشاغل السلطان ببقيّة الخوارج وصاحب الزنج بالبصرة ، وقصر يد السلطان وخراب العراق وركوب الأعراب واللصوص وتلف [٣] الرجال وفساد البلدان وقلّة رغبة من يلى الأعمال من ذوى الاصلاح والأمانة من العمّال وأصحاب الحروب ، فتمكّن هؤلاء الدعاة ومن تبعهم بهذا السبب ، وبسطوا أيديهم في البلاد وعلت كلمتهم ، فغلبوا على ذلك سنين

ذكر انتقاض الدعوة من حالتها الأولى
ومقتل عبدان وماكان من أمر زكرويه بعده

قال الشريف : وكان قرمط يكاتب من بسلَمْية من الطواغيت [٤] فلما توفيَ من كان في وقته وجلس ابنه من بعده كتب إلى حمدان قُرْمُط كتابا ، فلما ورد عليه الكتاب وقرأه أنكر ما فيه ، وتبيّن فيه ومنه ألفاظا قد تغيرّت ، وشيئا ليس هو على النظام الأوّل ، فاستراب به

(١) فى ا مدة .
(٢) فى كنز الدرر للدوادارى ص ٥٣ (القاهرة ١٩٦١) تسع وتسعين ، وفى اتعاظ الحنفا للمقرزى ص ١١٣ : سبع وتسعين .
(٣) فى المخطوطات : تلاف — وهكذا وردت فى اتعاظ الحنفا للمقرزى ص ١١٣ .
(٤) فى ك : الطوائف ، وهذا النص ساقط من ت .

وفطن أنَّ حادثة حدثت ، فأمر قرمط ابن مليح - وكان داعيا من دعاته - أن يخرج فيتعرف الخبر ، فامتنع عليه واعتذر ، فأنفذ من أحضر عبدان الداعية من عمله ، فلما حضر أنفذه ليتعرف ما حدث من هذا الأمر ، ويكشف عن سبب تغيرّه ، فسار عبدان لذلك ، فلما وصل عُرِّف بموت الطاغية الذى كانوا يكاتبونه ، فاجتمع بابنه وسأله عن الحجّة ومَنْ الإمام بعده ، الذى يدعو إليه ، فقال الابن : ومَنْ الإمام ؟ قال عبدان : محمد بن إسماعيل بن جعفر صاحب الزمان الذى كان أبوك يدعو إليه ، وكان حجّته ، فأنكر ذلك عليه وقال : محمد بن إسماعيل لا أصل له ، ولم يكن الإمام غير أبى وهو من ولد ميمون بن ديصان ، وأنا أقوم مقامه ، فعرف عبدان القصة واستقصى الخبر وعلم أنَّ محمد بن إسماعيل ليس له فى هذا الأمر حقيقة ، وإنما هو شىء يحتالون به على الناس ، وأنه ليس من ولد عقيل بن أبى طالب ، فرجع عبدان إلى قرمط فعرّفه الخبر ، فأمره قرمط أن يجمع الدعاة ويعرّفهم صورة الأمر وماتبين منه ، ويقطع الدعوة ، ففعل عبدان ذلك وقطعت الدعوة من ديارهم ، ولم يمكنهم قطعها من غير ديارهم ، لأنها كانت قد امتدّت فى سائر الأقطار وامتدّ شرها ، وقطعت الدعاة مكاتبة أصحابهم الذين بسَلَمْيَة .

وكان رجل من أولاد القَدّاح قد نفذ إلى الطالقان يبث الدعاة ، ونزل بقرمط وهو بسواد الكوفة عند عبوره إلى الطالقان ، وكانت الدعاة يكاتبونه ، فلما انقطعت المكاتبة عن جميع أولاد القدّاح قطعت عن هذا الذى بالطالقان ، فطال انتظاره ، فشخص عن الطالقان ليقصد قرمط ، وكان قرمط قد سار إلى كَلْواذَى ، فلما وصل

إلى كلواذى سأل عن قرمط ، فعرف أنّه انتقل فلايُدرى أين مضى وما عرف لقرمط بعد ذلك خبر ، ولاعُلمت وفاته ولا ما اتفق له ، فقصد ابن القدّاح سواد الكوفة ، فنزل على عبدان ، فعتب عليه وعلى جميع الدعاة في انقطاع كتبهم عنه ، فعرّفه عبدان أنهم قطعوا الدعوة وأنهم لايعودون فيها وأن أباه كان قد غرّهم [1] وادّعى نسبه من عقيل بن أبى طالب كذبا ودعا إلى المهدى ، فكنّا نعمل على ذلك ، فلما تبينا أنّه لا أصل لذلك ،وعرفنا أن أباك من ولد ميمون بن ديصان وأنّه صاحب الأمر ، تُبْنا إلى الله تعالى مما تحمّلناه ، وحسبنا ما كفرنا أبوك فتريد أن تردّنا كفارًا ؟ ! انصرف عنا إلى موضعك .

قال : وكان عبدان قدتاب من هذه الدعوة حقيقة ، فلما أيِس منه صار إلى زَكْرُويه بن مهْرُويَه ، فعرّفه خبر عبدانومارد عليه ، فلقيه زكرويه بكل ما يحب ، وقدر أنّه ينصبه داعيا مقام أبيه ، فيستقيم له أخذ الأموال وجمع الرجال ، وواطأه على ذلك ، وقال له : إن هذا الأمر لا يتم مع عبدان ، لأنه داعى البلد كلّه ، والدعاة منقبله والناس من تحت يده ، وأنه لايجيبه إلاأهل دعوته خاصة . وشرعا في إعمال الحيلة على قتل عبدان ، واتّفقا على ذلك ، ثم وجّه زَكْرُويَه إلى رجل من بنى تمم بن كليب وأخ له كانا من أهل دعوته ، وأحضر جماعة من قراباته وثقاته فأظهرهم على ابن اللعين ، وعرّفهم أنّه ابن الحجّة ،وأن الحجّة توفي وأن ابنه هذا يقوم مقامه ، فأجلّوه وأعظموه

---

(١) ف ت : غيرهم .

وقالوا له : مرنا بأمرك ، فأمرهم بقتل عبدان ، وعرّفهم أنه نافق وعصى وخرج عن الملّة ، فساروا إليه من ليلتهم وبيّتوه فقتلوه ، وكان زكرويه هذا من تحت يد عبدان ، وعبدان هو الذى أقامه داعية فلما شاع في الناس أنّ زكرويه قتل عبدان طلبه الدعاة والقرامطة ليقتلوه فاستتر ، وخالفه القوم بأسرهم إلاأهل دعوته ، وخاف على نفسه ، ولم يتم له أمره الذى دبّره ، فقال لابن اللعين : قد ترى ما حدث ، ولا آمن عليك وعلى نفسى ، فارجع إلى بلدك ودعنى ، فإنى أرجو أن يتغيّر الأمر ، فأتمكّن من الناس وأدعوهم إليك ، فإذا تمكّنت من ذلك أرسلت إليك لتصير (١) إلىّ ، فانصرف إلى الطالقان واستتر زكرويه وتنقّل في القرى ، وذلك في سنة ست وثمانين ومائتين ، والقرامطة تطلبه وأصحاب عبدان يرصدونه ، وكان قداتّخذ مطمورة تحت الأرض على بابها صخرة ، فإذا دخل قوم إلى القرية في طلبة قامت امرأة في الدار التى هو فيها إلى تنّور ينقل ، فوضعته بقرب الصخرة ثم أشعلت النار ، وأرت أنها تريد أن تخبز ، فيخفى أمره على من يطلبه ، فمكث كذلك سنة ست وسنة سبع وثمانين ومائتين فلما رأى انحراف أهل السواد عنه(٢) إلاأهل دعوته وطال أمره ، أنفذ ابنه الحسن في سنة ثمان وثمانين ومائتين إلى الشام ، وكان من أمره ما نذكره إن شاء الله تعالى بعد ذكرنا لأخبار أبى سعيد الجنّابى .

---

(١) ساقطة من ك ، ت .

(٢) هذه العبارة غير موجودة فى ك ، ت .

ذكر اخبار ابى سعيد الجنابى وظهوره بالبحرين

هو أبو سعيد بن بهرام من أهل جنّابه ، وأصله من الفرس وكان يعمل الفراء ، وسبب دخوله في هذه الدعوة وظهوره ، أنّه سافر إلى سواد الكوفة ، فذكر(١) أنه تزوّج بقرية من سواد الكوفة ، إلى قوم يقال لهم بنو القصّار ، وكانوا أصولا فى هذه الدعوة الخبيثة فأخذها عنهم ، وقيل بل أخذ الدعوة عن نفسه ، وقد قيل إنه تلقاها عن حمدان قُرْمُط ، وسار داعية من قبله فنزل القَطِيف ، وهى حينئذ مدينة عظيمة ، فجلس بها يبيع الدقيق ولزم الوفاء والصدق ، ودعا الناس ، فكان أوّل من أجابه الحسين وعلى وحمدان بنو سنبر (١) ، وقوم ضعفاء ما بين قصّاب وحمّال وأمثال هؤلاء .

قال الشريف أبو الحسين : فلما دعا بتلك الناحية وقويت يده واستجاب له الناس وجد بناحيته داعيا يقال له أبو زكريا الصمامى كان عبدان الداعى أنفذه قبل أبى سعيد إلى القطيف وما والاه ، فلما تبيّن أمره أبو سعيد الجنّابى عظم عليه أن يكون داع غيره ، فقبض عليه وحبسه فى بيت حتى مات هزلا . قال : وقد ذكر أنَّ هذا الداعى أخذ على بنى سنبر قبل أبى سعيد ، وكان فى أنفسهم حقد عليه لقتله أبا زكريا .

وحكى ابن الأثير الجزرى فى تاريخه الكامل ابتداء أمر القرامطة بناحية البحرين (٢) :

---

(١) فى المخطوطات : بنوسنين ، وفى كنز الدرر ص ٥٥ : سنتر والأرجح سنبر كما فى اتعاظ الحنفا المقريزى — هذا ووردت الكلمة صحيحة فى فصل مقتل أبى سعيد الجنابى فيما بعد .

(٢) راجع الكامل ج٧ ص ٣٤١ (طبعة أوروبا) فى أخبار سنة ٢٨٦ ه .

أن رجلا يعرف بيحيى بن المهدى قصد القطيف ،ونزل على رجل يعرف بعلى بن المُعَلَّى بن حمدان ، وكان متغاليا فى التشيّع ، فأظهر له يحيى أنّه رسول المهدى ، وذلك فى سنة إحدى وثمانين ومائتين ، وذكر أنه خرج إلى شيعته يدعوهم لأمره ، وأنّ خروجه قد قرب ، فجمع على بن المُعَلَّى الشيعة من أهل القطيف ،وأوقفهم على الكتاب الذى أحضره يحيى بن المهدى من المهدى إليهم ، فأجابوه : إنّهم خارجون معه إذا ظهر أمره ، وأجابه سائر قرى البحرين بمثل ذلك ، فكان فيمن أجابه أبو سعيد الجَنَّابِى ، ثم غاب يحيى بن المهدى مدة ، ورجع بكتاب يزعم أنّه من المهدى إلى شيعته ، فيه : قد عرّفنى رسولى يحيى بن المهدى مسارعتكم إلى أمرى ، فليدفع إليه كل رجل منكم ستة دنانير وثلثى دينار ، ففعلوا ذلك ثم غاب وعاد بكتاب ، فيه ادفعوا إلى يحيى خمس أموالكم ، فدفعوا إليه الخمس .

قال : وحكى أن يحيى بن المهدى جاء إلى منزل أبى سعيد الجنَّابى فأكل طعاما ، وخرج أبو سعيد من البيت وأمر امرأته أن تدخل إلى يحيى ، وأن لا تمنعه إذا أرادها ، فانتهى الخبر إلى الوالى فضرب يحيى وحلق رأسه ولحيته ، وهرب أبو سعيد إلى جنَّابه ، وصار يحيى إلى بنى كلاب وعقيل والحَرِيش ، فاجتمعوا معه ومع أبى سعيد فعظم أمر أبى سعيد ، واشتدت وطأته وظهر أمره ؛ قال : وكان ظهوره بالبحرين فى سنة ست وثمانين ومائتين .

ذكر استيلاء أبى سعيد الجنابى على هجر وماكان من خلال ذلك من حروبه ووقائعه

قال الشريف أبو الحسين : كان من الاتّفاق لأبى سعيد أن البلد الذى قصده بلد واسع كثير الناس ، ولهم عادة بالحروب ، ورجال شداد جهّال غُفل القلوب ، بعيدون من علم شريعة الإسلام ومعرفة نبوّة أو حلال أو حرام ، فظفر بدعوته في تلك الناحية ، ولم يناوئه مناوىء ، فقاتل بمن أطاعه من عصاه حتّى اشتدت شوكته جدا ، وكان لا يظفر بقرية إلا قتل أهلها ونهبها ، فهابه الناس وأجابه كثير منهم طلبا للسلم ، ورحل من البلد خلق كثير إلى نواحى مختلفة وبلدان شتّى ، خوفا من شرّه ، ولم يمتنع عليه إلا هَجَر ، وهى مدينة البحرين ومنزل سلطانها والتجّار والوجوه ، فنازلها شهورا يقاتل أهلها ، فلما طال عليه أمرها وكل بها جلّ أصحابه من أهل النجدة ، ثم ارتفع فنزل الأحساء وبينها وبين هجر ميلان ، فابتنى بها دارا وجعلها منزلا ، وتقدّم في زراعة الأرض وعمارتها ، وكان يركب فى الأيام إلى هجر هو ومن يحاصرها ، ويعقب من أصحابه فى كلّ أيام قوما ، ثم دعا العرب فأجابه أوّل الناس ، بنو الأضبط من كلاب ، لأن عشيرتهم كانوا أصابوا فيهم دما ، فساروا إليه بحرمهم وأموالهم فنزلوا الأحساء ، وأطمعوه فى بنى كلاب وسائر من يقرب منه من العرب ، وطلبوا منه أن يضمّ إليهم رجالا ففعل ذلك ، فلقوا بهم عشيرتهم فاقتتلوا فهزمتهم القرامطة فأكثروا فيهم القتل ، وأقبلوا بالحريم والأموال والأمتعة نحو الأحساء ، فاضطر المغلوبين إلى أن دخلوا فى طاعته

وصاروا تحت أمره ، ثم وجّه أبو سعيد بجيش آخر إلى بنى عقيل فظفر بهم ، فقصدوه ودخلوا فى طاعته ، فملك تلك الفلاة ، وتجنّب قتاله كلّ أحد إلا بنى ضبّة ، فإنها ناصبته الحرب ، فلما اجتمع [1] إليه من اجتمع من العرب وغيرهم خوّفهم ومنّاهم مُلك الأرض كلها ، فاستجاب بعضهم إلى دعوته فردّ إليهم ما أخذ منهم من أهل وولد ، وأجاب آخرون رغبة فى دعوته ، ولم يردّ على أحد إبلا ولا عبدا ولا أمة وأنزل الجميع معه الأحساء ، وأبى قوم دعوته فردّ عليهم حرمهم ومن لم يبلغ من أولادهم أربع سنين وشيئا من الإبل يحملون عليه ، وحبس ما سوى ذلك كله ، وجمع الصبيان في دور وأقام عليهم قوّاما ، وأجرى عليهم ما يحتاجون إليه ، ووسم جميعهم على الخلود لئلا يختلطوا بغيرهم ، وعرّف عليهم عرفاء ، وعلّم من صلح لركوب الخيل والطعان فنشأوا لا يعرفون غيره ، وصارت دعوته طبعا لهم ، وقبض كل مال في البلد والثمار والحنطة والشعير ، وأنفذ الرعاة في الإبل والغنم ، وقوما للنزول معها لحفظها والتنقّل معها على نوب معروفة ، وأجرى على أصحابه جرايات فلم يكن يصل أحد إلى غير ما يطعمه ، وهو لا يغفل مع ذلك عن هَجَر ، فلما أضجروه وطال أمرهم وقد كان بلغ منهم الحصار كل غاية ، وأكلوا السنانير والكلاب وكان حصارهم يزيد على عشرين شهرا ، ثم جمع أصحابه وحشد لهم وعمل الدبّابات ، ومشى بها الرجال إلى السور ، فاقتتلوا أشد قتال لم يقتتلوا مثله قبل ذلك ، ودام القتال عامّة النهار ، وكلٌّ منتصفٌ من الآخر ، وكثرت

(١) فى ك : فلما اجتمع إليه من العرب من اجتمع... ، وفى ت : فلما اجتمع من العرب وغيرهم .

بينهم القتلى ، ثم رجع إلى الأحساء ، ثم باكرهم فناوشوه فانصرف ، فلما قرب من الأحساء أمر الرجّالة ومن جرح أن ينصرف ، وعاود فى خيل فدار حول هجر ، وفكّر فيما يكيدهم به ، وإذا لِهَجَر عين عظيمة كثيرة الماء ، يخرج من نشز من الأرض غير بعيد منها ، ثم يجتمع ماؤها فى نهر ويستقيم حتى يمرّ بجانب هجر ملاصقا ، ثم ينزل إلى النخيل فيسقيها ، فكانوا لا يفقدون الماء فى حصارهم ، فلما تبيّن له أمر العين انصرف إلى الأحساء ، ثم غدا فأوقف على باب المدينة عسكرا ، ثم رجع إلى الأحساء وجمع الناس كلّهم وسار فى آخر الليل فورد العين بُكْرَةً بالمعاول والرمل وأوقار الثياب الخلقان ووبر وصوف وأمر قوما بجمع الحجارة وآخرين ينفذون بها إلى العين ، وأعدّ الرمل والحصى والتراب ، فلما [1] اجتمع أمر أن يطرح الوبر والصوف وأوقار الثياب فى العين ، وأن يطرح فوقها الرمل والحصى والتراب[1] والحجارة ففعل ذلك ،فقذفته العين ولم يغن ما فعلوه شيئا ،فانصرف إلى الأحساء هو ومن معه ، وغدا فى خيل فضرب فى البرّ ، وسأل عن منتهى العين فقيل له إنّها تتصل بساحل البحر ، وأنّها تنخفض كلّما نزلت ، فردّ جميع من [2] كان معه وانحدر على النهر نحوا من ميلين ثم أمر بحفر [3] نهر هناك ، ثم أقبل هو وجَمعه يأتون فى كل يوم ، والعمّال يعملون حتى حفره إلى السباخ ، ومضى الماء كله عنهم فصبّ فى البحر ، فلما تمّ له ذلك نزل على هجر وقد انقطع الماء عمّن بها ،

---

(١) ساقط من ت

(٢) فى ك : ما .

(٣) فى المخطوطات : بئر والتصويب من اتعاظ الحنفا ص ٢١٧

فأيقنوا بالهلاك فهرب بعضهم نحو البحر ، فركبوه إلى جزيرة اوال وسيراف وغيرهما ، ودخل قوم منهم في دعوته ، وخرجوا إليه فنقلهم إلى الأحساء ، وبقيت طائفة لم يقدروا على الهرب ولم يدخلوا فى دعوته ، فقتلهم وأخذ ما في المدينة ثم أخربها ، وصارت الأحساء مدينة البحرين .

ذكر الحرب بين القرامطة أصحاب ابى سعيد واهل عمان

قال : ولما استولى على هجر وخرّبها أنفذ سريّة من أصحابه ستمائة فارس إلى عُمان ، فوردت على غفلة فقتلوا ونهبوا وأسروا في عمل عمان وأنفذ أهل عُمان سريّة إليهم فى ستمائة رجل من أهل النجدة فأدركوهم فجعلت القرامطة ما غنموه وراء ظهورهم ، وأقبلوا نحو أهل عمان فاقتتلوا ، حتى تكسّرت الرماح وتقطّعت السيوف وتعانقوا ،وتكادموا وتراضخوا بالحجارة ، فلم تغرب الشمس حتى تفانوا ، فبقى من أهل عمان خمسة نفر لا حراك بهم ، ومن القرامطة ستة نفر مجرّحين إلا أنهم أحسن حالا من العُمَانيّة ، فركب القرامطة ست رواحل وعادوا إلى أبى سعيد ، فأخبروه الخبر واعتذروا إليه ، فلم يقبل عذرهم وأمر بهم فقتلوا ، وقال : هؤلاء خاسوا بعهدى ولم يواسوا أصحابهم الذين قتلوا ، فأنزلت بهم ما كانوا له أهلا ، وتطيرّ بهلاك السريّة وأمسك عن أهل عمان .(١)

(١) أورد الاصطخرى ص٩٠ (ط . ١٩٦١ القاهرة) ... ومنهم الحسن الجنابى ويكنى بأبى سعيد من أهل جنابه ، كان دقاقا أظهر مذهب القرامطة فنفى عن جنابه ، فخرج منها إلى البحرين فأقام بها تاجرا ، يستميل العرب بها ويدعوهم إلى نحلته حتى استجابوا له ، وملك البحرين وما والاها ، فكان من كسره عساكر السلطان وعيثه وعدوانه على أهل عمان وسائر ما يصاقبه من بلدان العرب ما قد انتشر ذكره ، حتى قتل وكفى الله أمره .

ذكر الحرب بين القرامطة وعسكر المعتضد بالله وانتصار القرامطة

قال : ولما كان من أمر أبي سعيد الجنّابي ما كان ، اتصلت أخباره بالمعتضد بالله ، وكتب إليه أحمد بن محمد بن يحيى الواثقى - وهو إذ ذاك يتولى البصرة - يعلمه خبر أبي سعيد ، وأنّه اتّصل به أنّه يريد الهجوم على البصرة ، فأمره المعتضد بالله أن يعمل على البصرة سورا فعمله ، فكان مبلغ ما صرف عليه أربعة عشر ألف دينار ، ثم كتب الواثقى إلى المعتضد يسأله المدد ، فسيّر إليه ثلاثمائة رجل فى سماريّات ، وأنفذ المعتضد بالله العبّاس بن عمرو الغنوى في ألفى رجل ، وأقطعه اليمامة والبحرين وأمره بمحاربة القرامطة - وكان يتولّى بلاد فارس - فسار إلى البصرة فوردها وذلك في سنة سبع[1] وثمانين ومائتين ، وخرج منها نحو هجر وبينهما بضع عشرة ليلة فى فلاة مقفرة ، وتبعه من مطوّعة البصرة نحو من ثلاثمائة رجل من بنى ضبة وغيرهم ، وعرف أبو سعيد خبرهم فسار نحوهم وقدّم أمامه مقدّمة ، فلما عاينهم العبّاس بن عمرو خلف سواده وسار إليهم فيمن خفّ من أهل العسكر وأدرك أبو سعيد مقدّمته فى باقى أصحابه ، فتناوشوا القتال فكانت بينهم حملات ، ثم حجز الليل بينهم فانصرفوا على السواء فلما جاء الليل انصرفت مطوّعة البصرة ومن معهم من بنى ضبّة ، فكسر ذلك الجيش وفتّ فى أعضادهم ، وأصبح العباس بن عمرو فعبّى أصحابه للقتال والتقوا ، فجعل بدرا غلام أحمد بن عيسى بن

(١) فى كنز الدرر للدوادارى ص ٥٧ : تسع .

الشيخ فى نحو مائة من أصحابه على ميمنة أبى سعيد ، فأوغل فيهم فلم يرجع منهم أحد ، وحمل أبو سعيد على العبّاس وأصحابه فانهزموا ، وأسر العبّاس بن عمرو ومعه[1] نحو من سبعمائة رجل من أصحابه ، واحتوى القرامطة على عسكره ، وقتل أبو سعيد من غديومة جميع الأسرى ثم أحرقهم ، وترك العبّاس بن عمرو[1] ومضى المنهزمون فتاه كثير منهم فى البرّ وتلف كثير منهم عطشا ، وورد قوم منهم البصرة فارتاع الناس لهم ، حتى أخذوا فى الانتقال عن البصرة فمنعهم الواثقى .

قال : ولما كان بعد الوقعة بأيام أحضر أبو سعيد الجنّابى العبّاس ابن عمرو ، وقال له : أتحب أن أطلقك ؟ قال : نعم قال : على أن تبلغ عنى صاحبك ما أقول ، قال : أفعل، قال : تقول الذى أنزل بجيشك ماأنزل بغيُك ، هذا بلد كان خارجا عن يدك غلبتُ عليه وأقمتُ به وكان فىّ من الفضل ما آخذ غيره ، فماعرضتُ لما كان فى يدك ولاهممتُ به ، ولا أخفْتُ لك سبيلا ، ولا نلتُ أحدا من رعيّتك بسوء ، فتوجيهك إلىّ الجيوش لأى سبب ؟ ! اعلم إنّى لا أبرح عن هذا البلد ولا يوصل إليه وفىّ ، وفى هذه العصابة التى معى روح ، فاكفنى نفسك ولا تتعرّضْ لما ليس لك فيه فائدة ، ولاتصل إلى مرادك منه إلا ببلوغ القلوب الحناجر ، وأطلقه وأرسل معه من يردّه إلى مأمنه ، فأوردوه بعض السواحل فصادف مركبا فركب فيه إلى الأُبلة ، ووصل إلى بغداد فى شهر رمضان من السنة . قال : وقد كان الناس يعظّمون

---

(١) ساقط من ت .

أمر العباس ويكثرون ذكره ويسمّونه قائد الشهداء ، فلما وصل إلى المعتضد بالله عاتبه على تركه الاستظهار والتحرّز وأنّبه ، فاعتذر بهرب بني ضبّة ومن كان معهم من المطّوعه وهرب أصحابه عنه ، وأنّه لو أراد الهرب لأمكنه ، فلم يبرح حتى رضى عنه وزال همّه ، ثم سأله عن خبره فعرّفه جميعه ، ووصف له أحوال القرامطة وما قاله أبو سعيد بعد أن استأذنه في ذلك فأذن له ، فقال : صدق ما أخذ شيئا كان في أيدينا ، وأطرق مفكرا ثم رفع رأسه ، فقال : كذب عدوّ الله الكافر ، المسلمون رعيّتي حيث كانوا من بلاد الله ، والله لئن طال بي عُمْر لأشخصنّ بنفسى إلى البصرة وجميع غلمانى ، ولأوجهنّ إليه جيشا كثيفا فإن هزمه وجّهت جيشا ، فإن هزمه خرجتُ في جميع قوّادى وجيشى إليه ، حتى يحكم الله بيني وبينه ، وشغله بعد ذلك أمر وصيف غلام ابن أبي السّاج وأحفزه ، فخرج في طلبه وهو عليل ، وذلك في شوّال من هذه السنة ، فأخذه وعاد إلى بغداد فدامت علّته واستمرّ وجعه ومات .

قال القاسم بن عبيد الله : مازال أمير المؤمنين المعتضد بالله يذكر أمر أبي سعيد في مرضه ويتلهّف ، فقلت : ما هذا يا أمير المؤمنين ؟ قال : حسرة في نفسى كنت أحب أن أبلغها قبل موتى ، والله لقد كنت وضعت في نفسى أن أركب ، ثم أخرج إلى باب البصرة متوجّها نحو البحرين ، ثم لا ألقى أحدا أطول من سيفى إلا ضربت عنقه ، وإنى أخاف أن يكون من هناك حوادث عظيمة .

قال : وأقبل أبو سعيد بعد اطلاق العبّاس على جمع الخيل وإعدا

السلاح واتخاذ الإبل وإصلاح الرجال ونسج الدروع والمغافر ونظم الجواشن وضرب السيوف والأسنّة واتخاذ الروايا والمزاد والقرب وتعليم الصبيان الفروسية ، وطرد الأعراب عن قربه وسدّ الوجوه التى يُتعرّف منها أمر بلده وأحواله بالرجال واصلاح أراضى المزارع وأصول النخل وعمارته ، واصلاح مثل هذه الأمور وتفقدها ، ونصب الأمناء على ذلك ، وإقامة العرفاء على الرجال ، والاحتياط على ذلك كلّه : حتى بلغ من تفقّده واحتياطه أنّ الشاة كانت تذبح فيسلّم اللحم إلى العرفاء ، ليفرّقوه على من يُرسم لهم ، ويدفع الرأس والأكارع والبطن إلى العبيد والإماء ، ويجزّ الصوف والشعر من الغنم ويفرّقه على من يغزله ، ثم يُدفع إلى من ينسجه عبيًا وأكسية وغرائر وجوالقات ويُفتل منه حبال ، ويسلّم الجلد إلى الدبّاغ ، فإذا خرج من الدبّاغ سُلّم إلى خرّازى القرب والروايا والمزاد ، وما كان من الجلود يصلح نعالا وخفافا عمل منه ، ثم يجمع ذلك كلّه إلى خزائن ، فكان ذلك دأبه لا يغفل عنه ، ويوجّه في كلّ مديدة بخيل إلى ناحية البصرة ، فتأخذ من وجدت فتصير بهم إليه فيستعبدهم ، فزادت بلاده وعظمت هيبته فى صدور الناس .

قال الشريف أبو الحسين : وقد كان واقع بنى ضبّة عند طرده لهم عن قرب بلده ، فأصاب منهم وأصابوا منه ، ولم يتبعدوا عنه بعيدا ، فلما شخص مع العبّاس بن عمرو منهم من شخص - فى وقت مسيره لقتاله - ازداد بذلك حنقا عليهم ، فواقعهم وقائع مشهورة بالشدّة والعظم ، ثم ظفر بهم فأخذ منهم خلقا ، وبنى لهم حبسا عظيما وجمعهم فيه وسدّه عليهم ، ومنعهم الطعام والشراب فصاحوا وضجّوا

فلم يغثهم ، فمكثوا على ذلك شهرا ثم فتح عليهم ، فوجد الأكثر منهم موتى ، ووجد نفرا يسيرا قد بقوا على حال الموتى ، وقد تغذوا بلحوم الموتى ، فخصاهم وخلّاهم فمات أكثرهم .

ذكر مقتل ابى سعيد الجنابى

كان مقتله فى سنة إحدى وثلاثمائة بعد أن استولى على سائر بلاد البحرين ، وكان سبب مقتله أنّه لما هزم جيش العباس بن عمرو كما تقدم ، واستولى على عسكره ، أخذ من عسكره خادما له صقلبيا ، فاستخدمه وجعله على طعامه وشرابه ، فمكث كذلك مدة طويلة لا يرى أبا سعيد فيها مصليا لله عزّ وجلّ صلاة واحدة ، ولا يصوم فى شهر رمضان ولا فى غيره يوما واحدا ، فأضمر الخادم لذلك قتله ، فدخل معه الحمّام [١] يوما – وكان الحمّام فى داره ، فأخذ الخادم معه خنجرا ماضيا – ولم يكن معه فى الحمّام [١] غيره ، فلما تمكّن منه أضجعه فذبحه ، ثم خرج فقال : السيد يستدعى [٢] فلانا لبعض بنى سنبر فأحضر فقال : ادخل فدخل ، فبادره فقبض عليه وذبحه ، ولم يزل يستدعى من رؤساء القرامطة واحدا واحدا حتى قتل جماعة من الرؤساء والوجوه ، إلى أن استدعى بعضهم فنظر عند دخوله إلى باب البيت الأوّل دما جاريا ، فاستراب بذلك وخرج مبادرا فلم يدركه الخادم وأعلم الناس ، وعمد الخادم إلى الباب فأغلقه وكان وثيقا ، فاجتمع

---

(١) ساقط من ت ، وهذا السقط جعل الأسلوب فى هذه المخطوطة مضطربا .

(٢) فى المخطوطات : يدعى .

الناس ونقبوا نقوبا إلى أن وصلوا إليه ، فأخذه ابنه سعيد فأمر بشدّه بالحبال ، ثم قرض لحمه بالمقاريض حتى مات رحمه الله تعالى .

وخلّف أبو سعيد من الأولاد : أبا القاسم سعيدا ، وأبا طاهر سليمان ، وأبا منصور أحمد ، وأبا العباس[١] إبراهيم ، والعبّاس محمد ، وأبا يعقوب يوسف . وكان أبو سعيد قد جمع رؤساء دولته وبنى[٢] زرقان ، وكان أحدهم زوج ابنته ، وبنى سنبر ، وكان متزوجا إليهم : وهم أخوال أولاده وبهم قامت دولته وقوى أمره ،فأوصى إليهم إن حدث به موت أن يكون القيّم بأمرهم ابنه سعيدا إلى أن يكبر أبو طاهر ؛ وكان سعيد أكبر من أبى طاهر سنا ، فإذا كبر أبو طاهر كان المدبّر لهم ، فلما قتل جرى الأمر على ما وصّاهم به ، وكان قد أخبرهم أنّ الفتوح يكون لأبى طاهر ، فجلس سعيد يدبّر الأمر بعد مقتل أبيه إلى سنة خمس وثلاثمائة ، ثم سلم الأمر لأخيه أبى طاهر ، فدبّره وعمل أشياء موّه بها على عقول أصحابه فقبلوها وعظموا أمره ؛ وكان من أخباره ما نذكره إن شاء الله تعالى ، وكانت مدة تغلّب أبى سعيد على البحرين وما والاها نحوا من ستة عشر سنة[٣] .

(١) فى اتعاظ الحنفا ص ٢٢١ ، وكنز الدرر ص ٦٢ : أبا إسحاق إبراهيم .
(٢) فى كنز الدرر للدوادارى ص ٦٢ : بنى زبرقان .
(٣) فى ك : شهرا وهو خطأ واضح .

ذكر أخبار أبى القاسم الصناديقى ببلاد اليمن

وفي سنة ست وثمانين ومائتين استولى أبو القاسم النجّار المعروف بالصناديقى على اليمن ، وكان ابن أبى الفوارس داعى عبدان قد أنفذه داعيا إلى اليمن ، وكان هذا الصناديقى من موضع يعرف بالنرس ، وكان يعمل فيه الثياب النرسيّة ، وقيل إنه كان يعمل في الكتّان ، فلما صار إلى اليمن أجابه رجل من الجند يعرف بابن الفضل ، فقوى أمره على اقامة الدعوة الخبيثة ، فدخل فيها خلق كثير ، فخلعهم من الإسلام ، وأظهر العظائم ، وقتل الأطفال وسبى النساء ، وتسمّى برب العزّة وكان يكاتب بذلك ، وأظهر شتم النبىّ صلى الله عليه وسلم وسائر الأنبياء ، واتّخذ دارا سمّاها دار الصفوة ،وكان يأمر الناس بجمع نسائهم من أزواجهم وبناتهم واخواتهم ، ويأمرهم بالاختلاط بهنَّ ليلا ووطئهنَّ ، ويحتفظ بمن تحبل منهنَّ في تلك الليلة وبمن تلد من بعد ذلك ، ويتخذهم لنفسه خولا ويسمّيهم أولاد الصفوة ، وعظمت فتنته باليمن ، وأجلى أكثر أهله عنه وأجلى السلطان ، وقاتل القاسم بن أحمد بن يحى بن الحسين بن القاسم بن إبراهم الحسنى الهادى وقلعه عن عمله بصَعْدة ، وألجأه إلى أن هرّب عياله إلى الرسّ حذرا منه لقوّته عليه ، ثم إنَّ الله عزَّ وجل رزقه الظفر به فهزمه ، وكان ذلك بلطف من ألطاف الله تبارك وتعالى ، وهو أن ألقى على عسكره وقد بايته بردا وثلجا ، فقتل به أكثر أصحابة فى ليلة واحدة ، وقلَّ ما يعرف مثل هذا من البرد والثلج في ذلك البلد ، ولما طغى وبغى قتله الله بالأكلة وأنزل بالبلدان التى غلب عليها بثرا قاتلا ، كان يخرج على كتف

الرجل [١] منهم بثرة فيموت فى سرعة ، فسمىّ ذلك البثر حبّة القرمطىّ ، وأخرب الله تعالى أكثر تلك البلاد التى ملكها ، وأفنى أهلها بموت ذريع ، واعتصم ابنه بعده بالجبال والقلاع ، ولم يزل بها مقيما يكاتب أهل ملّته ، ويُعَنْوِن كتبه ، من ابن رب العزَّة ، ثم أهلكه الله عز [٢] وجل وبقيت منهم بقيّة ، فاستأمنوا إلى القاسم بن أحمد الهادى ، ولم يبق للنجّار بقيّة ولا لمن كان على مذهبه .

ولنرجع إلى أخبار زَكْرُويَه بن مَهْرُويَه وخبر من أرسله إلى الشام .

ذكر ظهور القرامطة بالشام وماكان من أمرهم وحروبهم

قد قدّمنا من أخبار زكرويه بن مهرويه واختفائه وحرص أصحاب عبدانَ على قتله ، وأنّه لما طال عليه الأمر أرسل ابنه الحسن إلى الشام وذلك فى سنة ثمان وثمانين ومائتين .

قال الشريف أبو الحسين محمد بن على الحسينى [٣] رحمه الله : ولما أرسل زكرويه بن مهرويه ابنه إلى الشام أرسل معه رجلا من القرامطة من أهل نهر ملحانا ، يقال له الحسن بن أحمد ويكنى بأبى الحسين : وأمره أن يقصد بنى كلب وينتسب لهم إلى محمد بن إسماعيل بن جعفر ، ويدعوهم إلى الإمام من ولده ،فاستجاب له فخذ من بنى

---

(١) فى ك : الواحد .

(٢) تعالى .

(٣) هو مصدر النويرى فى هذا الموضوع يشير إليه بالشريف ، وهو المعروف بأخى محسن

العليص بن ضمضم بن عدى بن جناب بن كلب[(١)] بن وبرة ومواليهم وانضاف إليه طائفة من بنى الأصبع من[(٢)] كلب ، ويسمى هؤلاء بالفاطميين وبايعوه ، وكان الخبيث لما رجع إلى الطالقان يكتب إلى زَكْرُوَيه يستأذنه فى القدوم عليه ، فيجيب بالتوقّف ، فخرج نحو العراق ، فلما وصل إلى السواد وجد زكرويه مختفيا ، فلم يزل حتى توصل إلى المكان الذى هوفيه ، فلم يُظهر له لوما على قدومه وبعث إليه بخبر من استجاب له بالشام ، فقال : أنا أخرج حتى أظهر فيهم هناك ، فوجّه إليه : نِعْم ما رأيت ، فضمّ إليه ابن أخته[(٣)] عيسى بن مهرويه ، ويسمّى بالمدثّر لقبا وبعبد الله اسما ، وغلاما من بنى مهرويه فتلقّب بالمطوّق وكان سيّافا ، وأنفذهم إلى الشام ، وكتب إلى ابنه الحسن يعرّفه أنّه ابن الحجّة ، ويأمره له بالسمع والطاعة ، فسار حتى نزل فى بنى كلب ، فلقيه الحسن بن زكرويه وسرّ به ، وجمع له الجمع وقال : هذا صاحب الإمام فامتثلوا أمره ، وسرّوا به وقالوا له : مرنا بأمرك وبما أحببت ، فقال لهم : استعدوا للحرب فقد أظلّكم النصر ، ففعلوا ذلك ، واتصلت أخبارهم بشبل الديلمى مولى المعتضد ، وذلك فى سنة تسع وثمانين ومائتين .فقصدهم فقتلوه وقتلوا جماعة من أصحابه ، وكانت الوقعة بالرصافة من غربى الفرات ، ودخلوا الرصافة وأحرقوا مسجدها ونهبوها ، وأصعدوا نحو الشام ، واعترضوا الناس بالقتل والتحريق ونهب القرى ، إلى أن وردوا أطراف

(١) فى ك : كليب وهو خطأ نسخ ، وفى الكامل حـ٧ ص ٣٥٣ : القليص بن صمصم ، ويؤيده المخطوطات للطبرى حـ١٤ ص ٢٢١٨ .

(٢) فى ك ، ت : بن .

(٣) فى ا ، ت : أخيه وهو خطأ تصححه هاتان المخطوطتان فيما بعد ، هذا والطبرى حـ١٤ ص ٢٢٢٠ والكامل حـ٧ ص ٣٦٢ يجعلانه ابن عمه والغالب أن المخطوطات أدق .

دمشق ، وكان هارون بن خمارويه بن أحمد بن طولون ردّ أمر دمشق إلى طُغْج بن جُفّ الفرغانى ، فلقيتهم عساكره فانهزمت ولم تثبت ، وقتل كثير منهم وأخذوا منهم ما قدروا عليه .

قال : ولما هَزَم طغج نزل على دمشق وقاتل أهل البلد ، وكان يحضر الحرب على ناقة ويقول لأصحابه : لا تسيروا من مصافّكم حتى تنبعث بين أيديكم ، فإذا سارت فاحملوا فإنه لا تُردّ لكم دابّة إذ كانت مأمورة ، فسُمّى بذلك صاحب الناقة ، وحصر طغج بدمشق سبعة أشهر ، فكتب طغج إلى مصر بخبر من قتل من أصحابه ، وأنه محصور وقد فنى أكثر الناس وخرب البلد ، فأنفذوا إليه بدرا الكبير غلام ابن طولون - وهو المعروف بالحمّامى - فسار حتى قرب من دمشق وخرج [1] إليه طغج واجتمعوا على محاربة القرامطة ، والتقوا واقتتلوا بقرب دمشق [1] ، فأصاب رئيس القرامطة - ابن القدّاح - سهم فقتله ، ويقال أصابه الزراقون بزراق فيه نفط. فاحترق ، وحمى أصحابه فقاتلوا عسكر بدر الحمّامى وطغج حتى انحازوا عنهم وانصرفت القرامطة وكان صاحب الناقة هذا المقتول قد ضرب دنانير ودراهم ، وكتب على السكّة على أحد الوجهين : قل جاء الحق وزهق الباطل ، وعلى الوجه الآخر : لا إله إلا الله ، قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودّة في القربى . قال : فلما انصرفت القرامطة عن دمشق بعد قتل الطاغية بايعوا :

---

(١) ساقط من ك ، ت .

الحسن (١) بن زكرويه بن مهرويه

فسمّى نفسه أحمد وتكنى بأبى العباس وهو صاحب الشامة .

قال ابن الأثير : ولما بايعه القرامطة دعا الناس فأجابه كثير من أهل البوادى وغيرهم ، فاشتدت شوكته وأظهر شامة في وجهه ، وزعم أنها آيته(٢) .

قال الشريف أبو الحسين وسياقه أتمّ : ولما بايعوه ثار حتّى افتتح عدّة مدن من الشام ، وظهر على جند حمص ، وقتل خلقا كثيرا من جند المصريين (٣) ، وتسمىّ بأمير المؤمنين على المنابر وفى كتبه ، وذلك فى سنة تسع وثمانين ومائتين وبعض سنة تسعين ومائتين ، ثم سار بمن معه إلى نحو الرقّة ، فخرج إليهم مولى الخليفة المكتفى بالله وكان عليها ، فواقعهم فهزموه ، وقتلوه واستباحوا عسكره ورجعوا يريدون دمشق ، وجعلوا ينهبون جميع ما يمرّون به من القرى ، ويقتلون ويسبون ويخربون ، فلما قربوا من دمشق أخرج إليهم طغج جيشا كثيفا أمّر عليه غلامه بشيرا ، فهزم القرامطةُ الجيش وقُتل بشير فى خلق من أصحابه ، فلما اتصل بالمكتفى قتل غلامه الذى كان على الرقّة وخبر قتل بشير ندب أبا الأعَزّ السُّلَمى ، وضمّ إليه عشرة آلاف من الجند والموالى والأعراب ، وخلع عليه لثلاث عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الآخر سنة تسعين ومائتين وأنفذه ، فسار حتّى نزل حلب ثم خرج فنزل وادى بطنان ، فتفرّق الناس ودخل قوم منهم الماء يتبرّدون فيه وذلك فى القيظ ، ووافاهم القرامطة يقدمهم المطوّق ،

(١) ورد اسمه : الحسين فى الطبرى ج١٤ ص ٢٢١٩ والكامل ج٧ ص ٣٦٢ ويؤيد لمخطوطات كنز الدرر للدوادارى ص ٧١ واتعاظ الحنفا للمقريزى ص ٢٢٦ .

(٢) فى ك ، ت : أمته والنقل من الكامل ج٧ ص ٣٦٢ .

(٣) فى ت : البصريين .

فكان كل إنسان يحذر على نفسه وينجو بها ، وركب أبو الأعزّ فرسه وصاح بالناس ، فسار إليه جماعة لقى بها أوائل القوم ، فلم يلبث إلا اليسير حتّى انهزم ، وركبت القرامطة أكتاف الناس يقتلون وينهبون حتّى حجز الليل بينهم ، وقد أتوا على عامّة العسكر وسلم منهم قليل. ولحق أبو الأعزّ فى جُميعيّة معه بحلب ، ثم تلاحق به قوم حتّى حصل فى نحو ألف رجل ، ووافت القرامطة فنازلوا أهل حلب فحاربهم أبو الأعزّ ، فلم يقدروا منه على شىء فانصرفوا ، وجمع الحسين بن زكرويه أصحابه ، وكان قد اتّصل به خلق كثير من اللصوص ومن بنى كلب ، فسار حتّى نزل أطراف حمص فخطب له على منابرها . ثم نهض إليها فأعطاه أهلها الطاعة ، وفتحوا له البلد فدخلها ، ثم سار إلى حماة ومَعَرَّة النُّعمان وغيرهما فقتل الرجال والنساء والأطفال ، ثم رجع إلى بعلبك فقتل عامّة أهلها ، ثم صار إلى سَلَمْيَة فحاربه أهلها وامتنعوا منه ، فأعطاهم الأمان ففتحوا له[1] ، فبدأ بمن كان فيها من بنى هاشم . وكان بها جماعة كثيرة ، فقتلهم أجمعين ، ثم كرّ على أهلها فأفناهم أجمعين وخرّبها ، وخرج عنها وما بها عين تطرف ، وكان مع ذلك لا يمرّ بقرية فيدع فيها أحدا ، حتّى أخرب البلاد وسبى الذرارى وقتل الأنفس من المسلمين وغيرهم ، ولم يقم له أحد .

قال الشريف : ووردت كتب التجّار وسائر الناس من دمشق وغيرها بصورة الأمر وغلظه ، وأنّ طغج قد فنيت رجاله وبقى فى عدّة يسيرة ، وأنّ القرامطة تقصد دمشق فى أوقات فلا يقاتلهم إلا العامّة

(١) فى ت هنا تكرار لعبارة سبقت ، قال : وفتحوا البلد فدخلها ، ثم سار إلى حماة ومعرة النعمان وغيرهما فقتل الرجال والنساء والأطفال ثم رجع إلى بعلبك فقتل عامة أهلها ثم فبدأ .....

وقد أشرف الناس على الهلكة وكثر الضجيج بمدينة السلام ، واجتمعت العامّة إلى يوسف بن يعقوب القاضى وسألوه إنهاء أخبار الناس إلى الخليفة ، فوعدهم بذلك ، ووردت كتب المصريين على المكتفى بالله يعرّفونه ما قتل من عسكرهم الذى خرج إلى الشام ، وأن القرامطة أفنتهم وأنّهم قد أخربوا الشام ، فأمر المكتفى الجيش بالاستعداد وإخراج المضارب إلى باب الشماسيّة ، وخرج إلى مضربه فى القوّاد والجند ، ورحل لاثنتى عشرة ليلة خلت من شهر رمضان سنة تسعين ومائتين ، وسلك طريق الموصل ومضى نحو الرقّة بالجيوش حتى نزلها وانبثت جيوشه من حلب وحمص ، وقلّد محمد بن سليمان حرب الحسين بن زكرويه ، واختار له جيشا كثيفا ، وكان محمد بن سليمان صاحب ديوان العطاء وعارض الجيش ، فسار نحو القرامطة بجيشه .

ذكر الحرب بين محمد بن سليمان وبين القرامطة وانهزام القرامطة والظفر بالحسن بن زكرويه صاحب الشام وأصحابه وقتلهم

قال الشريف أبو الحسين رحمه الله تعالى : ولما دخلت سنة إحدى وتسعين ومائتين كتب القاسم بن عبيد الله وهو وزير المكتفى بالله إلى محمد بن سليمان الكاتب يأمره بمناهضة القرامطة ، فسار إليهم والتقى الجمعان يوم الثلاثاء لست خلون من المحرم من هذه السنة ، بموضع بينه وبين حماة اثنا عشر ميلا ، فاقتتلوا قتالا شديدا حتى حجز الليل بينهم ، وقتل عامّة رجالهم ، وورد كتاب محمد بن سليمان الكاتب إلى القاسم بن عبيد الله الوزير ، يخبره بكيفيّة المصاف والقتال ومن

كان فى الميمنة والميسرة والقلب والجناحين من قوّاد عسكره ، وأن القرامطة اجتمعوا ستّة كراديس ، وأن ميسرتهم كان فيها ألف وخمسمائة فارس ، وكمنوا خلفها أربعمائة فارس ، وفى القلب ألف فارس وأربعمائة فارس ، وفى ميمنتهم ألف فارس وأربعمائة فارس ، وكمنوا خلفها مائتى فارس ، وذكر كيف كانت حملاتهم وقتالهم ، وكيف كانت هزيمتهم ، فى كلام مطوّل تركناه اختصارا لطوله ، إلا أنّ ملخّصه أنّ القرامطة قتلوا قتلا ذريعا ، وذكر أن الكردوس الذى كان فى ميسرة القرامطة قصده الحسين بن حمدان ، وكان فى جناح ميمنة عسكر الخليفة ، واقتتلوا أشدّ قتال حتى تكسّرت الرماح وتقطّعت السيوف فصرع من القرامطة ستمائة فى أول دفعة ، وأخذ أصحاب الحسين منهم خمسمائة فرس وأربعمائة طوق فضّة ، وأن القرامطة ولّوا مدبرين فاتبعهم الحسين بن حمدان ، فرجعوا عليه فلم يزل يحمل حملة بعد حملة — وهم فى خلال ذلك يصرعون منهم الجماعة بعد الجماعة — حتى أفناهم الله تعالى ، فلم يفلت منهم إلا أقل من مائتى رجل .

قال : وحمل الكردوس الذى كان فى ميمنتهم على القاسم بن سهل ويُمْن الخادم ، فاستقبلوهم بالرماح فكسروها فى صدورهم وعانق بعضهم بعضا ، فقتلوا من الكفرة جماعة كبيرة . قال : وأخذ بنو شيبان منهم ثلاثمائة فرس[1] ومائة طوق فضّة ، وأخذ أصحاب خليفة بن المبارك منهم مثل ذلك ، وذكر فى كتابه أنه حمل هو عليهم فى القلب ، فمازال أصحابه يقتلون القرامطة — فرسانهم ورجّالتهم — أكثر من خمسة

(١) فى ك ، ت : فارس .

أميال ، وذكر فى كتابه أن الحسن بن زكرويه لم يشهد هذا المصاف وأنّه يشخص إليه إلى سلمية . قال الشريف رحمه الله : وكان الحسن ابن زكرويه - لما أحسّ بقرب الجيوش - عرض أصحابه ، وأخرج الأقوياء منهم عن الضعفة والسواد ، وأنفذ الجيش وتخلّف هو في السواد والضعفة ، فلما انهزم أصحابه ارتاع لذلك ورحل لوقته وسار خوفا من الطلب ، وتلاحق به من أفلت من أصحابه ، فخاطبهم بأنّهم أتوا من قبل أنفسهم وذنوبهم وأنّهم لم يصدقوا الله ، وحرّضهم على المعاودة إلى الحرب فلم يجبه منهم أحد إلى ذلك ، واعتلّوا بفناء الرجال وكثرة الجراح فيهم ، فلما أيس منهم قال لهم : قد كاتبنى خلق من أهل بغداد بالبيعة لى ، ودعاتى بها ينتظرون أمرى ، وقد خلت من السلطان الآن ، وأنا شاخص نحوها لأظهر بها ، ومستخلف عليكم أبا الحسين القاسم بن أحمد صاحبى ، وكتبى ترد عليه بما يعمل به فاسمعوا له وأطيعوا أمره فضمنوا له ذلك ، وشخص معه قريبه عيسى ابن أخت مهرويه المسمّى بالمدثّر وصاحبه المطوّق وغلام له رومىّ ، وأخذ دليلا يرشدهم إلى الطريق وساروا يريدون سواد الكوفة ، وسلك البرّ وتجنّب المدن والقرى ، حتى إذا صار قريبا من الدالية نفد زاده . فأمر الدليل فمال بهم إليها ، ونزل بالقرب منها خلف رابية ، ووجّه بعض من كان معه لابتياع ما يصلحه ، فلما دخلها أنكر زيّه بعض أهلها وساءله عن أمره فورى وتلجلج ، فاستراب به وقبض عليه وأتى به واليها ، وكان يعرف بأبى خُبْزَة يخلف أحمد بن كَشْمَرْد صاحب الحرب بطريق الفرات ، قال : والدالية قرية من عمل الفرات ، قال : فسأله أبو خبزة عن خبره ورهب عليه ، فعرّفه أن القرمطي ، الذى

خرج أمير المؤمنين المكتفى بالله فى طلبه ، خلف رابية أشار إليها ، فسار أبو خبزة إلى ذلك الموضع ومعه جماعة بالسلاح حتى أشرف عليهم ، فأخذهم وشدّهم وثاقا وتوجه بهم إلى صاحبه ابن كُشْمرد ، فسار بهم إلى المكتفى وهو يومئذ بالرقّة ، فأمر أن يشهّروا بها ففُعل بهم ذلك ، وألبس الحسن بن زكرويه درّاعة ديباج وبرنس من حرير وهو على بختىّ ، والمدثّر والمطوّق على جملين عليهما درّاعتا ديباج وبرانس حرير ، وهم بين يديه ، وذلك فى يوم الأربعاء لأربع بقين من المحرم سنة إحدى وتسعين ومائتين .

قال : وقدم محمد بن سليمان الكاتب الرقّة والجيوش معه ، بعد أن تتبّعوا ما بقى من القرامطة فأسروا وقتلوا ، فخلف المكتفى بالله عساكره مع محمد بن سليمان بالرقّة ، وشخص فى خاصّته وغلمانه وتبعه وزيره القاسم بن عبيد الله إلى بغداد ، وحمل القرمطى وأصحابه معه ومن أسر فى الوقعة ، وذلك فى أول يوم من صفر سنة إحدى وتسعين ومائتين ، فلما صار إلى بغداد عمل له دميانه غلام يا زمان كرسيّا سمكه ذراعان ونصف ، وركّبه على فيل وأركبه عليه ودخل المكتفى بالله وهو بين يديه مع أصحابه الأسرى ، عليهم دراريع الديباج والبرانس والمطوّق فى وسط الأسرى على جمل ، وهو غلام حدث قد جعل فى فيه خشبة مخروطة قد شدّت إلى قفاه كاللجام ، وذلك أنّهم فى وقت دخولهم الرقّة أكثر الناس الدعاء عليهم ، فكان هو يشتم الناس الذين يدعون عليهم ويبصق عليهم ، وكان دخولهم كذلك لليلتين خلتا من شهر ربيع الأول من هذه السنة .

قال : فلما وصل المكتفى إلى داره حبسهم ووكل بهم ، ووصل محمد بن سليمان بعد ذلك على طريق الفرات فى الجيش ، وقد تلقّط بقايا القرامطة من كل وجه ، فنزل بباب الأنبار فى ليلة الخميس لاثنتى عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأوّل من السنة ، فأمر المكتفى القوّاد وأصحاب الشرط بتلقّيه والدخول معه ، فدخل محمد بن سليمان فى زى حسن ومعه بين يديه نيّف وسبعون أسيرا ، وخلع الخليفة على محمد بن سليمان وطوّقه بطوق من ذهب ، وسوّره بسوار من ذهب ، وخلع على جميع القوّاد وطوّقوا وسوّروا ، وحبس الأسرى وكان المكتفى بالله وقت دخوله أمر أن تبنى له دكّة فى المصلّى العتيق من الجانب الشرقى ، مربّعة ذرعها عشرون ذراعا فى مثلها وارتفاعها عشرة أذرع يصعد إليها بدرج ، فلما كان يوم الاثنين لأربع بقين من شهر ربيع الأول أمر المكتفى القوّاد وجميع الغلمان وصاحب جيشه محمد ابن سليمان وصاحب شرطته أن يحضروا هذه الدكّة ، فحضروها وصعد الوجوه ووقف الباقون على دوابّهم ، وخرج التجّار والعامّة للنظر وحملوا الأسرى كلّهم مع خلق كثير منهم كانوا بالكوفة وحملوا إلى بغداد وغيرهم ممّن حمل ممّن كان على مذهبهم ، فأحضر جميعهم على الجمال وقتلوا جميعا وعدّتهم ثلاثمائة وستون وقيل ثلاثمائة ونيّف وعشرون ، وقدم الحسن بن زكرويه وعيسى ابن أخت مهرويه . وهما زميلان ، على بغل فى عماريّة ، قد أرسل عليهما أغشية ، فأصعدا إلى الدكّة وأقعدا ، وقدم أربعة وثلاثون إنسانا من الأسرى من وجوه القرامطة ، ممّن عرف بالنكاية والعداوة للإسلام والكلب على سفك الدماء واستباحة النساء وقتل الأطفال ، وكان كل واحد منهم

يبطح على وجهه فتقطع يده اليمنى ويرمى بها إلى أسفل ليراها الناس ، ثم تقطع رجله اليسرى ،ثم يده اليسرى ،ثم رجله اليمنى ويرمى بها إلى أسفل ثم تضرب عنقه ويرمى به إلى أسفل ،فلما فرغ منهم قدّم المدثر ففعل به مثل ذلك ثم كوى ليعذب ثم ضربت عنقه ،ثم قدم الحسن بن زكرويه فضرب مائتى سوط. ثم قطعت يداه ورجلاه وكوى وضربت عنقه ، ورفع رأسه على خشبة ، وحملت الرؤوس فصلبت على الجسر ، وصلب بدن الحسن فمكث مصلوبا نحوا من سنة ، ثم سقط عليه حائط. ودفنت أجساد الأسرى عند الدكة ، وهدمت بعد أيام .

قال الشريف : ومن كتب اللعين الحسن بن زكرويه إلى بعض عمّاله :

بسم الله الرحمن الرحيم ، من عبد الله المهدى المنصور الناصر لدين الله ، القائم بأمر الله ، الداعى إلى كتاب الله ، الذابّ عن حريم الله ، المختار من ولد رسول الله ، أمير المؤمنين وإمام المسلمين ، ومذل المنافقين ، وقاصم المعتدين ، ومبيد الملحدين ، وقاتل القاسطين ، ومهلك المفسدين ، وسراج المتبصرين ، ومشتت المخالفين ، والقيم بسنة المرسلين ، وولد خير الوصيّين صلى الله عليه وعلى آله الطيّبين وسلّم - كتاب إلى جعفر [١] بن حميد الكردى ، سلام عليك ، فإنى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو ، وأسأله أن يصلى على محمد [٢] جدّى رسول ، أما بعد : فقد أنهى إلينا ما حدث قبلك من

(١) فى ك ،ت : حميد بن جعفر الكردى .
(٢) فى ك، ت : ... جدى محمد ...

أخبار أعداء الله الكفرة ، وما فعلوه بناحيتك من الظلم والعبث والفساد فى الأرض فأعظمنا ذلك [١] ، ورأينا أن ننفذ إلى هناك من جيوشنا من ينتقم الله به ،من أعدائنا الظالمين الذين يسعون فى الأرض فسادا فأنفذنا جماعة من المؤمنين [٢] إلى مدينة حمص ونحن فى أثرهم ، وقد أوعزنا إليهم فى المصير إلى ناحيتك ، لطلب أعداء الله حيث كانوا ونحن نرجو أن يجزينا الله فيهم على أحسن عوائده عندنا فى أمثالهم ، فينبغى أن يكون [٣] قلبك وقلوب من اتبعك من أوليائنا ، وتثق بالله وبنصره الذى لم يزل يعوّدنا فى كل من مرق [٤] من الطاعة وانحرف عن الإيمان ، وتبادر إلينا بأخبار الناحية وما يحدث فيها ، ولا تخف عنّا شيئا من أمرها .

سبحانك اللهم وتحيّتهم فيها سلام وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على جدى رسوله وعلى أهل بيته وسلم كثيرا.

وكان عمّاله يكاتبونه بمثل هذا الصدر . قال ابن الأثير [٥] :

وكان قد نجا من أعيان القرامطة رجل من بنى العليص يسمى إسماعيل ابن النعمان فى جماعة معه ، فكاتبه المكتفى بالله وبذل له الأمان ، فحضر فى نيّف [٦] وستين نفسا ، فأحسن الخليفة إليهم وسيّرهم إلى رحبة مالك بن طوق مع القاسم بن سيما ،فأقاموا معه مدّة وعزموا على

(١) فى ك، ت : لذلك .
(٢) فى ث : المسلمين .
(٣) فى كنز الدرر ص ٧٨ واتعاظ الحنفا ص ٢٣١ : بأن تشد قلبك .
(٤) فى ك، ت : مرت .
(٥) راجع الكامل جـ ٧ ص ٣٦٧
(٦) فى الكامل جـ ٧ ص ٣٦٧ : مائة ويؤيد المخطوطات الطبرى جـ ١٤ ص ٢٢٤٧

إنشاء فتنة بالرحبة ، وكان قد انضم إليهم جماعة كثيرة ، فشعر بهم القاسم فقتلهم فارتدع من كان قد بقى من موالى بنى العليص ، وذلّوا ولزموا السماوة حتى جاءهم كتاب من زكرويه بن مهرويه ، يذكر لهم أن ممّا أوحى إليه أن صاحب الشامة وأخاه يقتلان ، وأن إمامه ، الذى هو حى ، يظهر بعدهما ويظفر .

ذكر خبر ارسال زكرويه بن مهرويه محمد بن عبد الله الى الشام وماكان من امره الى ان قتل

كان الحسن بن زكرويه قد خلف القاسم بن أحمد المكنى بأبى الحسين خليفة على من بسلمية من أصحابه كما قدّمنا ، فقدم سواد الكوفة إلى زكرويه فأخبره بخبر القوم ، الذين استخلفه عليهم ابنه الحسن أنهم اضطربوا عليه ، وأنه خافهم وتركهم وانصرف ، فلامه زكرويه على قدومه لوما كثيرا ، وقال له : ألا كاتبتنى قبل انصرافك إلىّ ، ووجده على ما به تحت خوف شديد من طلب السلطان من وجه وطلب أصحاب عبدان الذى كان قد تسبّب فى قتله من وجه آخر ثم إنّ زكرويه أعرض عن القاسم وأنفذ رجلا من أصحابه ، كان يعلم الصبيان بالزابوقة [1] يقال له محمد بن عبد الله بن سعيد [2] المكنى أبا غانم فى سنة ثلاث وتسعين ومائتين فتسمى نصرا ، وأمره أن يتوجّه إلى أحياء كلب ويدعوهم ، فدار أحياء كلب ودعاهم فلم يقبله

(١) فى الكامل حـ٧ ص ٣٧٤ : الرافوقة ويؤيد المخطوطات الطبرى حـ١٤ ص ٢٢٥٦

(٢) فى تاريخ الطبرى حـ١٤ ص ٢٢٥٦ والكامل حـ٧ ص ٣٧٤ : عبد الله بن سعيد والمخطوطات أدق لأنها تنقل من مصادر شيعية .

إلا رجل من بنى زياد يعرف بمقدام بن الكيّال ، ثم استجاب له طوائف من الأصبعيين الذين يعرفون بالفواطم ،وقوم من بنى العليص وصعاليك من بنى كلب ، فسار بهم نحو الشام ، وعامل المكتفى بالله يومئذ على دمشق والأردنّ أحمد بن كَيْغَلَغ ، وهم بنواحى مصر على حرب إبراهيم الخليجى ، وكان قد خالف كما قدّمنا ذكر ذلك ، فاغتنم محمد بن عبد الله بن سعيد غيبته فصار إلى مدينتى بُصْرَى وأذرعات فحارب أهلها ثم أمّنهم فلما استسلموا قتل مقاتلتهم وسبى ذراريهم وأخذ جميع أموالهم ،وسار نحو دمشق فخرج إليه صالح بن الفضل خليفة ابن كيغلغ فيمن معه ، فأثخنوا فيهم وظفروا عليهم ثم غرّوهم ببذل الأمان ، فقتلوا صالحا وعسكره وقصدوا دخول دمشق فدفعهم عنها أهلها فانصرفوا إلى طبريّة ، ولحق بهم جماعة من الجند ممّن سلم بدمشق ، فواقعهم يوسف بن ابراهيم ، عامل ابن كيغلغ على الأردن ، فهزموه ، وبذلوا له الأمان ثم غدروا به فقتلوه ونهبوا طبريّه وقتلوا وسبوا النساء ، فأنفذ المكتفى الحسين بن حمدان فى طلبهم مع وجوه من القوّاد ، فدخل دمشق وهم بطبريّة ، فلما علموا بذلك عطفوا نحو السماوة ، وأتبعهم الحسين بن حمدان فى البريّة ، فأقبلوا ينتقلون من ماء إلى ماء يغورون ما يرتحلون عنه من الماء ، فلم يزالوا على ذلك حتى وردوا الماءين المعروفين بالدِمْعَانة والحالّة ، فانقطع عنهم لعدم الماء فمال نحو رحبة مالك بن طوق ، وأسرى عدو الله حتى وافى هيت وهم غازون وذلك لتسع بقين من شعبان سنة ثلاث وتسعين ومائتين ، طلوع الشمس ، فنهب ربض هيت والسفن التى فى الفرات وقتل نحو مائتى إنسان ، وأقام هناك يومين والقوم

متحصّنون ، ثم رحل بما أخذه وبمائتي كُرّحنطة إلى نحو الماعين وبقيّة أصحابه هناك ، فلما اتصل الخبر بالمكتفي أرسل إلى هيت محمد بن إسحاق بن كنداجيق ومعه جماعة من القوّاد في جيش كثيف ، ثم أتبعه بمؤنس الخادم (١) ، فنهض محمد بن إسحاق نحوهم فوجدهم قد غوّروا المياه ، فأنفذ إليه من بغداد بالروايا والقرب والمزاد ، وكتب إلى الحسين بن حمدان بالنفوذ إليهم من الرحبة ، فلما أحسّوا بذلك إئتمروا بصاحبهم نصر ، فوثب عليه رجل من أصحابه يقال له الذيب بن القائم فقتله ، وشخص إلى بغداد متقرّبا بذلك ومستأمنا ، فأسنيت له الجائزة وكُف عن طلب قومه بقتل محمد هذا ، فمكث أياما ببغداد وهرب ، ثم إن طلائع محمد بن كنداجيق ظفرت برأس محمد المقتول هذا ، فحمل إلى بغداد .

قال : ثم إن قوما من بني كلاب أنكروا ما فعله الذيب من قتل محمد ، ورضيه آخرون فتحزّبوا أحزابا ، فاقتتلوا قتالا شديدا حتى كثرت القتلى بينهم ثم افترقوا ، فصارت الفرقة التي رضيت قتله إلى ناحية عين التمر ، وتخلف من كره قتله على الماء الذي كانوا ينزلون عليه ، واتصل الخبر بزكرويه بن مهرويه فردّ القاسم إليهم .

(١) في تاريخ الطبري ج١٤ ص ٢٢٥٨ : الخازن .

ذكر ارسال زكرويه بن مهرويه القاسم بن أحمد ودخوله الكوفة وماكان من امره

قال : ولما اتّصل الخبر بزكرويه كان القاسم بن أحمد عنده ، فردّه إليهم لمعرفتهم به ، فلما ورد عليهم جمعهم ووعظهم ، وقال : أنا رسول وليّكم وهو عاتب عليكم فيما أقدم عليه الذيب بن القائم ، وأنكم قد ارتددتم عن الدين ، فاعتذروا وحلفوا ما كان ذلك بمحبّتهم ، وذكروا ما جرى بينهم وبين أهلهم من الخلف والقتل والبعد بهذا السبب ، فقال لهم : قد جئتكم الآن بما لم يأتكم به أحد تقدّمنى ، وليّكم يقول لكم : قد حضر أمركم وقرب ظهوركم ، وقد بايع له من أهل الكوفة أربعون ألفا ومن أهل سوادها أكثر ، وموعدكم اليوم الذى ذكره الله ، يوم الزينة وأن يحشر الناس ضحى ، فأجمعوا أمركم وسيرو إلى الكوفة ، فإنه لا دافع لكم عنها ، ومنجز وعدى الذى جاءتكم به رسلى ، فسرّوا بذلك سرورا كثيرا وارتحلوا نحو الكوفة ، فلما وردوا إلى القُطْقُطَانَة ، وهى قرية خراب فى البرّ ، بينها وبين الكوفة ستة وثلاثون ميلا ، وذلك يوم الأربعاء قبل يوم عرفه بيوم من سنة ثلاث وتسعين ومائتين ، خلّفوا بها الخدم والأموال ثم أمرهم أن يلحقوا به عين الرحبة على ستة أميال من القادسية ، ثم شاور الوجوه من أصحابه فى أى وقت يأتى الكوفة ؟ فقال قائل ليلا فلا يتحرك أحد إلا قتلناه ، ويخرج إلينا واليها فى قلة فنأخذه ونقتله ، وقال آخر : نمهل إلى أن ندخلها عشاء فى يوم العيد ، والجند سكارى والبلد خال ، فنقصد باب إسحاق وهو غافل فنأخذه ونقف على بابه ، فلا يأتينا أحد إلا

قتلناه ، فإنهم لا يأتونا إلا نفر بعد نفر ، وكانت شحنة الكوفة يومئذ سبعة آلاف رجل ، إلا أن المقيم بالكوفة يومئذ أربعة آلاف من الدميانية والمصريين وغيرهم ، والناس فيها أحياء [١] والبلد على غاية الاجتماع والحسن وكثرة الناس ، وقال آخرون : نسير ليلتنا ثم نكمن في النجف فى شعابه فنريح الخيل والإبل وننام ، ونركب عمود الصبح فنشنّها غارة على أهل المصلّ ، وقد نزل الجند للصلاة وركب غلمانهم الدوابّ ، ونضع السيف وجل أهل البلد هناك ، فقال اللعين : هذا هو الرأى ، فركبوا وساروا حتى حصلوا فى بعض المواضع فناموا ، فلم يوقظهم إلا مسّ الشمس يوم العيد ، لطفاً من الله تعالى بالناس ؛ قال : وقد كان أحد ما شغلهم أنهم اجتازوا بقوم من اليهود يدفنون ميتا لهم بالنُّخَيْلَة ، فشغلهم قتلهم فلم يصلوا إلى الكوفة إلا وقد صلى إسحاق بن عمران بالناس [٢] العيد ، وانصرف والناس متبدّدون فى ظاهر الكوفة ومنهم من قد انصرف ، ولاسحاق بن عمران [٢] طلائع تتفقد ، وكان ذلك لأمور قد أرجف الناس بها فى البلد ، من فتن تحدث من غير جهة القرامطة ، وقيل كانت عدّتهم ثمانمائة فارس وأربعمائة راجل : وهم يقاتلون على طمع وشبهة ، فأقبلوا يقدمهم هذا المكنى بأبي الحسين . قال : وكان أحد الألطاف أنّ إسحاق بن عمران قد أحدث مصلّى بالقرب من طرف البلد فصلى فيه ؛ وكان الرجوع منه إلى البلد سهلا ، فقصدت القرامطة المصلى العتيق ، على ما كانوا يقدرون من اجتماع الناس فيه ، فلم يصادفوا فيه أحدا ،

---

(١) فى ك ، ت : أحياء .
(٢) ساقط من ت

فأقبلت خيل منهم من تلك الجهة ، فدخلوا الكوفة من يمينها ، فوضعوا السيف حتى وصلوا إلى حبسها ففتحوه ، وقتلوا كثيرا من الناس وأخرجوا خلقا ، فارتجت الكوفة وخرج الناس بالسلاح ، وتكاثر الناس على من دخل الكوفة من القرامطة ، فقذفوهم بالحجارة فقتل منهم جماعة ، وأقبل جل القوم نحو الخندق فقتلوا ناسا ، وناوشهم طوائف من الجند تخلفوا بالصحراء وبعض ما كان أنفذ إسحاق بن عمران طليعة ، فقتلوا بعضهم وأفلت بعضهم إلى البلد ، وكان إسحاق بن عمران قد انصرف فى أحسن زى وأجمله ، فلما صار قرب داره تفرّق الجيش عنه إلا خواصا ، كان قد عمل لهم سماطا فى داره ، فلما سار فى بعض الطريق لحقه فارس من بنى أسد على فرس له بلقاء ، قد طعنت فى عنقها ودمها سائل على كتفها إلى الحافر ، فشق الجند وزاحم غلمانه وجاوز إسحاق بن عمران ، ثم قلب رأس فرسه إليه فوقف له ، فقال : جاءتنا أيها الأمير خيل من الأعراب ، فقتلت وسلبت وخرجت إلى الصحراء ، فلما رددناهم طعنت فرسى ، فقلب إسحاق بن عمران فرسه راجعا ، وأمر بإخراج الجند نحو الخندق ، وبين يدى إسحاق بن عمران نحو من ستين راجلا ، ومعه غلمانه ونفر يسير من الجند ، حتى إذا صار عند قصر عيسى بن موسى ومعه أبو عيسى صالح بن على بن يحيى الهاشمى يسايره فالتفت إليه ، وقال : خذ هؤلاء الرجّالة وامض إلى قنطرة بنى عبد الوهاب — وهى إحدى قناطر الخندق — فاكشفها ، فأخذهم ومضى ، وتقدّم إلى عبد الله الحسين بن عمر العلوى أن يدور فى البلد ويسكّن الناس ، فدار وعليه السواد فسكن الناس ، وخرج كثير

من الناس بالسلاح ، وتفرّق من دخل الكوفة من القرامطة لمّا رماهم أهلها ، وقتل بعض القصابين رجلا منهم بساطور ، وكان فيمن تفرّق منهم رجل من كلب يعرف بالمُقَلْقَل ، وهو أحد رجالهم وشجعانهم فى جمع معه ، فأفضى به الطريق إلى دار عيسى بن على ، فاقيهم أحد الفرسان من الجند يعرف بالوردانى ، قد ركب لمّا سمع الصيحة ، فلم يشك أنهم من الجند لما رأى من كثرة الجواشن عليهم والدروع ، فقال لهم : سيروا يا أصحابنا ، فأمسكوا عنه حتى توسّطهم ثم عطفوا عليه بالسيوف فقتلوه ، وأخذوا دابّته وساروا نحو الخندق للقاء أصحابهم ، فلما صاروا بالصحراء من الكوفة نظر إليهم أبو عيسى ، فلم يشك أنهم من أصحاب السلطان ، ثم نظر إليهم وقد لقوا جماعة من العامّة ، فأقبلوا يسلبونهم ، فتبيّن أمرهم فحمل عليهم فعدلوا عن سلب أولئك ، وحمل فارسهم المقلقل - وكان رجلا عظيما جسيما - وفى يده سيف عريض ، فالتقى هو وأبو عيسى فطعنه أبو عيسى تحت ثندوته [(١)] فصرعه ، فحذفه المقلقل بالسيف فأصاب جحفلة [(٢)] فرسه فعقره ، وأمر أبو عيسى بعض الرجّالة فاحتزّ رأسه ووجّه به إلى إسحاق بن عمران ، وقد رفع رأسه ، فكان ذلك أحد ما كسرهم ؛ قال : واجتمعت الخيل والرجّالة فقاتلهم إسحاق بمن معه - وليسوا بالكثيرين - قتالا شديدا ، فى يوم صائف شديد الحرّ طويل إلى الزوال ، وخرج الناس من العامّة فانصرف القرامطة مكدودين

---

(١) فى ك : ملوية ، وفى ا : سلوبه دون نقط ، وفى ت : سلوته ، قال ثعلب : الثندوة بفتح أوله غير مهموز مثال الترقوة والعرقوة على فعلوة وهى مغرز الثدى (لسان العرب) .

(٢) الجحفلة بمنزلة الشفة للخيل والبغال والحمير (القاموس المحيط) .

فنزلوا الغدير على ميلين من الكوفة وارتحلوا عشيا نحو سوادهم ، واجتازوا بالقادسية ، وقد وصل إليهم رسول إسحاق بن عمران ، فحذّرهم أمرهم يعنى حذّر أهل القادسيّة ، وعرف يومئذ صبر إسحاق ابن عمران على حملاتهم وتشجيعه لأصحابه .

قال : وأخرج إسحاق بن عمران مضاربه بظاهر الكوفة ، وخرج إليه أصحابه فعسكر ، وبات الناس بالكوفة على غاية الجزع والتحارس ونصب الحجارة على الأسطحة ؛ قال : ولما وصلت القرامطة إلى عين الرحبة وكانوا قد خلّفوا سوادهم هناك ، فرحلوهم وساروا بهم فنزلوا عينا بسرّة العُذَيب تعرف بعين عبد الله ، ثم رحلوا فنزلوا قرية تعرف بالصوّان على نهر هِد من سواد الكوفة ، ثم مضى أبو الحسين إلى قرية تعرف بالدرنه[1] على نهر زياد من سواد الكوفة ، فخرج إليه بها زكرويه وكان من أمره ما نذكره .

ذكر ظهور زكرويه بن مهرويه وقتاله عساكر الخليفة وأخذه الحاج وماكان من أمره الى أن قتل

كان ظهور زكرويه بن مهرويه فى سنة ثلاث وتسعين ومائتين ، وذلك أنّه لما وصل القاسم بن أحمد إلى الدرنة خرج زكرويه إليه

(١) درنا : قيل كانت بابا من أبواب فارس دون الحيرة بمراحل . قال ياقوت فى معجم البلدان حـ٢ ص٥٧٠ طبع أوروبا : درتا بالتاء فى أرض بابل ودرنا بالنون باليمامة ، على أن صاحب مراصد الاطلاع على اسماء الأمكنة والبقاع والذى يعتمد على ياقوت الحموى ذكر الوجه الأول ولم يذكر الوجه الثانى راجع مجلد ١ ص ٣٩٩ ، وفى تاريخ الطبرى حـ١٤ ص ٢٢٦٤ والكامل حـ٧ ص ٣٧٦ : الدرية بالياء ، والمظنون أن نقل المخطوطات أصح أى أنها بالنون هذا وقد أعادت ذكرها بالنون أيضا .

منها ، وكان بها مستترا كما ذكرنا فيما تقدّم ، فقال القاسم للعسكر : هذا صاحبكم وسيّدكم ووليّكم الذى تنتظرونه ، فترجّلوا بأجمعهم وألصقوا خدودهم بالأرض ، وضرب لزكرويه مضرب عظيم وطافوا به وسرّوا سرورا عظيما ،واجتمع إليه أهل دعوته من أهل السواد فعظم جيشه جدا ،وكان إسحاق بن عمران قد كتب إلى العباس بن الحسن[1] وزير المكتفى- يخبره خبر القرامطة ومهاجمتهم على الكوفة وما كان من خبرهم ، وأثنى على من عنده من الجند وذكر حسن بلائهم ، فلما وصل إليه الكتاب قلق له ، وشاور بعض أصحابه فى لقاء الخليفة المكتفى بالله بذلك ، فأشار عليه بتعجيله بذلك ، فقال الوزير : كيف ألقاه بهذا مع ما يحتاج إليه من الأموال ولعهدى به ، وقد ناظرنى منذ يومين فى دينار واحد ، ذكر أنّه فضل بقيّة نفقة رفعت إليه ، فقال له صاحبه : أيها الوزير إنْ أسعفك وإلا ففى أموال خدمك وأسبابك فضل فوظّفها علينا ، وتنفق فيها ، فقال : فرّجت ، والله - عنىّ ، ثم لبس ثيابه وأتى إلى المكتفى بالله فدخل عليه فى غير وقت الدخول فعرّفه الخبر ، فقال له المكتفى : كأنّك يا عباس قد قلت : كيف أخبر أمير المؤمنين بمثل هذا وقد ناظرنى فى دينار فضل نفقة ! فقال : قد كان ذاك يا أمير المؤمنين ، قال : إنّما جرى ذلك لمثل هذا ، فلا تبخل بمال فى مثل هذا ، وأباحه الأموال والإنفاق فى

(١) فى ك ، ت : الحسين ، وقد ذكرت المخطوطتان الاسم بعد ذلك صحيحا ، ويؤيده الطبرى ١٠ ص ٢٢٦٨ .

الرجال ليلا ونهارا ، فأنفذ الوزير جَنِيّ [1] الصفوانى ومباركا القمّى ونحرير العمرى ورائقا وطائفة من الغلمان الحُجرية وجماعة من القوّاد فى جيش عظم ، فوصل أوائلهم فى اليوم السادس من يوم النحر ، فركب إليهم إسحاق بن عمران وذكر لهم قوّة من لقى من القرامطة ، وأنّه قد مارسهم ، وحذّرهم أن يغتروا بهم ، وقال لهم : سيروا إلى القادسيّة فإنّ بينكم وبينها مرحلة ، وإذا صرتم بها فأريحوا واستريحوا وتجمّعوا ، ثم سيروا إليهم وطاولوهم ونازلوهم فإنّ الظفر يرجى بذلك فيهم عندى ، ولا ترموا بأنفسكم عليهم فإنّهم صبر غير أنكال ، فقال له بشر الأفشينى : إن رأيناهم كفيناك القول يا أبا يعقوب ، إنما نخشى أن يهربوا ، فدعا لهم بالنصر ورحلوا نحو القادسيّة ، فباتوا بها ليلة ورحلوا فى آخرها إلى الصِوّان ، وبين الموضعين نحو العشرة أميال ، ورحلوا بالأثقال والفهود والبزاة وهم على غير تعبئة مستخفّين بهم ، فأسرعوا السير ووصلوا وقد تعب ظهرهم وقلّ نشاطهم وقد عمد القرامطة فضربوا بيوتهم إلى جانب جرف عظيم لنهر هناك وأثقالهم مما يلى البيوت ، والرجّالة فى أيديهم السيوف ، وقتالهم من وجه واحد صفا واحدا قدّام البيوت بقدر نصف غلوة ، والفرسان جلوس خلف الرجّالة ، فلما تراءى الفريقان ركب الفرسان وافترقوا فصاروا جناحين للرّجالة ، وحملوا على الناس فصدقوهم الحملة فانكفأوا راجعين ، وتلاقى الرجّالة من الفريقين ، فأتت رجّالة العسكر على رجّالة القرامطة وألجأوهم إلى البيوت ، وأقبلت الفرسان فنظروا إلى

---

(١) فى تاريخ الطبرى جـ١٤ ص ٢٢٦٥ : جنا وهو خطأ نجده مصححاً فى صلة تاريخ الطبرى لعريب بن سعد أخبار سنة ٣١٢هـ مطابقا للمخطوطات .

الرجّالة ينهبون بيوتهم ، فترحّلوا وحمّلوا خيلهم الأمتعة ، وكانت القرامطة فى مجنبات الناس لما رأوا من صدق القتال ، فلما رأوا الناس قد حمّلوا الدواب والجمازات وتشاغلوا حملوا على الجمازات والبغال بالرماح ، فأقبلت لا يردّها شىء عن الناس تخبطهم ، فانهزم الناس ووُضع السيف فيهم ، وقتل الأكثر وتبع الأقل نحو القادسيّة وفيهم مبارك القمّى ، فتقاءوا ثلاثا يجمعون السلب والأسرى ، وجمع زكرويه الآلة والمتاع والأثاث والجمازات ، فقيل إنّه أخذ ثلاثمائة جمل وخمسمائة بغل ممّا كان للسلطان سوى ما أُخذ للقواد ، وقيل إنّه قتل ألفا وخمسمائة رجل ، فقوى أصحابه جدا ، ودخل الكوفة فلول الجيش عراة .

ورحل زكرويه يريد الحاج وبعث دعاته إلى السواد ، فلم يلحق به فيما قيل إلا النساء والصبيان ، قال : ولما وقف الخليفة على صورة الأمر عظم عليه وعلى الناس وخافوا على الحجّاج ، فأنفذ المكتفى بالله محمد بن إسحاق بن كنداج لحفظ الحاج وطلب زكرويه ، وضمّ إليه خلقا عظيما وجماعة من القوّاد ونحو ألفى رجل من بنى شيبان واليمن وغيرهم ، وكان زكرويه قد نزل على عين [1] الزبيديّة ، ثم نزل على أربعة أميال من واقصة ، فوافت القافلة لست أو سبع خلت من المحرم من سنة أربع وتسعين ومائتين ، فأنذرهم أهل المنزل بالقرامطة فلم يتزلوا وطووا ، فنجّاهم الله عزّوجلّ ، وكان

---

(١) فى المخطوطات مرسومة هكذا الحرصبه، وبمراجعة منازل الحجاج من العراق إلى مكة نجد الزبيدية ويقول عنها ياقوت الحموى فى معجم البلدان جـ٢ ص ٩١٧ (ط أوروبا) : اسم بركة بين المغيثة والعذيب وبها قصر ومسجد .

معهم من أصحاب السلطان الحسن بن موسى وسما الابراهيمى ، فلما وافى زكرويه واقصة تعرّف الخبر فعرف أنهم قد حذّروهم ، فقتل جماعة من أهل المنزل ونهب وأحرق الحشيش وتحصّن الباقون منه ، ورحل فلقيته الخراسانية من الحجّاج على الأرض البسيطة التى تخرج منها حجارة النار ، يوم الأحد لإحدى عشرة ليلة خلت من المحرم ، وليس معهم أحد من أصحاب السلطان ، فرشقوا القرامطة بالنشّاب وقد أحاطوا بهم فانحازوا عنهم ، ثم تقدّم إلى الحاج جماعة منهم فسألوهم : هل فيكم سلطان ، فإنّا لا نريدكم ؟ فقالوا لهم : لا ، إنما نحن قوم حجّاج ، فقال لهم زكرويه : امضوا ، فرحلوا وأمهلهم حتى ساروا ثم قصدهم ، يبعج الجمال بالرماح حتى كسر بعضها بعضا واختلطت ، ووضع السيف فقتل خلقا عظيما واستولى على الأموال .

وقدم محمد بن إسحاق بن كنداج الكوفة ثم رحل إلى القادسية فلما وقف على خبر مسيرهم نحو واقصة أنفذ علّان بن كُشْمَرْد فى خيل جريدة ، حتى لقى فلّ الخراسانيّة فأشاروا عليه أن يلحق الحاج فإنّ القافلة الثانية تنزل العقبة الليلة أو من غد ، فحُثّ حتى تسبق إليها فتجتمع أنت ومن فيها على قتال الكفرة ، الله الله فى الناس أدركهم ، فرحل راجعا نحو القادسية وقال : لا أغرّر برجال السلطان للقتل ، فلقى بعد ذلك من المكتفى شرا ؛ وورد زكرويه العقبة يوم الاثنين لاثنتى عشرة ليلة خلت من المحرم وفى القافلة مبارك القمّى وأحمد ابن نصر الديلمى وأحمد بن على الهمذانى ، وقد كانت كتب المكتفى اتصلت إلى أمراء القافلة الثانية والثالثة مع رسله ، يأمرهم أن يتجنّبوا الطريق ويرجعوا إلى المدينة ، ويأخذوا على طريق البصرة أو غيرها

فلم يفعلوا ذلك ، ولما التقوا اقتتلوا قتالا شديدا فكانت الغلبة لأصحاب السلطان حتى لم يشكُّوا فى ذلك ، ثم خرج اللعين زكرويه إلى آخر القافلة وقد رأى خللا هناك ، فعمل فى الجمال كما عمل فى جمال الخراسانية ، وقتل سائر الناس إلا يسيرا استعبدهم أو شريدا ، ثم أنفذ خيلا فلحقت من أفلت من أوائل القوم حتى ردّوهم إليه ، فقتلهم وأخذ النساء وجميع ما فى القافلة ، وقتل مباركا القمّى ومظفّراً ابنه وأسر أبا العشائر ، فقطع يديه ورجليه وضرب عنقه ، وأطلق من النساء ما لا حاجة له فيها ، ووقع بعض الجرحى بين القتلى حتى تخلّصوا ليلا ، ومات كثير من الناس جوعا وعطشا ، وورد من قدّم من الناس يخبرون أن نساء القرامطة كنّ يطفن بين القتلى فيقلن : عزيز علينا ، من يرد ماء نسقيه ، فإن كلّمهنّ جريح مطروح أجهزن عليه ، قال : ويقال إنّ جميع القتلى كانوا نحوا من عشرين ألفا ، وأخذ من الأموال ما لا يحصى كثرة .

قال : ولما اتصل خبر القافلتين بمدينة السلام جاء الناس من ذلك ما شغلهم ، وتقدّم السلطان باخراج المال وإزاحة العلل ، وأخرج العباس بن الحسن ومحمد بن داود الجرّاح الكاتب المتولى دواوين الخراج والضياع بالمسير إلى الكوفة لانقاذ الجيش منها ، وحمل معه أموالا عظيمة ، وقال : كلّما قرب نفاد ما معك كاتبنى لأمدّك بالأموال ، وخرج إليها يوم الثلاثاء لإحدى عشرة ليلة بقيت من المحرم ، وقدّم خزانة سلاح جعلها بالكوفة فمازالت بقاياها هناك إلى أن أخذها الهجَرىّ . قال : ثم رحل زكرويه يريد القافلة الثالثة فلم يدع ماء فى طريقه إلا طرح فيه جيف الموتى ، ونزل زُبالة فقتل من

بها من التجار ، ونهب الحصن وبث الطلائع خوفا من لحوق عسكر السلطان به ، فلما أبطأت القافلة عليه فنزل الشُّقُوق ثم نزل فى رمل يقال له الهَبِير والطليح ، وأقام ينتظر القافلة وفيها من القوّاد نُفَيْس المُوَلَّدى ،وعلى ساقتها صالح الأسود ومعه الشَّمْسَة ، وكان المعتضد جعل فيها جوهرا نفيسا ومعه الخزانة ، وكان فى القافلة من الوجوه إبراهيم (١) بن أبى الأشعث ، ومعه كاتبه المنذر بن إبراهيم وميمون ابن إبراهيم الكاتب وكان إليه ديوان الخراج ، والفرات بن أحمد ابن محمد بن الفرات ، والحسن بن إسماعيل قرابة العبّاس بن الحسن ، وعلى بن العبّاس النَّهيكى وغيرهم من الرؤساء ، وخلق من مياسير التجّار وفيها من المتاجر والرقيق ما يخرج عن الوصف ، وفيها جماعة من الأشراف منهم أبو عبد الله أحمد بن موسى بن جعفر وجماعة من أهله ، فأصاب بعضهم جراحات وأسر بقيّتهم ، فعرفهم بعض المولّدين من وجوه عسكره فأخبره بهم ، فخلّى لأبى عبد الله أحمد بن موسى وأهله الطريق ، ومكّنهم من جمال تحمّلوا عليها ، وكان أحمد بن موسى أحد من دخل بغداد وخبّر السلطان بأمرهم وجلالة حالهم ؛وأقاموا بفَيْد وقد اتّصل بهم أنّهم ينتظرون مددا من السلطان ففعل ابن كشمرد ما فعل من رجوعه إلى القادسيّة ولم ينجدهم ، فلمّا طال مقامهم نفذ ما فى المنزل وغلا السعر جدا ، وجلوا عن الأجفر والخزيميّة ثم الثعلبية ثم الهَبير ، فلم يستتم نزولهم حتى ناهضهم زكرويه فقاتلهم يومهم كلّه ؛ ثم باتوا على السواء ، ثم باكرهم فقاتلهم

---

(١) فى المخطوطات : إبراهيم بن الاشعث والتصويب عن الطبرى ج١٤ ص ٢٢٧٤

فبينما هم كذلك إذ أقبلت قافلة العُمرة ، وكان المعتمرون يتخلّفون للعمرة بعد خروج الحاج إذا دخل المحرّم ، وينفردون قافلة واحدة وانقطع ذلك من تلك السنة ، فاجتمع الناس وقاتلوهم يومهم ، ونفذ الماء وعطشوا ولا ماء لهم هناك ، وباتوا وزكرويه مستظهر عليهم ، ثم عاودوهم القتال حتى ملك القافلة ، فقتل الناس وأخذ ما فيها من حريم ومال وغير ذلك ، وأفلت ناس قليل قتل أكثرهم العطش ، ثم سار مصعدا نحو فيد فتحصّن منه أهلها ، فطاولهم فصبروا عليه ونزل منهم ثمانية عشر رجلا بالحبال من رأس الحصن ، فقاتلوا رجّالتهم قتالا شديدا وقد أسندوا ظهورهم بسور الحصن ، ورمى أهل الحصن بالحجارة ؛ قال : سمعت داود بن عتّاب الفيدى – وكان نبيلا صدوقا – قال : نزلنا إليهم نحو أربعين رجلا متّزرين بالسراويلات ، وقد كان لحقهم – لا أدرى – عطش قال أو جوع ، قال : فطردناهم فمالوا (١) إلى حصن يقرب منّا ، قد كان بيننا وبين أهله عداوة قديمة ، فأخذوا منهم الأمان ونزلوا ليفتحوا لهم ، فقال بعضنا لبعض : إن ظفروا به أخذوا منه ما يحتاجون إليه ، وعادوا إليكم ، قال : فطرحنا أنفسنا عليهم وأحسّ بذلك أهل الحصن فقويت قلوبهم ، وخرجوا فكشفناهم ، وتبعهم جماعة منّا فسلبوا منهم جمالا ، وكان ذلك سبب صلاحنا مع أصحاب الحصن .

قال الشريف : ولم يبق دار بالكوفة وبغداد والعراق إلا وفيها مصيبة وعَبرة سايلة وضجيج وعويل ، حتى قيل إنّ المكتفى اعتزل

(١) فى ك ، ت : فما زالوا .

النساء هما وغما ، قال : وخفى أمر زكرويه ، لا يُعلم أين توجه ، وقد كان أخذ ناحية مطلع الشمس ، فتقدّم المكتفى يتتبّع أحواله وإشحان البلدانَ – التى يخاف مصيره إليها – بالرجال ، وأنفذ وصيف ابن صوارتكين ولجُيْم بن الهيصم والقاسم بن سيما فى جيش عظيم بالميرة والزاد والمال والجمال ، لاستقبال الناس وإزاحة عللهم ، وتقدّم يطلب زكرويه حيث كان ، إلى أن وردت كتب أهل فيد بخبره ، فكوتب عند ذلك إسحاق [1] بن كنداج بأن يلزم القادسيّة ونواحى الكوفة بجيشه ، وكوتب لُجَيْم بالمسير إلى خَفَّان ومعارضة زكرويه حيث كان ، وأن ينفذ الطلائع والأعراب ويُرغّبوا فى تتبّع حاله حتى يعرف ، فجاءت الأخبار بما غلب على ظنهم ، أنه لم يخط ناحية البصرة وأنه يقصد الاجتماع مع أبى سعيد الجنّابى وهو المقدّم ذكره ، فاجتمع القوّاد وتشاوروا واستقبلوا طريقا يقال له الطريق الشامى ، ويقال له طريق الطَّف وهو بين الكوفة والبصرة ، وعملوا على المقام هناك ليكونوا بين الكوفة وواسط والبصرة ، فساروا مستدبرى القبلة مستقبلى البصرة يرتحلون من ماء إلى آخر ، حتى نزلوا يوم السبت لثمان بقين من شهر ربيع الأول سنة أربع وتسعين ومائتين ركيا فيه ماء بقرية خراب يقال لها صُمَاخ ، كان يسكنها على قديم الدهر قوم من ربيعة يقال لهم بنو عنزة ، وبين هذا الموضع وبين البصرة ثلاثة أيام ، فلقيهم قوم من الأعراب فخبّروهم أن القرامطة بالثَّنِىّ ، وهو موضع من ذى قار الذى كانت فيه وقعة العرب مع العجم فى أيام

(١) المعنى هو محمد بن اسحاق بن كنداجيق .

كسرى ، وهو واد كثير الماء العذب وبينه وبين صُماخ عشرة أميال ، فبات الجيش بصماخ وتراءت الطلائع فى عشى يومئذ ، ورحل زكرويه من غد وهو طامع بالظفر ، فالتقوا بقرية خراب يقال لها إرمَ ، بينها وبين النّبِيّ ثلاثة أميال ، وذلك يوم الأحد لسبع بقين من شهر ربيع الأول ، فاقتتلوا قتالا شديدا صبر فيه الفريقان جميعا ، ثم انهزم كرويه فقتل الجيش أكثر من معه ، وأسر خلق كثير منهم وأفلت صعاليك من العرب على الخيل مجرّدين ، ووصل إلى زكرويه – وهو فى القبّة – فى أوائل السواد ، فظنّوا أنّه فى الخيل التى انهزمت ، فقذف رجل بنار فوقعت فى قُبّته فخرج من ظهرها فألقى نفسه من مؤخّرها ولحقه بعض الرجّالة – وهو لا يعرفه – فضربه على رأسه ضربة أثخنته فسقط إلى الأرض فأدركه صاحب لِلُجَيْم كان يعرفه فأخذه وصار به إليه ، فأخذه لجيم وأركب الذى جاءه به نجيبا فارها ، وقال له : طِرْ – إن أمكنك – حتى تأتى بغداد ، وعرّف العبّاس بن الحسن الوزير أنّك رسولى إليه ، واشرح له ما شاهدت وسلّم إليه الخاتم ؛ فسار حتى دخل بغداد وأعلمه بالخبر .

قال : ومضى لجيم إلى وصيف والقاسم بن سيما فعرّفهما خبر زكروية واجتمعوا جميعا وكتبوا كتاب الفتح ، ونهب الجيش عسكر القرامطة وأخذت زوج زكرويه واسمها مؤمنة وأخذ خليفته وجماعة من خاصّته وأقربائه وكاتبه ، وانصرف العسكر نحو الكوفة فمات زكرويه بخفّان من جراحات أصابته ، فصُبّر وكُفّن وحمل على جمل إلى بغداد ، وأدخلت جثّته وزوجته وحرم أصحابه وأولادهم والأسرى ورؤوس من قتل بين يديه وخلفه ونساؤه فى الجوالقات .

قال ابن الأثير [١] : وانهزم جماعة من أصحابه إلى الشام ، فأوقع بهم أصحاب الحسين بن حمدان فقتلوا عن آخرهم ، وأخذ الأعراب رجلين من أصحاب زكرويه يعرف أحدهما بالحدّاد والآخر بالمنتقم وهو أخو امرأة زكرويه ، كانا قد توجّها إليهم يدعوانهم إلى الخروج إلى صاحبهم ، فسيّروهما إلى بغداد ، وتتبّع الخليفة القرامطة بالعراق فقتل بعضهم وحبس بعضهم ، وبادت هذه الطائفة منهم بالعراق مدّة .

ذكر أخبار من ظهر من القرامطة بعد مقتل زكرويه بن مهرويه

قال الشريف أبو الحسين : ولمّا قتل زكرويه سكن أمر القرامطة وانقطعت حركاتهم وذكر دعوتهم ، فلما دخلت سنة خمس وتسعين ومائتين خرج رجل من السواد من الزُّطّ يعرف بأبي حاتم ، فقصد أصحاب البُوراني خاصة ، وكان هذا البوراني داعيا وأصحابه يعرفون بالبورانيّة ، فلما ظهر أبو حاتم حرّم عليهم الثوم والكرّاث والفجل ، وحرّم عليهم إراقة الدم من جميع الحيوان ، وأمرهم بأشياء لا يقبلها إلا الأحمق السخيف من ترك الشرائع ، وهذه الطائفة من القرامطة تعرف بالبقليّة .

وأقام أبو حاتم هذا نحو سنة ثم زال ، ثم اختلفوا بعده وكانوا أهل قرى بسواد الكوفة ، فقالت طائفة منهم زكرويه بن مهرويه

(١) راجع الكامل ج٧ ص ٣٨١ .

حى ، وإنّما شبّه على الناس به ، وقالت فرقة منهم الحجة لله محمد ابن إسماعيل .

ثم خرج رجل من بنى عجل قرمطى يقال له :

محمد بن قطبـة

فاجتمع له نحو من مائة رجل ، فمضى بهم إلى نحو الجَامِدَة من واسط ، فنهب وأفسد فخرج إليهم أمير الناحية فقتلهم وأسرهم .

ذكر أخبار
أبى طاهر سليمان بن أبى سعيد الحسن بن بهرام الجنابى

قد قدّمنا أخبار أبيه أبى سعيد وحروبه وما استولى عليه ، وذكرنا خبر مقتله وولاية ابنه سعيد ، وأنّه سلّم الأمر إلى أخيه أبى طاهر سليمان ، هذا فى سنة خمس وثلاثمائة ، وقد قيل بل عجز سعيد عن الأمر فغلبه عليه أخوه أبو طاهر سليمان . قال : وكان شهما شجاعا ، وكان الخليفة المقتدر بالله قد كتب إلى أبى سعيد كتابا ليّنا فى معنى من عنده من أسرى المسلمين ، وناظره وأقام الدليل على فساد مذهبه ، فلما وصلت الرسل إلى البصرة بلغهم موته ، فكتبوا بذلك إلى الخليفة فأمرهم بالمسير إلى ابنه ، فأتوا أبا طاهر بالكتاب فأكرم الرسل وأطلق الأسرى وأجاب عن الكتاب ، ثم تحرّك أبو طاهر بعد ذلك فى سنة عشر وثلاثمائة ، وعمل على أخذ البصرة فعمل سلالم عراضا : يصعد على كل مرقاة اثنان بزارفين — إذا احتيج إلى نصبها وتخلع إذا أريد حملها ، ورحل بهذه السلالم المزرفنة يريد البصرة ،

فلما قرب منها أمهل إلى أن جنّ الليل ، وأمر باخراج الأسنّة وقد كانت وضعت في رمل كيلا تصدأ فركّبت على الرماح ، وفرّق الجُنن (١) على أصحابه ، وحشيت الغرائر بالرمل وحمّلت على الجمال وحمّلت أشياء من حديد قد أعدّت لما يحتاج إليه ، ثم سار بأصحابه إلى السور قبل الفجر ، فوضعوا السلالم وصعد عليها قوم من جلداء أصحابه ، وتقدّم إليهم بقتل من يتكلم من الموكّلين بالأبواب ، ودفع للآخرين ما أعدّه لكسر الأقفال ، وقد كان التوانى وقع فى أرزاق الموكّلين على الأبواب ، فتفرّقوا للمعاش إلا بقيّة من المشايخ القدماء فإنّ أرزاقهم كانت جارية عليهم ، فصادفوا بعضهم هناك تلك الليلة فتسوّروا ونزلوا ووضعوا السيف عليهم ، وجاء الآخرون فكسروا الأقفال ودخل القرامطة ، فأوّل ما عملوا أن طرحوا الرمل المحمول معهم فى الأبواب نحو ذراع ، ليمنعوا غلقها إلا بتعب ، وساروا ونذر بهم قوم فبادروا سُبُكا (٢) المُفْلِحى وهو يومئذ الأمير فأعلموه ، فركب وقد طلع الفجر ومعه بعض غلمانه فتلقوه وقتلوه ، وفزع الناس وركبت الخيل فقتل من تسرّع منهم ، وكانت العامّة قد منعها السلطان أن تحمل سلاحا ، فاجتمعوا بغير سلاح ومعهم الآجر ، وحضر سُبُك واجتمعت الجند ووقعت الحرب ، فأصابت القرامطة جراحات والقتل فى العامّة كثير ، واستمرّ ذلك إلى آخر النهار واختلاط الظلام ، ثم خرج القرامطة وقد قتلوا من الناس مقتلة عظيمة إلى خارج

---

(١) الجنان والجنانة بالضم : الترس (أقرب الموارد) .

(٢) فى المخطوطات : شبلا وتصويبة عن صلة تاريخ الطبرى لعريب بن سعد ص ١١١ (ط أوروبا) والكامل جـ٨ ص ١٠٥ .

البلد فباتوا خارج الدرب ، وخرج الناس بعيالاتهم فركبوا السفن ، وباكر أبو طاهر البلد فنزل دار عبد السلام الهاشمى ، وتفرّق أصحابه فى البلد يقتلون من وجدوا وينهبون ما يجدون فى المنازل ، ويُحمل ذلك إلى موضع قد أمر بجمعه فيه .

وحكى ابن الأثير فى تاريخه الكامل (١) : أن دخولهم البصرة كان فى شهر ربيع الآخر سنة إحدى عشرة وثلاثمائة ، وأنه وصل إليها فى ألف وسبعمائة رجل ، وأقام بها سبعة عشر يوما يحمل منها ما يقدر عليه من الأموال والأمتعة والنساء والصبيان ، وعاد إلى بلده .

قال الشريف : وتراجع الناس فاشتغلوا بدفن من قتل ، ولم يردّ كثير منهم حريمه خوفا من عود القرامطة ، قال : ولما اتصل خبر هذه الحادثة بالسلطان أنفذ ابن نُفَيْس (٢) في عِدة وعُدة فسكن الناس ، وولى البلد فشحن السور بالرجّالة ، وتحرّز الناس وأعدوا السلاح ؛ قال : وكان أبو الهيجاء عبد الله بن حمدان قد قلّد أعمال الكوفة وقصر ابن هبيرة والسواد وطريق مكة ، فجرى بينه وبين البورانى وقائع عظيمة حتى ردّهم عن عمله بشجاعته وإقدامه ، فعمرت البلاد وأمن الناس وصلحت الطرق واستقام عزّ السلطان ، فوقف القرمطى من ذلك على ما هاله ، وكانت جواسيس أبى طاهر لا تنقطع عن العراق فى صور مختلفة ، واتّصل به أنّ أبا الهيجاء يهوّن أمره ويتمنّى أن ينتدب لحربه ، فخاف ذلك ولم يأمنه .

(١) راجع جـ٨ ص ١٠٥ .
(٢) هو بنى بن نفيس .

ذكر أخذ أبي طاهر الحاج
وأسره ابن حمدان وماكان من أمره في اطلاقه

٣١٢ كانت هذه الحادثة فى سنة ثنتى عشرة وثلاثمائة ، وذلك أن أبا طاهر بن أبى سعيد الجنّابى القُرمطى أنفذ رجلا من جواسيسه إلى مكة فى سنة إحدى عشرة وثلاثمائة ، وقد خرجت قوافل الحاج مع أبى الهيجاء بن حمدان فى تلك السنة ، فكان الجاسوس يقوم على المحجّة فيقول : يا معشر الناس ادعوا على القرمطى عدوّ الله وعدوّ الاسلام ، ويسأل عن أمير الحاج وفى كم هو وكم أرزاقهم ، ويسأل عمّن خرج من التجّار وما معهم من الأموال ، فكان ذلك دأبه حتى قضى الحج ، ثم خرج فى أوّل النفر فأسرع إلى سواد باهلة ، ثم إلى اليمامة وصار إلى الأحساء فى أيام يسيرة ، فأخبر سليمان القُرمطى بصورة الأمر ، فوجّه سليمان من يثلّ[1] الآبار بينه وبين لُبْنَه[2] وبعض آبار لُبْنه ويسوّى حياضها ، وورد بعض الأعراب إلى أبى الهيجاء — وهو بعيد ينتظر رجوع الحاج وذلك فى آخر ذى الحجة من السنة — فأخبره أنّ آبار لبنه قد ثلّت فاستراب بذلك ، وجاء بعض الأعراب بجلّة[3] فيها قطعة من تمر هجّر فتيقّن أمر القرامطة ، فشغل ذلك قلبه ، وجاءه ما لم يقدره ولا ظنّه فاضطرب من ذلك اضطرابا شديدا ، وورد حاتم الخراسانى بقافلة

(١) ثل البئر : أخرج ترابها (أقرب الموارد) .

(٢) قال أبو زياد : ولعمرو بن كلاب واد يقال له لبنى كثير النخل وليس لبنى كلاب شىء من بلادها نخل غيره (معجم البلدان لياقوت جـ٤ ص ٣٤٧ ط . أوروبا) والمخطوطات تكتب الكلمة بالماء .

(٣) الجلة بالضم قفة كبيرة للتمر (أقرب الموارد) .

الحاج من مكة ثانى ذلك اليوم ، ومعه قافلة عظيمة ، فزاد ذلك فى شغل قلب أبى الهيجاء لخوفه عليه ، ولم يظهر ذلك لحاتم ولا لغيره ثم ارتحل فلم يعترض عليه ، فلما صار حاتم بالثعلبيّة أُنهى إليه شىء من أخبار القرامطة وأنّهم بلُبنه ، وكان القرمطى رحل من بلده فى ستمائة فارس وألف راجل ، وسار حاتم فاجتاز بالهبير ليلا فلم ينزله وسار حتّى نزل الشقوق ، وأغذّ السير وسلّمه الله ومن معه ، ونزلت بفيد قافلة أخرى من غد رحيل حاتم من الخراسانيّة ، ثم ساروا عنها حتّى إذا كانوا بالهبير ظهر لهم أبو طاهر سليمان القرمطى ، فقتل بعضهم وأفلت البعض حتّى وردوا الكوفة ، فاشتد خوف الناس بالكوفة على الحاج واضطربوا ، إلا أن نفوسهم قويّة بمقام أبى الهيجاء بفيد ، وكان أبو الهيجاء قد أنفذ رجلا طائيا يعرف له أخبار القرامطة ، يقال له مسبع بن العيدروس من بنى سِنْبِس — وكان خبيرا بالبرّ — وتقدّم إليه أن يسرع إليه بالخبر ويعدل عن الطريق ، ومعه جماعة قد أزاح عللهم فى الرزق والمحمل ، فساروا حتّى قربوا من لُبنه فنزل إليهم فارسان ، فركبوا خيولهم وتلقّوهما فتطاردوا ، وقصّرا فى الركض وهبطا واديا خلفهما وخرجا منه ، ولحقتهم الخيل فساروا على أرض جدب ، فدفع عليهم نحو من سبعين فارسا ، فلم ينته حتّى طعنت فيهم وضربت ، فرجع القوم على خيل مطرودة وخيول القرامطة مستريحة ، فبالغوا فى دفعهم بكل جهد فلم تك إلا ساعة حتّى قتلوا جميعا ، وأسروا مسبعا دليل القوم فحملوه إلى لبنه ، فسأله القرمطى وقال : إن صدقتنى أطلقتك ، فلما أخبره أمر بحفظه ، قال : ولم يمض لأبى الهيجاء يومان بعد إرسال الطليعة حتّى وردت قوافل الحاج

وأصحاب السلطان معها ، وفيها من الوجوه أحمد بن بدر ، عم السيدة أم المقتدر بالله ، وشفيع الخادم ، وفلفل الأسود صاحب خزانة السلطان ، وإسحاق بن عبد الملك الهاشمى صاحب الموسم وغيرهم ، فأعلمهم أبو الهيجا الخبر فأجالوا الرأى ، فقال لهم : قد أنفذت رجالا أثق بهم طليعة ، وأخذت عليهم ألا يرجعوا حتى يشربوا من لبنه والصواب التوقف عن الرحيل لننظر ما يأتون به ، فعملوا على ذلك وأقاموا بفيد ستة أيام ، ونزلت القافلة الوسطى فيد وكثر الناس وغلت الأسعار ، ولم يقدروا على حشيش للعلف ولا خبز ، فضج الناس وأجمعوا على الرحيل فرحلوا عن فيد يوم الأحد ، وخلف أبو الهيجاء ابن أخيه على بن الحسين بن حمدان بفيد ، فى خيل ينتظرون الحاج الذى مع قافلة الشمسة ؛ قال : وكان الحاج قبل ذلك يسيرون قافلة بعد قافلة لكثرتهم ، ومن أراد أن يسير بعد الحاج سار ، ومن أراد أن يتخلف ليعتمر فى الحرم تخلف ، وكان الأمر يحملهم على ذلك فيسيرون قافله بعد قافلة ؛ قال : ثم وردت قافلة الشمسة فيد ، فجاءهم بعض التجار بخبر ما اتصل بأبى الهيجاء ، وكان فى القافلة أبو عيسى صالح ابن على الهاشمى ، وجماعة من العباسيين ، وأبو محمد بن الحسن[1] ابن الحسين العلوى وعمر بن يحيى العلوى وغيرهما من الطالبيين وتجار الكوفة ، فتجلت حقيقة الأخبار من أمر القرامطة ، فاجتمعوا فى مضرب أبو عيسى وتشاوروا ، فاجتمع رأيهم على المقام بفيد إلى أن ترتحل القافلة ، ثم ينظروا لأنفسهم فى عرب يخرجون معهم إلى الكوفة ، فأقام

(١) فى ك ، ت : أبو محمد الحسن بن الحسين العلوى ، وبالرجوع إلى أعيان الشيعة ج ٢١ ص ٥ ، ص ٢٢٠ ١٦ يتبين صواب ا .

الناس بفيد يومهم ثم رحلوا بكرة ، فلما جاوزوا المنزل افتقد على ابن الحسين بن حمدان من تخلّف من القافلة ، فسأل عنهم فأُخبر بتخلّفهم فرجع إلى فيد ومعه بعض أصحابه فاجتمع بهم ، وسألهم عن تخلّفهم فقالوا بأجمعهم لاتحبّ سلوك هذه الطرق ، ودافعوا عن الأخبار بسبب تخلّفهم ، وقالوا له : أنت وعدّك بريّان منّا ، قال : اكتبوا إلىّ خطوطكم بذلك ، ففعلوا ، وانصرف فسار بالناس فلما وصل إلى عمّه أبى الهيجاء عرّفه ذلك ، فلامه عليه وقال : وددت أنّ جميع من ترى كان معهم ، قال : ولمّا سارت القافلة مع على بن الحسين بن حمدان أحضر هؤلاء الذين تخلّفوا بفيد ابن نزار وابن توبة تاجرين من أهلها ، فعرّفوهم حاجتهم إلى من يسلك بهم إلى الكوفة على غير طريق الحاج ، فجمعوا لهم جماعة من سنبِس وتوصلوا بهم إلى بنى زبيد من الطائيين ، ثم أخذوا ينزلون على العرب يقاتلون من قاتلهم ، ويصلون من استرفدهم ويبرّون ويخلعون ، فسلّمهم الله حتى وردوا الكوفة ، وذلك بعد شدائد عظيمة وقتال في مواضع ، ولم يسلم من الحاج غيرهم والقافلة الأولى التى كانت مع حاتم .

قال : ولمّا وصل على بن الحسين بن حمدان إلى عمّه أبى الهيجاء اجتمعت القوافل ، وكثر الناس ، وتجلّى لهم خبر القرامطة وصحّ ، فسار أبو الهيجاء بالناس إلى الخزيميّة ثم إلى الثعلبيّة ، ثم ساروا يريدون البِطان [١] ، واجتمع الناس من أصحاب السلطان والرؤساء

(١) فى المخطوطات مرسومة : البطانية دون نقط ، المرجح أنها البطان ، قال ياقوت الحموى فى معجم البلدان (جـ ١ ص ٦٦١ ط اوروبا) بطان : بكسر أوله منزل بطريق الكوفة بعد الشقوق من جهة مكة دون الثعلبية ، هذا وخلا معجم ياقوت من بلد بهذا الرسم المثبت فى المخطوطات

فتشاوروا ، فلم يدع الأمير أبو الهيجاء الاستغاثة بالقوم يقول: ارجعوا ودعونى ألقى القرامطة فى أصحابى ، فإن أصبتُ فمعكم من تسيرون معه ، وإلا فامضوا إلى وادى القرى أو المدينة أو غير ذلك ، وإن ظفرتُ وجّهتُ إليكم فقدمتم وقد زال المحذور ،ولم يزل يردّد عليهم هذا القول من الأجفر إلى الثعلبيّة ، فمنهم من أجاب ومنهم من أبى ذلك وقال : لانفترق ، وكان أحمد بن بدر عم السيّدة ممن أبى ذلك وصمّم على الملازمة ، فعمل ابن حمدان بما أرادوه دون رأية ، وبات الناس على أميال بقيت من البطان والأحمال على ظهور الجمال ، وذلك ليلة الأحد لأيام خلت من صفر ،فلما أضاء لهم الفجر ارتحلوا ، وقدّم أبو الهيجاء ستمائة راجل من الأولياء ، كان السلطان أبعدهم لكثرة شغبهم ببغداد فكانوا بين يدى القوافل ، وقارب بين القُطُر ودخل بعض الناس فى بعض ، وتقدّم نزار بن محمد الضبىّ فكان فى أوّل القافلة فى أصحابه خلف الرجّالة ، وسار أبو الهيجاء فى التغالبة والعجم فى ميمنة القافلة ، وألزم الساقة وميسرة القافلة جماعة من الأولياء مع بعض الأمراء ، واحتاط بكل ما أمكن ، وسار فلما أضحى النهار أقبلت عليهم خيل القرامطة ، والقافلة فى نهاية العظم جدا ، فكان أوّل من لقيهم رجّالة أبى الهيجاء ، فحملت القرامطة عليهم فخالطوهم فقتلوا جميعا إلا نحوا من عشرين رجلا ، وحمل نزار فى جيشه فضارب بعض خيل القرامطة بالسيوف ساعة ، فلحقته ضربة فهوى إلى الأرض واعتنق فرسه ، ومضى نحو المشرق وتبعه بقيّة أصحابه ، فاستقاموا حتى وصلوا إلى زُبالة وساروا إلى الكوفة ، فلما سمع الأمير أبو الهيجاء الصوت وعرف الخبر وكان فى آخر القافلة أسرع فى خيله نحو أوّل

القافلة ، فوجد الأمر قد فاته بقتل من كان أمامها ، وقويت القرامطة على حربه ووجد الحاج قد أخذوا يمنة ويسرة ، فحمل على القرامطة فاستقبلوه فقتل جماعة من أهل بيته صبروا معه ، وانهزم وضرب على رأسه ضربة لم تضره إلا أنه قد نزف منها ، وأخذ أسيرا ونزل أبو طاهر القرمطى على غلوتين من القافلة ، ورجّالته[1] نحو من ستمائة على المطى فأنفذهم وفرسانا من فرسانه فأحاطوا بالقافلة[1] ، ومنعوا الناس من الهرب ، وكان قد هرب خلق منهم فى وقت القتال ؛ فتلف كثير منهم فى الطريق عطشا وأخذ بعضهم الأعراب فسلبوهم ؛ وسلم قوم منهم إلى زُبالة وساروا إلى الكوفة ، وأتى بأبى الهيجاء إلى سليمان فلما نظر إليه تضاحك ، وقال : قد جئناك عبدالله ولم نكلفك قصدنا ، فتلطف له أبو الهيجاء بفضل عقله ودهائه وسعة حيلته وقوة نفسه ، وألان له القول حتى أنس به ، فاستأمنه على نفسه فأمّنه فخلّص بذلك ناسا كثيرا ، وعمل فى سلامة كثير من الحاج عملا كثيرا ، ثم أمر القرمطى بتمييز الحاج وإخراجهم من القوافل ، وعزل الجمّالين والصنّاع ناحية فظنّوا أنّه إنما أخرجهم للقتل فارتاعوا لذلك ، وكانوا قد عطشوا عطشا شديدا ، فلما جنّهم الليل ضجر الموكّلون منهم ، فأخذوا ما معهم وخلّوهم ، فورد من ورد منهم الكوفة بشرّ حال متورّمى الأقدام فى صور الموتى ، ورحل أبو طاهر من الغد بعد أن أخذ من أبى الهيجاء وحده نحوا من عشرين ألف دينار من الأموال التى لا تحصى كثرة ، وقدم كثير من الناس بخبر

(١) سقط من ت ويلاحظ السقط فى هذا المخطوط بصورة تلفت النظر ويكفينا أن نشير إليه بين حين وحين.

أبى الهيجاء ، وأنّه راكب مع القرامطة يدور معهم ويسأل فى خلاص أسرى كانوا معه ، منهم أحمد بن بدر عم السيدة وفلفل الأسود وأحمد بن كشمرد ونحرير الخادم صاحب الشمسة وبدر الطائى وأخوه وغيرهم .

قال : وزادت غلبة أبي طاهر لأصحابه فتنة ، وعظّموا أمره وسلب عقولهم حتى قالوا فيه أقوالا مختلفة بحسب جهلهم ؛ قالَ : ولمّا مضى لأبى الهيجاء شهور وهو عندهم أخذ يحتال فى الخلاص ، فمرّة يعرض به ومرّة يفصح به حتى أنس القرمطىّ بذلك وأجابه إليه ، فسأله فى ابن كشمرد وقال : هو ضعيف لكبره وعلّته ، وهذا الخادم الأسود ممّن لا يضر السلطان فقده ولا ينفعه اطلاقه ، وكلّمه فى أحمد بن بدر فامتنع عليه ، فضمن له عشرين ألف دينار وبزاةً وفهودا وعبدانا وثيابا ، فاستحلفه وضمنه ، وتخلّص منه ناس كثير من الحاج ، وأطلقه ، وصار إلى بغداد فتباشر الناس بذلك وابتهجوا به .

ذكر دخول أبى طاهر القرمطى الكوفة ورجوعه

كان أبو طاهر قد كتب إلى الخليفة المقتدر بالله – بعد اطلاق أبى الهيجاء بن حمدان – يطلب منه البصرة والأهواز ، فلم يجبه إلى ذلك ، فسار من هجر فى سنة ثنتى عشرة وثلاثمائة يريد الحاج عند توجههم إلى الحجاز ، وكان جعفر بن ورقاء الشيبانى يتقلّد أعمال الكوفة وطريق مكة ، فسار مع الحاج خوفا عليهم من أبى طاهر ، ومعه ألف رجل من بنى شيبان ، وسار مع الحجاج من أصحاب

السلطان ثمل صاحب البحر وشيره فى ستة آلاف رجل ، فلقى أبو طاهر الجيش فانهزموا منه ، ووردت القافلة الأولى هم وعسكر الخليفة بعد أن انحدروا من العقبة ، وتبعهم أبو طاهر إلى باب الكوفة وبها يومئذ جنىّ الصفوانى ، كان الخليفة قد أنفذه فى جيش عظيم إلى الكوفة ، وبها أيضا ثمل فى جيش عظيم ، وأقبل أبو طاهر حتى نزل بظاهر الكوفة فى يوم الأحد لثلاث عشرة ليلة خلت من ذى القعدة ، وأقبل جنىّ إلى خندق الكوفة فى عشية هذا اليوم ، وأهل البلد والعامّة منتشرون على الخندق ، وجعفر بن ورقاء فى بنى شيبان نازل على القنطرة التى على الخندق مما يلى دور بنى العبّاس ، وثمل على القنطرة التى تليها ، وجنىّ مما يلى ذلك من ناحية ميمنة الكوفة ، فناوشه الناس ،وخرج أبو محمد الحسن بن يحيى بن عمر العلوى فطارد بعض فرسانه ، وانكفأ أبو طاهر راجعا ، وبات الناس على تلك الحال وقد قوى الطمع فيه ، فلما كان الليل ورد كتاب السلطان يخاطب أبا محمد بن ورقاء فى تدبير الجيش ، فعمل على لقاء جنىّ الخادم ليعرّفه ذلك ، فأشير عليه ألاّ يفعل فأبى ذلك ، ثم ركب يعرّف جنيًّا ما كتب به إليه ، فأنف جنىّ أن يكون تابعا وأسرّ ذلك فى نفسه ، وباكرهم القرمطى بالقتال بعد أن أضحى النهار ، فدخلت الرجّالة وراء الفرسان بجيش خرس عن الكلام صمت وحركات خفيّة ، والبارقة فيهم ظاهرة فى ضوء الشمس ، وهم يزفون عسكرهم زفا ، حتى إذا وصلوا إلى عسكر السلطان مالوا على جيش ابن ورقاء وهو فى ميسرة الناس ، فما تمهّل بنو شيبان حتى انهزموا راجعين ، فعبروا القنطرة التى على الخندق إلى جانب الكوفة وتبعوهم ، فصاروا من وراء جنىّ وثمل فوضعوا السيف

فى الناس ، وجنىّ جالس قبل ذلك على كرسى حديد يبيّن أنّه لا يقاتل وكأنّه يريد قتاله بعد الناس فأسروه ، وقاتله نمل وقاومه وهو منهزم على محاملة ومدافعة ، إلى أن تخلصّ وسلم جعفر بن ورقاء وكثير من أصحابه ، وقتل كثير من العامّة وغيرهم فى الطرقات ، ووصل أبو طاهر إلى البلد فرفع السيف ونهب منازل الناس ، وأقام بالكوفة ستة أيام بظاهرها يدخل البلد نهارا ويقيم بجامعها إلى الليل ، ثم يخرج فيبيت بعسكره ، وحمل منها ما قدر على حمله ، ودخل المنهزمون بغداد ولم يحجّوا فى هذه السنة ، وخاف أهل بغداد وانتقل الناس إلى الجانب الشرقى .

قال : ورحل أبو طاهر عن الكوفة فى يوم الاثنين لعشر بقين من ذى القعدة ، وقُتل يوم دخوله أبو موسى العبّاسى صاحب صلاة الكوفة ورحل مؤنس المظفر من بغداد بجيش السلطان عند اتّصال الأخبار ببغداد ، فسار منها حتى دخل الكوفة ، فكان وصوله إليها بعد رحيل القرامطة عنها ، فأقام بها ثلاثة أيام ثم رحل عنها ، ثم عاد القرمطى فى سنة خمس عشرة .

ذكر دخول أبى طاهر القرمطى الى العراق وقتل يوسف بن أبى الساج

قال : وفى سنة خمس عشرة وثلاثمائة سار أبو طاهر من هَجَر إلى الكوفة ، وكان المقتدر بالله قد استعمل يوسف بن أبى الساج على حرب القرامطة ، فاستصعب ابن أبى الساج المسير إلى بلد القرامطة ، وثقل مسيره فى أرض قفر لكثرة من معه من العساكر ، فاحتال على

أبى طاهر وكتب إليه واطمعه فى بغداد ، وأظهر له المواطأة والتزم بمغاضدته فغرّه بذلك ، حتى رحل بعيال وحشم واتباع وصبية ، وجيشه على أقوى عدّة تمكّنه ،وأقبل يريد الكوفة وعدّيت أخباره عن أهلها ، إنّما هى أراجيف ، ورحل يوسف بن أبى الساج بجيشه من واسط يريد الكوفة ، فسبقه أبو طاهر إليها ودخلها فى يوم الخميس لسبع خلون من شوّال من هذه السنة ، وأخذ ما يحتاج إليه ونزل عسكره خارج الكوفة ما بين الحيرة إلى ناحية الخورنق ، وأقبلت جيوش ابن أبى الساجّ تسيل من كل وجه على غير تعبئة ، وأقبل هو فى جيشه ورجاله حتى نزل فى غربىّ الفرات ، وعقد عليه جسرا محاذيا لأبى طاهر ، وعبر إليه مستهينا بأمره مستحقرا له لا يرى أنه يقوم به ، وذلك فى يوم الجمعة ،فأرسل إلى أبى طاهر يدعوه إلى طاعة الخليفة المقتدر بالله أو الحرب فى يوم الأحد ؛ فقال : لا طاعة إلّا لله والحرب غدا ، فلما كان فى يوم السبت لتسع خلون من شوّال سنة خمس عشرة التقوا واقتتلوا قتالا شديدا عامّة النهار ، وكثير من عسكر ابن أبى الساج لم يستتم نزوله ؛ وهو جيش يضيق عنه موضعه ولا يملك تدبيره ، وقد تفرّق عنه عسكره تفرّقا منتشرا فى فراسخ كثيرة ، وركبوا من نهب القرى وأذى الناس وإظهار الفجور ما عنىَ كثير من الناس هلاكهم . قال الشريف أبو الحسين: ولمّا لقيه بظهر الكوفة ما بين الحيرة والخورنق والنهرين من الفرات اتفق له تلول وأنهار وموضع يضيق عن جيشه ولا يتمكّن معه الإشراف عليه ، فقدّم بين يديه رجّالة بالرماح والتراس

مع قائد يعرف بابن الزرنيخى [١] ، فأقبل القرمطى نحوه فى أربعة آلاف فقاومته الرجّالة طويلا ، ثم دخلتها الخيل وتعطفت عليها واضطرب الناس ، فوضع فيهم السيف ؛ قال الشريف : وأخبرنى بعض الجند قال : كنت والله قبل الهزيمة أريد أن أضرب دابّتى بالسوط فلا يمكننى ذلك لضيق الموضع ، ووصل كثير من عسكر القرمطى إلى ابن أبى الساج فى مصافّه على أتمّ عدّة ، فلما التقوا اقتتلوا كأعظم قتال شوهد ، وكثرت القتلى والجراح فى القرامطة جدا ، وقتل رجّالة ابن أبى الساج ، وخلص إليه فانهزم الناس وقتلوا قتلا ذريعا ، حتّى صاروا فى بساط واحد نحو فرسخين أو أرجع ، فلما كان عند غروب الشمس انهزم أصحاب ابن أبى الساج بعد صبر عظيم ، وأسر هو وجماعة كثيرة من أصحابه ، وذلك فى وقت المغرب من يوم السبت ، فوكل به أبو طاهر طبيبا يعالج جراحه ، واحتوى القرامطة على عسكر ابن أبى الساج ، ولم تكن فيهم قوّة على جمع ما فيه لضعفهم وقتل من قتل منهم ، فمكث أهل السواد من الأكرة وغيرهم ينهبون القتلى نحو أربعين يوما ، ووصل المنهزمون إلى بغداد بأسوأ حال ، فخاف الخاص والعام ببغداد من القرامطة ، وكان أبو طاهر القرمطى يظن أن مؤنسا المظفّر لا يتأخّر عن حربه ، وكان على وجل منه ، فلمّا لم يخرج إليه اشتد طمعه وظن أنه لا يلقاه أحد ولا يقاومه ، وأنّ ما كان قد خدع به من أنّ ببغداد من يظاهره على أمره ، وينتظر وصوله إليه من الرؤساء ــ حق ، فخرج يريد بغداد ،

(١) فى المخطوطات الرربمخى دون نقط، هذا ولم يرد الاسم فى صلة تاريخ الطبرى لعريب بن سعد ، ولا فى تجارب الأمم لابن مسكويه ولا فى الكامل لابن الاثير .

فلما قرب من نواحى الأنبار وقصر ابن هبيرة ونزل بسواده وكل بهم جندا ليست بالكثير ، وركب فى جيشه فوافى الأنبار واحتال إلى أن عبر الفرات وصار من الجانب الغربي ، وتوجّه بين الفرات ودجلة يريد مدينة السلام ، وعرف الناس ذلك فكثر اضطرابهم وجزعهم ، فبرز مؤنس المظفّر الخادم من بغداد للمسير إلى الكوفة ، فبلغه أنّ القرامطة قد ساروا إلى عين التمر ، فأرسل من بغداد خمسمائة سمارية فيها المقاتلة لتمنع من عبور الفرات ، وسيّر جماعة من الجيش لحفظ الأنبار ، وقصد القرامطة الأنبار فقطع أهلها الجسور ، فنزلوا غرب الفرات وأنفذ أبو طاهر أصحابه إلى الحديثة ، فأتوه بسفن فعبر فيها ثلاثمائة من القرامطة ، فقاتلوا عسكر الخليفة وقتلوا منهم جماعة واستولوا على الأنبار ؛ قال : ولما ورد الخبر بذلك إلى بغداد خرج نصر الحاجب في عسكر جرّار ، ولحق بمؤنس المظفّر فاجتمعا فى نيّف وأربعين ألفا سوى الغلمان ومن يريد النهب ، وكان فى العسكر أبو الهيجاء بن حمدان وإخوته وأصحابهم ، فلما أشرف القرامطة على عسكر الخليفة هرب منه خلق كثير إلى بغداد من غير قتال ؛ قال ابن الأثير (١) : كان عسكر القرامطة ألف فارس وسبعمائة فارس وثمانمائة راجل ؛ قال : وقيل كانوا ألفين وسبعمائة فارس .

قال الشريف : وسار مؤنس المظفّر حتى نازل القرامطة على قنطرة

---

(١) ورد النص فى الكامل جـ ٨ ص ١٢٦ كما يأتى ، وكان عدة القرامطة ألف رجل وخمسمائة رجل — منهم سبعمائة فارس وثمانمائة راجل وقيل كانوا ألفين وسبعمائة : فالمؤلف أخطأ فى النقل .

نهر زُبارا [١] ، على نحو ثلاثة فراسخ من بغداد ، وشحن الموضع بالجيش ، وأشار أبو الهيجاء بن حمدان بقطع القنطرة خوفا من عبور القرمطى ، وإن اتفق أدنى جولة مع امتلاء صدور الجيش من القرامطة فلا يملك البلد لشدة اضطرابه وكثرة أهله ، ففعل مؤنس ذلك وقطعها وقاتل عليها نفر من القرامطة قتالا شديدا ، لا يمنعهم كثرة النشّاب ولا غيره ، وشحن مؤنس الفرات ما بين بغداد إلى الأنبار بسماريّات ، فيها رماة ناشبة تمنع أحدا من القرامطة من شرب الماء إلا بجهد ، فضلا عن تمكنٍ من العبور ، وكان أحد من نصب لذلك إسحاق بن إبراهيم بن ورقاء ، وكان شيخا ذا دين وبصيرة ونيّة فِي الخير ، فأقام على حصاره لأبى طاهر وكان لا يقدر على مذهب لا إلى وجهه ولا إلى جوانبه ، ومتى دنا من الماء أخذته السهام ؛ قال الشريف : فحدثنى من حضر يومئذ وقد ورد كتاب المقتدر بالله ، يأمر مؤنسا بمعاجلته القتال ويذكر ما لزم من الأموال إلى وقت وصوله ، فكتب مؤنس كتابا ظاهرا ـ جواب كتاب الخليفة ـ يمليه على كاتبه والناس يسمعون ، يقول : إن فى مقامنا ، أطال الله بقاء مولانا نفقة المال ، وفى لقائنا نفقة الرجال ، ونحن اخترنا نفقة المال على نفقة الرجال ، قال : ثم انفذ المظفر مؤنس رسولا إلى القرمطى يقول : ويلك ! تظن أننى كمن لقيك ، أبرز لك رجالى والله ما يسرّنى أن أظفر بك بقتل رجل مسلم من أصحابى ، ولكنّنى أطاولك وأمنعك مأكولا ومشروبا حتى آخذك أخذا بيدى إن شاء الله؛ قال :

(١) فى المخطوطات مرسومة : نطاطيا دون نقط ، والتصويب عن الكامل حـ٨ ص١٢٥ . وتجارب الأمم لابن مسكويه حـ١ ص ١٧٦

وأنفذ المظفّر حاجبه يلبق فى ستة آلاف مقاتل إلى القرامطة ، الذين بقصر ابن هبيرة مع سواده ، ليوقعوا بهم ويخلّصوا يوسف بن أبى الساج ، فعلم أبو طاهر بذلك فاضطرب واجتهد فى عبور الفرات فعجز . ثم اتّفق له طوف حطب فعبر عليه فى نفر يسير ، وصار إلى سواده الذى خلّفه ، وجاء يلبق فواقعه أبو طاهر فى نفر يسير ، فكرّ يلبق راجعاً منهزما وسلّم السواد وذلك بعد قتال شديد .

ونظر أبو طاهر إلى ابن أبى الساج - وقد خرج من الخيمة ، ينظر ويرجو الخلاص ، وقد ناداه أصحابه : أبشر بالفرج ، فلما تمّت الهزيمة أحضره أبو طاهر وقتله وقتل من معه من الأسرى(١) ، وقصد القرامطة مدينة هيت وكان المقتدر قد سيّر إليها سعيد بن حمدان وهارون بن غريب ، فسبقوا القرامطة إليها وقاتلوهم عند السور ، فقتل من القرامطة جماعة فعادوا عنها ، فرجع مؤنس إلى بغداد وسار أبو طاهر إلى الدالية من طريق الفرات ، فقتل من أهلها جماعة ثم سار إلى الرَّحْبة فدخلها فى ثامن عشر المحرم سنة ست عشرة وثلاثمائة ، بعد أن حاربه أهلها فظفر بهم ووضع السيف فيهم ، فراسله أهل قرقيسيا يطلبون الأمان فأمّنهم على ألا يظهر أحد منهم بالنهار ، فأجابوا إلى ذلك ، وخافه الأعراب وهربوا من بين يديه ، فقرّر عليهم أتاوة عن كل رأس دينار يحملونه إلى هجر ، ثم صعد من الرحبة إلى الرقّة فدخل أصحابه إلى نصيبين ، وقتلوا بها ثلاثين رجلا وقتل من القرامطة جماعة ، وقاتلوا ثلاثة أيام ثم انصرفوا فى آخر

(١) فى ك: الاشراف ، ويؤيد المخطوطتين ابن مسكوية فى تجارب الأمم ١٠ ص ١٧٨

ربيع الأوّل ، وساروا إلى سنجار ونهبوا فطلب أهل سنجار الأمان فأمنهم ، ثم عاد إلى الرحبة ، ووصل مؤنس إلى الرقة بعد انصراف القرامطة عنها ، فاحتال مؤنس فى ارسال زواريق فيها فاكهة قد جعل فيها سموما قاتلة ، فكانت القرامطة يلقونها فيأخذونها ، فمات كثير منهم وضعفت أبدان بعضهم ، وجهدوا وكثر فيهم الذّرب فكرّوا راجعين وهم قليلو الظهر مرضى ، فلما بلغوا هيت قاتلهم أهلها من وراء السور ، فقتلوا منهم رئيسا كبيرا وانصرفوا عنهم مفلولين (١) .

ثم رحل أبو طاهر فدخل قصر ابن هبيرة فنهب وقتل ، ثم دخل الكوفة على حال ضعف وعلل وجراحات ، وأصحابه على ظهور حُمُر أهل السواد ، وكان دخوله إليها يوم الجمعة لثلاث ليال خلت من شهر رمضان سنة ست عشرة وثلاثمائة ، فأقام بها إلى مستهلّ ذى الحجة من السنة ، ولم يقتل فى البلد ولا نهب ، وساس أهل الكوفة أمرهم مع القرامطة ، ورحل أبو طاهر عن الكوفة فى ذى الحجة سنة ست عشرة وثلاثمائة .

ذكر أخبار من ظهر من القرامطة بسواد العراق فى أثناء وقائع أبى طاهر الجنابى

قال ابن الأثير (٢) والشريف أبو الحسين - وقد لخّصت من روايتيهما ما أورده ، ودخل خبر بعضهم فى خبر بعض - ولمّا كان من أمر أبي طاهر فى سنة ست عشرة وثلاثمائة ما قدّمناه ، اجتمع بالسواد

(١) فى ك ، ت : مغلوبين .

(٢) راجع الكامل حـ٨ ص ١٣٦ ، ص ١٣٧ .

ممن يعتقد مذهب القرامطة وكان يكتمه خوفا فظهروا واجتمع منهم بسواد واسط. أكثر من عشرة آلاف ، وولّوا عليهم رجلا يسمّى حُريث بن مسعود ، فخرج إليه الأمير بواسط. فنام عسكره فى بعض المواضع ، فكبسه القرامطة فقتلوا منهم خلقا ، واستولوا على سائر ما حواه العسكر من السلاح وغيره فقوى أمرهم ؛ واجتمعت طائفة أخرى بعين التمر فى جمع كثير ، فولوا عليهم رجلا يسمّى عيسى ابن موسى [1] ، وكانوا يدعون إلى المهدى ، فسار عيسى بن موسى إلى الكوفة ونزل بظاهرها ، وجبى الخراج وصرف العمال عن السواد وكان والى الكوفة قد هرب منها قبل دخولهم ، ووجّهوا إلى جميع السواد من يطالبهم بالرحيل إليهم ، فخرج إليهم من بين راغب وراهب ، ففرّقوا العمّال فى الطساسيج ، وولّوا المعاون لقوم من وجوه عشائرهم ، وولوا ابن أبى البوادى الكوفى خراج الكوفة ، ونصبوا بعض بنى ربيعة واليا لحربها ، وأقاموا فى البلد أياما وراحوا إلى الجمعة بأجمعهم ، وأقاموا أبا الغيث بن عبدة خطيبا ، وأحدثوا فى الأذان ما لم يكن فيه ، فركب إليهم أبو على عمر بن يحيى العلوى وعيسى ابن موسى نازل على شط. الفرات فى بعض الأيّام ، فأظهروا الاستطالة على أبى على بن يحيى وانتقصوا رتبته ، وأقيم وحجب أوقاتا طويلة ، فخرج أبو على إلى السلطان وذكر له صورة أمر القوم ، وقرّر فى نفسه أخذهم ، فأنفذ السلطان معه صافى النصرى [2] فى جيش وضمن

(١) فى صلة تاريخ الطبرى لعريب بن سعد ص ١٣٧ (ط . أوروبا) أنه : ابن أخت عبد الله القرمطى .

(٢) فى ك والكامل حـ٨ ص ١٣٧ وتجارب الامم لابن مسكويه حـ١ ص ٢٣٦ : البصرى وهو خطأ صححته المخطوطة ك فى ذكره بعد ذلك .

أبو على معاونته ، وكان هؤلاء قد خرجوا من الكوفة وخلّفوا واليهم عليها وصاحب خراجهم ، وقصدوا موضعا يعرف بالجامع وما يليه فنهبوا واستباحوا ، ووثب أهل الكوفة بعد خروجهم على منْ خلّفوه عندهم ، فقتلوا منهم جماعة وأخرجوا من بقى ، واتصل الخبر بالقرامطة فانكفأوا راجعين يريدون الكوفة ليقاتلوا أهلها ، فاجتمع الناس وحملوا السلاح وحفظوا البلد وطافوا به ليلا ونهارا مدة أيّام ، وجاءت [١] القرامطة فنزلوا على الكوفة ولم يكن لهم فيها مطمع فساروا إلى سُورا ، وقدم أبو على العلوى وصافى النصرى من بغداد ، فواقعوهم على نهر بقرب اجهاباذ يعرف بنهر المجوس ، فلم يكن بينهم كبير قتال حتى هزمهم الله تعالى ، فقتل منهم ما لا يحصى وغرق منهم قوم وهرب الباقون ، وتفرقوا وأسر عيسى بن موسى وخلق كثير معه وأعمى كان من دعاتهم كان يقول الشعر يعرف بأبى الحسن الخصيبى ، ودار أبو على فى السواد فتلقّط منهم قوما ، فسكن البلد وتفرّق ذلك الجمع ولم يبق لهم بقيّة قائمة ، وحملت الأسرى والرؤوس إلى بغداد فقتل الأسرى بباب الكناسة وصلبوا هناك ، وحبس عيسى بن موسى ثم تخلّص بغفلة السلطان وحدوث ما حدث من اضطراب الجيش وكثرة الفتن فى آخر أيام المقتدر ، وأقام ببغداد يدعو ويتوصل إلى ناس استغرّهم ، ويعمل كتبا يجمع فيها ما يأخذه من كتب يشتريها من الورّاقين ، يمخرق فيها بذكر أمور ينسخها ويوهم أنّ له بذلك علما ، ورتّب كتبا ينسبها إلى عبدان الداعى ، ليوهم أنّ عبدان كان

---

(١) فى ك ، ت : خاف .

أحد العلماء بكل فلسفة وغيرها ، وأنه يعلم ما يكون قبل كونه ، ومخرق بجهده على جهّال فصاروا له أتباعا ، وأفسد فسادا عظيما ، قال الشريف : وادعى خلافته من مخرق بعده إلى الآن .

وحكى ابن الأثير فى تاريخه الكامل (١) : أن الخليفة المقتدر بالله أرسل إلى حُريث بن مسعود ، هارون بن غريب وإلى عيسى بن موسى صاف النصرى ، فأوقعوا بهم وانهزمت القرامطة وقتل أكثرهم وأسروا وأخذت أعلامهم وكانت بيضاء وعليها مكتوب (ونُريدُ أنْ نَمُنَّ على الَّذِينَ استُضْعِفُوا فى الأَرْضِ ونَجْعلَهُمْ أئِمةً ونَجْعلَهُمُ الوارِثِينَ)(٢) فدخلت بغداد منكوسة ، واضمحلَّ أمر القرامطة بالسواد .

نعود إلى أخبار أبى طاهر

ذكر مسير أبى طاهر الى مكة شرفها الله ونهبها واخذ الحجر الاسود واعادته وماكان من اخباره فى خلال ذلك

وفى سنة سبع عشرة وثلاثمائة حجّ بالناس منصور الديلمى ، وسلموا فى مسيرهم حتى أتوا مكة ، فوافاهم أبو طاهر القرمطى بمكة يوم التروية ، وهو يوم الاثنين لثمان خلون من ذى الحجة ، فنهب هو وأصحابه أموال الحجّاج وقتلوهم حتى فى المسجد الحرام والبيت ، وقلعوا الحجر الأسود وأنفذوه إلى هجر ، وأخذوا كسوة الكعبة وباب

(١) راجع حـ٨ ص ١٣٦ .
(٢) سورة ٢٨ آية ٥ .

البيت ، وطلع رجل منهم ليقلع الميزاب (١) فسقط. فمات ، وخرج أمير مكة ابن مجلب فى جماعة من الأشراف إلى أبى طاهر ، وسألوه فى أموالهم فلم يشفعهم فقاتلوه فقتلهم جميعا وطرح القتلى فى بئر زمزم ، ودفن الناس فى المسجد الحرام حيث قتلوا من غير غسل ولا كفن ولا صلاة على أحد منهم ، ونهب دور أهل مكة ، قال الشريف أبو الحسين : ولما نهب القرامطة مكة ورجع أبو طاهر إلى بلده لحقه كدّ شديد عند خروجه من مكة ، وحاصرته هذيل فأشرف على الهلكة إلى أن عدل به دليل من الطريق المعروف إلى غيره ، فوصل إلى بلده بعد ذلك فى المحرم سنة ثمانى عشرة وثلاثمائة ، فأقام به ثم سار إلى الكوفة فدخلها فى شهر رمضان سنة تسع عشرة وثلاثمائة ، فاشتروا منها أمتعة وأسروا خلقا من السواد ، وعاثوا ورجعوا بعد خمسين يوما إلى بلدهم ، فأقاموا به .

وأنفذ أبو طاهر سريّة إلى جنّابه وسينيز ومهْروبان فى البحر ، فيها وجوه أصحابه فى نحو أربعين مركبا ، فوافت ساحل سينيز فصعدوا من المراكب ، فحملوا على أهلها حملة واحدة فانكشف الناس عنهم ، فوضعوا فيهم السيف فمالقوا أحدا إلا قتلوه من رجل وامرأة ، فما نجا إلا من لحق بالجبال وسبوا النساء ، فترك الناس الديار وخرجوا يريدون الهرب ، فنادى أبو بكر الطرازى فى الناس : لا يهرب أحد ، فإنّا نقاتل من ورد إلينا ، وضرب بالبوق ووجّه من

(١) وردت فى تجارب الأمم لابن مسكويه ﺟ ١ ص ٢٠١ : المرزاب ، ويؤيد عريب بن سعد فى صلة تاريخ الطبرى (طبع أوروبا) ص ١٣٧ المخطوطات .

حبس الناس عن سلوك الطرقات وردّهم إلى البلد ، وجمع الناس بالمسجد الجامع ورغّبهم فى الجهاد وأسعفهم بماله ، ورغبت المتطوّعة فى الاجتماع فقويت قلوب الناس ، وأنفذ أبو بكر سريّة من وقته من خاصّة غلمانه فى نحو ثلاثمائة رجل فى البحر ، ووجّه سريّة أخرى فى البر ، وأنفذ إلى مهروبان يخبر أنّه على لقاء العدوّ ، وسألهم الإنجاد فى المراكب لمعاونة أهل جنّابه على قتال القرامطة ، فساروا والتقى الفريقان فى البرّ والبحر من أهل جنّابه وسينيز ، ووافت قوارب مهروبان فأشعلوا النيران فى القوارب ، فأحرقوا بعضها وتخلّص منهم نحو عشرين قاربا ، وانتشبت الحرب فقتل الله منهم خلقا كثيرا ، وأسر جماعة والحق بعضهم بالجبال ، وورد على أبى بكر الطرازى من أخبره بذلك ، فجمع الناس وغدا نحو الجبال ، وأرسل فارسا إلى من بسينيز من أصحابه أن يلحقوا به ، وأنفذ إلى جنّابه ألاّ يتخلّف عنه من فيه حراك ، لتكون الوقعة بهم من كل وجه ، فوافوا المنهزمين من القرامطة فى بعض كهوف الجبال ، وذلك فى يوم الأربعاء فلمّا رأوا الناس قد أقبلوا نحوهم كسروا جفون سيوفهم ، وحملوا عليهم فثبتوا لهم ، ولم تزل الحرب قائمة بينهم يوم الأربعاء والخميس إلى نصف النهار ، ثم نادى أبو بكر الطرازى : من جاء برأس فله خمسون درهما ، فتنادى الناس بالشهادة وجدّوا ونشطوا ، وقتلوا خلقا كثيرا وأخذوا جميع من بقى أسرى ، وحملوا مشهرّين والناس يكثرون حمد الله عز وجلّ والثناء عليه ، ولم يفلت منهم أحد .

وكتب الناس محضرا أنفذوه إلى بغداد ، وحملت الأسرى والرؤوس معه ، قال الشريف : ونسخة المحضر :

بسم الله الرحمن الرحيم – حضر من وقّع بخطّه وشهادته آخر هذا الكتاب المحضر ، وقد حضر عندهم ثلاثة من القرامطة – لعنهم الله – ذكر أحدهم أنّه يقال له – سيّار بن عمر بن سيّار ، والآخر ذكر أنّه يقال له – على بن محمد بن عمر [(١)] ، والآخر ذكر أنه يعرف بأحمد ابن غالب بن جعفر الأحساوى ، فذكروا أنّهم متى نفذ رسولهم إلى صاحبهم سليمان بن الحسن القرمطى ردّ الحجر والشّمْسة وكسوة البيت وأطلق الأسارى الذين فى قبضته ، وهادن السلطان وارتدع عن السعى بالفساد والقطع على الحاج ، ولم يحفزهم ولم يعترض عليهم ، ويقول هؤلاء النفر من جملة الأسرى الذين فى يد محمد بن على الطرازى – وهم الذين ظفّر الله بهم – فمتى ما وفّى سليمان بن الحسن القرمطى بما بذلوه عنه أفرج السلطان عنهم وردّهم إليه ، وذلك فى يوم الجمعة لعشر خلون من جمادى الآخرة سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة ، وأسفل ذلك خطوط أهل البلد بالشهادة .

وأحضر سيّار بن عمر بن سيّار وعلى بن محمد بن عمر المعروف بأبى الهذيل بن المهلّب وأحمد العيّار ، وهم من جملة الأسرى فى الوقعتين بسينيز وجنّابه ، فعُرض عليهم رؤوس أصحابهم ممّن قتل من القرامطة ، ليُعرفوا باسمائهم وأنسابهم فذكروا نحو المائة رأس ، ومن الأسرى نحوهم ، وحملوا إلى بغداد فحبسوا وأجرى عليهم ، ويقال إنّه قد كان فيهم من إخوة سليمان بن الحسن من كُتم أمره .

وحدّثنى ابن حمدان أنّهم كانوا بعد خلاصهم ومصيرهم إلى

(١) فى المخطوطات : أبو عمرو .

أبى طاهر يتحدثون : أن كثيرا من الكبراء وغيرهم كانوا يرسلون إليهم ما يتقرّبون به إلى قلوبهم ، وذكروا أنهم كانوا يكثرون الخشوع وذكر النبى صلى الله عليه وسلم وتعظيمه وإقامة الصلاة ؛ قال : ويضحكون من فعلهم هذا وخديعتهم الناس ، قال : ويضحك أبو طاهر وإخوته مما يتحدثون به ، قال : وكان سبب تخلّص هؤلاء الأسرى أن أبا بكر بن ياقوت كتب فى المهادنة ، وجرى بينهم خطوب فى المراسلة إلى أن وافقهم أن يردّوا الحجر الأسود ويخلوا الأسرى ولا يعرضوا للحاج ، فجرى الأمر على ذلك .

قال الشريف : وفى سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة دخل القرمطى الكوفة ، واستقبل لؤلؤا الأمير خارجا بالحاج فى ذى القعدة ، فرجع بهم لؤلؤ إلى الكوفة وتفرّقوا فيها ، بعد أن واقعته الخراسانية فلم يقدر على مقاومتهم وامتنعوا منه ، إلا أن الناس تسرّبوا وافترقوا ، فظفر بمن ظفر منهم فلم يكثر القتل وأخذ ما وجد ، وأشار بعض أهل الكوفة على بعض أصحابه فى هذه السنة - عند نزولهم بالكوفة - أن يشار فى الحاج بغير ما يجرى فيهم ، فقال الرجل : الذى من أصحاب القرمطى : والله ما ندرى ما عند سيّدنا أبى طاهر ، من تمزيق هؤلاء الذين من شرق الأرض وغربها ، واتخاذهم ومن وراءهم أعداء ، وما يفوز بأكثر أموالهم إلا الأعراب والشرّاد من الناس ، قال الكوفى : فلو أنه حين يظفر بهم دعاهم أن يؤدى كل رجل دينارا وأطلقهم وأمّنهم لم يكره أحد منهم ذلك وخفّ عليهم وسهل ، وحجّ الناس من كل بلد لأنهم ظماء إلى ذلك جدا ، ولم يبق ملك إلا كاتبه وهاداه واحتاج إليه فى حفظ أهل بلده وخاصّته ، فجبى فى كل سنة

ما لا يصير إلى سلطان مثله من الخراج ، واستولى على الأرض وانقاد له الناس ، وإن منع من ذلك السلطان اكتسب المذمّة ، وصار عند الناس هو المانع من الحج ، فاستصوب رأيه وفرّج عنه ، لأن أصحاب أبى طاهر كان قد ظهر منهم اضطراب عليه وقلّت طاعتهم له ، قال : حتى لقد سمعت بعضهم وقد لحقه فارس من العرفاء يركض ويدور فى الكوفة ويقول : ارجع إلى العسكر فإنّ السيّد يأمرك بذلك ، فذكر أمّه بقبيح من الشّتيمة بعد أن كانوا يعبدونه ، قال : ولما سمع رئيس القرامطة كلام الكوفى وما أشار به من أمر الحاج وما جرى من الكلام فى ذلك دخل إلى أبى طاهر فعرّفه ماجرى ، فبادر من وقته ونادى فى الناس بالأمان ، وأحضر الخراسانيّة وقرّر معهم أنهم يحجّون ويؤدون إليه المال فى كل سنة ، ويكونون آمنين على أنفسهم وأموالهم فلم يأمنوا له ، فسلّم سياسة أمرهم إلى أبى على عمر بن يحيى العلوى ، واستقرّ للقرامطة ضريبة ورسم على منفر الحاج .

قال الشريف : ولمّا كان فى سنة خمس وعشرين وثلاثمائة كبس أبو طاهر الكوفة عشية ، وفيها شفيع اللؤلؤى أمير ، فهرب من مجلسه والناس عنده ، ورمى بنفسه من سطحه واستتر عند امرأة ضعيفة ، وظهر الجند من الطرقات فقاوموا من لحقهم من جيشه ، وامتنع أكثرهم منه وخرجوا سالمين إلا نفرا منهم أصيبوا ، ووجّه أبو طاهر إلى شفيع اللؤلؤى فأمّنه وأحضره ، فحضر إليه وقدّم إليه طعاما يأكله ، وطلبت مائدة يأكل عليها ، فقيل ما يحضر إلا مائدة نهبت من داره ، فقال أبو طاهر : قبيح أن يراها فافرشوها بالرقاق لكى لا يعرفها ، ففعلوا

ذلك وقدّمت إليه ، وكان يحمل إلى أبى طاهر صحفة صحفة مما يقدّم إليه ، فينظر إليها أولا وينفذها إليه وكان ذلك لدناءته ومهانته ، وتفرّق أصحابه عنه وقلّت طاعتهم له فاحتاج إلى المداراة ، فوجّه إلى شفيع من يخاطبه فى أن يمضى إلى السلطان ، ويعرّفه أنهم صعاليك لابدّ لهم من أموال ، وأنه إن أعطاهم مالا لم يفسدوا عليه شيئا وخلعوه فيما يلتمسه ، وإن أبى ذلك لم يجدوا بُدًّا من أن يأكلوا بأسيافهم وسيّره أبو طاهر ووصله ، وخرج شفيع إلى السلطان فقدم إلى القرمطى أبو بكر بن مقاتل من قبل السلطان يناظره ، ففتّ فى عضده وملأ صدره من السلطان وأتباعه ، فزاده ذلك انكسارا وذلة وسار عن الكوفة .

وفى سنة ست وعشرين وثلاثمائة فسدت رجال القرامطة وقتل بعضهم بعضا ، وسبب ذلك أنه كان منهم رجل يقال له ابن سَنْبَر ، وهو من خواص أبى سعيد الجنّابى المطلعين على سرّه ، وكان له عدوّ من القرامطة اسمه أبو حفص الشريك ، فعمد ابن سنبر إلى رجل من أصفهان ، وقال له : إذا ملّكتك أمر القرامطة نقتل عدوّى ، فأجابه إلى ذلك وعاهده عليه ، فأطلعه على أسرار أبى سعيد وعلامات كان يذكرها فى صاحبهم الذى يدعو إليه ، فحضر إليه أولاد أبى سعيد فذكر لهم العلامات ، فقال أبو طاهر : هذا هو الذى ندعو إليه ، فأطاعوه ودانوا له حتى كان يأمر الرجل منهم بقتل أخيه فيقتله ، وكان إذا كره رجلا منهم يقول إنه مريض – يعنى قد شك فى دينه ويأمر بقتله ، وبلغ أبو طاهر أنّ الأصفهانى يريد قتله لينفرد بالأمر ، فقال لإخوته :

قد أخطأنا فى هذا الرجل وسأكشف حاله ، فقال له : إنّ لنا مريضا فانظر إليه ليبرأ ، وأضجعوا والدتهم وغطّوها بإزار ، فلما رآها قال : إنّ هذا المريض لا يبرأ فاقتلوه ، فقالوا : كذبت ، هذه والدتنا ثم قتلوه ، وذلك بعد أن أفنى أكثر أكابرهم بالقتل [١] .

ذكر وفاة ابى طاهر بن ابى سعيد الجنابى واخيه وقيام اخويهما بعده

قال [٢] : وفى سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة هلك أبو طاهر سليمان بن أبى سعيد وأخوه أبو منصور بجدرى أصابهما ، وملك التدبير بعده أخواه أبو القاسم سعيد وهو أكبرهم ، وأبو العباس ، وكانا يتّفقان معه على تدبير الأمر ، وكان لهم أخ آخر لا يختلط بهم لاشتغاله بالشرب واللهو ، قال : وشركهما فى تدبير الأمر ابن سنبر

ذكر اعادة القرامطة الحجر الأسود الى الكعبة شرفها الله تعالى

قال : وفى سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة أراد القرامطة أن يستميلوا أهل الإسلام ، فحملوا الحجر الأسود وأتوا به الكوفة ، فنصبوه فى المسجد الجامع على الأسطوانة السابعة فى القبلة ممّا يلى صحن المسجد حتّى يراه الناس ثم حملوه إلى مكة شرفها الله تعالى ، وقالوا : أخذناه بأمر ورددناه بأمر .

---

(١) مصدر المؤلف هو ابن الأثير فى الكامل حـ ٨ ص ٢٦٣ ، ص ٢٦٤ هذا والقصة موجودة فى كتاب تجارب الامم لابن مسكويه حـ٢ ص ٥٥ ، ص ٥٦ .

(٢) راجع الكامل لابن الأثير حـ٨ ص ٣١١ .

قال ابن الأثير (١) وكان بجكم الرايقى قد بذل لهم فيه خمسين ألف دينار ، فلم يردّوه وردّوه الآن بغير شىء ، وذلك فى ذى القعدة من السنة ، فكان مكثه عندهم اثنتين وعشرين سنة إلا أياما ، وحكى ابن الأثير (٢) فى سبب ردّه : أنّ عبيد الله المنعوت بالمهدى القائم ببلاد المغرب والمستولى عليها كتب إلى القرمطى ينكر فعله ويلومه ويلعنه ، ويقول أخفقت علينا سعينا وأشهرت دولتنا بالكفر والإلحاد بما فعلت ، ومتى لم ترد على أهل مكة ما أخذته وتعيد الحجر الأسود إلى مكانه وتعيد كسوة الكعبة فأنا برىء منك فى الدنيا والآخرة. فلما وصل هذا الكتاب أعيد الحجر إلى مكة شرّفها الله تعالى .

ذكر ملك القرامطة دمشق وسيرهم الى الديار المصرية ومحاصرة من بها ورجوعهم عنها

قال الشريف أبو الحسين رحمه الله تعالى : وفى سنة ستين وثلاثمائة سار الحسن بن أحمد بن أبى سعيد الجنّابى ، وهو الذى انتهى إليه أمر القرامطة ، من بلده إلى الكوفة ، وعزم على قصد الشام وسبب ذلك أنّه كان قد تقرّر للقرامطة فى الدولة الاخشيديّة من مال دمشق فى كل سنة ثلاثمائة ألف دينار ، فلما ملك المعز لدين الله العُبيدى الديار المصرية ، واستولى جعفر بن فلاح على الشام ، علموا أن ذلك يفوّتهم ، فسار الحسن بن أحمد إلى الكوفة ، وراسل بختيار الديلمى

(١) الكامل حـ٨ ص ٣٦٥ .

(٢) الكامل حـ٨ ص ١٥٣ ، ١٥٤ أحداث سنة ٣١٧ هـ .

أحد ملوك الدولة البويهية ، فى طلب السلاح والمساعدة ، فأنفذ إليه خزانة سلاح من بغداد وسبب له على أبى تغلب بن ناصر الدولة بن حمدان بأربعمائة ألف درهم ، فرحل الحسن من الكوفة حتى أتى الرحبة وعليها أبو تغلب بن حمدان ، فحمل إليه المال المسبّب له به عليه وحمل إليه العلوفة ، وأرسل إليه يقول : هذا شيء كنت أردت أن أسير أنا فيه بنفسى ، وأنت تقوم مقامى فيه ، وأنا مقيم فى هذا الموضع إلى أن يرد علىّ خبرك ، فإن احتجت إلى مسيرى سرت إليك ، ونادى فى عسكره : من أراد المسير من الجند الإخشيدية وغيرهم إلى الشام مع الحسن بن أحمد فلا اعتراض عليه ، فقد أذنّا له فى المسير والعسكران واحد ، فخرج إلى عسكر القرمطى جماعة من عسكر أبى تغلب ، وكان فيه كثير من الإخشيدية الذين كانوا بمصر وفلسطين ، صاروا إليه لما انهزموا من المغاربة عند ملكهم الديار المصريّة بعد الدولة الإخشيدية ؛ قال : وسبب مظاهرة ابن حمدان للقرمطى أنه كان قد وقع بينه وبين جعفر بن فلاح مراسلات ، أغلظ جعفر فيها على أبى تغلب وتهدّده بالمسير إليه ، فلما أرسل ابن جعفر إلى الحسن ابن أحمد هذه الرسالة ومكّن الجند من المسير معه سرّه ذلك وزاد قوّة ، وسار عن الرّحبة وقرب من أرض دمشق ووصل إلى ضياع المرْج فظفرت خيله برجل مغربى يقال له على بن مولاه ، فقتلوه وقتلوا معه جماعة من المغاربة فوقعت الذلّة على المغاربة ، وكان ظالم بن موهوب العُقَيلى على مقدّمة القرامطة فى جمع من بنى عقيل وبنى كلاب ، فلقى المغاربة فى صحراء المِزّة وأقبل شبل بن معروف العقيلى معينا لظالم ، ولم يزل القتال بينهم إلى أن أقبل الحسن بن أحمد القرمطى فقوى العقيليون ،

وتشمّرت المغاربة ولم يزل القتال إلى العصر ، ثم حمل ظالم ومن معه فانهزمت المغاربة وأخذهم السيف وتفرّقوا ، وقتل جعفر بن فلاج ولم يعرف ، واشتغلت العرب بنهب العسكر ، وكانت هذه الوقعة فى يوم الخميس لست خلون من ذى القعدة سنة ستين وثلاثمائة ، فلما كان بعد الوقعة عثر بجعفر بن فلاح من عرفه وهو مقتول مطروح على الطريق ، فاشتهر خبره فى الناس ، ثم نزل الحسن بن أحمد بعد الوقعة على ظاهر المزّة فجبى مالا من البلد وسار يريد الرملة ، وكان جوهر القائد قد أنفذ من مصر رجلا من المغاربة يقال له سعادة بن حيّان ذكر أنّه فى أحد عشر ألفا ، فلما بلغ ابن حيّان أنّ ابن فلاح قد قتل وجاءه بعد ذلك قوم من المنهزمين فأخبروه بخبر الواقعة ، تحيّر وتقطّعت به الأسباب ، فلم تكن له جهة غير الدخول إلى يافا ، ولم يكن له بها عُدّة ولا دار ، فلما دخل إليها جاءه الحسن بن أحمد فنزل عليها ، واجتمعت إليه عرب الشام فنازلها وناصبها بالقتال ، حتّى اشتدّ الحصار وقلّ مابها جدا ، وكان يدخل إليها شىء سرا فجعل عليها حرسا ، فمن وجد معه شىء من الطعام يريد الدخول به إلى يافا ضربت عنقه ، فلما طال بهم الأمر أكلوا دوابهم وجميع ماعندهم من الحيوان ، ثم هلك أكثرهم من الجوع ، وكان الحسن بن أحمد قد سار عن يافا نحو مصر ، وخلّف على حصارها أبا المنجّى وظالما العقيلى ونزل على مصر يوم الجمعة مستهلّ شهر ربيع الأول سنة إحدى وستين وثلاثمائة ، فقاتل المغاربة على الخندق الذى لمدينتهم ، وقتل كثيرا منهم خارج الخندق وحاصرهم شهورا ، ثم رحل عنها إلى الأحساء ولم يعلم الناس ماكان السبب فى ذلك ، فلما تيقّنت المغاربة أنه قد رحل

إلى بلده أنفذ جوهر القائد ابن أخته نحو يافا ، وبلغ من عليها يحاصرها أن الحسن بن أحمد رحل عن مصر ، وأنّ إبراهيم ابن أخت جوهر خارج يريد يافا ، فسار القوم عنها وتوجّهوا نحو دمشق ، فنزلوا بعسكرهم على ظاهرها ، فجرى بين ظالم وأبى المنجّى كلام وخلاف ذكر أنّه بسبب أخذ الخراج ، وكان كل واحد منهما يريد أخذه للنفقة فى رجاله ، وكان أبو المنجّى كبيرا عند القرمطى يستخلفه على تدبير أحواله .

قال : ولما رحل القوم عن يافا إلى دمشق جاءها إبراهيم ابن أخت جوهر القائد ، فأخرج من كان بها وسار بهم إلى مصر ، ورجع الحسن ابن أحمد فنزل الرمله ، ولقيه أبو المنجّى وظالم فذكر أبو المنجّى للحسن ابن أحمد ما جرى من ظالم وما تكلّم به ، فقبض عليه ولم يزل محبوسا حتّى ضمنه شبل بن معروف فخلّى سبيله ، فهرب إلى شط الفرات إلى حصن كان له فى منزل بنى زياد ، ثم إنّ الحسن بن أحمد طرح مراكب فى البحر وجعل فيها رجالا مقاتلة ، وجمع كل من قدر عليه من العرب وغيرهم وتأهّب للمسير إلى مصر ، وكان جوهر يكتب إلى المعز لدين الله إلى القيروان بما جرى على عسكره ، من القتل والحصار والقتل ، أنّ الحسن بن أحمد يقاتلهم على خندق عسكرهم ، وقد أشرف على أخذ مصر فقلق من ذلك قلقا شديدا ، وجمع من يقدر عليه وسار إلى مصر ، وهو يظن أنها تؤخذ قبل أن يصل إليها ، فدخلها فى يوم الثلاثاء لخمس خلون من شهر رمضان سنة اثنتين وستين وثلاثمائة وكان شديد الخوف من الحسن بن أحمد ، فلما نزل مصر عزم على أن يكتب إلى الحسن بن أحمد كتابا يعرّفه فيه أنّ المذهب واحد ،

وأنهم منهم استمدوا ، وأنهم ساداتهم فى هذا الأمر ، وبهم وصلوا إلى هذه المرتبة وترهّب عليه ، وكان غرض المعز لدين الله العبيدى فى ذلك أن يعلم من جواب القرمطى ما فى نفسه ، وهل خافه لما وافى مصر أم لا ؟ قال : والحسن بن أحمد يعرف أنّ المذهب واحد ، لأنّه يعلم الظاهر من مذهبهم والباطن ، لأن الجميع اتّفقوا على تعطيل الخالق وإباحة الأنفس والأموال وبطلان النبوّة ، فهم متّفقون على المذهب ، وإذا تمكّن بعضهم من بعض يرى قتله ولا يبقى عليه .

قال الشريف : وكان عنوان الكتاب :

من عبد الله ووليّه وخيرته وصفيّه معدّ أبى تميم بن إسماعيل المعزّلدين الله أمير المؤمنين ، وسلالة خير النبيّين ونجل علىّ أفضل الوصيّين إلى الحسن بن أحمد ، ونسخة الكتاب :

بسم الله الرحمن الرحيم – رسوم النطقاء ومذاهب الأئمة والأنبياء ومسالك الرسل والأوصياء ، السالف والآنف منّا صلوات الله علينا وعلى آبائنا ، أولى الأيدى والابصار فى متقدّم الدهور والأكوار وسالف الأزمان والأعصار عند قيامهم بأحكام الله ، وانتصابهم لأمر الله ، بالابتداء بالإعذار والانتهاء بالإنذار ، قبل إنفاذ الأقدار فى أهل الشقاق والإصرار ، لتكون الحجّة على من خالف وعصى ، والعقوبة على من بان وغوى ، حسبما قال الله جلّ وعزّ (وما كُنّا مُعذِّبينَ حتّى نَبْعَثَ رسُولاً) (١) (وإنْ منْ أمّةٍ إلاّ خَلاَ فيهاَ نذِيرٌ) (٢) وقوله سبحانه

(١) سورة ١٧ : آية ١٥ .
(٢) سورة ٣٥ : آية ٢٤ . .

(قُلْ هَذِهِ سبيلى أَدْعُو إِلَى اللهِ علَى بصِيرةٍ أنَا ومنِ اتَّبعَنِي وسُبْحانَ اللهِ وما أَنَا منَ المُشْرِكينَ) (١) (فإِنْ آمنُو بمثْل ماآمنتُمْ بهِ فقَدِ اهْتَدوْا وإِنْ تَولَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فى شِقَاقٍ) (٢) ، أما بعد أيها الناس : فإنَا نحمد الله بجميع محامده ونمجّده بأحسن مماجلة ، حمداً دائما أبدا ومجدا عاليا سرمدا ، على سبوغ نعمائه وحسن بلائه ، ونبتغى إليه الوسيلة بالتوفيق والمعونة ، على طاعته والتسديد فى نصرته ، ونستكفيه ممايلة الهوى والزيغ عن قصد الهدى ، ونستزيد منه إتمام الصلوات وإفاضة البركات وطيب التحيات ، على أوليائه الماضين وخلفائه التالين ، منّا ومن آبائنا الراشدين المهديين المنتخبين ، الذين قضوا بالحقّ وكانوا به يعدلون .

أيها الناس (قَدْ جاءكُمْ بصائِرُ مِنْ ربِّكُمْ فَمنْ أَبْصر فَلِنَفْسهِ ومنْ عَمِيَ فَعليْهَا) (٣) ليتذكّر من تذكر وينذر من أبصر واعتبر . أيها الناس :إن الله جلّ وعزّ إذا أراد أمرا قضاه ، وإذا قضاه أمضاه ، وكان منقضائه فينا قبل التكوين أن خلقنا أشباحا ، وأبرز أرواحنا بالقدرة مالكين ، وبالقوّه قادرين ، حين لاسماء مبنيّة ، ولا أرض مدحيّة ، ولا شمس تضىء ، ولاقمر يسرى ، ولا كوكب يجرى ، ولاليل يجنّ ، ولاأفق يكنّ ، ولالسان ينطق ولاجناح يخفق ، ولاليل ، ولانهار ، ولافلك دوّار ، ولاكوكب سيّار ، فنحن أوّل الفكرة ، وآخر العمل بقدر ومقدور ، وأمر فى القدم مبرور ، فعندما تكامل الأمر وصحّ العزم

(١) سورة ١٢ : آية ١٠٨ .
(٢) سورة ٢ : ١٣٧ .
(٣) سورة ٦ : آية ١٠٤ .

أنشأ الله جلّ وعز المنشآت فأبدأ الأمّهات من هيولانا ، فطبعنا أنوارا وظلمة وحركة ، وسكونا ، فكان من حكمه السابق فى عمله ماترون من فلك دوّار ، وكوكب سيّار ، وليل ونهار ، وما في الآفاق من آثار معجزات ، وأقدار باهرات ، وما فى الأقطار[1] من الآثار ، وما فى النفوس من الأجناس والصور والأنواع ، من كثيف ولطيف ، وموجود ومعلوم وظاهر وباطن ، ومحسوس وملموس ، ودانٍ وشاسع ، وهابط وطالع كل ذلك لنا ومن أجلنا ، دلالة علينا وإشارة إلينا ، يهدى الله ما كان له لب سجيح ، ورأى صحيح ، قد سبقت له منّا الحسنى ، فدان بالمعنى ، ثم إنه جلّ وعلا أبرز من مكنون العلم ومخزون الحكم آدم وحوّاء أبوين ذكرا وأنثى ، سببا لإنشاء البشرية[2] ، ودلالة لاظهار القدرة القويّة الكونيّة[3] ، وزوّج بينهما فتوالدا الأولاد ، وتكاثرت الأعداد ، ونحن ننقل فى الأصلاب الزكيّة والأرحام الطاهرة المرضية ، كلّما ضمّنا من صلب ورحم أظهر منّا قدرة وعلما وهلم جرا إلى آخر الجد الأول والأب الأفضل سيد المرسلين وإمام النبيين أحمد ومحمد صلوات الله عليه وعلى آله فى كل نادٍ ومشهد ، فحسن آلاؤه وبان غناؤه ، وأباد المشركين وقصم الظالمين ، وأظهر الحق واستعمل الصدق ، وبان بالأحديّة ودان بالصمديّة ، فعندها سقطت الأصنام وانعقد الإسلام ، وظهر الإيمان وبطل السحر والقربان ، وارتفع الكفر والطغيان ، وخمدت بيوت

(١) فى المخطوطات : الآثار والتصويب عن المقريزى والدواوارى (المراجع) .
(٢) فى ك ، ت : البرية .
(٣) فى المخطوطات : المعدنية ، وأحسبها من «كن فيكون» اى مشتقة منها وهذه العبارة لها دلالة خاصة عندهم .

النيران وهربت عبدة الأوثان ، وأتى بالقرآن شاهدا بالحق والبرهان فيه خير ما كان وما يكون إلى يوم الوقت المعلوم ، مبينا عن كتب تقدّمت فى صحف قد نزلت ، تبيانا لكل شىء وهدى ورحمة ونورا وسراجا منيرا ، وكل ذلك دلالات لنا ومقدّمات بين أيدينا ، وأسباب لإظهار أمرنا ، هدايات وآيات وشهادات ، ومعادات قدسيات إلاهيات أوّليات كائنات ، منشآت مبديات معيدات وما من ناطقٍ نطق ولانبىّ بعث ولا وصىّ ظهر إلاقد أشار إلينا ، ولوّح بنا ودلّ علينا فى كتابه وخطابه ، ومنار أعلامة ومرموز كلامه ، ماهو موجود غير معلوم وظاهر وباطن ، يعلمه من سمع الندا أو شاهدورأى من الملأ الأعلى ، فمن أغفل منكم أو نسى أو ضلّ أو غوى فلينظر فى الكتب الأولى[1] والصحف المنزَلة ، وليتأمل آى القرآن وما فيه من البيان ، وليسأل أهل الذكر إن كان لايعلم ، فقد أمر الله عز وجلّ (فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِكْرِ إنْ كُنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ) [2] .

قال : وهذا الكتاب طويل جدا لا طائل فيه ، قطعناه ههنا وسنذكر جملة من هذا الكتاب فى أخبار المعز لدين الله غير ما فى هذا الموضع ، على ما نقف عليه إن شاء الله تعالى فى موضعه[3].

قال[4] : والجواب من الحسن بن أحمد القرمطى الأعصم :

وصل إلينا كتابك الذى كثر تفصيله وقلّ تحصيله ، ونحن سائرون على أثره والسلام .

---

(١) فى المخطوطات : الأولة .

(٢) سورة ١٦ : آية : ٤٣ .

(٣) يمضى المقريزى فى إبراز النص . أما الدوادارى فيتجاوز عن بعض النصوص وينقل بعضها (المراجع) .

(٤) فى المخطوطات قال إلا أن ا وضع بعدها الشريف بخط صغير منعا اللبس .

وسار الحسن بن أحمد بعد ذلك إلى مصر ، فنزل بعسكره عين شمس ، وناشب المغاربة القتال ، وانبثت سراياه فى أرض مصر وبعث عمّالا إلى الصعيد تجبى الأموال ، وضيّق على المغاربة وداومهم القتال على خندق مدينتهم، يعنى الشريف بمدينتهم القاهرة المعزيّة ، قال: فذكر أنه هزمهم حتى عبر الخندق فامتنعوا منه بالسور ، وعظم ذلك على المعز لدين الله وتحيرّ فى أمره ، ولم يجسر أن يخرج بعسكره خارج الخندق ، قال : وكان ابن الجرّاح الطائى فى جمع عظيم مع الحسن بن أحمد القرمطى ، وكان قوة لعسكره ومنعة ومقدّمة ، فنظر القوم فإذا ليس لهم بالحسن بن أحمد طاقة ، ففكّروا فى أمره فلم يجدوا لهم حيلة غير فلّ عسكره ، وعلموا أنه لايقدر على فلّه إلا بابن الجراح ، وأنّ ذلك لا يتمّ إلا ببذل ما يطلبه من المال ، فراسلوا ابن الجرّاح وبذلوا له مائة ألف دينار ، على أن يفلّ لهم عسكر القرمطى فأجابهم إلى ذلك ، ثم إنهم فكروا فى أمر المال فاستعظموه ، فعملوا دنانير من النحاس وطلوها بالذهب وجعلوها فى أكياس ، وجعلوا على رأس كل كيس منها دنانير يسيرة من الذهب تغطى ما تحتها وشدّوها وحملت لابن الجراح بعد أن استوثقوا منه ، وعاهدوه ألايغدربهم إذا وصل إليه المال ، فلما وصل إليه المال عمل على فلّ عسكره ؛ وتقدم إلى كبراء أصحابه بأن يتبعوه إذا تواقف العسكران ، وقامت الحرب فلما اشتدّ القتال ولّى ابن الجرّاح منهزما ، واتّبعه أصحابه فى جمع كثير ، فلما نظر إليه القرمطى قد انهزم بعد الاستظهار تحيّر ولزمه أن يقاتل هو ومن معه فاجتهد فى القتال حتى تخلص ، ولم تكن له بهم طاقة وكانوا قد بادروه من كل جانب ، فخشى على نفسه وانهزم

واتّبعوه [قومه] ودخل [المغاربة] معسكره ، فظفروا باتباع وباعة[1] نحو من ألف وخمسمائة رجل ، فأخذوهم أسرى وانتهبوا العسكر وضربوا أعناقهم ، وذلك فى شهر رمضان سنة ثلاث وستين وثلاثمائة ، ثم جرّدوا خلف الحسن بن أحمد ، أبا محمود إبراهيم بن جعفر فى عشرة آلاف رجل من المغاربة ، فسار خلفه وتباطأ فى السير خوفا من أن يعطف عليه ، وسار الحسن فنزل أذرعات وأنفذ أبا المنجّى فى طائفة كثيرة من الجند إلى دمشق ، وكان ابنه قبل ذلك واليا عليها ، ثم سار القرمطى فى البريّة إلى بلده وفى نيّته العود ، وكانت المغاربة ، لمّا سمعوا بقصّة ظالم ، وقبض القرمطىّ عليه لما جرى بينه وبين أبى المنجّى ما ذكرناه ، وهربه إلى حصنه ، راسلوه ليأتى القرمطىّ من خلفه ، فسار يريد بعلبك فلقيه الخبر بهزيمة القرمطى ونزول أبى المنجّى على دمشق ، فسار ظالم نحو دمشق ونزل أبو محمود أذرعات ، وذُكر أنّه كان بينه وبين ظالم مراسلة واتّفقا على أبى المنجّى ، وبلغ أبو المنجّى مسير ظالم إليه وكان فى شرذمة يسيرة ، وأبو المنجّى بدمشق فى نحو ألفى رجل ، وكان قد ورد إليه الخبر فى أنّ ظالما يصبح من غد فى عقبة دُمّر ، وكان الجند قبل ذلك قد طلبوا منه الرزق ، فقال : ما معى مال ، فلما ورد إليه خبر ظالم أعطى الجند على السُّرج دينارين لكل رجل ، ثم إنّ ظالما أصبح من غد ذلك اليوم فى عقبة دُمّر ، فخرج أبو المنجّى وابنه بمن معهما إلى الميدان للقتال ، فذكر أنّ ظالما أنفذ إلى أبى المنجّى رسولا يقول له : إنما جئت مستأمنا إليكم ، وقد كان

(١) فى كنز الدرر للدوادارى ص ١٦٠ : وانهزم وتبعوه قومه ، ودخل المغاربة عسكره فظفروا بتبع وباعة ... (والمفهوم من النص أنهم لم يظفروا بجنود وإنما ظفروا بخدم وباعة .

الجند حقدوا على أبى المنجّى من جهة الرزق ، فلما صار ظالم فى عقبة دُمَّر مشرفا على دمشق ذهب قوم من الجند نحو العقبة ، فاستأمنوا إلى ظالم وتبعهم قوم بعد قوم ، فقوى طمع ظالم بهم فانحدر من العقبة ، ثم سار بمن معه حتى قرب من أبى المنجّى فأحاط به فلم يقدر على الهرب فأخذ هو وابنه من بعد أن وقعت فيه ضربة ، وانقلب عسكره إلى ظالم ، وملك ظالم البلد ، وذلك فى يوم السبت لعشر خلون من شهر رمضان سنة ثلاث وستين وثلاثمائة .

فلما تمكّن ظالم ونزل البلد أوثق أبا المنجّى وابنه ثم حبسهما ، وقبض على جماعة من أصحابه فأخذ أموالهم ، ثم قدم أبو محمود بعد ذلك دمشق فى يوم الثلاثاء لثمان بقين من شهر رمضان ، فلقيه ظالم وتقرّب إليه بأبى المنجّى وابنه ، فعمل لكل واحد منهما قفصا من خشب وحملهما إلى مصر فحبسا ، وكان بعد ذلك بين ظالم وأبى محمود وأخبار دمشق ما ليس ذكره فى هذا الموضع من غرضنا ، فلنرجع إلى أخبار القرامطة .

ذكر عود القرامطة الى الشام ووفاة الحسن بن احمد

قال : وفى سنة خمس وستين وثلاثمائة كاتب هفتكين التركى وهو بالشام القرامطة ، وقد جرى بينه وبين المغاربة حروب ووقائع واستنصر بهم ، فكاتبوه بأنّهم سائرون إلى الشام ، فوافوا دمشق فى هذه السنة ، وكان الذى وافى منهم إسحاق وكسرى وجعفر ، فنزلوا ظاهر دمشق نحو الشماسيّة ، ووافى معهم كثير من العجم ممّن كان من أصحاب هفتكين ، فلقى هفتكين القرامطة وحمل إليهم

الأموال وأكرمهم وفرح بهم وأمن ، فأقاموا على دمشق أياما ثم رحلوا متوجّهين إلى الرملة ، وكان بها أبو محمود إبراهيم بن جعفر فتحصّن منهم بيافا ، ونزلت القرامطة الرملة ونصبوا القتال على يافا ، حتى كلّ الفريقان من القتال وصار بعضهم يحدّث بعضا ، وأقامت القرامطة بالرملة يجبون المال ، فندب العزيز بالله نزار بن المعز لدين الله - وكان قد ولى الأمر بعد وفاة أبيه - جوهر القائد إلى الخروج إلى الشام فى سنة خمس وستين ، وحمل إليه خزائن السلاح والأموال ، فسار يريد الشام فى عساكر لم تخرج المغاربة من مصر بمثلها ، وتواترت الأخبار إلى هفتكين بمسيره ، وهو على عكّا وكان قد ملك صيدا ، فنزل عكّا وسار فنزل طبريّة ، وفارق القرامطة الرملة ونزلها جوهر ، وسار إسحاق وكسرى القرمطيّان إلى الأحساء ، وبقى جعفر لم يسر معهم وانضمّ إلى هفتكين بطبريّة ، وسار جوهر فى طلبهما فسارا إلى دمشق وتبعهم جوهر حتى نزل بالشماسيّة بظاهر دمشق ، والمناوشة تقع بينهم تارة والموادعة أخرى ، فلم يزل الأمر كذلك إلى جمادى الأولى سنة ست وستين وثلاثمائة ، فوردت الأخبار وقويت بقرب الحسن بن أحمد القرمطى من دمشق ، وجاء من بشّر ابن عمّه جعفر بذلك ، فسار إليه وصحّ ذلك عند جوهر ، فنزل دمشق وسار نحو طبريّة وجدّ فى السير ، وكان قد هلك من عسكره خلق كثير ، فخاف أن يدركه الحسن بن أحمد القرمطى فأسرع المسير من طبريّة ، وخرج الحسن ابن أحمد من البريّة يريد طبريّة فوجده قد سار عنها ، فأنفذ خلفه سريّة فلحقته فرجع عليها أصحاب جوهر ، فقتلوا جماعة من العرب وسار جوهر حتى نزل ظاهر الرملة ، وأتاه الخبر عن الحسن فلدخل جوهر

زيتون الرمل وتحصّن به ، وسار هفتكين من دمشق فى أثر الحسن ابن أحمد فلحقه ، وتوفى الحسن بن أحمد بالرملة ، وتولى أمر القرامطة بعده ابن عمّه جعفر ، واجتمع هو وهفتكين على قتال جوهر ، فقاتلوه بقيّة سنة ست وستين وثلاثمائة ، ثم رجع جعفر إلى بلده ، وكان بين هفتكين وجوهر من الحصارما نذكره إن شاءالله تعالى فى أخبار ملوك مصر .

ذكر استيلاء القرامطة على الكوفة وخروجهم عنها

قال ابن الأثير [١] رحمه الله تعالى : وفى سنة خمس وسبعين وثلاثمائة ورد إسحاق وجعفر الهَجريّان ــ وهما من القرامطة الذين تلقّبوا بالسادة ــ فملكا الكوفة ، قال : وكان للقرامطة من الهيبة ما إن عضد الدولة وبختيار أقطعاهم الكثير من الاقطاعات ، وكان نائبهم ببغداد وهو أبو بكر بن شاهويه يحْكُم حكم الوزراء ، فقبض عليه صمصام الدولة بن بويه ، فلما جاء القرامطة إلى الكوفة كتب صمصام الدولة إلى إسحاق وجعفر بالملاطفة ويسألهما عن سبب حركتهما ، فذكرا أن السبب فى ذلك ما وقع منه من القبض على صاحبهما ، وبثّا أصحابهما فى جباية الأموال ، ووصل الحسن بن المنذر ــ وهو من أكابر القرامطة ــ إلى الجامِعيْن ، فأرسل صمصام الدولة العساكر والعرب فقاتلوه وأسروه وجماعة من القوّاد وانهزم من معه ، ثم جهّز القرامطة جيشا آخر فى عدد كثير فهزمته عساكر صمصام الدولة ،

(١) راجع الكامل حـ٩ ص ٢٩ ، ص ٣٠ ، ومن هنا عاد المؤلف النويرى إلى نقله من الكامل لابن الأثير واتخاذه مصدراً له فى تلخيصه للأحداث .

وقتل مقدّم القرامطة ، وكانت هذه الوقعة بالجامعين ، فلما بلغ المنهزمون الكوفة رحل القرامطة عنها ، وتبعتهم العساكر إلى القادسية وأخذ أمر القرامطة فى الانتقاض ، ولم يكن لهم بعد ذلك بالعراق والشام وقعة بلغنا خبرها .

ذكر ظفر الأصغر بالقرامطة

قال (١) ابن الأثير : وفى سنة ثمان وسبعين وثلاثمائة جمع إنسان يعرف بالأصفر من بنى المنتفق جمعا كثيرا ، وكان بينه وبين جمع من القرامطة وقعة ، قتل فيها مقدّم القرامطة وانهزم أصحابه وقتل منهم وأسر خلق كثير ، وسار الأصفر إلى الأحساء فتحصّن القرامطة منه ، فعدل إلى القطيف فأخذ ما كان فيها من عبيدهم وأثقالهم ومواشيهم ، وسار بذلك إلى البصرة وانتقض أمر القرامطة وضعفوا ، وكان مدة ظهور مذهبهم إلى هذا التاريخ مائة سنة ، ومنذ ظهر أمرهم واستولوا على البلاد وتجهزت العساكر لقتالهم خمسا وتسعين سنة ، وكانت فتنتهم قد عمّت أكثر البلاد والعباد ؛ ولم أقف لهم بعد واقعة الأصفر على واقعة أخرى فأذكرها .

وقد ذكرنا من أخبارهم ما فيه كفاية ، فلنذكر أخبار الخوارج ببلاد الموصل .

---

(١) راجع الكامل حـ ٩ ص ٤٠ .

ذكر اخبار الخوارج ببلاد الموصل
مساور ومن بعده

كان خروج مساور بن عبد الحميد بن مُساوِر البجلى بالبوازيج من بلاد الموصل فى شهر رجب من شهور سنة اثنتين وخمسين ومائتين فى خلافة المعتز بالله ، وكان سبب (١) خروجه أنّ شرطة الموصل كان يتولّاها رجل اسمه حسين بن بكير لبنى عمران أمراء الموصل ، فأخذ ابنا لمساور هذا اسمه حوثرة فحبسه بالحديثة ، وكان حوثرة جميلا فكان متولىّ الشرطة يخرجه من الحبس ليلا ويحضره عنده ، ويردّه إلى الحبس نهارا ، فكتب حوثرة إلى أبيه – وهو بالبوازيج – يقول : أنا بالنهار محبوس وبالليل عروس ، فغضب لذلك وقلق وخرج وتابعه جماعة ، وقصد الحديثة فاختفى حسين بن بكير ، فأخرج ابنه من الحبس وكثر جمعه من الأعراب والأكراد ، فسار إلى الموصل ونزل بالجانب الشرقى ، وكان الوالى عليها عقبة بن محمد بن جعفر بن محمد بن الأشعث بن اهبان الخزاعى ، واهبان يقال إنه مكلّم الذئب وله صحبة ، فوافقة من الجانب الغربى وعبر دجلة رجلان من أهل الموصل إلى مساور ، فقاتلا مساورا فقتلا وعاد مساور وكره القتال ؛ وكان حوثرة ابنه معه فكان يقول :

أنا الغلام البجلى الشـــارى أخرجنى جوركمُ من دارى

(١) المصدر هنا الكامل لابن الأثير ج٧ ص ١١٧ .

ذكر قتل مساور بندارا الطبرى متولى طريق خراسان

قال (١) : ولمّا فارق مساور الموصل (٢) بلغ بُنْدارا الطبرىّ وهو بالدسكرة أنّه يريد كرخ جُدان ، وكان بُندار الطبرى يلى طريق خراسان هو ومظفّر بن مسيسل ، فقال بندار ذلك لمظفّر فقال مظفّر : قد أمسينا وغداً عيد ، فإذا قضينا العيد سرنا إليه ، فسار بندار ليلا طمعا فى أن يكون الظفر له ، حتّى أشرف على عسكر مساور ، فأشار عليه بعض أصحابه أن يبيّتهم فأبى ، وقال : حتّى أراهم ويرونى ، فأحسّ به الخوارج فركبوا واقتتلوا ، وكان مع بندار ثلاثمائة فارس ومع مساور سبعمائة ، فاشتدّ القتال بينهم وحمل الخوارج حملة ، اقتطعوا من أصحاب بندار أكثر من مائة فصبروا لهم وقاتلوهم حتّى قتلوا جميعا ، فانهزم بُندار وأصحابه وجعل أصحاب مساور يقتطعونهم قطعة بعد قطعة فقتلوهم ، وأمعن بندار فى الهرب فطلبوه حتّى أدركوه فقتلوه ونصبوا رأسه ، ونجا من أصحابه نحو خمسين رجلا ، وقيل مائة ، وأتى الخبر إلى المظفّر فرحل نحو بغداد ، وسار مساور نحو حُلوان فقاتله أهلها ، فقتل منهم أربعمائة إنسان ، وقتلوا من أصحابه جماعة وقتل مساور عدّة من أصحاب خراسان كانوا بحلوان ، فأعانوا أهلها على مساور ، ثم انصرف عن حلوان ، فقال مساور فى ذلك :

فجعتُ العراق ببُنـدارها وحزت البلاد بأقطارهـــا

---

(١) الكامل لابن الأثير حـ٧ ص ١٢٠ ، ١٢١ .

(٢) فى ك ، ت : الوضع ويؤيد ا الكامل حـ٧ ص ١٢٠ .

وحُلوان صبّحتها غارة ... فقتّلتُ أغرار غرّارها

وعقبة بالموصل اجحرته ... وطوّقه الذل بى كارها

قال : وكان قتل بُندار فى سنة ثلاث وخمسين ومائتين ، ثم لقى مساور عسكرا للخليفة ، ومقدّمهم خَطَرمش بناحية جلولاء فى ذى الحجة من السنة ، فهزمهم مساور واستولى على أكثر بلاد الموصل فقوى أمره وكثرت اتباعه [١] .

فجمع له الحسن [٢] بن أيوب بن أحمد بن عمر بن الخطّاب التغلبى – وكان خليفة أبيه على الموصل – عسكرا كثيرا منهم حمدان بن حمدون جدّ الأمراء الحمدانيّة وغيره ، وسار إليه وعبر إليه نهر الزاب ، فتأخر مساور عن موضعه ونزل بموضع يقال له وادى الذئاب ، وهو واد عميق ، فسار الحسن في طلبه فالتقوا واقتتلوا قتالا شديدا ، فانهزم عسكر الموصل وكثر القتل فيهم ، وسقط كثير منهم فى الوادى فهلك فيه أكثر من القتلى ، وذلك فى جمادى الأولى سنة أربع وخمسين ومائتين ، ونجا الحسن فوصل إلىحرّة من أعمال إربل ، وهرب محمد بن على بن السيّد ، فظنّ الخوارج أنّه الحسن فتبعوه فقتلوه ، وكان فارسا شجاعا ، واشتدّ أمرمساور وعظم شأنه وخافه الناس .

---

(١) راجع الكامل حـ٧ ص ١٢٤ .

(٢) فى المخطوطات : الحسن بن أحمد بن عمر بن الخطاب التغلبى وهو خطأ صححته المخطوطات عند ذكر اسمه مرة أخرى والتصويب عن الكامل – وهو مصدر المؤلف – حـ٧ ص ١٢٧

ذكر استيلاء مساور على الموصل
وخروجه منها

قال [١] : ولما انهزم عسكر الموصل من مساور قوى أمره وكثرت أتباعه ، فسار من موضعه وقصد الموصل فنزل بظاهرها عند الدير الأعلى ، فاستتر أمير البلد عبدالله بن سليمان لضعفه عن مقاتلته ولم يدافعه أهل الموصل ، فوجه مساور جمعا إلى دار عبد الله أمير البلد فأحرقها ، ودخل الموصل بغير حرب فلم يتعرّض لأحد ، وحضرت الجمعة فدخل المسجد الجامع ، وحضر الناس فصعد مساور المنبر ، وجعل على درج المنبر من أصحابه من يحرسه بالسيوف وكذلك فى الصلاة ، ولما خطب قال فى خطبته : (اللهم أصلحنا وأصلح ولاتنا) ولما دخل فى الصلاة جعل إبهاميْه فى أذنيه وكبّر ست تكبيرات ثم قرأ بعد ذلك .

ثم فارق البلد ولم يقدر على المقام به لكثرة أهله ، وسار إلى الحديثة وكان قد اتّخذها دار هجرته ، وكان دخوله الموصل فى سنة خمس وخمسين ومائتين ، ثم كان بينه وبين عسكر للخليفة فى هذه السنة وقعة فانهزم عسكر الخليفة .

---

(١) راجع الكامل جـ٧ ص ١٣٩ .

ذكر اختلاف الخوارج على مساور وانتصاره على من خالفه وقتاله عساكر الخليفة

وفى سنة ست [1] وخمسين ومائتين خالف إنسان من الخوارج اسمه عُبيدة من بنى زهير ، على مساور ، وسبب ذلك أنّه خالفه فى توبة المخطىء ، فقال مساور : تُقبل توبته ، وقال عُبيدة : لا تقبل ، فجمع عبيدة جمعا كثيرا وسار إلى مساور ، وتقدّم إليه مساور من الحديثة ، فالتقوا بنواحى جُهينة فى جمادى الأولى سنة سبع وخمسين ، واقتتلوا أشد قتال فترجّل عبيدة ومعه جماعة من أصحابة وعرقبوا دوابّهم فقتل عُبيده وانهزم جمعه ، فقتل أكثرهم واستولى مساور على كثير من العراق ، ومنع الأموال عن الخليفة فضاقت على الجند أرزاقهم فاضطرهم ذلك إلى أن سار إليه موسى بن بغا وبايكباك وغيرهما فى عسكر عظيم ، وذلك فى سنة ست وخمسين ، فوصلوا إلى السنّ وأقاموا به ، ثم عادوا بسبب خلع المهتدى ، فلما ولى المعتمد على الله الخلافة سيّر مُفلحا فى عسكر كبير لقتال مساور ، فسار فلما قارب الحديثة فارقها مساور ، وقصد جبلَيْن يقال لأحدهما زينى والآخر عامر وهما بالقرب من الحديثة ، فتبعه مفلح فعطف عليه مساور وهو فى أربعة آلاف فارس ، وكان مساور قد انصرف من حرب عُبيدة وقد جرح كثير من أصحابه ، فلحقوا مفلحا بجبل زينى فلم يصل إلى ما يريد ، فصعد مساور رأس الجبل فاحتمى به ، ونزل مفلح فى أصل الجبل ، وجرى بينهما وقعات كثيرة ، ثم أصبحوا يوما

---

(١) فى ك ، ت : خمس وخمسين والتصويب من ا يؤيدها الكامل ٧ ص ١٥٥ وهو مصدر المؤلف راجع ٧ ص ١٥٥ ، ص ١٥٦ .

فطلبوا مساورا فلم يجدوه ، وكان قد نزل من غير الوجه الذى نزل به مفلح ، لمّا أيس من الظفر لضعف أصحابه من الجراح ، فلمّا لم يره مفلح سار إلى الموصل وسار منها إلى ديار ربيعة ، سنجار ونصيبين والخابور ، فنظر فى أمرها ثم سار فأتى الموصل ، فأحسن السيرة فى أهلها ورجع عنها وقد تأهّب للقاء مساور ، فلمّا قارب الحديثة فارقها مساور وتبعه مفلح ، فكان مساور يرتحل عن المنزل فينزله مفلح ، فلمّا طال الأمر على مفلح وتوغّل فى الجبال والشعاب والمضايق عاد عنه فتبعه مساور يقفو أثره ويأخذ من ينقطع عن ساقة العسكر ، فرجع إليه طائفة من العسكر فقاتلوه ، ثم عادوا ولحقوا مفلحا ، ووصل مفلح الحديثة فأقام بها أياما ، وانحدر فى أول رمضان إلى سامرّا ، فاستولى حينئذ مساور على البلاد ، وقوى أمره واشتدت شوكته .

وفى سنة [١] سبع وخمسين ومائتين خرج على مساور خارجىّ آخر اسمه طَوْق من بنى زُهير ، فاجتمع إليه أربعة آلاف فصار بهم إلى أذْرَمَة[٢] ، فحاربه أهلها فدخلها بالسيف ، وأخذ جارية بكرا فافتضّها فى المسجد ، فجمع الحسن بن أيوب بن أحمد العدوى جمعا كثيرا فحاربه وقتله ، وأنفذ رأسه إلى سامرّا [٣] ، واستمر مساور بتلك النواحى إلى أن مات فى سنة ثلاث وستين .

---

(١) راجع الكامل ج٧ ص ١٧٢ .

(٢) فى المخطوطات : دومة والتصويب عن الكامل ج٧ ص ١٧٢ هذا وقد ورد فى معجم البلدان لياقوت الحموى ج١ ص٧٧ ص ١٧٨ ما يأتى :
أذرمة : من ديار ربيعة قرية قديمة أعلها الحسن بن عمر بن الخطاب التغلبى من صاحبها .... إلى أن يقول : وأذرمة اليوم من أعمال الموصل من كورة تعرف ببين النهرين .

(٣) فى ك ، ت : مساور .

ذكر وفاة مساور وخبر من قام بعده الى أن قام هارون البجلى

وفى سنة [١] ثلاث وستين ومائتين توفىّ مساور الشارى ، وكان قد رحل من البوازيج يريد لقاء عسكر قد سار إليه من قبل الخليفة ، فكتب أصحابه إلى محمد بن خرّزاد وهو بشهرزور ليولّوه أمرهم ، فامتنع وكان كثير العبادة فبايعوا أيوب بن حيّان الوارقى البجلى ، فأرسل إليهم محمد بن خرّزاد يذكر أنّه نظر فى أمره فلم يسعه اهمال الأمر ، لأنّ مساورا عهد إليه به ، فقالوا له : قد بايعنا هذا الرجل ولا نغدر به ، فسار إليهم فيمن بايعه فقاتلهم ، فقتل أيوب بن حيّان فبايعوا بعده محمد بن عبد الله بن يحيى الوارقى المعروف بالغلام فقتل أيضا فبايع أصحابه هارون بن عبد الله البجلى ، فكثر اتباعه وعاد عنه ابن خرّزاد ، واستولى هارون على بلد الموصل وجبى خراجه .

(١) راجع الكامل ٧ ص ٢١٤ .

ذكر محاربة محمد بن خرزاد هارون بن عبد الله وماكان من خبر خرزاد ومقتله واستقلال هارون بالأمر بمفرده

وفى سنة [١] سبع وستين ومائتين كانت الحرب بين محمد بن خرّزاد وهارون بن عبد الله ، وذلك أن محمدا جمع أصحابه وسار لحرب هارون ، فنزل واسط. وهى قرية من قرى الموصل ، وكان يركب البقر لئلا يفرّ من القتال ، ويلبس الصوف الغليظ. ويرقع ثيابه ، وكان كثير العبادة والنسك ويجلس على الأرض ليس بينه وبينها حائل ، فلما نزل واسط. خرج إليه وجوه أهل الموصل ، وكان هارون بمَعْلَثَايا يجمع لحرب محمد ، فلما سمع بنزول محمد عند الموصل سار إليه ، ورحل ابن خرّزاد نحوه ،فالتقوا بالقرب من قرية شمرخ واقتتلوا قتالا شديدا ، كان فيه مبارزة وحملات كثيرة ، فانهزم هارون وقتل من أصحابه نحو مائتى رجل ، منهم جماعة من الفرسان المشهورين ، ومضى هارون منهزما فعبر دجلة إلى العرب قاصدا بنى تغلب فنصروه واجتمعوا إليه ، ورجع محمد بن خرّزاد من حيث أقبل وعاد هارون إلى الحديثة فاجتمع إليه خلق كثير ، فكاتب أصحاب ابن خرّزاد واستمالهم ، فأتاه منهم خلق كثير ، ولم يبق مع ابن خرّزاد إلا عشيرته من الشهرزورية ، وهم أهل شهرزور ، وإنما فارقه أصحابه لأنه كان خشن العيش ، وهو ببلد شهرزور كثير الأعداء من الأكراد

---

(١) راجع الكامل ج٧ ص ٢٥١ ، ٢٥٢ .

وغيرهم ، وكان هارون ببلد الموصل قد صلح حاله وحال أصحابه ، فمال إليه أصحاب ابن خرّزاد وقصدوه لهذا السبب ، وأوقع ابن خرّزاد بالأكراد الجلاليّة بنواحى شهرزور وغيرهم ، فقتل وتفرّد هارون بالأمر وقوى ، وكثر أتباعه وغلبوا على القرى والرساتيق ، وجعلوا على دجلة من يأخذ الزكاة من الأموال المنحدرة والمصعدة ، وبثّوا نوّابهم فى الرساتيق يأخذون الأعشار من الغلّات

وفى سنة اثنتين (١) وسبعين ومائتين دخل هارون الموصل ، وصلى الجمعة بالناس وكان معه حمدان بن حمدون .

ذكر خروج محمد بن عبادة على هارون وكلاهما خارجى

وفى سنة (٢) ثمان وسبعين ومائتين خرج محمد بن عُبادة ويعرف بأبى جورة (٣) - وهو من بنى زهير على هارون ، وكان محمد هذا فى أوّل أمره من الفقراء الصعاليك ، وكان هو وابناؤه يلتقطون الكمأة ويبيعونها إلى غير ذلك من الأعمال ، ثم إنه جمع جماعة وحكم ، فاجتمع إليه أهل تلك النواحى والأعراب وقوى أمره ، وأخذ عشر الغلّات وقبض الزكاة ، وسار إلى مُعْلَثَايا فقاطعه أهلها على خمسمائة دينار ، وجبى تلك الأعمال وبنى عند سنجار حصنا ، وحمل إليه الميرة والأمتعة ، وجعل فيه ابنه أبا هلال ومعه مائة وخمسون رجلا

(١) راجع الكامل لابن الأثير ج٧ ص ٢٩٣ .

(٢) فى أحداث سنة ٢٨٠هـ ونجد الحديث فى هذا الموضوع راجع الكامل ج٧ ص ٣٢١

(٣) فى المخطوطات : بأبى حوزة والتصويب عن الكامل ج٧ ص ٣٢١ ومعجم البلدان لياقوت الحموى (طبع أوروبا) ج٤ ص ٢٧ .

من وجوه بنى زهير وغيرهم ، ووصل الخبر إلى هارون فاجتمع رأيه ورأى وجوه أصحابه على قصد الحصن أولا ، فإذا فرغوا منه ساروا إلى محمد بن عُبادة ، فجمع أصحابه به فبلغوا ألف فارس ومائتى فارس ومائة راجل ، فأحدق بالحصن وحصره ، ومحمد بن عُبادة فى قَبْراثَا[1] لم يعلم بذلك ، وجدّ هارون فى قتال أهل الحصن ، ونصب عليهم السلالم وملكه ، فلما رأى من معه من بنى تغلب تغلّبه على الحصن أعطوا من فيه من بنى زهير الأمان ، بغير أمر هارون فشقّ ذلك عليه ، إلا أنه قتل أبا هلال بن محمد ونفرا معه قبل الأمان ، ثم ساروا إلى محمد فوافوه وهو فى أربعة آلاف رجل ، فاقتتلوا فانهزم هارون ومن معه ، ووقف بعض أصحابه ونادى رجالا بأسمائهم فاجتمعوا نحو أربعين رجلا ، وحملوا على ميمنة محمد فانهزمت ، وعادت الحرب فانهزم محمد وأصحابه ، ووضعوا فيهم السيف فقتل منهم ألفان وأربعمائة رجل وحجز بينهم الليل وجمع هارون مالهم فقسّمه بين أصحابه ، وانهزم محمد إلى آمد فأخذه صاحبها أحمد بن عيسى بن الشيخ بعد حرب وأسره ، وحمله إلى المعتضد بالله فسلخ جلده كالشاة .

(١) فى المخطوطات : قرايا والتصويب عن الكامل حـ٧ ص ٣٢١ ، قال ياقوت الحموى فى معجم البلدان (طبع أوروبا) حـ٤ ص ٢٧ : قبراثا : قرية من نواحى بقعاء الموصل ومن قبراثا كان أبو جوزة محمد بن عباد الخارجى الذى خرج على هارون الشارى الخارجى أيضا .

ذكر انهزام هارون من عسكر الموصل

كان المعتضد بالله قد سار إلى ماردين فى سنة إحدى وسبعين ، وخلّف بالموصل نصر القشُورى يجبى الأُموال ويعين العمّال على جبايتها فخرج عامل مُعَلَّثَايا إليها ومعه جماعة من أصحاب نصر ، فوقع عليهم طائفة من الخوارج فاقتتلوا إلى أن أدركهم الليل ففرّق بينهم ، وقتل من الخوارج إنسان اسمه جعفر ، وهو من أعيان أصحاب هارون ، فعظم عليه ذلك وأمر أصحابه أن يفسدوا فى البلاد ، فكتب نصر القشورى إلى هارون يتهدّده بقرب الخليفة ، وأنّه إن همّ به أهلكه وأصحابه ، فلا يغتر بمن سار إلى حربه فعاد عنه بمكره وخديعته ، فأجابه هارون بجواب غليظ ، من جملته وإنّا وإياك كما قيل :

فلا توعدونا باللقاء وأبرزوا إلينا سوادا نلقــهُ بسواد

فبعث نصر جواب هارون إلى المعتضد بالله فجدّ فى قصده ، وولّى الحسن بن علىّ كورة الموصل وأمره بقصد الخوارج ، وأمر كافّة مقدّمى الولايات والأعمال بطاعته ، فجمعهم وسار إلى أعمال الموصل وخندق على نفسه ، وأقام إلى أن رفع الناس غلّاتهم ، ثم سار إلى الخوارج وعبر نهر الزاب إليهم ، فالتقوا واقتتلوا قتالا شديدا فانكشف الخوارج عنه ، ليفرّقوا جمعيته[1] ثم يعطفوا عليه ، فأمر الحسن أصحابه بلزوم مواقفهم ففعلوا ، ورجع هارون وأصحابه وحملوا سبع عشرة حملة ، فانكشفت ميمنة الحسن وثبت هو ، فحمل عليه

(١) فى المخطوطات تمييه والتصويب من الكامل لابن الأثير حيث ينقل منه بالنص راجع ج ٧ ص ٣٢٧ .

الخوارج حملة رجل واحد وهو ثابت ، وضرب على رأسه عدّة ضربات فلم تؤثر فيه ، فلما رأى أصحابه ثباته رجعوا إليه وقاتلوا وصبروا ، فانهزم هارون ومن معه وقتل خلق كثير ، وكانت هذه الوقعة فى سنة اثنتين وثمانين [1] ومائتين ، فتحيّر هارون فى أمره فقصد البريّة ، ونزل عند بنى تغلب ثم عاد إلى معلثايا ، ورجع إلى البريّة ثم رجع إلى دجلة ، وتكرّر ما بين ذلك ،فلما رأى أصحابه قوّة دولة الخليفة المعتضد بالله راسلوا الخليفة فى طلب الأمان ، فأمّنهم فأتاه ثلاثمائة وستون رجلا ، وبقى مع هارون بعضهم ، وهو يجول فى البلاد إلى أن قتل .

ذكر مقتل هارون

وفى سنة ثلاث وثمانين ومائتين سار المعتضد بالله إلى الموصل ، ووصل إلى تكريت وأقام بها ، وأحضر الحسين بن حمدان وبعثه فى طلب هارون فى جماعة من الفرسان والرجّالة ، فانتخب الحسين ثلاثمائة رجل فسار بهم ، ومعه وصيف فقال له الحسين : مره يا أمير المؤمنين بطاعتى ، فأمره بذلك ، فسار بهم الحسين حتى انتهى إلى مخاضة فى دجلة ، فقال الحسين لوصيف ولمن معه ليقفوا هناك ، وقال : ليس لهارون طريق — إن هرب — غيرها ، فلا تبرحوا من هذا الموضع حتى يمرّ بكم فتمنعوه من العبور وأكون أنا من خلفه ، ومضى الحسين فى طلب هارون فلقيه ، واقتتلوا وقتل من الفريقين عدّة قتلى ، ثم انهزم

---

(١) فى المخطوطات اثنتين ومائتين وهو سهو كما هو واضح .

هارون ، وأقام وصيف على المخاضة ثلاثة أيام ، فقال له أصحابه : قد طال مقامك ولسنا نأمن أن يأخذ حسين هارون ، فيكون الفتح له دوننا ، والصواب أن تمضى فى آثارهم فأطاعهم ومضى ، ولما فارق المخاضة جاء هارون فعبرها ، وجاء الحسين فى أثره إلى الموضع فلم ير وصيفا وأصحابه فى الموضع الذى تركهم فيه ، فعبر فى أثر هارون وانتهى إلى حىّ من أحياء العرب ، فسأل عنه فكتموه أمره فهدّدهم فأعلموه أنه اجتاز بهم ، فتبعه حتى أدركه بعد أيام وهارون فى نحو مائة رجل ، فناشده فأبى الحسين إلا قتاله ، وحاربه وألقى نفسه عليه وأسره ، وجاء به إلى المعتضد بالله إلى بغداد فوصلها لثمان بقين من شهر ربيع الأول ، وأدخل هارون على فيل ، وأرادوا أن يلبسوه ديباجا مشهّرا فامتنع [1] ، وقال : هذا لا يحلّ فألبسوه كارها ، ولما صلب نادى بأعلى صوته لا حكم إلا لله ولو كره المشركون ، وكان هارون صُفْريا ، وكانت مدة خروج هذه الطائفة ، منذ خرج مساور إلى أن أسر هارون ثلاثين سنة ، منها أيام مساور عشر سنين ، ومدة خروج هارون عشرون سنة ، والله تعالى أعلم .

---

(١) فى ك ، ت : فأبى ، ولما كان المؤلف ينقل اللفظ كما فى الكامل تابعناه فى نقله راجع حـ ٧ ص ٣٣٠ .

الباب التاسع

من القسم الخامس من الفن الخامس

فى اخبار من استقل بالملك والممالك بالبلاد الشرقية والشمالية فى خلال الدولة العباسية وهم ملوك خراسان وما وراء النهر والجبال وطبرستان وغزنه والغور وبلاد السند والهند والدولة السامانية والدولة الصفارية والغزنوية والغورية والدولة الديلمية الختلية .

ذكر اخبار الدولة السامانية
وقيامها بما وراء النهر ونسب ملوكها وابتداء أمرهم

كان أوّل من نبغ منهم وظهر اسمه وولى من قبل الخلافة نصر بن أحمد بن أسد بن سامان خداه بن جثمان بن طمغاث بن نوشرد بن بهرام جوبين بن بهرام خُشْنُنُش ، وكان بهرام خُشْنُنُش من الرىّ فجعله كسرى هرمز مرزبان أذربيجان ، وكانت ولاية نصر بن أحمد ما وراء النهر في سنة إحدى وستين ومائتين من قبل الخليفة المعتمد على الله العبّاسى ؛ وكان المأمون ، لمّا ولى خراسان فى خلافة أبيه الرشيد ، اصطنع أولاد أسد بن سامان ، وهم نوح وأحمد ويحيي وإلياس ، فقدّمهم ورفعهم واستعملهم ، فلمّا أفضت الخلافة إلى المأمون ورجع

إلى العراق استخلف غسّان[1] بن عبّاد ، فاستعمل غسان نوح بن أسد على سمرقند ، وأحمد بن أسد على فرغانة ، ويحيي على الشاش وأشروسنة ، وإلياس على هراة وذلك فى سنة أربع ومائتين ، ثم أقرّهم طاهر بن الحسين على هذه الأعمال لما ولى خراسان ، ثم توفى نوح بن أسد فأقرّ طاهر أخويه يحيي وأحمد على عمله ، وكان أحمد بن أسد عفيفا عن المطاعم الدنيّة حسن السيرة ، لا يقبل الرشا ، ففيه يقول الشاعر :

ثوى ثلاثين حولا في ولايته فجاع يوم ثوى فى قبره حشمه

وقيل إنّ هذا الشعر إنما قيل فى ابنه نصر .

وأمّا إلياس فإنه أقام بهراة إلى أن مات ، فأقر عبدالله بن طاهر ابنه أبا إسحاق محمد بن إلياس على عمله بهراة . وكان لأحمد بن أسد سبعة بنين وهم : نصر وأبو يوسف يعقوب وأبو زكريا يحيي وأبو الأشعث أسد وإسماعيل وإسحاق وأبو غانم حُميد ، فلما توفى أحمد بن أسد استخلف ابنه نصرا على أعماله بسمرقند ، فبقى عاملا عليها إلى آخر الأيام الطاهريّة وبعدها إلى أن مضى لسبيله ، وكان إسماعيل بن أحمد يخدم أخاه نصرا ، فولاه بخارى فى سنة إحدى وستين ومائتين ، فهذا ابتداء أمرهم على سبيل الاختصار .

وهذه الولاية هى أوّل ولاية كانت لملوك هذه الدولة ولأهل هذا البيت من قبل الخليفة ، ففى هذه السنة كان ابتداء دولتهم ، وأوّل من استقلّ منهم بالولاية نصر هذا فى هذا التاريخ ، وكان قبل ذلك

(١) فى المخطوطات حسان والتصويب من الكامل ج٧ ص ١٩٢ مصدر المؤلف .

يلى الأعمال من قبل عمّال خراسان ، قال : ثم وقع [خلاف] بين نصر وأخيه إسماعيل مرة بعد أخرى حتى أفضى ذلك إلى الحرب بينهما ، فتحاربا فى سنة خمس وسبعين ومائتين ، فظفر إسماعيل بأخيه نصر فلما جىء به إليه ترجّل إسماعيل له ، وقبّل يده وردّه إلى موضعه بسمرقند ، وتصرّف فى النيابة عنه ببخارى وصلح ما بينهما ، وكان إسماعيل خيّرا يحب أهل العلم والدين ويكرمهم ، وببركتهم دام الملك فى عقبة من بعده .

حكى عن أبى إبراهيم إسماعيل بن أحمد هذا قال (١) : كنتُ بسمرقند فجلست للمظالم وجلس أخى إسحاق إلى جانبى ، فدخل أبو عبد الله محمد بن نصر الفقيه الشافعى فقمت له اجلالا لعلمه ودينه ، فلما خرج عاتبنى أخى وقال : أنت أمير خراسان يدخل عليك رجل من رعيّتك فتقوم له فتذهب السياسة بهذا ! ! قال إسماعيل فبتّ فى تلك الليلة فرأيت النبى صلى الله عليه وسلم ، وكأنّى واقف أنا وأخى إسحاق ، فأقبل النبى صلى الله عليه وسلم وأخذ بعضدى وقال لى : يا إسماعيل ثبت ملكك وملك بنيك بإجلالك محمد بن نصر ، ثم التفت إلى إسحاق وقال : ذهب ملكك وملك بنيك باستخفافك بمحمد ابن نصر .

(١) راوى هذه القصة هو أبو الفضل محمد بن عبد الله البلعمى ، وهى واردة فى الكامل ج٧ ص ١٩٤ .

ذكر وفاة نصر وقيام أخيه اسماعيل

وفى سنة تسع وسبعين ومائتين توفى نصر بن أحمد ، وكانت مدة استقلاله بالأمر ثمانى عشرة سنة تقريبا ، وكان دينا [1] عاقلا حسن الشعر ، ولما مات قام مقامه في أعماله بما وراء النهر أخوه إسماعيل ابن أحمد.

وفى سنة ثمانين ومائتين غزا إسماعيل بلاد الترك ،وافتتح مدينة ملِكهم وأسر أباه وامرأته خاتون ونحوا من عشرة آلاف ، وقتل منهم خلقا وأصاب من الدواب ما لا يعلم عدده ، وأصاب الفارس من الغنيمة ألف درهم .

ذكر ملك اسماعيل خراسان

وفي سنة سبع وثمانين ومائتين ملك خراسان من عمرو بن الليث الصفّار ، وسبب ذلك[2] أن عمرا كان قد أرسل إلى الخليفة المعتضد بالله يطلب منه أن يوليه ماوراء النهر ، فوجّه إليه الخلع واللواء بذلك ، وكان هو إذ ذاك بنيسابور ، فوجّه لمحاربة إسماعيل محمد بن بشير ــ وكان صاحبه وخليفته ــ وعشرة من قوّاده ، فتوجّهوا إلى آمل فعبر إليهم إسماعيل نهر جيحون ، والتقوا فهزمهم وقتل محمد بن بشير فى نحو ستة آلاف رجل ، وبلغ المنهزمون إلى عمرو بنيسابور ، وعاد إسماعيل إلى بخارى ، فتجهّز عمرو لقصده وسار من نيسابور

(١) ى ا : أديبا ويؤيده ، ت الكامل حـ٧ ص ٣١٧ وهو مصدر المؤلف .
(٢) راجع الكامل حـ٧ ص ٣٤٥ ، ص ٣٤٦ .

نحو بلخ ، فراسله إسماعيل يستعطفه ويقول : إن ولايتك قد اتّسعت ولك دنيا عريضة ، وأنه ليس بيدى إلا ماوراء النهر ، وأنا فى ثغرفاقنع بما فى يدك واتركنى ، فأبى عمرو إلا قتاله ، فذكر أصحاب عمرو له شدّة العبور إلى نهر بلخ ، فقال : لو شئت أن أسكره ببدر الأموال لفعلت ، وسار إسماعيل نحوه وعبر النهر إلى الجانب الغربى ، ونزل عمرو بلخ وأخذ إسماعيل عليه النواحى لكثرة جيوشه ، فبقى عمرو كالمحاصر فطلب المحاجزة فأبى إسماعيل ، والتقوا واقتتلوا فلم يكن بينهم كبير قتال حتى ولى عمرو هاربا ، ومرّ بأجمة فى طريقه فقيل له إنّها أقرب الطرق فقصدها فى نفر يسير وقال لعامة من معه : اسلكوا الطريق الواضح ، ودخل الأجمة فوحل به فرسه ومضى من معه ، فجاء أصحاب إسماعيل فأخذوه أسيرا ، فسيرّه إسماعيل إلى سمرقند ، فلما وصل الخبر إلى المعتضد ذمّ عمرا ومدح إسماعيل ، قال . ثم خيرّه إسماعيل بين المقام عنده أو انفاذه إلى المعتضد فاختار التوجّه إلى الخليفة فسيرّه إليه ، كانت هذه الوقعة فى شهر ربيع الأول من السنة .

وأرسل الخليفة المعتضد بالله إلى إسماعيل الخلع ، وولاه ما كان بيد عمرو وخلع على نائبه بالحضرة وهو المعروف بالمرزبانى ، فاستولى إسماعيل على خراسان وصارت بيده .

ذكر ملكه طبرستان

وفى سنة سبع وثمانين أيضا ملك إسماعيل طبرستان من محمد بن زيد العلوى ، وسبب ذلك أنه سار لقصد خراسان، ظناً منه أن إسماعيل لا يتجاوز ماوراء النهر ، فبعث إليه ينهاه عن التعرض إليها وترك له جرجان فامتنع من ذلك ، فندب إسماعيل لقتاله محمد بن هارون فالتقوا واقتتلوا على باب جرجان ، فانجلت الحرب عن انهزام العلوى بعد أن جرح عدّة جراحات وأسر ابنه زيد بن محمد وحمل إلى إسماعيل فأكرمه وأحسن نزله ، وسار محمد بن هارون إلى طبرستان وملكها ، وتولاّها من قبل إسماعيل .

ثم استولى محمد بن هارون على الرىّ فى شهر رجب سنة تسع وثمانين بعد أن خلع طاعة إسماعيل ، وكان أهل الري قد كاتبوه في تسليمها إليه ، فسار إليهم فحاربه واليها وهو اكرتمش[1] التركى ، فقتله محمد وقتل ابنيه وأخاه كيغلغ وهو من قواد الخليفة .

ذكر القبض على محمد بن هارون ووفاته

وفى[2] سنة تسعين ومائتين أنفذ المكتفى بالله عهدا إلى إسماعيل بولاية الرىّ ، فسار إليها ففارقها ابن هارون إلى قزوين ثم عاد إلى طبرستان ، واستعمل ، إسماعيل على جرجان بارس التركى الكبير ،

---

(١) فى الكامل ج ٧ ص ٣٥٧ : «ادغمش» وفى الهامش أن فى مخطوطتين هما .C.P : كرنمس دون نقط وفى المخطوطة B لوكرمش ، أى أن ثلاث مخطوطات من مخطوطات الكامل تؤيد قراءة النويرى

(٢) راجع الكامل ج ٧ ص ٣٦٤ ، ص ٣٦٥ .

وألزمه احضار محمد بن هارون ، فكاتبه بارس وضمن له اصلاح أمره . فقصد بخارى فلما بلغها قيد وحمل على جمل ، وحبس فمات بعد شهرين محبوسا ؛ وكان ابتداء أمر محمد بن هارون أنّه كان خياطا ، ثم جمع جمعا من أهل الفساد وقطع الطريق في مفازه سرخس مدّة ؛ ثم استأمن إلى رافع بن هَرْثمة وبقى معه إلى أن انهزم من عمرو الصفّار فاستأمن إلى إسماعيل الساماني فسيّره إسماعيل لقتال العلوى كما قدّمناه ثم خرج عليه كما ذكرنا .

وفي سنة إحدى وتسعين ومائتين[1] خرجت الترك في خلق كثير لا يحصون كثرة ، وكان عسكرهم سبعمائة قبّة تركية ، ولا تكون القبّة التركية إلا لرؤسائهم ، فوجّه إليهم إسماعيل جيشا عظيما وتبعهم خلق من المطّوعة فوصلوا إلى الترك وهم غادون ، فكبسهم المسلمون فى الصبح فقتلوا منهم خلقا كثيرا وانهزم الباقون أقبح هزيمة .

ذكر وفاة اسماعيل وولاية ابنه أحمد

كانت وفاته فى منتصف صفر سنة خمس وتسعين ومائتين . ولُقّب بعد موته بالماضى . وكان رحمه الله تعالى عاقلا عادلا حسن السيرة فى رعيّته حليما .

حكى عنه أنه كان لولده أحمد مؤدب يؤدّبه ، فمرّ به الأمير إسماعيل فسمع المؤدب يسبّه . ويقول : لا بارك الله فيك ولا فيمن ولدك . فدخل عليه وقال : يا هذا نحن لم نذنب ذنبا فتسبّنا . فهل

(١) راجع الكامل ج٧ ص ٣٦٨ .

ترى أن تعفينا من سبّك ، وتخص المذنب بذمّك وشتمك ؟ فارتاع المؤدب وخرج إسماعيل عنه ، وأمر له بصلة جزاء لخوفه منه. وجرى بين يديه ذكر الأنساب والأحساب فقال لبعض جلسائه : كن عصاميا ولا تكن عظاميا. ومن مكارمه وآدابه أنه لما ولى بعد أخيه نصر واستقل بالأمر استمرّ يكاتب أصحابه وأصدقاءه بما كان يكاتبهم به أوّلا : فقيل له فى ذلك فقال : يجبّ علينا إذا زادنا الله رفعة ألا ننقص إخواننا ، بل نزيدهم رفعة وعلاء وجاها ليزدادوا لنا خلوصا وشكرا ؛ وكانت مدة ولايته منذ أفضى الأمر إليه بعد وفاة أخيه ست عشرة سنة .

ولما مات ولى بعده ابنه :

ابو نصر أحمد بن اسماعيل

قال (١) : ولما استوثق له الأمر ببخارى قصد بالخروج إلى الرى فأشار عليه إبراهيم بن زيلويه بقصد سمرقند ، والقبض على عمّه إسحاق بن أحمد لئلا يخرج عليه ، فاستدعى عمّه إلى بخارى فحضر إليه واعتقله بها ، ولم يزل إلى سنة ثمان وتسعين فأطلقه وأعاده إلى سمرقند وفرغانة ، قال : ولما قبض على عمّه عبر إلى خراسان ، فلما ورد نيسابور هرب بارس الكبير من جرجان إلى بغداد خوفا منه ، وكان لخوفه منه أسباب منها : أن الأمير إسماعيل كان قد استعمل ابنه أحمد على جرجان ـ لما أخذها من محمد بن زيد ـ ثم عزله عنها ،

(١) ابن الأثير ـ الكامل جـ٨ ص ٥ .

واستعمل عليها بارس الكبير ، فاجتمع عند بارس أموال عظيمة من خراج الرى وطبرستان وجرجان ، فحملها إلى إسماعيل فلما سارت عنه بلغه وفاة إسماعيل فردّها وأخذها ، فلمّا قاربه أحمد خافه فكتب إلى المكتفى بالله يستأذنه فى المصير إليه ، فأذن له فسار إلى بغداد فى أربعة آلاف فارس ، فوصل إليها بعد وفاة المكتفى وولاية المقتدر ، فأعجب المقتدر فسيّره إلى بنى حمدان بعسكره وولاه ديار ربيعة ، فخافه أصحاب الخليفة أن يتقدّم عليهم ، فدسّوا عليه غلاما له فسمّه فمات بالموصل ، واستولى غلامه على أمواله وتزوّج بامرأته .

ذكر استيلاء أحمد بن إسماعيل على سجستان

وفى [1] شهر رجب سنة ثمان وتسعين ومائتين استولى على سجستان ، وذلك أنه لما استتب ملكه واستقرت قواعده سار فى سنة سبع وتسعين ومائتين إلى الرى ، وكان مسكنه ببخارى ثم سار إلى هراة ، فسيّر منها جيشا فى المحرّم سنة ثمان وتسعين إلى سجستان وعدّة من قوّاده ، واستعمل عليهم الحسين بن على المروروزى ، وكان بسجستان المُعَدَّل بن على بن الليث الصفار ، وهو صاحبها ، فسيّر المُعدَّل أخاه أبا على محمد إلى بُسْت ليجبى أموالها ، فسار الأمير أحمد إليه ببُست وحاربه ، وأخذه أسيرا وعاد به إلى هراة ، وتوجّه الحسين إلى سجستان وحصر المُعدَّل ، فلما بلغه أن أخاه أُسر ، صالح الحسينَ واستأمن له ، واستولى الحسين على سجستان ،

(١) راجع الكامل حـ ٨ ص ٤٥ ، ص ٤٦ .

واستعمل عليها الأمير أحمد أبا صالح منصور بن إسحاق - وهو ابن عمه - وعاد الحسين ومعه المعدّل إلى بخارى ، قال : ولما استولى على سجستان سار سُبُكرى من فارس إليها على طريق المفازة ، فسيّر إليه أحمد جيشا فأخذوه أسيرا واستولى على عسكره ، وكتب الأمير أحمد بذلك إلى المقتدر بالله فشكره ، وأمره أن يحمل السُبُكري ومحمد ابن على بن الليث إلى بغداد ، فسيّرهما فأُدخلا مشهورَيْن على فيلَيْن . وأعاد المقتدر رسل أحمد بالتحف والهدايا .

ثم [1] خالف أهل سجستان على الأمير أحمد

فى سنة ثلاثمائة ، وسبب ذلك أن محمد بن هرمز المعروف بالمولى الصَّنْدلىّ كان خارجىّ المذهب ، وأقام ببخارى وهو من أهل سجستان وكان شيخا كبيرا ، فجاء يوما إلى الحسين بن على العارض يطلب رزقه ، فقال له : إنَّ الأصلح لمثلك من الشيوخ أن يلزم رباطا . يعبد الله فيه حتى يوافيه أجله ، فغاظه ذلك وانصرف إلى سجستان . فاستمال جماعة من الخوارج ، وكان رئيسهم محمد بن العبّاس المعروف بابن الحفّار ، ودعا لعمرو بن يعقوب بن محمد بن عمرو بن الليث الصفّار ، فقبضوا على منصور بن إسحاق وحبسوه وخطبوا لعمرو وسلّموا إليه سجستان ، فلما بلغ الخبر الأمير أحمد سيّر الجيوش مع الحسين بن على فحصرها تسعة أشهر ، فصعد يوما محمد بن هرمز الصَّنْدلِى إلى السور . وقال : ما حاجتكم إلى أذى شيخ كبير

(١) راجع الكامل لابن الأثير حـ٨ ص ٥٢ ، ص ٥٣ .

لا يصلح إلا للزوم رباط. ؟ ثم مات الصندلىّ فاستأمن عمرو بن يعقوب الصفار وابن الحفّار إلى الحسين ، وأطلقوا منصور بن إسحاق ، وكان الحسين يكرم ابن الحفّار ويقرّبه ، فواطأ ابن الحفّار جماعة على الفتك بالحسين ، فبلغ الحسين ذلك فقبض عليه وأخذه معه إلى بخارى ، واستعمل الأمير أحمد على سجستان سيمجور الدواتى ، فتوجّه إلى سجستان واستصحب معه عمرو بن يعقوب وابن الحفّار ، فتوفى ابن الحفّار .

ذكر(١) مقتل الأمير أحمد وولاية ابنه نصر

وفى سنة إحدى وثلاثمائة خرج الأمير أحمد إلى الصيد ، وكان له أسد يُربط على باب مبيته فى كل ليلة ، فلما كان فى ليلة قتله أغفل الغلمان إحضار الأسد ، فدخل إليه نفر من غلمانه فذبحوه على سريره وذلك فى ليلة الخميس لسبع بقين من جمادى الآخرة ، فحمل إلى بخارى فدفن بها وقُتل بعض أولئك الغلمان ، ولُقّب بعد موته بالشهيد وكانت مدة ولايته ست سنين وأربعة أشهر وأياما .

وولى بعده ابنه :

أبو الحسن نصر بن أحمد

وهو الرابع من الملوك السامانية . قال (٢) : ولما قتل والده كان عمره ثمانى سنين ، فبايعه أصحاب والده وكان القائم ببيعته أحمد بن

(١) راجع الكامل لابن الأثير ج ٨ ص ٥٣ .
(٢) المصدر السابق ص ٥٨ .

محمد بن الليث متولى بخارى ، فحمله على عاتقه فقال : أتريدون أن تقتلونى كما فعلتم بأبى ، قالوا : لا وإنما نريد أن نضعك فى موضع أبيك أميرا ، فسكن روعه ، وبايعوا له ولقّب بالسعيد ، فاستصغره الناس وظنّوا أن أمره لا ينتظم مع وجود عم أبيه - الأمير إسحاق ، وقوّته وكونه شيخ السامانيّة وصاحب سمرقند ، وميل الناس بما وراء النهر إليه وإلى أولاده ، فكان الأمر بخلاف ما ظنّه الناس ، وطالت مدّته ونافت على ثلاثين سنة .

قال : وتولى تدبير دولته أبو عبد الله محمد بن أحمد الجيهانى ، فأمضى الأمور وضبط المملكة ، واتّفق هو وحشم نصر بن أحمد على تدبير الأمر فأحكموه بالحضرة ، وإنّما طمع أصحاب الأطراف فى البلاد ، وكان ممن خرج عن طاعته أهل سجستان ، فانصرف عنها سيمجُور اللواتى فولّاها المقتدر بالله بدرًا الكبير .

ذكر خروج اسحاق بن أحمد وابنه الياس

قال [1] : ولما توفى الأمير أحمد وولى ابنه نصر خالف عليه عم أبيه الأمير إسحاق بن أحمد - وكان يلى سمرقند - وخالف ابنه إلياس ، وقوى أمرهما ، فسارا نحو بخارى فسار إليهم حمّويه بن على فى عسكر كثيف ، والتقوا واقتتلوا قتالا شديدا فانهزم إسحاق إلى سمرقند ، وذلك فى شهر رمضان سنة إحدى وثلاثمائة ، ثم عاد وجمع مرّة ثانية والتقوا فانهزم إسحاق ثانيا ، وتبعه حمّويه إلى سمرقند فملكها قهرا ،

(١) راجع الكامل لابن الأثير حـ٨ ص ٩٠ .

واختفى إسحاق فشدّد عليه الطلب وضيّق عليه ، فاستأمن إلى حمّويه فأمّنه وحمله إلى بخارى ، فأقام بها إلى أن مات . وأمّا ابنه إلياس فسار إلى فرغانة فكان بها إلى أن خرج فى سنة ست عشرة .

ذكر مخالفة منصور بن اسحاق

وفى سنة اثنتين وثلاثمائة خالف منصور بن إسحاق بن أحمد ، على الأمير نصر بن أحمد ، ووافقة على ذلك الحسين بن على المرْورُوذِى ومحمد بن حيْد [(١)] ، وكان سبب ذلك أن الحسين لمّا فتح سجستان فى الدفعة الأولى فى أيام الأمير أحمد بن إسماعيل طمع أن يتولّاها ، فولّاها منصور بن إسحاق ، ثم افتتحها ثانيا وظن أنه يتولّاها ، فوليها سيْمجُور على ما قدّمناه ، فاستوحش لذلك ونفر خاطره ، وتحدّث مع منصور بن إسحاق فى الموافقة والتعاضد بعد موت الأمير أحمد ، على أن تكون إمارة خراسان لمنصور ويكون الحسين خليفته ، فلمّا قتل الأمير أحمد كان منصور بنيسابور والحسين بهراة ، فأظهر الحسين العصيان وسار إلى منصور بنيسابور ، يحثه على ما اتّفقا عليه فوافقه منصور ، وأظهر الخلاف وخطب لمنصور بنيسابور ، فتوجّه إليهما حمّويه بن على من بخارى فى عسكر كثيف ، فاتّفق وفاة منصور ، فقيل سمّه الحسين ، فلمّا قاربه حمّويه سار الحسين عن نيسابور إلى هراة وأقام بها ، وكان محمد

(١) فى ت : محمد بن حميد ، وكلمة حيد موضوع تحت الحاء فى المخطوطات ما يشبه نقطة فتكون جيما ، والتصويب من الكامل حـ٨ ص ٦٥ وهو مصدر المؤلف .

ابن (١) حيد يلى بخارى مدة طويلة ، ويسير منها إلى نيسابور فى شغل يقوم به ، فوردها ثم عاد منها بغير أمر ، فكُتب إليه من بخارى بالانكار فخاف على نفسه ، فعدل عن الطريق إلى الحسين بهراة فقوى به ، وسار إلى نيسابور واستولى عليها ، واستخلف بهراة أخاه منصور ابن على ، فسُيِّر إليه من بخارى أحمد بن سهل لقتاله ، فابتدأ أحمد بهراة فحصرها وأخذها ، واستأمن إليه منصور بن على ، ثم سار أحمد ابن سهل منها إلى نيسابور ، وكان وصوله إليها فى شهر ربيع الأوّل سنة ست وثلاثمائة ، فنازل الحسين إلى أن انهزم أصحابه ، فأسره ابنُ سهل وأقام بنيسابور ، وكان ابن حيد بمرو فلمّا بلغه استيلاء أحمد بن سهل على نيسابور ، وأسره للحسين بن على سار إليه . فقبض عليه ابنُ سهل وأخذ ماله وسواده وسيّره والحسين إلى بخارى فحبس الحسين بن على ببخارى إلى أن خلّصه أبو عبد الله الجيهانى . وسيّر ابن حيد إلى خوارزم فمات بها، ثم عاد الحسين بن على بعد خلاصه إلى خدمة الأمير نصر (٢) بن أحمد . قال (٣) : ولما ظفر أحمد بن سهل بالحسين أقام بنيسابور واستولى عليها ، وخالف (٤) على الأمير نصر وقطع خطبته ، وسار من نيسابور إلى جرجان وبها قراتكين ، فحاربه واستولى عليها وأخرجه عنها ، ثم عاد إلى خراسان

---

(١) محمد بن حيد لم يكن واليا على بخارى وإنما كان على شرطتها مدة طويلة - راجع الكامل حـ٨ ص ٦٥ .

(٢) فى المخطوطات : الأمير أحمد والتصويب عن الكامل لابن الأثير حـ٨ ص ٦٦ .

(٣) راجع الكامل لأبن الأثير حـ٨ ص ٨٨ .

(٤) من كلمة وخالف ...... إلى مرو - يظهر أنه سقط من المؤلف فاستدرك السقط فى الهامش فتنبه لذلك الناسخان المخطوطتين ك ، ا وسقطت من ت ، وفعلا كما فعل المؤلف .

واستولى على مرو وبنى عليها سورا وتحصّن بها ، فأرسل الأمير نصر الجيوش مع حمّويه بن على من بخارى ، فوافى مرو الروذ وأقام بنواحيها فلم يخرج إليه أحمد بن سهل ، فلمّا رأى حمّويه أنه لا يخرج إليه وأنه تحصّن بمرو شرع فى اعمال الحيلة ، وأمر جماعة من أصحابه بمكاتبة أحمد سرا واظهار الميل إليه ، ودعوه إلى الخروج إليهم ليسلّموا حمّويه إليه ، فأجابهم إلى ذلك وخرج إليه فالتقوا على مرحلة من مرو الروذ ، فى شهر رجب سنة سبع وثلاثمائة ، فانهزم أصحاب أحمد وحارب هو حتّى عجزت دابتّه فنزل عنها ، واستأسر (١) فأُخذ أسيرا وأنفذه حمّويه إلى بخارى فمات بها فى ذى الحجة من السنة فى الحبس .

ذكر خروج الياس بن اسحاق بن أسد ثانيا

قد ذكرنا أنه لما انهزم مع أبيه بفرغانة ، فلما كان فى سنة ثلاث (٢) عشرة وثلاثمائة استعان بمحمد بن الحسين بن مت ، وجمع طائفة من الترك فاجتمع معه ثلاثون ألف عنان ، فقصد سمرقند ، فسيّر إليه الأمير السعيد أبا عمرو محمد (٣) بن أسد فى ألفين وخمسمائة رجل ، فكمنوا خارج سمرقند فى يوم ورود إلياس (٤) إليها ، فاشتغل هو ومن معه بالنزول فخرج عليهم الكمين من بين الشجر ، ووضعوا فيهم السيف فانهزم إلياس وأصحابه ، فوصل إلياس إلى فرغانة ووصل

---

(١) فى الكامل حـ ٨ ص ٨٩ : استأمن هو خطأ .

(٢) فى المخطوطات : ست عشرة وهو خطأ تصويبه عن الكامل حـ ٨ ص ٩٧ .

(٣) فى المخطوطات : أبا عمر و محمد بن أسد والتصويب عن الكامل حـ ٨ ص ٩٧ .

(٤) فى ك ، ت : الناس .

ابن مت إلى طراز ، فقبض عليه دهقان الناحية وقتله وأنفذ رأسه إلى بخارى، ثم عاد إلياس [فـ]أخرج[1] مرّة ثالثة ، وأعانه أبو الفضل بن أبي يوسف صاحب الشاش ، فسيّر إليه السعيد ، محمد بن اليسع فحاربهم ، فانهزم إلياس إلى كاشغر وأسر أبو الفضل وحُمل إلى بخارى فمات بها ، وصار إلياس إلى دهقان كاشغر طغانتكين واستقرّ بها .

ثم ولى محمد بن المظفّر فرغانة فرجع إلياس بن إسحاق إليها ، فحاربه فهزمه مرة أُخري فعاد إلى كاشغر ، فكاتبه محمد بن المظفّر واستماله ولطف به فحضر إلى بخاري ، فأكرمه السعيد وصاهره فأقام عنده .

ذكر استيلاء السعيد على الري

وفى سنة أربع عشرة وثلاثمائة كتب المقتدر بالله إلى الأمير السعيد بولاية الري ، وأمره أن يقصدها ويأخذها من غلام يوسف بن أبي الساج فسار إليها واستولى عليها وأخرج فاتك[2] عنها فى جمادى الآخرة ، وأقام بها شهرين ، وولّى عليها سيمجور الدواتى وعاد إلى بخاري ، ثم استعمل عليها محمد بن صعلوك فوصل إليها وأقام بها إلى أوائل شعبان من السنة ، فمرض فكاتب الحسن الداعى وماكان فى القدوم عليه ليسلّم الري لهما ، فقدما وتسلّما الرى ، وسار عنها وبلغ الدامغان .

(١) فى المخطوطات خرج .
(٢) هو غلام يوسف بن أبي الساج .

ذكر مخالفة جعفر بن أبى جعفر بن أبى داود وعوده

كان جعفر [١] مقيما بالخُتَّل واليا عليها للسامانيّة ، فبدت منه أمور نسب فيها للتقصير ، فكوتب أبو على أحمد بن محمد بن المظفّر بقصده ، فسار إليه وحاربه وقبض عليه وحمله إلى بخارى ، فحبس بها إلى أن خالف أبو زكريا على الأمير السعيد فأخرجه وصحبه ، ثم استأذنه فى العود إلى ولاية الختّل فأذن له ، فسار إليها وتمسّك بطاعة الأمير السعيد ، وذلك فى سنة ثمانى عشرة وثلاثمائة .

ذكر خروج أبى زكريا وأخويه ببخارى

وفى سنة ثمانى عشرة وثلاثمائة خرج أبو زكريا يحيى وأبو صالح منصور وأبو إسحاق إبراهيم - أولاد أحمد بن إسماعيل السامانى ، على أخيهم السعيد نصر بن أحمد ، وكان سبب ذلك أن أخاهم كان قد حبسهم فى القُهنْدُز ببخارى ، ووكل بهم من يحفظهم فتخلّصوا منه ، وسبب خلاصهم أن رجلا يعرف بأبى بكر الخبّاز الأصفهانى كان يقول - إذا جرى ذكر السعيد نصر - : إن له منى يوما طويل البلاء والعناء ، فكان الناس يضحكون منه ، فخرج السعيد إلى نيسابور واستخلف على بخارى أبا العباس الكَوْسج ، وكانت وظيفة إخوته تحمل إليهم من عند هذا الخبّاز وهم فى السجن ، فسعى لهم مع

(١) راجع الكامل لابن الأثير حـ ٨ ص ١٦٣ ، ص ١٦٤ .

جماعة من أهل العسكر فأجابوه إلى ذلك ، فأعلمهم بما فعل ، فلما سار السعيد عن بخارى تواعد هؤلاء للاجتماع بباب القهندز فى يوم جمعة ، وكان الرسم ألاّ يفتح باب القهندز فى يوم الجمعة إلا بعد العصر : فلما كان يوم الخميس دخل أبو بكر الخبّاز إلى القهندز وبات فيه ، وجاء من الغد إلى الباب وأظهر الزهد للبوّاب : وسأله أن يفتح له لئلا تفوته صلاة الجمعة وأعطاه خمسة دنانير ،فلما فتح الباب صاح الخبّاز بمن واعدهم ، فوثبوا بالبوّاب وقبضوا عليه وخرج إخوة السعيد وجميع من فى الحبس من الديلم والعلويين والعيّارين . واجتمعوا إليهم من كان قد وافقهم من العسكر ، ورئيسهم شيروين الجيلى وغيره من القوّاد ، فعظمت شوكتهم ونهبوا خزائن السعيد ودوره واختص يحيى بن أحمد بأبى بكر الخبّاز وقرّبه وقدّمه وجعله من قوّاده ، وبلغ السعيد هذا الخبر فسار من نيسابور إلى بخارى . فوكل يحيى بالنهر أبا بكر الخبّاز ليمنع السعيد من عبوره : فظفر السعيد به وأخذه أسيرا ، وعبر النهر إلى بخارى وبالغ فى تعذيب الخبّاز ، ثم أحرقه فى التنّور الذى كان يخبز فيه ، وسار يحي من بخارى إلى سمرقند ثم خرج منها ، وبقى يكرر [الدخول] إلى البلاد والسعيد فى طلبه ، واستمرت هذه الفتنة ثائرة إلى سنة عشرين وثلاثمائة ، فأنفذ السعيد الأمان إلى أخيه يحي فجاء إليه هو وأخوه منصور ، وزالت الفتنة وسكن الشر ، وأما إبراهيم فإنه هرب إلى بغداد ثم إلى الموصل .

ذكر ولاية محمد بن المظفر خراسان

وفى سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة استعمل الأمير نصر بن أحمد ، أبا بكر محمد بن المظفّر بن محتاج على جيوش خراسان ، ورد إليه تدبير الأمور بنواحيها جميعا . وكان سبب تقدّم محمد عنده أنه كان يوما بين يدي السعيد ـ وهو يحادثه فى بعض مهماته ـ فلسعته عقرب فى إحدي رجليه عدّة دفعات ، ولم يتحرّك ولا ظهر عليه أثر ذلك ، فلما فرغ من حديثه وعاد إلى منزلة نزع خفّه وقتل العقرب ، فاتصل الخبر بالأمير السعيد فأُعجب به ، وقال له : ما عجبت إلا من فراغ بالك لتدبير ماقلته لك ! فهلاّ قمت وأزلتها !! فقال : ما كنت لأقطع حديث الأمير بسبب عقرب ، وإذا لم أصبر بين يديك على لسعة عقرب ، فكيف أصبر ـ عند البعد منك ـ على حدّ سيوف أعداء دولتك ، إذا دفعتهم عن مملكتك ؟ فعظم محلّه عنده وأعطاه مائتى ألف درهم ؛ ثم استعمله على خراسان فأقام واليا عليها إلى سنة سبع وعشرين وثلاثمائة ، فاستقدمه واستعمل ابنه أبا على أحمد بن محمد ، وكان سبب ذلك أن أبا بكر مرض مرضا شديدا فعزله واستعمل ابنه فى شهر رمضان ، فأقام بها ثلاثة أشهر وهو يتجهّز ويستعد ، وسار فى المحرم سنة ثمان وعشرين إلى جرجان فاستولى عليها وأخذها من ماكان ابن كالى ، لأن ماكان كان قد خلع طاعة السعيد بعد أن حاصرها أبو علىّ بقية السنة ، واستخلف إبراهيم بن سيمجور الدواتى ، ثم استولى أبو على على الرى فى سنة تسع وعشرين ، ثم استولى على بلد

الجبل (١) زَنْكان وأَبْهَر وقزوين وقُمّ وكَرج وهمذان ونَهاوند والدِّينَور إلى حدود حلوان ، وذلك فى سنة ثلاثين ، ورتّب فيها العمال وجبى أموالها ، ورحل إلى جرجان فى سنة إحدى وثلاثين فى جمادى الآخرة ، فأتاه الخبر بوفاة السعيد فسار إلى خراسان .

ذكر وفاة الأمير السعيد نصر بن أحمد وشىء من سيرته

كانت وفاته فى شهر رجب سنة إحدى وثلاثين وثلاثمائة ، وكانت علّته السل فأقام به ثلاثة عشر شهرا ، ولم يكن قد بقى من مشايخ دولتهم أحد ، وكانت ولايته ثلاثين سنة وثلاثة وثلاثين يوما ، وعمره ثمانيا وثلاثين سنة .

وكان عالما ذا حلم وكرم وعقل ، ومن مكارمه ولين جانبه أن بعض الخدم سرق جوهرا نفيسا ، وباعه على بعض التجّار بثلاثة عشر ألف درهم ، فحضر التاجر عند السعيد وأعلمه أنّه اشترى جوهرا نفيسا لا يصلح إلا للسلطان ، وأحضر الجوهر فحين رآه السعيد عرفه ، فسأل عن ثمنه ومن أين اشتراه ، فذكر الخادم والثمن فأربحه ألفى درهم ، ثم سأله التاجر فى دم الخادم فقال : لابدّ من أدبه ، وأما دمه فهو لك ، فأحضره وأدّبه ثم أنفذه إلى التاجر ، وقال : كنّا وهبنا لك دمه ، وقد أنفذناه إليك . وحكى عنه أنّه لما خرج عليه أخوه أبو زكريا

(١) ورد التعبير فى الكامل حـ٨ ص ٢٩١ : وسير العساكر إلى بلد الجبل فافتتحها واستولى على زنكان وأبهر وقزوين وقم وكرج وهمذان ونهاوند والدينور إلى حدود حلوان .

ونهبت خزائنه وأمواله ، فلما عاد السعيد إلى ملكه قيل له عن جماعة انتهبوا أمواله فلم يتعرض إليهم ؛ وأخبر أن بعض السوقة اشترى منها سكّينا نفيسا بمائتى درهم ، فأرسل إليه وأعطاه الثمن فأبى أن يبيع السكّين إلا بألف درهم ، فقال السعيد : ألا تَعجبون من هذا الرجل ! أرى عنده مالى فلم أعاتبه وأعطيه حقّه فيشتط فى الطلب ! ثم أمر بارضائه .

ولما طال مرضه أقبل على الصلاة والعبادة ، وبنى له بيتا وسمّاه بيت العبادة ، فكان يلبس ثيابا نظافا ويمشى إليه حافيا ويصلىّ ويدعو ويتضرّع ، ولما مات دفن عند قبر (١) والده رحمهما الله .

وولى بعده الأمير :

نوح بن نصر بن أحمد بن اسماعيل بن أحمد
وهو الخامس من الملوك السامانية

قال (٢) : بويع له بعد وفاة أبيه فى شهر رجب سنة إحدى وثلاثين وثلاثمائة ولقّب الأمير الحميد ، وفوّض أمر تدبير دولته وملكه إلى أبى الفضل محمد (٣) بن أحمد الحاكم ، وصدر عن رأيه ، ولما هرب منه أبو الفضل بن أحمد بن حمّويه ـ وهو من أكابر أصحاب أبيه ـ فأمّنه وأعاده وأحسن إليه ، وولاه سمرقند .

(١) راجع الكامل لابن الأثير حـ٨ ص ٣٠٠ ، ص ٣٠١ .
(٢) المصدر السابق .
(٣) فى المخطوطات : إلى أبى محمد الفضل بن أحمد الحاكم ، والتصويب عن الكامل لابن الأثير حـ٨ ص ٣٠١ هذا وقد ذكرت الاسم المخطوطات صحيحا بعد ذلك فى الفقرة التالية .

وفى سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة خالف عبد الله بن اشكام على الأمير نوح ، وامتنع بخوارزم ، فسار نوح من بخارى إلى مرو بسببه وسيّر إليه جيشا وجعل عليهم إبراهيم بن بارس ، فمات إبراهيم فى الطريق ، وكاتب ابن اشكام ملك الترك واحتمى به وكان لملك الترك ولد عند نوح فى اعتقاله ببخارى ، فراسل نوح أباه فى اطلاقه ليقبض على ابن اشكام ، فأجاب ملك الترك إلى ذلك ، فلما علم ابن اشكام بذلك عاد إلى الطاعة ، وفارق خوارزم فعفا عنه نوح وأكرمه .

ذكر مخالفة أبى على بن محتاج على الامير الحميد

وفى سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة خالف أبو على بن محتاج على الأمير الحميد نوح ، وسبب ذلك أنه كان قد جهّزه للمسير إلى الرى فأنفذ إليه عارضا يستعرض العسكر ، فأسقط العارض جماعة منهم وأساء على أبى علىّ ، فنفرت قلوب الجند وساروا وهم كذلك ، وانضاف إلى ذلك أن نوحا أنفذ معه من يتولى أعمال الديوان ، وجعل إليه الحل والعقد والإطلاق ، بعد أن كان جميع ذلك أيام السعيد لأبى علىّ ، فازدا قلبه نفورا لذلك ، ثم عزله عن خراسان واستعمل عليها ابراهيم بن سيمجور ، ثم إنَّ المتولى أساء إلى الجند فى أرزاقهم فنفروا ، وشكا بعضهم إلى بعض ، وهم إذ ذاك بهمذان ، فاتَّفق رأيهم على مكاتبة الأمير إبراهيم بن أحمد ، عمّ الأمير نوح ، وكان كما قدّمناه فى خدمة الأمير ناصر الدولة بن حمدان بالموصل ، فأظهروا أبا علىّ على

ذلك فنهاهم عنه ، فتواعدوه بالقبض عليه إن خالفهم ، فأجابهم إلى ماطلبوه وكاتبوا إبراهيم ، فحضر إليهم فى شهر رمضان فى تسعين فارسا وساروا فى شوّال فى خدمته إلى الرى ، فلما وصلوا إليها اطلع أبو علىّ أن أخاه الفضل كتب إلى الأمير نوح بخبره ، فقبض عليه وعلى المتولّى الذى أساء إلى الجند ، وسار إلى نيسابور واستخلف نوّابه على الجبل والري ، واتصل الخبر بالأمير نوح فسار من بخارى إلى مرو ، وكان الجند قد ضجروا من محمد ابن أحمد الحاكم ، مدبّر دولة نوح ، لسوء سيرته فيهم ، فقالوا لنوح : إنّ الحاكم قد أفسد عليك الأمور بخراسان ، وأحوج أبا علىّ ابن محتاج إلى العصيان . وطلبوا تسليمه إليهم وإلّا ساروا إلى عمّه إبراهيم . فسلمّه إليهم فقتلوه فى جمادى الآخرة سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة .

ولما وصل أبو علىّ إلى نيسابور كان بها إبراهيم بن سيمجور ومنصور بن قراتكين وغيرهما من القوّاد ، واستمالهم فمالوا إليه وصاروا معه ، ودخل نيسابور فى سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة ، ثم ظهر له من منصور بن قراتكين ما كرهه فقبض عليه ، ثم سار أبو علىّ وإبراهيم من نيسابور فى شهر ربيع الأوّل من السنة إلى مرو ، وبها الأمير نوح ، فهرب الفضل أخو أبى علىّ من محبسه إلى قُهِسْتَان ، ولمّا قارب أبو علىّ مرو انحاز إليه كثير من عسكر نوح ، فسار نوح إلى بخارى واستولى أبو علىّ على مرو فى جمادى الأولى سنة خمس وثلاثين ، وأتاه أكثر أجناد نوح فسار نحو بخارى ، وعبر النهر

ففارقها نوح وسار إلى سمرقند . ودخلها أبو علىّ فى جمادى الآخرة سنة خمس وثلاثين [١] وخطب فيها لإبراهيم وبايع له . ثم إنّ أبا علىّ اطّلع على أنّ إبراهيم أضمر له شرا ، فسار إلى تركستان وبقى إبراهيم ببخارى ، وفى خلال ذلك أطلق أبو علىّ ، منصور بن قراتكين ، فسار إلى الأمير نوح ، ثم إنّ إبراهيم وافق جماعة فى السرّ على أن يخلع نفسه من الأمر ، ويردّه إلى ابن أخيه الأمير نوح . ويكون هو صاحب جيشه . ويتّفق معه على قصد أبى علىّ . ودعا إلى ذلك فأجابوه وخرجوا إلى أبى علىّ ، وقدتفرّق عنه أصحابه ، فركب إليهم وردّهم أقبح ردّ ، ثم فارق إبراهيم ومن معه بخارى وخرجوا إلى سمرقند إلى خدمة الأمير نوح ، وأظهروا الندم على ما كان منهم فقرّبهم وقبلهم وعذرهم ، وعاد إلى بخارى فى شهر رمضان ، ثم قتل الأمير نوح فى تلك الأيام طغان الحاجب ، وسمل عمّه إبراهيم وأخويه أبا جعفر محمدا وأحمد ، وعادت الجيوش والعساكر اجتمعت عليه . أما الفضل بن محمد أخو أبى علىّ فإنّه لما هرب من أخيه لحق بقوهستان وجمع جمعا كثيرا وسار نحو نيسابور ، وبها محمد بن عبد الرزّاق من قبل أبى علىّ ، فخرج إلى الفضل وتحاربا فانهزم الفضل ومعه فارس واحد ، فلحق ببخارى فأكرمه الأمير نوح وأحسن إليه وأقام فى خدمته .

(١) فى المخطوطات : سنة ست وثلاثين والخطأ واضح والتصويب عن الكامل جـ٨ ص ٢٤٥

ذكر استعمال منصور بن قراتكين على خراسان

قال (١) : ولما عاد الأمير نوح إلى بخارى كان أبو علىّ بالصغانيان ، وبمرو أبو أحمد محمد بن على القزوينى ، فرأى الأمير نوح أن يجعل منصور بن قراتكين على جيوش خراسان ، فولّاه وسيّره إلى مرو ، وبها أبو أحمد وقد غوّر المناهل ما بين آمل ومرو ، ووافق أبا علىّ ثم تخلّى عنه ، فسار منصور جريدة فى ألفى فارس ، فلم يشعر به إلا وقد نزل بكُشْماهن ، على خمسة فراسخ من مرو ، فاستقبله أبو أحمد القزوينى بالطاعة ، فأكرمه وسيّره إلى بخارى بماله وأصحابه ، فأكرمه الأمير نوح وأحسن إليه ، ثم ذكر له ذنوبه وقتله .

ثم كانت بعد ذلك حروب بين عسكر الأمير نوح وأبى علىّ ، استمرت إلى جمادى الآخرة سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة ، فراسل بعد ذلك فى الصلح ، وسيّر أبو علىّ ابنه عبد الله رهينة فوصل إلى بخارى ، فأمر الأمير نوح باستقباله وأكرمه وأحسن إليه : وخلع عليه قلنسوة وجعله فى ندمائه ، فزال الخلف ، واستمرّ أبو علىّ بالصغانيان إلى سنة أربعين .

ذكر عود أبى على الى خراسان

وفى سنة أربعين أعيد إلى قيادة الجيوش بخراسان ، وذلك بعد وفاة منصور بن قراتكين ، فأرسل إليه الأمير نوح الخلع واللواء ، وأمره بالمسير إلى نيسابور وأقطعه الرى ، فسار عن الصغانيان

(١) راجع الكامل لابن الأثير حـ٨ ص ٣٤٦ .

واستخلف مكانه ابنه أبا منصور ، ثم خالف على الأمير نوح في سنة اثنتين وأربعين فعزله ، فكتب إلى ركن الدولة بن بُويه فى المصير إليه ، فأذن له فى ذلك فسار إليه فأكرمه ركن الدولة ، فسأله أن يكتب له عهدا من جهة الخليفة بولاية خراسان ، فأرسل ركن الدولة إلى أخيه معز الدولة فى ذلك ، فسيّر له عهدا بما طلب وسيّر له نجدة . فسار أبو علىّ إلى خراسان واستولى على نيسابور ، وخطب بها - وفيما استولى عليه من خراسان - للمطيع ، ولم يُخطب له بها قبل ذلك .

ذكر وفاة الأمير الحميد نوح بن نصر ولاية ابنه عبد الملك

كانت وفاته في شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وأربعين وثلاثمائة . وكانت مدة ملكه إحدى عشرة سنة وثمانية أشهر ، وكان رحمه الله تعالى حسن السيرة كريم الأخلاق ، ولما مات ملك بعده ولده .

ذكر ولاية عبد الملك بن نوح بن نصر بن أحمد بن اسماعيل ابن أحمد وهو السادس من الملوك السامانية

كانت ولاية عبد الملك بما وراء النهر وخراسان بعد وفاة أبيه الأمير نوح بن نصر ، وذلك في شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وأربعين.

قال (١) : ولما استقرّ حاله فى الملك وثبت أمره ابتدأ بارسال بكر ابن مالك من بخارى إلى خراسان ، وولّاه قيادة جيوشها ، وأمره باخراج أبى علىّ بن محتاج منها وندب معه العساكر ، فسار إلى

(١) راجع الكامل لابن الأثير حـ٨ ص ٣٨١ .

نيسابور فلمّا قاربها تفرّق عن أبي عليّ أصحابه وعساكره ، وبقى معه من أصحابه نحو من مائتي رجل ، سوى من كان عنده نجدة من الديلم ، فاضطَر إلى الهرب فسار نحو ركن الدولة ، فأنزله معه في الري واستولى ابن مالك على خراسان ، وأقام بنيسابور ، وكان بين عساكره وبين بني بُويه حروب ، ثم حصل بينهما الصلح والاتفاق ، ودامت أيام عبد الملك إلى سنة خمسين وثلاثمائة ؛ فركب في يوم الخميس حادى عشر شوّال منها فسقط الفرس من تحته ، فوقع إلى الأرض فمات ، وكانت مدة ملكه سبع سنين وستَة أشهر تقريبا ، ولما مات ، ولى بعده أخوه .

ذكر ولاية منصور بن نوح بن نصر بن أحمد وهو السابع من الملوك السامانية

كانت ولايته بعد وفاة أخيه عبد الملك لإحدى عشرة ليلة خلت من شوّال سنة خمسين وثلاثمائة ، وخالف عليه في سنة إحدي وخمسين الفتكين ، وهو من أكابر القوّاد ، وكان قد طلبه الأمير منصور فامتنع من الحضور ، فأرسل إليه جيشا فهزمهم الفتكين ، وأسر وجوه القوّاد وأظهر العصيان والمخالفة .

ذكر الصلح بين الأمير منصور وبين بنى بويه

وفى سنة إحدى وستين [١] وثلاثمائة تمّ الصلح بين الأمير منصور بن نوح وبين ركن الدولة وعضد الدولة بنى بويه، على أن يحمل ركن الدولة وعضد الدولة إليه فى كل سنة مائة ألف وخمسين ألف دينار ، وتزوج الأمير منصور [٢] بابنة عضد الدولة ، وحمل إليه من الهدايا والتحف ما لم يُر مثله ، وكتب بينهم كتاب صلح شهد فيه أعيان خراسان وفارس والعراق ، وكان الذى سعى فى الصلح وقرّره محمد بن إبراهم بن سيمجور صاحب جيوش خراسان من جهة الأمير منصور .

ذكر وفاة الامير منصور

كانت وفاته ببخارى فى منتصف شوّال سنة ست وستين وثلاثمائة ، وكانت مدة ملكه ست عشرة [٣] سنة وأربعة أيام .

ولما مات ولى بعده ابنه .

(١) فى ك : إحدى وسبعين ويؤيد ا الكامل حـ٨ ص ٤٦١ .
(٢) فى الكامل :حـ٨ ص ٤٦١ : نوح وهو خطأ كما هو ظاهر .
(٣) فى الكامل : حـ٨ ص ٤٩٥ : خمس عشرة سنة وهو خطأ كما هو ظاهر .

ذكر ولاية المنصور
أبى القاسم نوح بن منصور بن نوح بن نصر بن
أحمد بن اسماعيل بن أحمد، وهو الثامن من الملوك السامانية

ملك ما وراء النهر وخراسان بعد وفاة أبيه فى منتصف شوّال سنة ست وستين وثلاثمائة ولقب بالمنصور ، واستوزر أبا الحسن العُتْبِي فقام فى حفظ الدولة المقام المرضى ، وعزل محمد بن إبراهم بن سيمجور عن قيادة جيوش خراسان لأنّه كان قد استوطنها ، وبقى لا يطيع إلا فيما يختار فعزله فى سنة سبعين ، واستعمل عوضه حسام الدولة أبا العبّاس تاش ، ثم قتل الوزير في سنة اثنتين وسبعين ، وسبب قتله أن أبا الحسن بن سيمجور وضع عليه جماعة من المماليك فقتلوه ، فكتب الأمير المنصور نوح إلى حسام الدولة تاش يستدعيه إلى بخارى لتدبير الدولة ، فسار عن نيسابور إليها وقتل من ظفر به من قتلة الوزير .

وفي سنة اثنتين وسبعين سار محمد بن سيمجور نحو خراسان عند خلوّها من حسام الدولة ، وكاتب فايقا وطلب موافقته على الاستيلاء على خراسان ، فوافقه واجتمعا بنيسابور ، واتصل الخبر بحسام الدولة فسار عن بخارى إلى مرو فى جمع كبير ، وتردّدت الرسائل بينهم فاصطلحوا : على أن تكون نيسابور وقيادة الجيوش لأبى العبّاس حسام الدولة تاش ، وتكون بلخ لفايق ، وهراة لأبى على ابن أبى الحسن بن سيمجور ، وتفرّقوا على ذلك وقصد كل منهم عمله .

ولمّا عاد أبو العبّاس إلى نيسابوروترك بخارى استوزر الأمير نوح، عبد الله بن عزير وكان ضدا لأبي الحسين العتبى ، فلما ولى الوزارة ابتدأ بعزل حسام الدولة عن خراسان ، وأعاد ابن سيمجور إليها . فكتب القوّاد بخراسان يسألونه أن يقرّ حسام الدولة عليها فلم يجبهم فكتب حسام الدولة إلى فخر الدولة بن بويه يستمدّه ، فأمدّه بالأموال والعساكر ، وكانت بينهم حروب انتصر فيها حسام الدولة ، واستولى على خراسان وأقام بنيسابور ، وانهزم ابن سيمجور ثم تراجع أصحاب ابن سيمجور إليه ، وجاءته الأمداد من بخارى وعاد لقتال حسام الدولة ، والتقوا واقتتلوا نهارا كاملا انتصر فيه ابن سيمجور ، وانهزم حسام الدولة وأصحابه وأقام بجرجان ، ولم يصل إلى خراسان إلى أن مات في سنة سبع وسبعين وثلاثمائة ، وأقام ابن سيمجور بخراسان إلى أن توفى فجأة وهو يجامع بعض خطاياه .

وفى سنة اثنتين وثمانين وثلاثمائة سار بُغْراخَان إيلك ملك الترك بعساكره إلى بخارى ، فسيّر إليه الأمير نوح جيشا كثيفا فهزمهم بُغْراخَان ، فعادوا إلى بخارى وهو فى آثارهم ، فخرج نوح بنفسه وسائر عساكره ولقيه ، فاقتتلوا قتالا شديدا كانت الهزيمة على بُغْراخان ، فعاد إلى بلاَساغُون وهى كرسى ملكه .

ذكر ملك الترك بخارى
وشيء من أخبارهم وخروج الأمير نوح منها وعوده اليها

وفى سنة ثلاث وثمانين وثلاثمائة ملك شهاب الدولة هارون بن سليمان إيلك المعروف ببغراخان التركى مدينة بخارى ، وكان له كَاشْغَر وبلَاساغُون وخُتَن وطَراز وغير ذلك إلى حدود الصين ، وله عساكر جمّة وهم مسلمون ، وكان سبب إسلامهم أن جدّهم الأول شَبق قراخَاقَان رأى فى منامه كأنّ رجلا نزل من السماء ، فقال له بالتركية ما معناه : اسلم تسلم في الدنيا والآخرة ، فأسلم فى منامه ، وأصبح فأظهر إسلامه ، فلما مات قام مقامه ابنه موسى بن شبق ، ثم انتهى ملك هذه الطائفة من الترك إلى بُغْراخان ، وكنّا قصدنا أن نفرد هذه الدولة الخانيّة بترجمة ، ونذكر من ملك منهم وما استولوا عليه من البلاد وغير ذلك ، فلم نظفر بمؤرخ ذكر أخبارهم سياقة ولا متفرّقة ، إذا جُمعت انتظمت على سياقة ، فلذلك دمجنا أخبارهم فى أثناء الدول بحسب وقائعهم مع الملوك ، وما أظن أخبارهم اتّسقت لمؤرخ لأن أخبار الملوك والدول إنما يعتنى بجمعها كتّاب الإنشاء والفضلاء من الناس ، وهؤلاء كانوا أتراكا لا كتّاب لهم ولا اعتناء بشىء من ذلك ، فلذلك انقطعت أخبارهم .

ولنرجع إلى سبب مُلك بُغراخان بخارى . كان سبب ذلك أن أبا الحسن بن سيمجور عامل خراسان — لمّا مات — ولى ابنه أبو على بعده وكاتب الأمير الرضى نوحا أن يقرّه على ما كان بيد أبيه ، فأجيب

إلى ذلك ، وحُملت إليه الخلع وهو لا يشك أنها له ، فلما بلغ الرسول طريق هراة عدل إليها وبها فايق ، فأوصل إليه العهد بولاية خراسان والخلع إليه ، فعلم أبو على أنهم مكروا به ، وأنّ هذا دليل سوء يريدونه به ، فلبس فايق الخلع وسار عن هراة نحو أبى علىّ ، فبلغه الخبر فسار جريدة في نخبة أصحابه ، وطوى المنازل حتى سبق خبره ؛ وأوقع بفايق بين هراة وبوشنج ، فانهزم فايق وأصحابه إلى مرو الروذ ، وكتب أبو على إلى الأمير نوح يجدّد طلب ولاية خراسان ، فأجابه إلى ذلك وجمع له ولاية خراسان جميعها بعد أن كانت هراة لفايق ؛ وعاد أبو على إلى نيسابور ظافرا وجبى أموال خراسان ، فكتب إليه نوح يستنزر له عن بعضها ليصرفه في أرزاق الجند ، فاعتذر إليه ولم يفعل وخاف عاقبة المنع فكتب إلى بُغْراخان يدعوه إلى قصد بخارى ، واستقرّ الأمر بينهما على أن يكون لبغراخان ما وراء النهر جميعه . ولأبى علىّ خراسان ، فطمع بغراخان في البلاد وتجدّدت حركته إليها .

وأما فايق فإنّه أقام بمرو الروذ حتى اجتمع إليه أصحابه ، وسار نحو بخارى من غير إذن ، فارتاب الأمير نوح به وسيّر الجيوش وأمرهم بمنعه ، فقاتلوه وهزموه فعاد وقصد ترمذ ، وكاتب بغراخان أيضا يطمعه في البلاد ، فسار نحو بخارى واستولى على بلاد السامانيّة شيئا بعد شيء ، فسيّر إليه نوح جيشا واستعمل عليهم قائدا كبيرا من قوّاده اسمه انجْ ، فهزمهم بغراخان وأسرانج وجماعة من القوّاد ؛ فلما ظفر بهم قوى طمعه في البلاد ، وضعف نوح وأصحابه وكاتب أبا علىّ بن سيمجور يستنصره ، ويأمره بالقدوم إليه بالعساكر فلم يجبه إلى ذلك ولا لبىّ دعوته ، وطمع في الاستيلاء على خراسان ، وسار

بغراخان نحو بخارى [١] فلقيه فايق واختص به وصار في جملة أصحابه ، ونازلوا بخارى فاختفى الأمير نوح وملكها بغراخان ونزلها ، وخرج نوح منها مستخفيا فعبر النهر إلى آمل الشط ، وأقام بها ولحق به أصحابه ، وتابع نوح كتبه ورسله إلى أبى علىّ يستنجده ويخضع له ، فلم يصغ إلى ذلك ؛ وأما فايق فإنّه استأذن بغراخان في قصد بلخ والاستيلاء عليها فأمره بذلك ، فسار نحوها واستولى عليها .

ذكر عود نوح الى بخارى ووفاة بغراخان وقيام ايليك الخان

قال [٢] : ولما نزل بغراخان ببخارى استوخمها فمرض واشتدّ مرضه ، فانتقل نحو بلاد الترك ، ولمّا فارق بخارى ثار أهلها بساقة عسكره ، فقتلوا منهم وغنموا أموالهم ، ووافقهم الأتراك الغزيّة على الفتك والنهب لعسكر بغراخان ، وبادر الأمير نوح بالعود إلى بخارى فيمن معه من أصحابه ، فدخلها وعاد إلى دار ملكه وتباشر أهلها به ؛ ومات بغراخان وعاد أصحابه إلى بلادهم ، وكان بغراخان ديّنا خيرا عادلا حسن السيرة محباً للعلماء وأهل الدين مكرما لهم ، وكان يحب أن يكتب عنه مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وولى بعده أمر الترك ايليك الخان شمس الدولة أبو نصر أحمد بن على .

---

(١) فى المخطوطات : جرجان والتصويب عن الكامل حـ٩ ص ٧٠ .

(٢) راجع الكامل لابن الأثير حـ٩ ص ٧٠ .

ذكر ما كان من أخبار أبي على بن سيمجور وفايق واستعمال محمود بن سبكتكين على خراسان

قال : ولما عاد الأمير نوح إلى بخارى [٢] أسقط في يد أبي علىّ ابن سيمجور ، وندم على ما فرط منه من ترك إعانته عند الحاجة إليه ؛ وأما فايق فإنه لمّا استقرّ الأمير نوح ببخارى حدّث نفسه بالمسير إليه والحكم في دولته ، فسار عن بلخ إلى بخارى فسيّر الأمير نوح الجيوش لردّه ، فالتقوا واقتتلوا فانهزم فايق وأصحابه ، ولحق بأبي علىّ بن سيمجور ففرح به وقوى جنانه ، واتّفقا على مكاشفة الأمير نوح وإظهار العصيان ، فكتب الأمير نوح إلى سبكتكين وهو يومئذ بغزنة ، يعرّفه الحال ويأمره بالمصير إليه لينجده وولّاه خراسان وكان سبكتكين في هذه الفتن مشغولا بالغزو غير ملتفت إلى ما هم فيه ، فلما أتاه الكتاب سار نحو جريدة ، واجتمع به وقرّرا ما يفعلانه واتّفقا عليه ، وعاد سبكتكين فجمع عسكره وحشد وسار عن غزنة ، ومعه ولده محمود نحو خراسان ، وسار نوح من بخارى واجتمعا وقصدا أبا علىّ وفايقا ، وقد جمعا عساكرهما أيضا واستنصرا بفخر الدولة بن بويه ، فسيّر إليهما عسكرا كثيرا ، والتقوا بنواحي هراة واقتتلوا ، فانحاز دارا بن قابوس بن وشمكير من عسكر أبي علىّ إلى عسكر نوح ومعه أصحابه ، فانهزم أصحاب أبي علىّ وركبهم أصحاب سبكتكين يقتلون ويأسرون ويغنمون ، وعاد أبو على وفايق إلى خراسان

(١) بعد هذه الكلمة في ت : فسير الأمير نوح الجيوش لرده فالتقوا سقط في يده ... وهي جملة — كما ترى — مقحمة ، هذا فضلا من أن هذه المخطوطة تنفرد بكثرة السقط .

وأقام الأمير نوح وسبكتكين بظاهر هراة ، حتى أراحوا واستراحوا وساروا نحو نيسابور ، فسار أبو على وفايق نحو جرجان ، واستولى نوح على نيسابور واستعمل عليها وعلى جيوش خراسان محمود بن سبكتكين ، ولقّبه سيف الدولة ولقّب أباه ناصر الدولة ، وعاد نوح إلى بخارى وسبكتكين إلى هراة وذلك في سنة أربع وثمانين وثلاثمائة .

وفي سنة خمس وثمانين فى شهر ربيع الأول سار أبو علىّ وفايق عن جرجان إلى نيسابور ، فكتب محمود إلى أبيه بذلك وبرز إلى ظاهر نيسابور ، وأقام ينتظر المدد فأعجلاه فصبر لهما ، فقاتلاه وهو في قلّة من الرجال فانهزم عنهما نحو أبيه ، وغنما منه شيئا كثيرا ورجع أبو علىّ إلى نيسابور ، وكتب إلى الأمير نوح يستميله ويستقيل من عثرته ، وكاتب سبكتكين بمثل ذلك وأحال فيما جرى على فايق ، فلم يجيباه إلى ما أراد ، وجمع سبكتكين العساكر وسار نحو أبي علىّ فالتقوا بطوس في جمادى الآخرة واقتتلوا عامّة يومهم ، وأتاهم محمود ابن سبكتكين فى عسكر ضخم من ورائهم ، فانهزموا وقتل منهم خلق كثير ، ونجا أبو على وفايق إلى آمل الشط ، فراسلا الأمير نوح يستعطفانه ، فأجاب أبا علىّ إلى ما طلب وقبل عذره ، إن فارق فايقا ونزل بالجرجانية ، ففعل ذلك فحذّره فايق وخوّفه مكرهم ومكيدتهم فلم يرجع إلى قوله ، وفارقه وسار إلى الجرجانيّة ونزل بقرية بقرب خوارزم تسمى هزاراسب [1] ، فأرسل إليه أبو عبد الله خوارزم

(١) فى المخطوطات : هزارسف ، وفى الكامل ج٩ ص ٧٥ : هزاراسف والتصويب عن معجم البلدان لياقوت الحموى ج٤ ص ٩٧١ طبعة أوروبا وراجع لوسترينج : بلاد الخلافة الشرقية ص ٤٥٠ ط كمبردج سنة ١٩٣٠ .

شاه من أقام له ضيافة ، ووعده أنه يقصده ليجتمع به فسكن إلى ذلك فلما كان الليل أرسل إليه خوارزم شاه جمعا من عسكره ، فأحاطوا به وأخذوه أسيرا فى شهر رمضان سنة خمس وثمانين وثلاثمائة ، فاعتقله فى بعض دوره ، وطلب أصحابه فأسر أعيانهم وتفرّق الباقون.

وأما فايق فإنه سار إلى ايليك الخان فأكرمه وعظّمه ووعده أن يعيده إلى قاعدته ، وكتب إلى نوح يشفع فيه ويطلب منه أن يوليه سمرقند ،فأجابه إلى ذلك وأقام بها ؛ وأما ما كان من أبى علىّ بن سيمجور فإنه لمّا أسره خوارزم شاه بلغ خبره إلى مأمون بن محمد والى الجرجانية ، فقلق لذلك وعبر إلى كاث وهى مدينة خوارزم شاه فحصرها وفتحها عنوة ، وأحضر أبا علىّ وفكّ قيده وعاد به إلى الجرجانية ، واستخلف مأمون بعض أصحابه على بلد خوارزم شاه ، وصارت من جملة ما بيده ، وقتل خوارزم شاه بين يدى أبى علىّ بن سيمجور ، وكتب مأمون إلى الأمير نوح وهو يشفع فى أبى علىّ ويسأل الصفح عنه ، فأجابه إلى ذلك وأمر أبو على بالمسير إلى بخارى ، فسار إليها فيمن بقى معه من أهله وأصحابه ، فلمّا بلغها لقيه الأمراء والعساكر ودخل على الأمير نوح فأمر بالقبض عليه وعلى من معه ، واعتقله فمات فى حبسه فى سنة سبع وثمانين وثلاثمائة .

ذكر وفاة الامير نوح بن منصور

كانت وفاته فى شهر رجب سنة سبع وثمانين وثلاثمائة ، فكان مدة ملكه عشرين سنة وثمانية أشهر ، فاختلّ بموته ملك آل ساسان وضعف أمرهم ضعفا ظاهرا ، وطمع فيهم أصحاب الأطراف ، وزال ملكهم

بعد ذلك بمدّة يسيرة على ما نذكره إن شاء الله تعالى ، فكأنّه المعنى بقول القائل :

وما كان قيسٌ هلكهُ هلك واحد ولكنّهُ بنيـــان قوم تهدّمـــــا

ذكر ولاية أبى الحارث منصور بن نوح بن منصور بن نوح ابن نصر بن أحمد بن اسماعيل بن أحمد ، وهو التاسع من الملوك السامانية

ملك ما وراء النهر وخراسان بعد وفاة أبيه في شهر رجب سنة سبع وثمانين وثلاثمائة ، وبايعه الأمراء والقوّاد وسائر الناس ، وفرّق فيهم بقايا الأموال فاتّفقوا على طاعته ، وقام بأمر دولته وتدبيرها بكتُوزُون ، ولما بلغ خبر وفاة أبيه إلى ايليك الخان سار إلى سمر قند وانضم إليه فايق [و] [1] الخاصة فسيّره جريدة إلى بخارى، فلما سمع الأمير منصور بمسيره تحيّر فى أمره وأعجله عن أن يتجهّز ، فسار عن بخارى وقطع النهر ، ودخل فايق بخارى وأظهر أنّه قصد القيام بخدمة الأمير منصور ، رعاية لحق أسلافه عليه إذ هو مولاهم ، وأرسل إليه مشايخ بخارى في العودة إلى بلده وملكه ، وأعطاه من نفسه مايطمئن إليه من العهود والمواثيق ،فعاد إليها ودخلها وولى فايق أمره ، وحكمه فى دولته ، وولى بكتوزون أمر الجيش بخراسان ، وكان محمود ابن سبكتكين حينئذ مشغولا بمحاربة أخيه إسماعيل ، فسار بكتوزون إلى خراسان ووليها واستقرت قواعده بها .

---

(١) فى المخطوطات بدون (و) وكذلك الكامل لابن الأثير ٩ ص ٩١ .

ذكر القبض على الأمير منصور بن نوح وسمله

وفى سنة تسع وثمانين وثلاثمائة اجتمع بكتوزون وفايق وتشاكيا ماهما فيه من قلة إنصاف الأمير لهما، فقبضا عليه وأمر بكتوزون من سمل عينيه ، فكانت مدة ولايته سنة واحدة وسبعة أشهر .

ذكر ولاية عبد الملك بن نوح بن منصور

قال : ولما قبضا على الأمير منصور وسملاه أقاما أخاه عبد الملك في الملك مقامه وهو صبى صغير ، فأرسل محمود بن سبكتكين إلى فايق وبكتوزون يلومهما ويقبح فعلهما ، وقويت نفسه على لقائهما . وطمع في الملك والاستقلال به ، وسار لقتالهم فسارا نحوه ومعهما عبد الملك ، والتقوا واقتتلوا أشدّ قتال فانهزم السامانيّة ، ولحق عبد الملك وفايق ببخارى ؛ وقصد بكتوزون نيسابور فاتبعته جيوش محمود حتى لحق بجرجان ، وسار محمود إلى هراة فعاد بكتوزون إلى نيسابور وملكها ، فقصده محمود فهرب إلى بخاري بعد أن نهب مرو . واستقرّ ملك محمود بن سبكتكين بخراسان وخرجت عن ملك آل سامان .

ذكر انقراض الدولة السامانية

كان انقراضها فى سنة تسع وثمانين وثلاثمائة على يد محمود بن سبكتكين بخراسان وإيليك الخان بما وراء النهر . فأما محمود فإنه ملك خراسان كما ذكرناه ، وأما ايليك الخان وهو شمس الدولة

أبو نصر أحمد بن على فإن عبد الملك - لما انهزم من محمود - بقى بيده ما وراء النهر ، فقصد بخارى واجتمع بها هو وفايق وبكتوزون وغيرهما من الأمراء والأكابر ، فقويت نفوسهم وشرعوا فى جمع العساكر ، وعزموا على العود إلى خراسان ، فاتفقت وفاة فايق فى شعبان من السنة ، فلما مات ضعفت نفوسهم ووهت قوّتهم ، فإنه كان هو المشار إليه من بينهم ، وكان خصيا من موالى الأمير نوح ابن نصر . قال : ولمّا اتصل الخبر بايليك الخان سار فى جميع الأتراك إلى بخارى ، وأظهر لعبد الملك المودّة والموالاة والحميّة له ، فظنّوا صدقه فلم يحترسوا منه ، وخرج إليه بكتوزون وغيره من الأمراء والقوّاد ، فلمّا حضروا عنده قبض عليهم ، وسار حتى دخل بخارى فى يوم الثلاثاء عاشر ذى القعدة ، فلم يدر عبد الملك ما يصنع لقلّة من معه فاختفى ، ونزل ايليك الخان فى دار الإمارة وبثّ العيون على عبد الملك ، وشدّد فى طلبه فظفر به فأودعه بايكند(١) فمات بها ، وهو آخر الملوك السامانيّة ، وانقرضت دولتهم على يده وحبس معه أخاه أبا الحارث منصور بن نوح ، الذى كان فى الملك قبله ، وأخويه أبا إبراهيم إسماعيل وأبا يعقوب ، وأعمامه أبا زكريا وأبا سليمان وغيرهم من آل سامان ، وأفرد كل واحد منهم فى حجرة ، وكانت دولتهم قد انتشرت من حدود حلوان إلى بلاد الترك بما وراء النهر ، وكانت من أحسن الدول سيرة وعدلا ، وعدّة من ملك منهم عشرة ملوك وهم : نصر بن أحمد بن أسد بن سامان ، ثم أخوه إسماعيل بن أحمد ،

---

(١) فى الكامل ج ٩ ص ١٠٥ : بافكند .

ثم ابنه أحمد بن إسماعيل ، ثم ابنه نصر بن أحمد ، ثم ابنه نوح بن نصر ، ثم ابنه عبد الملك بن نوح ، ثم أخوه منصور بن نوح ، ثم ابنه نوح بن منصور ، ثم ابنه منصور بن نوح ، ثم أخوه عبد الملك بن نوح . ومدّة ملكهم منذ ولى نصر بن أحمد بن أسد وإلى أن قبض على عبد الملك مائة سنة وتسع وعشرون سنة تقريبا ، ولم يقم لهم بعد ذلك دولة ، وإنما ظهر إسماعيل بن نوح ولم يستقم له أمر ولا قامت له دولة ، فلذلك لم نجعله في جملة ملوكهم ، لأنه كان كالخارجى ، ونحن الآن نذكر ظهوره وما كان من أمره .

ذكر ظهور اسماعيل بن نوح وما اتفق له بخراسان

وفى سنة تسعين وثلاثمائة خرج أبو إبراهيم إسماعيل بن نوح من محبسه ، وكان السبب فى ظهوره أنه كان له جارية تأتيه لخدمته ثم تنصرف ، فجاءته فى بعض الأيام على عادتها فلبس ما كان عليها ، وخرج فظنّه الموكّلون به الجارية ، ولما خرج استخفى عند عجوز من أهل بخارى ، إلى أن سكن الطلب عنه ، فسار من بخاري إلى خوارزم وتلقب المستنصر [١] ، واجتمع إليه بقايا القوّاد السامانية والجند فكثرت جموعه ، فبعث قائدا من قوّاده إلى بخارى ، فقاتل من بها من أصحاب إيليك الخان وهزمهم وتبعهم إلى حدود سمرقند ، فاجتمع المنهزمون وعسكر سمرقند وقاتلوه فهزمهم أيضا عسكر المستنصر ، وغنموا أثقالهم فصلحت أحوالهم وعادوا إلى بخارى ،

(١) فى الكامل جـ٩ ص ١١١ : المنتصر .

فاستبشر أهلها بعود السامانية ، فجمع إيليك الخان الترك وقصد بخارى ، فانحاز من بها من السامانيّة وعبروا النهر إلى آمل الشط ، فضاقت عليهم فساروا هم والمستنصر نحو أبيورد ، فملكوها وجبوا أموالها ، وساروا نحو نيسابور وبها منصور بن سبكتكين نائبا عن أخيه محمود ، فاقتتلوا فانهزم ابن سبكتكين وملك المستنصر نيسابور وكثر جمعه ، فاتصل الخبر بيمين الدولة محمود فجدّ فى السير إليها فسار المستنصر عنها إلى اسفرايين ، فلما أزعجه الطلب سار إلى شمس المعالى قابوس بن وشمكير ملتجئا إليه ، فأكرمه وحمل إليه كثيرا وأشار عليه بقصد الرى ، إذ كانت ليس لها من يذبّ عنها ، لاشتغال أصحابها باختلافهم ، ووعده أن ينجده بعسكر مع أولاده ، فسار نحو الرى ونازلها فضعف من بها عن مقاومته ، إلا أنهم حفظوا البلد ، وبذلوا الأموال لأصحابه ليردّوه عنها ، فردّوه وحسّنوا له العود إلى خراسان فسار نحو الدامغان ، وعاد عنه عسكر قابوس ، ووصل المستنصر إلى نيسابور فى شوّال سنة إحدى وتسعين فجبى أموالها ، فأرسل إليه يمين الدولة جيشا فانهزم وسار نحو أبيورد ، وقصد جرجان فردّه شمس المعالى عنها ، فقصد سرخس وجبى أموالها وسكنها ، فسار إليه نصر بن سبكتكين من نيسابور ، والتقوا واقتتلوا فانهزم السامانى ، وأسر جماعة من أعيان عسكره وحملوا إلى غزنة ، وذلك فى شهر ربيع الأول سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة ، ثم سار السامانى تائها حتى وافى الأتراك الغزيّة ، ولهم ميل إلى آل سامان فاجتمعوا معه ، وسار إيليك الخانَ وذلك فى شوّال سنة ثلاث وتسعين ، فلقيهم بنواحى سمرقند فهزموه ، واستولوا على أمواله

وسواده وأسروا جماعة من قوّاده وعادوا ، وأجمع أصحاب المستنصر على إطلاق الأسرى تقرّبا إلى إيليك الخان ، فشعر بذلك فاختار من أصحابه جماعة يثق بهم ، وسار بهم فعبر النهر إلى آمل الشط. فلم يقبله مكان ، فعاد وعبر النهر إلى بخارى واقتتل هو وواليها الذى هو من قبل إيليك الخان ، فانهزم المستنصر إلى دبوسيّه وجمع بها جمعا ، ثم عاودهم وهزمهم فاجتمع عليه جماعة من فتيان سمرقند وصاروا فى جملة أصحابه ، فجمع إيليك الخان الأتراك وسار إليه والتقوا بنواحى سمرقند ، فانهزم إيليك الخان وذلك فى شعبان سنة أربع وتسعين وثلاثمائة ، ثم عاد إيليك الخان إلى بلاد الترك فجمع وحشد وعاد إلى المستنصر ، فوافق عوده تراجع الغزيّة الذين كانوا مع السامانى إلى أوطانهم ، فاقتتلوا بنواحى اشروسنة فانهزم السامانى وأكثر أصحاب إيليك الخان القتل فى أصحابه ، وعبر النهر إلى الجوزجان فنهب أموالها ، وسار يريد مرو فسيّر إليه يمين الدولة العساكر ، ففارق مكانه وسار وهم فى أثره ، فأتى بسطام فأزعجه قابوس عنها فضاقت به المذاهب ، فعبر ما وراء النهر وقد ضجر أصحابه منه وسئموا من السهر والتعب والخوف ، ففارقه كثير منهم إلى بعض أصحاب إيليك الخان وأعلموهم بمكانه ، فلم يشعر إلا وقد أحاطت به الخيل من كل جانب ، فطاردهم ساعة وانهزم ونزل بحلّة للعرب ، وكانوا فى طاعة يمين الدولة محمود بن سبكتكين ، فأمهلوه حتى أظلم الليل ووثبوا عليه فأخذوه وقتلوه ، وكان ذلك خاتمة أمره وآخر ما اتّفق لآل سامان ، ولم يقم منهم بعده أحد ، والله أعلم .

ذكر أخبار الدولة الصفارية وابتداء أمرها

أوّل من قام منهم يعقوب بن الليث الصفّار ، وكان يعقوب هذا وأخوه عمرو يعملان الصُّفْر بسجستان ويظهران الزهد والتقشف ، وكان فى أيّامهما رجل من أهل سِجِسْتان اسمه صالح بن النضر الكنانى قد تغلّب على سِجِسْتان فى سنة سبع وثلاثين ومائتين فى خلافة المتوكّل على الله ، فصحبه يعقوب وقاتل معه وجعله صالح مقام الخليفة عنه ، فاستنقذ طاهر بن عبد الله بن طاهر - أمير خراسان - سجستان من يده ، ثم هلك صالح بعد ذلك فقام مقامه بأمر المتطوّعة رجل اسمه درهم بن الحسن (١) ، فغلب على سجستان وكان غير ضابط لعسكره وكان يعقوب هو قائد العسكر ، فلمّا رأى أصحاب درهم ضعفه وعجزه اجتمعوا على يعقوب بن الليث ، وملّكوه أمرهم لما رأوه من تدبيره وحسن سياسته وقيامه بأمرهم ، فلمّا تبيّن ذلك لدرهم لم ينازعه فى الأمر ، وسلّمه إليه واعتزل عنه فاستبدّ يعقوب بالأمر ؛ وقيل بل احتال صاحب خراسان على درهم حتّى قبض عليه ، وحمله إلى بغداد فحبس بها ثم أطلق وخدم الخليفة ببغداد ، واستقلّ يعقوب بعده بالأمر وعظم شأنه وتولىّ أمر المتطوّعة ، وقام بمحاربة الشراة فظفر بهم وأكثر القتل فيهم حتى كاد يفنيهم ، وخرّب قراهم ، وأطاعه أصحابه طاعة لم يطيعوا أحدا قبله ، فاشتدت شوكته فغلب على سِجِسْتَان

(١) فى الكامل حـ٧ ص ٤٣ : درهم بن الحسين وكذلك فى وفيات الأعيان لابن خلكان حـ٥ ص ٤٤٢ ط القاهرة ١٩٤٩ ، على أن فى إحدى مخطوطات الكامل المرموز لها A : الحسن .

وأظهر التمسك بطاعة الخليفة ، وكاتبه وصدر عن أمره وأظهر أنه أمره بقتال الشراة ، وملك يعقوب سجستان وضبط الطريق ، وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر فكثر اتباعه .

ذكر ملك يعقوب هراة وبوشنج

قال(١) : ولما كثرا أتباعه خرج عن حدّ طلب الشراة ، فصار يتناول أصحاب أمير خراسان ، وسار من سجستان إلى هراة من أعمال خراسان فى سنة ثلاث وخمسين ومائتين ، وأمير خراسان يومئذ محمد بن طاهر بن عبد الله ، وعامله على هراة محمد بن أوس الأنبارى فخرج منها لمحاربته ، فالتقوا واقتتلوا قتالا شديدا فانهزم ابن أوس وملك يعقوب هراة وبُوشَنْج وصارت المدينتان فى يده ، فعظم أمره وهابه أمير خراسان وغيره من أصحاب الأطراف ، وذلك فى خلافة المعتز بالله .

ذكر استيلائه على كرمان

وفى سنة خمس وخمسين ومائتين استولى يعقوب بن الليث على كِرْمان ، وسبب ذلك أن علىّ بن الحسين بن مسبل كان على فارس ، فتباطأ بحمل الخراج منها وكتب إلى المعتز بالله يطلب منه كرمان ، ويذكر عجز الطاهريّة عنها ، فكتب إليه بولايتها وكتب إلى يعقوب أيضا بولايتها ، وقصد بذلك إغراء كل واحد منهما بالآخر فتسقط.

(١) راجع الكامل ج٧ ص ١٢٥ .

عنه مؤونة الهالك منهما وينفرد بالآخر ، وكان كل منهما يظهر الطاعة للخليفة وهو فى باطن أمره على معصيته ، والمعتز يعلم بذلك منهما ، فأرسل علىّ بن الحسين ، طَوْق بن المُغَلِّس إلى كرمان ، وسار يعقوب إليها فسبقه طوق واستولى عليها ، وأقبل يعقوب حتى بقى بينه وبين عسكر كرمان مرحلة ، فأقام بها شهرين لا يتقدّم إلى طوق ، ولا طوق يخرج إليه ، فلمّا طال ذلك عليه أظهر الارتحال إلى سجستان ورجع مرحلتين ، وبلغ طوقا ارتحاله فظنّ أنه قد بدا له فى حربه ، فوضع آلة الحرب وقعد للشرب واللهو ، واتصل ذلك بيعقوب فكرّ راجعا وطوى المرحلتين فى مرحلة [1] واحدة ، فلم يشعر طوق إلا بغبرة العسكر قد طلعت ، فقال : ما هذا ؟ فقيل غبرة المواشى ، فلم يكن بأسرع من موافاة يعقوب فأحاط به وبأصحابه ، فذهب أصحابه يريدون المناهضة والدفع عن أنفسهم ، فقال يعقوب لأصحابه : أفرجوا لهم ، فأفرجوا لهم فمروا هاربين وتركوا أموالهم وأثقالهم ، وأسر يعقوب طوقا ، وكان علىّ بن الحسين قد سيّر مع طوق قيودا فى صناديق ، ليقيدّ بها من يأخذه من أصحاب يعقوب ، وفى صناديق أطوقة وأساور يعطيها لأصحاب البلاء من أصحابه ، فلمّا غنم يعقوب عسكرهم رأى ذلك فقال يا طوق : ما هذا ؟ فأخبره ، فأعطى [2] يعقوب الأطوقة والأساور لأصحابه ، وقيّد بالقيود والأغلال أصحاب علىّ ، ولما أخرج يد طوق ليجعل الغلّ فيها رآها يعقوب وعليها عصابة ، فسأله عنها فقال : أصابتنى حرارة ففصدتها ، فأمر

(١) فى الكامل حـ٧ ص ١٢٩ : يوم واحد .
(٢) فى المخطوطات : فأعطاه .

يعقوب بنزع خف نفسه فتساقط منه كسر يابسة ، فقال : يا طوق هذا خفّى لم أنزعه من رجلى منذ شهرين ، وخبزى فيه منه آكل ، وأنت جالس فى الشرب ، ثم دخل كرمان وملكها مع سِجِسْتان .

ذكر ملكه فارس

قال : ولما بلغ على بن الحسين صاحب فارس ما فعله يعقوب بطَوْق أيقن بمجيئه إليه وكان بشيراز ، فجمع جيشه وصار إلى مضيق خارج شيراز ، من أحد جانبيه جبل لا يسلك ، ومن الآخر نهر لا يُخاض على رأس المضيق ، وهو مضيق لا يسلكه إلا واحد بعد واحد وقال : إن يعقوب لا يقدر على الجواز إلينا ، وأقبل يعقوب حتى دنا من ذلك المضيق ونزل على ميل منه ، وسار وحده ومعه رجل آخر فنظر إلى المضيق والعسكر فسبّه أصحاب علىّ وهو ساكت ، ثم رجع إلى أصحابه ، فلما كان الغد سار حتى صار إلى طريق المضيق مما يلى كرمان ، وأمر أصحابه بالنزول وحطّ الأثقال ففعلوا وركبوا دوابّهم وأخذ يعقوب كلبا كان قد ألفه فألقاه فى الماء ، فجعل يسبح إلى جانب أصحاب علىّ ، وكان علىّ وأصحابه قد ركبوا لينظروا إلى فعله ويضحكون منه ، فألقى يعقوب نفسه وأصحابه فى الماء على خيولهم وبأيديهم الرماح ، وجعلوا يسيرون خلف الكلب ، فلما رأى علىّ يعقوب وقد قطع عامّة النهر تحيّر فى أمره ، وانتقض عليه ما كان قد دبّره ، وخرج أصحاب يعقوب فلما صار أوائلهم فى البرّ هرب

أصحاب علىّ إلى مدينة شيراز ، فسقط. [(١)] علىّ بن الحسين عن فرسه فأخذ أسيرا ، وأتى به إلى يعقوب فقيّده واحتوى على ما كان فى عسكره ، ثم رحل من موضعه ودخل شيراز ليلا فلم يتحرّك أحد ، فلمّا أصبح انتهب أصحابه دار علىّ ودور أصحابة ، وأخذ ما فى بيوت الأموال وجبى الخراج ، ورجع إلى سجستان . وقيل إنه كان بينه وبين علىّ حرب بعد عبور النهر ، وذلك أن عليا كان قد جمع عنده جمعا كثيرا من الموالى والأكراد وغيرهم ، بلغت عدّتهم خمسة عشر ألفا من فارس وراجل ، وعبأ أصحابه وأقبل يعقوب وعبر النهر فلما صاروا فى أرض واحدة حمل يعقوب وعسكره حملة رجل واحد ، وتابع الحملات حملة بعد أخرى فانهزم أصحاب علىّ ، وتبعهم وهو يصيح بهم فلا يرجعون ، وقتل الرجّالة قتلا ذريعا ، وأقبل المنهزمون إلى باب شيراز وقت العصر ، فازدحموا إلى الأبواب وتفرّقوا فى نواحى فارس ، وبلغ بعضهم إلى الأهواز فأمر يعقوب بالكف عنهم ، وكانت القتلى منهم خمسة آلاف ؛ قيل وأصاب على بن الحسين ثلاث جراحات ثم أخذ أسيرا .

ودخل يعقوب مدينة شيراز وطاف بها ، ونادى بالأمان فاطمأن الناس ، وعذّب على بن الحسين بأنواع العذاب ، وأخذ من أمواله ألف بدرة وقيل أربعمائة ، وأخذ من السلاح والأقمشة وغير ذلك مالا يحدّ ، وكتب إلى الخليفة المعتز بالله بطاعته ، وأهدى له هدية جليلة : منها عشرة بزاة بيض وباز أبلق صينى ومائة منّ من المسك وغير ذلك

(١) فى المخطوطات : فتقنطر ، ولما كان المؤلف ينقل باللفظ من الكامل ٧ ص ١٣٠ كان التصويب عنه .

من الطرائف ، وعاد إلى سجستان ومعه علىّ وطوق ، فلما فارق بلاد فارس أرسل الخليفة عماله إليها .

ذكر قصد يعقوب فارس وملكه بلخ وغيرها

وفى سنة سبع وخمسين ومائتين سار يعقوب إلى بلاد فارس ، فأرسل إليه المعتمد على الله ينكر ذلك ، وكتب إليه الموفق أخو المعتمد بولاية بلْخ وطُخَارسْتَان وسِجِستَان والسِّنْد فقبل ذلك ، وعاد وسار إلى بلخ وطخارستان ، فلما وصل نزل بظاهرها وخرّب نوشَاد ؛ وهى أبنية كان قد بناها داود بن العبّاس خارج بلخ ، ثم سار إلى كَابُل واستولى عليها وقبض على رُتْبيل[1] ، وأرسل رسولا إلى الخليفة بهديّة جليلة المقدار ، وفيها أصنام أخذها من كابُل وتلك البلاد ، وسار إلى بُسْت فأقام بها سنة ، وسبب إقامته أنه أراد الرحيل فرأى قوّاده قد حمل بعض أثقاله ، فغضب وقال : ترحلون قبلى ! ! ثم أقام سنة ، وسار إلى بوشنج وقبض على الحسين بن طاهر بن الحسين ، فأنفذ إليه محمد بن طاهر بن عبد الله يسأله فى إطلاقه فلم يجب سؤله .

ذكر ملكه نيسابور

وفى شوال سنة تسع وخمسين ومائتين دخل يعقوب نيسابور ، وكان سبب مسيره إليها أن عبد الله السِّجْزى كان ينازع يعقوب سجستان فلما قوى أمر يعقوب هرب منه إلى محمد بن طاهر ، وطلبه يعقوب

(١) ورد فى وفيات الأعيان لابن خلكان جـ٥ ص ٤٤٥ (ط القاهرة ١٩٤٩) : ويسمى كل ملك لهم رتبيل .

منه فلم يفعل ، فسار نحوه إلى نيسابور فلما قرب منها وأراد دخولها وجّه إليه محمد بن طاهر يستأذنه فى تلقّيه ، فلم يأذن له فبعث بعمومته وأهل بيته فتلقّوه ، ودخل نيسابور وأرسل إلى الخليفة يذكر تفريط محمد بن طاهر فى عمله ، وأن أهل خراسان سألوه المصير إليهم ، ويذكر غلبة العلويين على طبرستان وبالغ فى هذا المعنى ، فأنكر عليه ذلك وأمره بالاقتصار على ما أسند إليه ، وألا يسلك معه مسلك المخالفين . وقيل بل كان سبب ذلك أنه كتب إلى محمد يعلمه أنه على قصد طبرستان ، ليمضى ما أمره به الخليفة فى الحسن بن زيد العلوى المتغلّب عليها ، وأنه لا يتعرض إلى شىء من عمله ولا إلى شىء من أسبابه ، وكان بعض خاصّة محمد وأهله لمّا رأوا إدبار أمره مالوا إلى يعقوب ، وكاتبوه واستدعوه وهوّنوا على محمد أمر يعقوب ، وأعلموه أنه لا خوف عليه منه وثبّطوه عن التحرّز منه ، فركن محمد إلى قولهم حتى قرب يعقوب من نيسابور ، فوجّه إليه قائدا من قوّاده يطيّب قلبه ، وأمره بمنعه عن الانتزاح من نيسابور إن أراد ذلك ، ثم وصل يعقوب إلى نيسابور فى رابع شوّال ، وأرسل أخاه عمرو بن الليث إلى محمد بن طاهر فأحضره عنده ، فقبض عليه وقيّده وعنّفه على إهماله أمر عمله وعجزه عن حفظه ، ثم قبض على جميع أهله ، وكانوا نحوا من مائة وستين رجلا ، وحملهم إلى سجستان واستولى على خراسان ، ورتّب نوّابه فى الأعمال ، وكانت ولاية محمد بن طاهر خراسان إحدى عشرة سنة وشهرين وعشرة أيام .

ذكر دخوله طبرستان

وفى سنة ستين ومائتين سار يعقوب إلى طبرستان وملكها ، وسبب ذلك أنه لمّا دخل نيسابور هرب منه عبد الله السِّجْزِى إلى الحسن بن زيد بسارية ، فأرسل يعقوب إلى الحسن يسأله أن يبعثه إليه ويرجع عنه ، فإنّه إنما جاء لذلك لا لحربه فلم يسلّمه الحسن ، فحاربه يعقوب فانهزم الحسن ودخل بلاد الديلم ودخل يعقوب سارية وآمُل ، وجبى من أهلها خراج سنة ، ثم سار فى طلب الحسن بن زيد فصار إلى بعض جبال طبرِسْتان ، فتتابعت عليه الأمطار نحوا من أربعين يوما فلم يتخلّص إلا بمشقّة شديدة ، وهلك عامّة ما معه من الظهر ، ثم أراد الدخول خلف الحسن فوقف على الطريق الذى يريد يسلكه ، وأمر أصحابه بالتوقّف عن المسير ، ثم تقدّم وحده فتأمّل الطريق ورجع إليهم ، فأمرهم بالانصراف وقال : إن لم يكن طريق غير هذا فلا طريق إليه ، وكان نساء تلك الناحية قلن للرجال : دعوه يدخل فإنه إن دخل كفيناكم أمره وعلينا أسره لكم ، فلمّا خرج من طبرستان عرض رجاله ففقد منهم أربعين ألفا ، وذهب أكثر ما معه من الخيل والإبل والأثقال .

وكتب إلى الخليفة بما فعله من هزيمة الحسن ، وسار إلى الرى فى طلب عبد الله السجزى ، فإنه كان قد سار إليها بعد هزيمة الحسن فلما قاربها يعقوب كتب إلى واليها الصلابى [1] ، يخيّره بين تسليم

---

(١) فى الكامل لابن الأثير جـ٧ ص ١٨٥ : الصلانى ويؤيد المخطوطات للطبرى جـ١٣ ص ٨٨٦ .

عبد الله إليه ويرحل عنه وبين المحاربة ، فسلّمه إليه فانصرف يعقوب عنه وقتل عبد الله السجزى .

ذكر عود يعقوب الى بلاد فارس والحرب بينه وبين محمد بن واصل

كان سبب ذلك أن محمد بن واصل كان قد تغلّب على فارس وقتل الحارث بن سيما ، فأضاف المعتمد على الله فارس والأهواز والبصرة والبحرين واليمامة إلى موسى بن بُغا مع ما كان إليه ، فوجّه موسى ، عبد الرحمن بن مُفلح إلى الأهواز ، وولاه إيّاها مع فارس وأضاف إليه طاشتمُر ، فقاتله محمد بن واصل برام هُرْمُز ، فانهزم عبد الرحمن وأخذ أسيرا وقتل طاشتمر ، وغنم ما كان فى عسكرهما ، فأرسل الخليفة إلى محمد بن واصل فى إطلاق عبد الرحمن ، فلم يفعل وقتله وأظهر أنه مات ، وسار ابن واصل من هذه الوقعة – وقد أظهر أنه يريد واسط – لحرب موسى بن بُغا ، فلما رأى موسى شدّة الأمر استعفى من ولاية فارس ؛ فلما بلغ ذلك يعقوب – وكان بسجستان ، تجدّد طمعه فى ملك بلاد فارس ، وأخذ ما غنمه ابن واصل من الخزائن والسلاح من عبد الرحمن بن مفلح وطاشتمر ، فسار يعقوب حتى نزل البيضا من أرض فارس ، فبلغ ابن واصل خبره وهو بالأهواز ، فعاد منها لا يلوى على شىء ، وأرسل خاله أبا بلال مرداسا إلى يعقوب فوصل إليه وضمن له طاعة محمد بن واصل ، فأرسل يعقوب إلى محمد كتبا ورسلا فى المعنى فحبسهم ابن واصل ، وسار يطلب يعقوب

والرسل معه ، وهو يريد بذلك أن يخفى خبر مسيره ، وأن يصل بغتة فينال منه غرضه ويوقع به ، فسار فى يوم شديد الحرّ فى أرض صعبة المسالك ، وهو يظن أن خبره قد خفى عن يعقوب ، فلما كان وقت الظهر تعبت دوابّهم ، فمات من أصحاب ابن واصل أكثر الرجّالة جوعا وعطشا وتعبا ، وبلغ خبرهم يعقوب فجمع أصحابه وأعلمهم الخبر ، وقال لأبى بلال : إنّ ابن واصل قد غدر بنا وحسبنا الله ونعم الوكيل ، وسار يعقوب إليه فلما قاربه ضعفت نفوس أصحاب ابن واصل عن مقاومته ،فلما صار بينهما رميه سهم انهزم أصحاب ابن واصل من غير قتال ، وتبعهم أصحاب يعقوب وأخذوا منهم جميع ما غنموه من عسكر عبد الرحمن ، واستولى يعقوب على بلاد فارس ورتّب بها أصحابه وأصلح أحوالها ، ومضى ابن واصل منهزما وأخذ أمواله من قلعته ، وكانت أربعين ألف ألف درهم ، وأوقع يعقوب بأهل زم لأنهم أعانوا ابن واصل ، وحدّث نفسه أنه يستولى على الأهواز وغيرها .

ذكر الحرب بين الموفق ويعقوب

وفى سنة اثنتين وستين ومائتين فى المحرم سار يعقوب من فارس إلى الأهواز ، فلما بلغ المعتمد على الله إقباله أرسل إليه إسماعيل بن إسحاق وبُغراج ، وأطلق من كان فى حبسه من أصحاب يعقوب ، وكان قد حبسهم لما أخذ يعقوب ، محمد بن طاهر ، وجاءت رسالة يعقوب إلى الخليفة فجلس أبو أحمد الموفّق وأحضر التجّار ، وأخبرهم بتولية يعقوب طبرستان وخراسان وجرجان والرى وفارس والشرطة

ببغداد ، وذلك بمحضر من درهم حاجب يعقوب ؛ وكان قد أرسله يطلب هذه الولاية ، فأعاده الموفّق إلى يعقوب ومعه عمر بن سيما بما أضاف إليه من الولايات ، فعادت رسل يعقوب تقول : إنه لا يرضيه ذلك دون أن يصير إلى باب المعتمد ، وارتحل يعقوب وسار إليه أبو الساج وصار معه ، فأكرمه . وأحسن إليه ووصله ، وسار يعقوب إلى واسط. فدخلها لست بقين من جمادى الآخرة سنة اثنتين وستين ومائتين ، وارتحل المعتمد على الله من بغداد إلى الزعفرانيّة وقدّم أخاه الموفّق أمامه ، وسار يعقوب من واسط. إلى دير العاقول بالعساكر لمحاربته ، فجعل الموفّق على ميمنته موسى بن بغا وعلى ميسرته مسرورا البلخى وقام هو فى القلب ، والتقوا واقتتلوا فحملت ميسرة يعقوب على ميمنة الموفّق فهزمتها ، وقتل جماعة من القوّاد ثم تراجع المنهزمون ، وكشف الموفّق رأسه وقال : أنا الغلام الهاشمى ، وحمل وحمل معه سائر العسكر فثبت عسكر يعقوب ، وتحاربوا حربا شديدا فقتل من أصحاب يعقوب جماعة ، منهم حسن الدرهمىّ وأصاب يعقوب ثلاثة أسهم ، ولم تزل الحرب قائمة إلى وقت العصر فانهزم أصحاب يعقوب ، وثبت هو في خاصّة أصحابه ثم مضوا وفارقوا موضع الحرب ، وتبعهم أصحاب الموفّق وغنموا ما فى عسكره ، وكان فيه الدوابّ والبغال أكثر من عشرة آلاف ، ومن الأموال ما لا يحصى كثرة ، ومن جرب المسك عدّة كثيرة ، وخلص محمد بن طاهر وكان مثقلا بالحديد ، فخلع عليه الموفّق وولّاه الشرطة ببغداد ، وسار يعقوب من موضع الهزيمة إلى خوزستان ونزل جنديسابور ، فراسله.

العلوى فقال لكاتبه اكتب إليه : (قُلْ يأيُّها الكافِرُون [١] . .) إلى آخرها وسيّر الكتاب إليه ، وكانت هذه الوقعة لإحدى عشرة ليلة خلت من شهر رجب ، وكتب المعتمد إلى محمد بن واصل بولاية فارس فعاد إليها [٢] .

ذكر استيلاء يعقوب على الأهواز وغيرها

وفى سنة ثلاث وستين ومائتين أقبل يعقوب من فارس ، فلمّا بلغ النُّوبنْدجان انصرف أحمد بن الليث عن تُسْتر ، فبلغ يعقوب جُنْديُسابور ونزلها ، فارتحل عن تلك الناحية من كان بها من عسكر الخليفة ، ووجّه يعقوب إلى الأهواز رجلا من أصحابه يقال له الخِضْر ابن العنبر ، فلمّا قاربها خرج عنها على بن أبان ومن معه من الزنج ونزل نهر السِّدْرة ، ودخل الخضر الأهواز وجعل أصحابه وأصحاب على بن أبان يغير بعضهم على بعض وينال بعضهم من بعض ، إلى أن استعدّ على بن أبان وسار إلى الأهواز ، فأوقع بالخضر ومن معه من أصحاب يعقوب وقعة عظيمة ، قتل فيها من أصحاب الخضر خلقا كثيرا وهرب الخضر ومن معه ، وأقام علىّ بالأهواز يستخرج ما كان فيها ، ورجع إلى نهر السِّدْرة وسيّر طائفة إلى دوْرق فأوقعوا بمن كان هناك من أصحاب يعقوب ، فأنفذ يعقوب إلى الخضر مددا ، وأمره بالكف عن قتال الزنج والاقتصار على المقام بالأهواز ، فلم يُجب على

(١) سورة رقم ١٠٩ .
(٢) راجع الكامل لابن الأثير ج٧ ص ٢١٣ .

ابن أبان إلى ذلك دون نقل طعام كان هناك ، فأجابه يعقوب إلى ما طلب ونقل الطعام ، وترك العلف بالأهواز و كف بعضهم عن بعض .

ذكر وفاة يعقوب بن الليث وولاية أخيه عمرو

كانت وفاته فى تاسع عشر شوّال سنة خمس وستين ومائتين بجند يسابور من كور الأهواز ، وكانت علّته القولنج فأمره الأطباء بالاحتقان بالدواء ، فامتنع واختار الموت على ذلك ، وكان المعتمد على الله قد أنفذ إليه رسولا وكتابا يستميله ويسترضيه ، وقلده أعمال فارس ، فوصل الرسول ويعقوب مريض فجلس له ، وجعل عنده سيفا ورغيفا من الخبز الخشكار وبصلا ، وأحضر الرسول وسمع رسالته وقال له : قل للخليفة إنّنى عليل ، فإن مت فقد استرحتُ منك واسترحت منىَ ، وإن عوفيت فليس بينى وبينك إلا هذا السيف حتى آخذ بثأرى أو تكسرنى وتعقرنى [1] فأعود إلى هذا الخبز والبصل وأعاد الرسول ، فلم يلبث يعقوب أن مات .

وكان الحسن بن زيد العلوى ـ صاحب طبرستان ـ يسمّى يعقوب السندان لثباته ، وكان يعقوب قد افتتح الرُّخج وقتل ملكها البتبر [2] وكان هذا الملك يُحمل على سرير من ذهب يحمله اثنا عشر رجلا ، وابتنى بيتا على جبل عال سمّاه مكة ، وكان يدّعى الإلهيّة فقتله

(١) فى المخطوطات وفيات الأعيان لابن خلكان جـ٥ ص ٤٦٣ (ط . القاهرة ١٩٤٩) : تفقرنى والتصويب عن الكامل جـ٧ ص ٢٢٦ .

(٢) هكذا فى ا ، ت ، وفى ك البقير ، وفى الكامل جـ٧ ص ٢٢٦ : كبتير .

يعقوب ، وافتتح الخلجية [١] وزابُل وغير ذلك . وكان عاقلا حازما وكان يقول : كل من عاشرته أربعين يوما فلا تعرف أخلاقه لا تعرفها في أربعين سنة .

ذكر ولاية عمرو بن الليث

كانت ولايته بعد وفاة أخيه يعقوب في تاسع شوّال سنة خمس وستين ومائتين ، ولمّا ولى كتب إلى الخليفة بطاعته ، فولّاه الموفّق خراسان وأصفهان وسجستان والسند وكرمان والشرطة ببغداد وأشهد عليه بذلك وسيّر إليه العهد والخلع ، فاستخلف عمرو بن الليث ، عبيد الله بن عبد الله بن طاهر على الشرطة ببغداد وسامرّا في صفر سنة ست وستين ، وخلع عليه الموفّق أيضا ؛ ولم يزل عمرو في هذه الولايات إلى أن عزله المعتمد في شهور سنة إحدى وسبعين ومائتين ، وأدخل عليه حاج خراسان وأعلمهم أنه عزل عمرو بن الليث عمّا كان قلّده ، ولعنه بحضرتهم وأعلمهم أنه قد قلّد خراسان لمحمد ابن طاهر ، وأمر يلعن عمرو على المنابر فلعن .

وسار صاعد [٢] بن مخلّد إلى فارس لحرب الصفّاريّة ، واستخلف محمدُ بن طاهر على خراسان رافع بن هرثمة ، ثم كانت الحرب بين عمرو بن الليث وعسكر الخليفة وعليهم أحمد بن عبد العزيز بن أبي دُلَف ؛

(١) الخلج : جماعة من الترك ؛ راجع لوسترينج : بلاد الخلافة الشرقية ص ٣٤٦ ط كمبردج ١٩٣٠ .

(٢) في المخطوطات : مخلد بن صاعد ، وهو خطأ صوابه عن الكامل حـ٧ ص ٢٩٠ وعن الطبري حـ١٤ ص ٢١٠٦ .

ودامت الحرب بينهم من أوّل النهار إلى الظهر ، فانهزم عمرو وأصحابه وكانوا خمسة عشر ألفا ، وجرح الدرهميّ مقدّم جيش عمرو ، وقتل مائة رجل من جماتهم [1] وأسر ثلاثة آلاف أسير وغنموا معسكر عمرو ، وكان الذى غنموه من الدوابّ والبقر والحُمُر ثلاثين ألف رأس ؛ وما سوي ذلك فلا يدخل تحت الاحصاء . وذلك فى عاشر شهر ربيع الأوّل سنة إحدى وسبعين ومائتين .

وفى سنة أربع وسبعين سار الموفّق إلى فارس لحرب عمرو بن الليث فى شهر ربيع الأوّل ، فبلغ عمرو الخبر فسيّر عبّاس بن إسحاق فى جمع كثير من العسكر إلى سيراف ، وأنفذ ابنه محمد بن عمرو إلى أرّجان ، وسيّر أبا طلحة شَرْكَب صاحب جيشه على مقدّمته ، فاستأمن أبو طلحة إلى الموفّق ، وسمع عمرو ذلك فتوقف عن قصد الموفّق ، ثم عزم أبو طلحة على العود إلى عمرو فبلغ الموفّق خبره . فقبض عليه بقرب شيراز وجعل ماله لابنه المعتضد ، وسار يطلب عمرا فعاد عمرو إلى كرمان ثم إلى سجستان على المفازة فتوفى ابنه بالمفازة ، وعاد الموفّق .

---

(١) فى المخطوطات : جماعتهم والتصويب عن الكامل ج٧ ص ٢٩١ .

ذكر أسر عمرو بن الليث وقتله وانقراض الدولة الصفارية

وفى سنة سبع وثمانين ومائتين فى شهر ربيع الأول منها كانت الحرب بين عمرو بن الليث وإسماعيل بن أحمد السامانى ، صاحب ما وراء النهر ، فأجلت الحرب عن هزيمة أصحاب عمرو وأسره كما قدمناه مبيّنا فى أخبار الدولة السامانية ، وخيّره إسماعيل فى المقام عنده أو إرساله إلى الخليفة المعتضد بالله ، فاختار أن يتوجّه إلى المعتضد فسيّره إليه ، فوصل إلى بغداد فى سنة ثمان وثمانين ، فلما وصل أدخل بغداد على جمل ، ثم حبس إلى أن قتل فى سنة تسع وثمانين ومائتين

ذكر أخباره وشىء من سيرته

كان عمرو أعور شديد الشره (١) عظيم السياسة ، قد منع قوّاده وأصحابه أن يضرب أحد منهم غلامه إلا بأمره ، وكان يشتري المماليك الصغار ويربّيهم ويهبهم إلى القوّاد ، ويجري عليهم الجرايات السنيّة ليطالعوه بأخبار القوّاد ، فلا ينكتم عنه شىء من أمرهم ولا يعلمون من ينقل إليه الأخبار ، وكان كثير المصادرات لعمّاله وخواصه .

حكى عنه أنّ محمد بن بشير أكبر حجّابه - وكان يخلفه فى جلائل الأمور والحروب المعضلة - فدخل عليه يوما ، فأخذ يعدّد عليه ذنوبه فحلف محمد بن بشير بالله وبالطلاق أنه لا يملك غير خمسين

(١) فى الكامل جـ٧ ص ٢٤٧ : السرة .

بدرة ، وهو يحملها إلى الخزانة ولا يجعل له ذنبا لم يعلمه ، فقال له عمرو : ما أعقلك من رجل ؟ احملها فحملها ، ولا شيء أقبح من هذا الفعل ، ومع ذلك فقد حكى القاضي (١) عياض بن موسى في كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى صلى الله عليه وسلم عن الإمام أبي القاسم القشيري أنّ عمرا رؤي في النوم فقيل له : ما فعل الله بك ؟ قال : غفر لى ، فقيل : بماذا ؟ قال : صعدت ذروة جبل يوما فأشرفت على جنودي ، فأعجبتني كثرتهم فتمنّيت أنّي حضرت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعنته ونصرته ، فشكر الله لى ذلك وغفر لى .

وانقرضت هذه الدولة بأسر عمرو ، وكانت مدتها خمسا وثلاثين سنة ، أيام يعقوب ثلاث عشرة سنة وأيام عمرو اثنتين وعشرين سنة .

ذكر اخبار
احمد بن عبد الله الخجستاني

وهذه النسبة إلى خُجِسْتَان وهى من جبال هراة من أعمال باذغيس وكان أحمد بن عبد الله هذا من أصحاب محمد بن طاهر ، فلما استولى يعقوب بن الليث على نيسابور ضمّ أحمد هذا إلى أخيه على بن الليث وكان بنو شَرْكَب ثلاثة إخوة : إبراهيم وأبو حفص يعمر وأبو طلحة منصور بنو مسلم ، وإبراهيم أسنّهم ، وكان قد أبلى بين يدى يعقوب

(١) راجع الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي أبى الفضل عياض حـ٢ ص ٣٤ (ط المكتبة التجارية بالقاهرة) .

عند مواقعته للحسن بن زيد العلوى بجرجان بلاء حسنا ، فقدّمه يعقوب فدخل عليه يوما بنيسابور وكان اليوم شديد البرد ، فخلع عليه يعقوب وبرسمّور كان على كتفه ، فحسده أحمد الخجستانى وجاء إليه وقال : إنّ يعقوب يريد الغدر بك ، لأنّه لا يخلع على أحد من خاص ملبوسه إلا غدر به فقال إبراهيم : فكيف الخلاص ؟ فقال : الحيلة أن نهرب جميعاً إلى أخيك يعمر ، وكان يحاصر بلخ ومعه خمسة آلاف رجل ، فاتّفقا على ذلك وتواعدا للخروج فى تلك الليلة ، فسبقه إبراهيم إلى الموعد وانتظره ساعة فلم يره ، فسار نحو سرخس وذهب الخجستانى إلى يعقوب فأعلمه ، فأرسل فى أثر إبراهيم فأدركوه بسرخس فقتلوه ، ومال يعقوب إلى أحمد ، فلما أراد يعقوب العود إلى سجستان استخلف على نيسابور عزيز بن السرىّ وولّى أخاه عمرو بن الليث هراة ، فاستخلف عمرو وعليها طاهر بن حفص الباذغيسى ، وسار يعقوب إلى سجستان فى سنه إحدى وستين ومائتين ، وأحبّ الخجستانى التخلّف لما كان يحدّث به نفسه ، فقال لعلى بن الليث : إن أخويك قد اقتسما خراسان ، وليس لك بها مايقوم بشغلك ، وأحبّ أن تردّنى إليها لأقوم بأمورك ، فاستأذن أخاه يعقوب فى ذلك فأذن له ، فلمّا حضر أحمد اوداع يعقوب أحسن إليه وخلع عليه ، فلما ولّى عنه قال : أشهد أن قفاه قفا غادر مستعص ، وهذا آخر عهدنا بطاعته ، فلما فارقهم جمع نحو مائة رجل فورد بهم بست نيسابور ، فحارب عاملها وأخرجه عنها وجباها ثم خرج إلى قومس . فغلب على بسطام وقتل بها مقتلة عظيمة وذلك فى سنة إحدى وستين وسار إلى نيسابور وبها عزيز بن السرى فهرب منها ، وأخذ أحمد

أثقاله واستولى على نيسابور ، ودعا للطاهريّة وذلك فى أول سنة اثنتين وستين .

وكتب إلى رافع بن هرثمة يستقدمه فقدم عليه ، فجعله قائد جيشه ، وكتب إلى يعمر ابن شركب – وهو يحاصر بلخ – يستقدمه ليتّفقا على تلك البلاد ، فلم يثق إليه لما تقدّم له مع أخيه إبراهم : وسار يعمر إلى هراة فحاربه طاهر بن حفص فقتله واستولى على أعماله فسار إليه أحمد وكان بينهما مناوشات ، وكان أبو طلحة منصور ابن شركب غلاما من أحسن الغلمان ، وكان عبد الله بن لال[1] يميل إليه وهو أحد قوّاد يعمر ، فراسل ابن لال ، الخجستانىّ أن يعمل ضيافة ليعمر وأصحابه ويدعوهم إليه وأن يكبسهم أحمد وأنّه يساعده ، واشترط عليه أنّه إذا ظفر يسلّم إليه أبا طلحة ، فأجابه أحمد إلى ذلك وتواعدا على يوم ، وعمل ابن لال ضيافة وحضرها يعمر ، فكبسهم أحمد وقبض على يعمر وسيّره إلى نيسابور فقتله ، واجتمع لأبى طلحة جماعة من أصحاب أخيه فقتلوا ابن لال ، وساروا إلى نيسابور وبها الحسين بن طاهر أخو محمد ، وقد وردها من أصفهان طمعا أن أحمد يخطب لهم ، كما كان يظهر من نفسه فلم يفعل . فخطب ابن طاهر بها لأبى طلحة وأقام معه ، فسار الخجستانى من هراة فى اثنى عشر ألف عِنان ، فأقام على ثلاث مراحل من نيسابور ، ووجّه أخاه العبّاس إليها فخرج إليه أبو طلحة وقاتله ، فقُتل العبّاس وانهزم أصحابه فعاد أحمد إلى هراة .

(١) فى الكامل ج٧ ص٢٠٦ : بلال ، وفى الهامش يذكر أن إحدى المخطوطات تثبته لال

ثم كاتبه أهل نيسابور فى الحضور إليهم ، فسار إليهم وقدم البلد ليلا ، ففتحوا له الباب ودخلها ، وسار عنها أبو طلحة إلى الحسن ابن زيد ، فأمدّه بالجنود فعاد إلى نيسابور فلم يظفر بشىء ؛ فتوجّه إلى بلخ وذلك فى سنة خمس وستين ، ثم سار الخجستانى لمحاربة الحسن بن زيد لمساعدته لأبى طلحة ، فاستعان الحسن بأهل جرجان فأعانوه ، فهزمهم الخجستانى وجبى منهم أربعة آلاف ألف درهم وذلك فى شهر رمضان من السنة . وتوفى يعقوب بن الليث فى هذه السنة وولى مكانه أخوه عمرو ، فوافى الخجستانى نيسابور واقتتلا فهزمه الخجستانى ، فرجع إلى هراة وأقام أحمد بنيسابور ، ثم سار إلى هراة فى سنة سبع وستين فحصر عمرا ولم يظفر بشىء ، ثم كان له حروب مع أبى العبّاس النوفلى وغيره ، فظفر بالنوفلى وكان قد جاء لحربه من قبل محمد بن طاهر فى خمسة آلاف رجل وقتله ، ثم سار إلى أبِيوَرْد وجبى خراج مرو ، ولم يزل كذلك إلى سنة ثمان وستين ومائتين . فقتله غلامه زامجور (١) غيلة وكان قد سكر ونام ثم قتل الغلام . واجتمع أصحاب أحمد الخجستانى وانضمّوا إلى رافع بن هرثمة .

وكان أحمد هذا كريما جوادا شجاعا حسن العشرة كثير البرّ لإخوانه الذين صحبوه قبل إمارته ، ولم يتغيّر عليهم ما كان يعاملهم به من التواضع والأدب .

---

(١) فى الكامل حـ٧ ص ٢١٠ : بالراء : رامجور .

ذكر أخبار رافع بن هرثمة

كان رافع بن هرثمة من أصحاب محمد بن طاهر ، فلما استولى يعقوب بن الليث على نيسابور وأزال الطاهريّة عنها التحق رافع به ، فلما عاد يعقوب إلى سجستان صحبه رافع ، وكان طويل اللحية كريه المنظر قليل الطلاقة ، فدخل يوما على يعقوب فلما خرج من عنده قال : إنّا لا نميل إلى هذا الرجل فليلحق بما شاء من البلاد ، فقيل له ذلك ففارقه وعاد إلى منزله بتامين ، فأقام إلى أن استقدمه أحمد الخجستانى كما ذكرنا وجعله صاحب جيشه ، فلما قتل اجتمع الجيش عليه ، وسار من هراة إلى نيسابور وكان أبو طلحة قد وردها من جرجان ، فحصره فيها رافع وقطع الميرة عنها ، فاشتدّ الغلاء ففارقها أبو طلحة إلى مرو ، وخطب رافع لمحمد بن طاهر ، ثم قلّد الموفّق محمد بن طاهر أعمال خراسان وكان ببغداد ، فاستخلف رافع بن هرثمة على أعمال خراسان ، وسار رافع إلى خوارزم فى سنة اثنتين وسبعين ومائتين فجبى أموالها ، ورجع إلى نيسابور .

وفى سنة خمس وسبعين استولى رافع على جرجان ، وأزال عنها محمد بن زيد وسار محمد إلى أستراباد فحصره بها رافع نحو سنتين ، فغلت الأسعار وعدمت الأقوات وبيع وزن درهم ملح بدرهمين فضة ، ففارقها محمد ليلا فى نفر يسير فتبعه رافع إلى أرض الديلم حتى اتصل

بحدود قزوين ، وعاد إلى الرى وأقام بها إلى أن توفى المعتمد [1] على الله فى سنة تسع وسبعين ومائتين .

وإنما ذكرنا أخبار أحمد ورافع فى هذا الموضع لتعلقهما بالدولة الصفارية [2] .

(١) ورد فى الكامل لابن الأثير جـ٧ ص٣٠٣ (وأقام بها إلى أن توفى الموفق فى رجب سنة ست وسبعين ومائتين) : ونحن نعرف أن الموفق توفى سنة ٢٧٨ هـ والمعتمد توفى سنة ٢٧٩ هـ وباستعراض النصوص يتضح أن بالكامل خطأ ، يؤيده أن بهامش هذه الصفحة ذكر أنه المعتمد .

(٢) تزيد المخطوطة ت وحدها بعد ذلك ما يأتى وبخط مخالف : وقتل رافع بن هرثمة على يد أصحاب عمرو بن ليث ، وجيء برأسه إلى المعتضد فنصب ببغداد سنة ٢٨٤ هـ .

شجرة بأسماء العلويين

ممن جاء ذكرهم بهذا الجزء

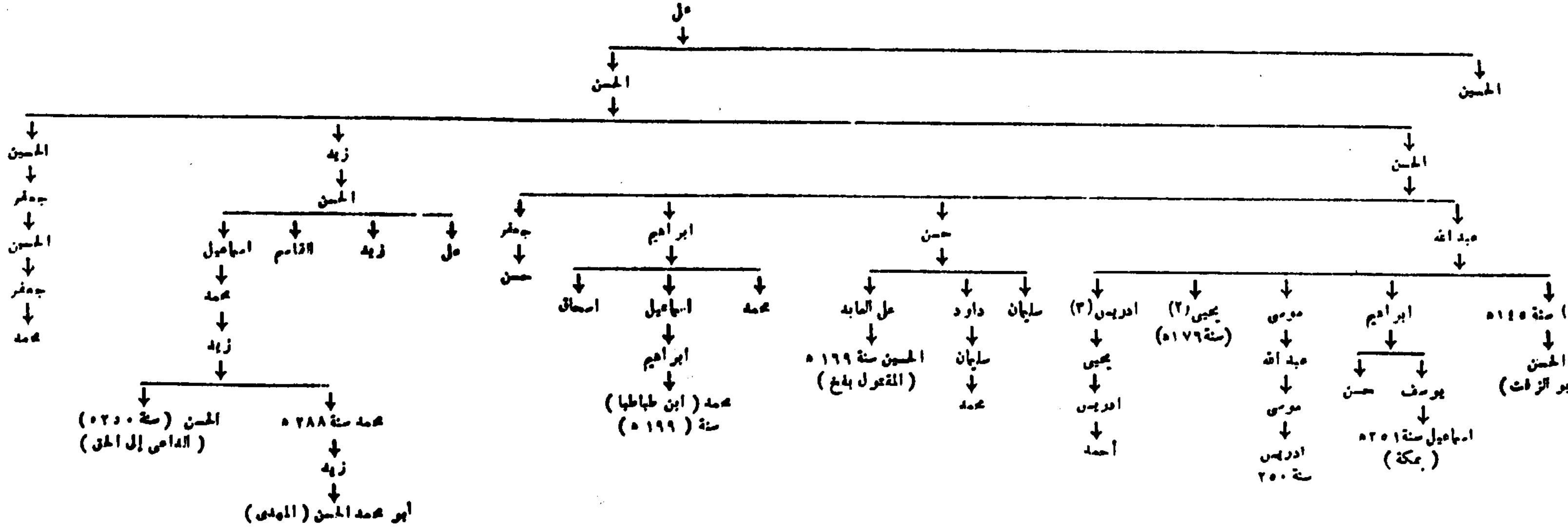

3) صاحب الدولة الادريسية بالمغرب
الخارج على المنصور بالمدينة وهو المعروف بالنفس الزكية
الخارج على الرشيد بطبرستان (الديلم)

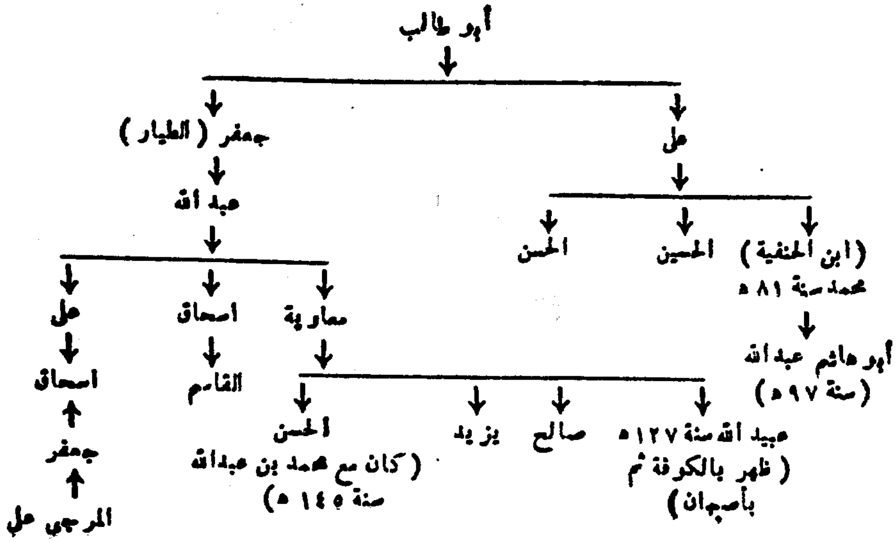
أبو طالب
جعفر (الطيار)
علي
عبد الله
الحسن
الحسين
(ابن الحنفية) محمد سنة ٨١ هـ
أبو هاشم عبد الله (سنة ٩٧ هـ)
علي
اسحاق
معاوية
اسحاق
القاسم
جعفر
المرجى علي
الحسن (كان مع محمد بن عبد الله سنة ١٤٥ هـ)
يزيد
صالح
عبد الله سنة ١٢٧ هـ (ظهر بالكوفة ثم بأصبهان)

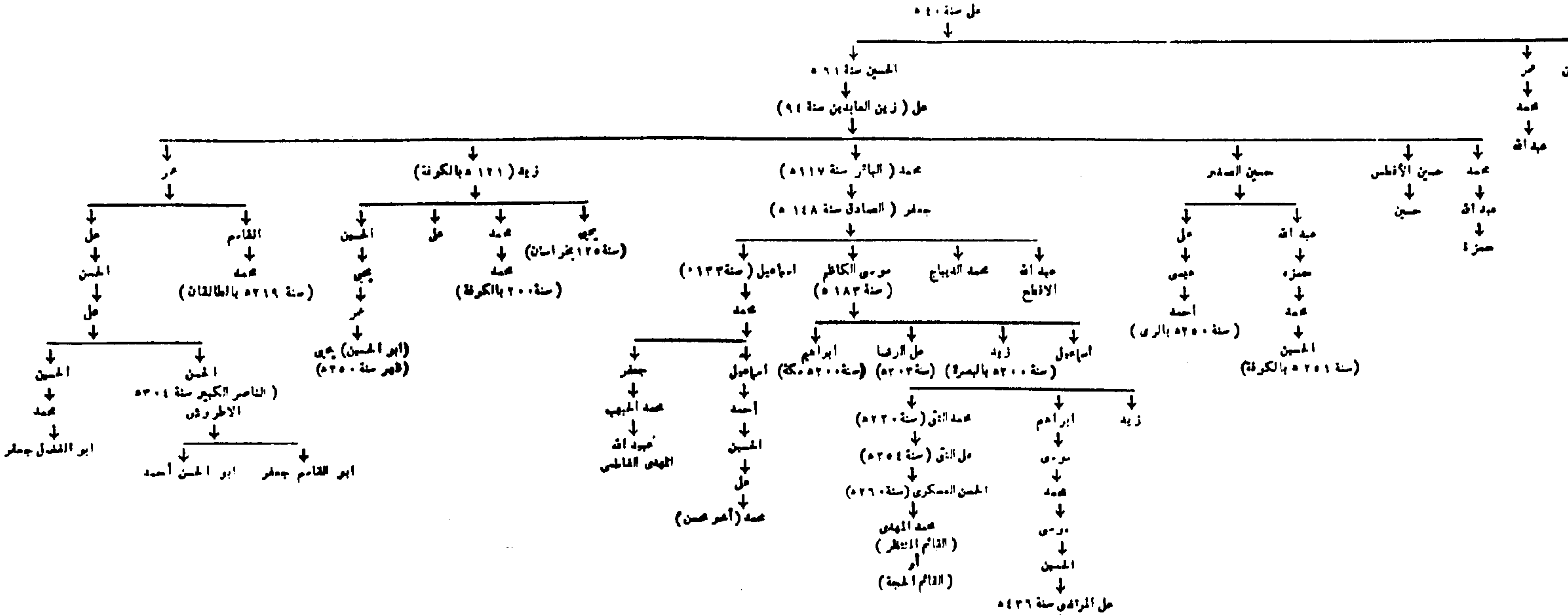
علي سنة ٤٠ هـ
الحسين سنة ٦١ هـ
علي (زين العابدين سنة ٩٤ هـ
عمر
زيد (١٢١ هـ بالكوفة)
محمد (الباقر سنة ١١٧ هـ)
جعفر (الصادق سنة ١٤٨ هـ)
حسين الصغر
حسين الأفطس
محمد
عبد الله
حمزة
حسين
عمر
محمد
عبد الله
علي
القاسم
الحسن
محمد
(سنة ٢١٩ هـ بالطالقان)
علي
الحسن
(الناصر الكبير سنة ٣٠٤ هـ
الاطروش
الحسين
محمد
ابو الفضل جعفر
ابو القاسم جعفر
ابو الحسن أحمد
الحسين
علي
محمد
يحيى
(سنة ١٢٥ بخراسان)
يحيى
عمر
(ابو الحسين) يحيى
(ظهر سنة ٢٥٠ هـ)
(سنة ٢٠٠ بالكوفة)
اسماعيل (سنة ١٣٣ هـ)
موسى الكاظم
(سنة ١٨٣ هـ)
محمد الديباج
عبد الله
الافطح
محمد
اسماعيل
أحمد
الحسين
علي
محمد (أمير محسن)
جعفر
محمد الحبيب
عبيد الله
المهدي الفاطمي
ابراهيم
(سنة ٢٠٠ هـ بمكة)
علي الرضا
(سنة ٢٠٣ هـ)
زيد
اسماعيل
(سنة ٢٠٠ هـ بالبصرة)
محمد التقي (سنة ٢٢٠ هـ)
علي النقي (سنة ٢٥٤ هـ)
الحسن العسكري (سنة ٢٦٠ هـ)
محمد المهدي
(القائم المنتظر)
أو
(القائم الحجة)
ابراهيم
موسى
محمد
موسى
الحسين
علي المرتضى سنة ٤٣٦ هـ
زيد
علي
عيسى
أحمد
(سنة ٢٥٠ هـ بالري)
عبد الله
حمزة
محمد
الحسين
(سنة ٢٥١ هـ بالكوفة)

مراجع التحقيق

١ ـ المقريزى : اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا ، طبع القاهرة ، ١٩٦٧ م .

٢ ـ السيوطى : الاتقان فى علوم القرآن ، طبع القاهرة ، ١٣٠٢ هـ .

٣ ـ محسن الأمين : أعيان الشيعة ، طبع دمشق ، ١٩٤٠ ـ ١٩٤٦ م

٤ ـ الشرتونى : أقرب الموارد فى فصح العربية والشوارد ، طبع بيروت ، ١٨٨٩ م

٥ ـ ابن كثير : البداية والنهاية ، طبع القاهرة ، ١٩٣٢ م

٦ ـ ليسترينج : بلدان الخلافة الشرقية ، طبع كمبردج ، ١٩٣٠ م .

٧ ـ الزبيدى : تاج العروس ، طبع القاهرة ، ١٣٠٦ هـ :

٨ ـ الأصفهانى : تاريخ ملوك الأرض ، طبع كلكتا ، ١٨٦٦ م .

٩ ـ ابن مسكويه : تجارب الأمم وتعاقب الهمم ، طبع ليدن ، ١٨٦٩ م .

١٠ - الذهبي : تذكرة الحفاظ ، طبع حيدر آباد ، د . ت .

١١ - القاضي عياض : الشفا بتعريف حقوق المصطفى ، طبع المكتبة التجارية ، د . ت .

١٢ - القرطبي ؛ عريب بن سعد : صلة تاريخ الطبرى ، طبع ليدن ، ١٨٩٧ م .

١٣ - ابن سعد : الطبقات الكبرى ، طبع أوروبا . ١٩٠٥ - ١٩٢١ .

١٤ - البلاذرى : فتوح البلدان ، طبع ليدن ، ١٨٦٦ م .

١٥ - الفيروزا بادي : القاموس المحيط ، طبع القاهرة ، ١٣٤٤ هـ

١٦ - ابن الأثير : الكامل ، طبع أوروبا ، ١٨٧٦ م

١٧ - الدواداري : كنز الدرر وجامع الغرر ، طبع القاهرة ، ١٩٦١ م .

١٨ - ابن منظور : لسان العرب ، طبع القاهرة ، ١٣٠١ هـ .

١٩ - البغدادى : مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع ، طبع القاهرة ، ١٩٥٤م

٢٠ - المسعودى : مروج الذهب ومعادن الجوهر . طبع باريس ١٨٦١ م ؛ طبع القاهرة ١٢٨٣ هـ .

٢١ - الاصطخرى : المسالك والممالك . طبع القاهرة . ١٩٦١ م

٢٢ - ياقوت الحموى : معجم البلدان . طبع ليبزج . ١٨٦٦ م

٢٣ - أبو الفرج الأصبهانى : مقاتل الطالبيين . طبع القاهرة . ١٩٤٩ م .

٢٤ - الشهرستانى : الملل والنحل ؛ طبع لندن : ١٨٤٢ م .

٢٥ - ابن الجوزى : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، مخطوط. دار الكتب رقم ١٢٩٦ تاريخ .

٢٦ - ابن خلكان : وفيات الأعيان ، طبع القاهرة ، ١٩٤٨ .

فهرس الموضوعات

مقدمة المحقق 5

الباب السابع (*)

فى اخبار من نهض فى طلب الخلافة من الطالبيين فى مدة الدولتين الأموية والعباسية

محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على بن أبي طالب وأخوه إبراهيم 7

ذكر حبس أولاد الحسن 17

ذكر حملهم إلى العراق 19

ذكر ظهور محمد بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن على بن أبي طالب 23

ذكر مسير عيسى بن موسى لقتال محمد بن عبد الله بن حسن وقتل محمد 40

ذكر تسمية المشهورين ممن كان مع محمد بن عبد الله بن حسن ... 50

ذكر ظهور إبراهيم بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن على بن أبي طالب أخي محمد 52

ذكر مسير إبراهيم ومقتله 57

ذكر ظهور الحسين بن على بن الحسن بن الحسن بن الحسن بن على ابن أبي طالب رضى الله عنه ، وهو المقتول بفخ 66

(*) انظر نهاية الأرب جـ ٢٤ ص ٣٩١ تحقيق د. حسين نصار ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٣

ذكر ظهور يحيى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب ٧١
ذكر ظهور محمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن ابن على بن أبى طالب رضى الله عنه وهو المعروف بابن طباطبا ... ٧٣
محمد بن محمد بن زيد بن على بن الحسين بن على ٧٣
ذكر ظهور إبراهيم بن موسى بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين ابن على بن أبى طالب وما كان من أمره ٧٤
ذكر ظهور يحيى بن عمر بن يحيى بن حسين بن زيد بن على بن الحسين ابن على بن أبى طالب وهو المكنى بأبى الحسين... ... ... ٧٥
ذكر ظهور الحسين بن محمد ٧٨
ذكر خبر إسماعيل بن يوسف بن إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على ٧٩
ذكر ظهور على بن زيد العلوى بالكوفة وخروجه عنها ٨٠
ذكر أخبار الدولة العلوية بطبرستان ، الداعى إلى الحق الحسن بن زيد ٨١
ذكر ملك الحسن بن زيد جرجان ٨٥
ذكر وفاة الحسن بن زيد وشىء من أخباره وسيرته ٨٦
ذكر أخبار محمد بن زيد ٨٨
ذكر مقتل محمد بن زيد وشىء من أخباره ٩١
ذكر أخبار الناصر للحق ٩٣
الحسن بن القاسم الداعى العلوى ٩٧
ملك أسفار جرجان ١٠٠
ذكر ظهور أبى عبد الله محمد بن الحسين الحسنى المعروف بابن الداعى ١٠٢

الباب الثامن من القسم الخامس
من الفن الخامس
فى أخبار صاحب الزنج والقرامطة
والخوارج ببلاد الموصل

ذكر أخبار صاحب الزنج وابتداء أمره وسبب خروجه ١٠٤
ذكر دخول الزنج الأبله ١١٥
ذكر أخذ الزنج الأهواز ١١٥
ذكر انهزام الزنج من سعيد الحاجب وغلبة الزنج ١١٦
ذكر انهزام الزنج بالأهواز ١١٧
ذكر أخذ الزنج البصرة وتخريبها ١١٨
ذكر مسير المولد لحرب صاحب الزنج وانتصار صاحب الزنج ... ١٢٠
ذكر الحرب بين منصور الخياط والزنج وقتل منصور ١٢٠
ذكر مسير أبى أحمد الموفق لقتال الزنج . وقتل مفلح ١٢١
ذكر مقتل يحيى بن محمد البحرانى ١٢٢
ذكر عود أبى أحمد الموفق إلى سامرا واستخلافه محمد المولد على حرب الزنج ١٢٤
ذكر دخول الزنج الأهواز ، ومسير موسى بن بغا لحربهم ١٢٥
ذكر انتداب أبى أحمد الموفق لحرب الزنج وما شغله عن ذلك واستعماله مسرورا البلخى على حربهم وما كان فى خلال ذلك من أخبارهم ... ١٢٨
ذكر دخول الزنج واسط وما تقدم ذلك من الحروب والوقائع .. ١٣٢
ذكر وقائع كانت بين الزنج وبين أحمد بن ليثويه وتكين البخارى واغرتمش فى سنة خمس وسنة ست وستين ومائتين .. . ١٣٥
ذكر دخول الزنج رامهرمز ١٣٨

ذكر مسير أبي العباس بن الموفق وهو المعتضد بالله إلى حرب الزنج
وانتزاعه عامة ما كان بيد سليمان بن جامع والزنج من أعمال دجلة ١٤٠
ذكر مسير الموفق لقتال الزنج وفتح المنيعة ١٤٥
ذكر استيلاء أبي أحمد الموفق على طهيثا ١٤٧
ذكر مسير الموفق إلى الأهواز وإجلاء الزنج عنها ١٤٩
ذكر محاصرة مدينة صاحب الزنج وهي المدينة التي سماها المختارة... ١٥٢
ذكر عبور الموفق إلى مدينة صاحب الزنج وخروجه عنها وعوده إليها ١٥٧
ذكر إيقاع أبي العباس بن الموفق بالأعراب وانقطاع الميرة عن الزنج ،
ومقتل بهبوذ بن عبد الوهاب ١٦٢
ذكر إحراق قصر صاحب الزنج ، وما يتصل بذلك من الحروب
والوقائع ١٦٦
ذكر غرق نصير صاحب الشذا ١٦٩
ذكر احراق قنطرة صاحب الزنج ١٧٠
ذكر انتقال صاحب الزنج إلى الجانب الشرقي وإحراق سوقه ... ١٧١
ذكر استيلاء الموفق على مدينة صاحب الزنج الغربية ١٧٤
ذكر استيلاء الموفق على مدينة صاحب الزنج الشرقية ١٧٨
ذكر مقتل صاحب الزنج ١٨٠
ذكر أخبار القرامطة وابتداء أمرهم ، وما كان من أخبارهم ،
وما استولوا عليه من البلاد وغير ذلك من أخبارهم ١٨٧
ذكر ما فرضه قرمط على من دخل في دعوته ، واستجاب له وكيف
نقلهم في استئصال أموالهم من اليسير إلى الكثير حتى استقام له أمرهم ١٩٣
ذكر دعوة القرامطة وعهدهم الذين كانوا يأخذونه على من يغرونه
ويستميلونه إلى مذهبهم ، وكيف ينقلونه من مرتبة إلى أخرى ، حتى
ينسلخ من الدين ويخلع ربقة الإسلام من عنقه ١٩٥

ذكر صفة الدعوة الثانية ٢٠٢
ذكر صفة الدعوة الثالثة ٢٠٣
ذكر صفة الدعوة الرابعة ٢٠٥
ذكر صفة الدعوة الخامسة ٢٠٧
ذكر صفة الدعوة السادسة ٢٠٩
ذكر صفة الدعوة السابعة ٢١٠
ذكر صفة الدعوة الثامنة ٢١١
ذكر صفة الدعوة التاسعة ٢١٣
ذكر العهد الذى يؤخذ على المخدوعين فى مبدأ الدعوة الخبيثة ... ٢١٧
ذكر ابتداء دعوة القرامطة ٢٢٧
ذكر انتقاض الدعوة عن حالتها الأولى ، ومقتل عبدان ، وما كان من
أمر زكرويه بعده ٢٢٩
ذكر أخبار أبى سعيد الجنابى وظهوره بالبحرين ٢٣٣
ذكر استيلاء أبى سعيد الجنابى على هجر ، وما كان من خلال ذلك من
حروبه ووقائعه ٢٣٥
ذكر الحرب بين القرامطة أصحاب أبى سعيد وأهل عمان ٢٣٨
ذكر الحرب بين القرامطة وعسكر المعتضد بالله وانتصار القرامطة ٢٣٩
ذكر مقتل أبى سعيد الجنابى ٢٤٣
ذكر أخبار أبى القاسم الصناديقى ببلاد اليمن ٢٤٥
ذكر ظهور القرامطة بالشام ، وما كان من أمرهم وحروبهم ٢٤٦
الحسن بن زكرويه بن مهرويه ٢٤٩
ذكر الحرب بين محمد بن سليمان وبين القرامطة وانهزام القرامطة ،
والظفر بالحسن بن زكرويه صاحب الشام وأصحابه وقتلهم ... ٢٥١

ذكر خبر إرسال زكرويه بن مهرويه ، محمد بن عبد الله إلى الشام ،
وما كان من أمره إلى أن قتل ٢٥٨
ذكر إرسال زكرويه بن مهرويه ، القاسم بن أحمد ودخوله الكوفة ،
وما كان من امره ٢٦١
ذكر ظهور زكرويه بن مهرويه وقتاله عساكر الخليفة وأخذه الحاج ،
وما كان من أمره إلى أن قتل ٢٦٥
ذكر أخبار من ظهر من القرامطة بعد مقتل زكرويه بن مهرويه ... ٢٧٥
ذكر أخبار أبي طاهر سليمان بن أبي سعيد الحسن بن بهرام الجنابي ... ٢٧٦
ذكر أخذ أبي طاهر الحاج ، وأسره ابن حمدان وما كان من أمره في
إطلاقه ٢٧٩
ذكر دخول أبي طاهر القرمطي الكوفة ورجوعه ٢٨٥
ذكر دخول أبي طاهر القرمطي إلى العراق وقتل يوسف بن أبي الساج ٢٨٧
ذكر أخبار من ظهر من القرامطة بسواد العراق في أثناء وقائع أبي طاهر
الجنابي ٢٩٣
ذكر مسير أبي طاهر إلى مكة شرفها الله ونهبها وأخذ الحجر الأسود
وإعادته ، وما كان من أخباره في خلال ذلك ٢٩٦
ذكر وفاة أبي طاهر بن أبي سعيد الجنابي وأخيه وقيام أخويهما بعده ٣٠٣
ذكر إعادة القرامطة الحجر الأسود إلى الكعبة شرفها الله تعالى ... ٣٠٣
ذكر ملك القرامطة دمشق ومسيرهم إلى الديار المصرية ومحاصرة من بها
ورجوعهم عنها ٣٠٤
ذكر عود القرامطة إلى الشام ، ووفاة الحسن بن أحمد ٣١٤
ذكر استيلاء القرامطة على الكوفة وخروجهم عنها ٣١٦
ذكر ظفر الأصفر بالقرامطة ٣١٧
ذكر أخبار الخوارج ببلاد الموصل ، مساور ومن بعده ٣١٨

ذكر مقتل مساور بندارا الطبرى متولى طريق خراسان ٣١٩
ذكر استيلاء مساور على الموصل وخروجه منها ٣٢١
ذكر اختلاف الخوارج على مساور ، وانتصاره على من خالفه وقتاله
عساكر الخليفة ٣٢٢
ذكر وفاة مساور وخبر من قام بعده إلى أن قام هارون البجلى ... ٣٢٤
ذكر محاربة محمد بن خرّزاد هارون بن عبد الله ، وما كان من خبر
ابن خرزاد ومقتله واستقلال هارون بالأمر بمفرده ٣٢٥
ذكر خروج محمد بن عباده على هارون وكلاهما خارجى ٣٢٦
ذكر انهزام هارون من عسكر للموصل ٣٢٨
ذكر مقتل هارون ٣٢٩

الباب التاسع من القسم الخامس
من الفن الخامس

فى اخبار من استقل بالملك والممالك بالبلاد الشرقية والشمالية فى خلال الدولة العباسية ، وهم ملوك خراســـان وما وراء النهر والجبال وطبرستان وغزنه والغور وبلاد السند والهند والدولة السامانية والدولة الصفارية والغزنوية والغورية والدولة الديلمية الختلية •

ذكر أخبار الدولة السامانية ، وقيامها بما وراء النهر ونسب ملوكها
وابتداء أمرهم ٣٣١
ذكر وفاة نصر وقيام أخيه إسماعيل ٣٣٤
ذكر ملك إسماعيل خراسان ٣٣٤
ذكر ملكه طبرستان ٣٣٦
ذكر القبض على محمد بن هارون ووفاته ٣٣٦
ذكر وفاة إسماعيل وولاية ابنه أحمد ٣٣٧
أبو النصر أحمد بن إسماعيل ٣٣٨

ذكر استيلاء أحمد بن إسماعيل على سجستان ٣٣٩
مخالفة أهل سجستان على الأمير أحمد ٣٤٠
ذكر مقتل الأمير أحمد وولاية ابنه نصر ٣٤١
أبو الحسن نصر بن أحمد ٣٤١
ذكر خروج إسحاق بن أحمد وابنه إلياس ٣٤٢
ذكر مخالفة منصور بن إسحاق ٣٤٣
ذكر خروج إلياس بن إسحاق بن أسد ثانيا ٣٤٥
ذكر استيلاء السعيد على الرى ٣٤٦
ذكر مخالفة جعفر بن أبي جعفر بن أبي داود وعوده ٣٤٧
ذكر خروج أبي زكريا وأخويه ببخارى ٣٤٧
ذكر ولاية محمد بن المظفر خراسان ٣٤٩
ذكر وفاة الأمير السعيد نصر بن أحمد وشيء من سيرته ٣٥٠
نوح بن نصر بن أحمد بن اسماعيل بن أحمد ، وهو الخامس من الملوك السامانية ٣٥٠
ذكر مخالفة أبي على بن محتاج على الأمير الحميد ٣٥٢
ذكر استعمال منصور بن قراتكين على خراسان ٣٥٥
ذكر عود أبي على إلى خراسان ٣٥٥
ذكر وفاة الأمير الحميد نوح بن نصر وولاية ابنه عبد الملك... ... ٣٥٦
ذكر ولاية عبد الملك بن نوح بن نصر بن أحمد بن اسماعيل بن أحمد ، وهو السادس من الملوك السامانية ٣٥٦
ذكر ولاية منصور بن نوح بن نصر بن أحمد ، وهو السابع من الملوك السامانية ٣٥٧
ذكر الصلح بين الأمير منصور وبين بني بويه ٣٥٨
ذكر وفاة الأمير منصور ٣٥٨

ذكر ولاية المنصور أبي القاسم نوح بن منصور بن نوح بن نصر بن أحمد
ابن إسماعيل بن أحمد ، وهو الثامن من الملوك السامانية ٣٥٩
ذكر ملك الترك بخارى وشيء من أخبارهم وخروج الأمير نوح منها
وعوده إليها ٣٦١
ذكر عود نوح إلى بخارى ، ووفاة بغراخان وقيام ايليك الخان ... ٣٦٣
ذكر ما كان من أخبار أبي علي بن سيمجور وفايق واستعمال محمود بن
سبكتكين على خراسان ٣٦٤
ذكر وفاة الأمير نوح بن منصور ٣٦٦
ذكر ولاية أبي الحارث منصور بن نوح بن منصور بن نوح بن نصر
ابن أحمد بن إسماعيل بن أحمد ، وهو التاسع من الملوك السامانية ٣٦٧
ذكر القبض على الأمير منصور بن نوح وسمله ٣٦٨
ذكر ولاية عبد الملك بن نوح بن منصور ٣٦٨
ذكر انقراض الدولة السامانية ٣٦٨
ذكر ظهور إسماعيل بن نوح وما اتفق له بخراسان ٣٧٠
ذكر أخبار الدولة الصفارية وابتداء أمرها ٣٧٣
ذكر ملك يعقوب هراة وبوشنج ٣٧٤
ذكر استيلائه على كرمان ٣٧٤
ذكر ملكه فارس ٣٧٦
ذكر قصد يعقوب فارس وملكه بلخ وغيرها ٣٧٨
ذكر ملكه نيسابور ٣٧٨
ذكر دخوله طبرستان ٣٨٠
ذكر عود يعقوب إلى بلاد فارس والحرب بينه وبين محمد بن واصل ٣٨١
ذكر الحرب بين الموفق ويعقوب ٣٨٢

ذكر استيلاء يعقوب على الأهواز وغيرها ٣٨٤
ذكر وفاة يعقوب بن الليث وولاية أخيه عمرو ٣٨٥
ذكر ولاية عمرو بن الليث ٣٨٦
ذكر أسر عمرو بن الليث وقتله وانقراض الدولة الصفارية ... ٣٨٨
ذكر أخباره وشيء من سيرته ٣٨٨
ذكر أخبار أحمد بن عبد الله الخجستاني ٣٨٩
ذكر أخبار رافع بن هرثمة ٣٩٣
شجرة العلويين الذين جاءت أسماؤهم بهذا الجزء ٣٩٥
مراجع التحقيق ٣٩٩

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ٣١٠٠/١٩٨٤

ISBN ـ ٩٧٧ ـ ٠١ ـ ٠٣٤٨ ـ ٩